

الألف السَّيِّد

مَحْمَدٌ بَابُ الْقَصْدِ
ص ا ب ج د هـ

دُرَاسَةٌ فِي سِيرَتِهِ وَمَنْهَجِهِ

مُحَمَّدًا بِنِي

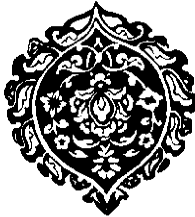


509.5
—
1000

ف ٧٣

کتابخانه اسلامی
مرکز تحقیقات کلامی و فقهی علوم اسلامی
شماره ثبت: ۴۲۱۴۷
تاریخ ثبت:

کتابخانه اسلامی	
Scanner Code	K-0002
Archive Code	



الامام الشهيد

السید محمد باقر الصدر رضی

دراسة في سيرته ومنهجه

الطبعة الأولى

١٩٨٩ - ١٤١٠

حقوق الطبع محفوظة



تقديم

بقلم سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله حفظه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم وسلام على عباده الذين اصطفى

قد يمر وقت طويل قبل أن يبلغ الحديث عن السيد الشهيد السيد محمد باقر الصدر مداه . . لأن المسألة ليست مسألة تسجيل مفردات حياته المتنوعة المتعلقة بطفولته الواعدة، وشبابه العبقري، وكهولته المبدعة، فيما فكر وكتب وحاضر وربى وجاهد وفيما انفتح على العطاء الإسلامي الذي لم يقف عند حد بل امتد في شموليته حتى بلغ الشهادة . . بل المسألة مسألة حركة الشهيد الصدر في التاريخ، في الإحياءات الفكرية والروحية والسياسية والجهادية التي تطلقها الإرشادات العميقة للملامح المضيفة في طبيعة شخصيته . . لأن هناك الكثير مما نحتاج إلى التدقيق فيه في استنطاق حياته من خلال السر الكامن في الذات، أو المعنى المتحرك في البيئة أو الجهد المنطلق في الحركة العلمية التي عاش فيها واستفاد منها في عملية تفاعل بين ملامح الشخصية في الذات وبين مواقع العلم في الواقع . . فقد يكون الدارسون له مأخوذون بالتأثر من دون الانفتاح على المقدمات، لأن الكبار يفتحون على الناس من خلال ملامح العظمة في شخصياتهم مما يعدهم عن السعي نحو التطلع إلى داخلهم . . فتكون النتائج إستغراقاً في الإيجابيات فيما هي الصورة وفيما هي الإطار.

وقد يغيب عن الكثيرين أن علامتنا العبقري كان موضع الرعاية من قبل الجو العلمي المنفتح على الشخصيات العلمية الكبيرة التي كان يحفل بها جهاز المرجعية الفقهية الذي كان يحيطه بخاله المرجع الكبير الشيخ محمد رضا آل ياسين رحمه الله . . مما كان يهيم له أنذاك ما لم يتهيم لغيره من عناية وانفتاح ومواكبة لكل انطلاقاته والتفاناته وتشجيع لمبادراته وتوجيه لخطواته .

وقد يكون لهذا الجو الأثر الكبير في تفجير طاقاته الذكية الواعية بطريقة مميزة . . وفي إحاطته بالجدية في متابعة جهده الذي كان يدفعه نحو الوصول إلى الدرجات العليا، وفي تفكيره المبكر بالطموح الكبير في أفاق المرجعية لأنها لم تكن بعيدة عن ساحات الذاكرة التاريخية لعائلته، والواقع الحي الحاضر لخؤولته .

وكان يعيش قلق التطلع إلى الأعلى . . وهاجس إكتشاف الجديد . . في الفكر والموقع والحركة . . وكانت عاطفته الممتزجة بعقلانيته تجعله يستغرق في علاقاته الإنسانية بتلامذته وإخوانه باحتضان غريب عما يعرفه الناس في محيطه . . فقد كان يذوب فيهم فيما يفتح حسه الروحي عليهم في آمال المستقبل وتطلعات الهدف .

ولم تكن هذه العاطفه فيه حالة انفعال مزاجي ساذج، بل كانت حالة طهر روحي يتغذى من عمق إنساني عفوي في طبيعته، منفتح في حركته . . وهذا هو الذي جعله إيجابياً في مشاعره، مخلصاً في توازنه ومنطلقاته ولكنها كانت في الوقت نفسه، تثير حوله بعض نقاط الضعف التي قد تحدث للطيبين من الرجال الكبار فلا يسقطون عندها إذا عاشت بعض نهاويلها في مشاعرهم الرقيقة .

* * *

وكان لهذا الانشداد الفكري والروحي إلى الأعلى في قلق المعرفة وقلق الواقع، الدور الكبير في نظرته إلى ما حوله ومن حوله . . فقد كان يريد للساحة أن تهتز، وللخطوات أن تتسارع، وللأفق أن يفتح على نور الشمس التي غلّفها الضباب، أو حجبها السحاب . . وهكذا كانت دراسته للفلسفة — في مجتمع

الفقه — محاولة للدخول في العمق من أجل افساح المجال للمزيد من الامتداد فكان يركض في دراستها مع استاذة بعيداً عن الجوّ التقليدي الذي يوحى للطلاب بأن عليه أن يترث في خطوات الدراسة التي تحتاج إلى سنين وسنين . . فقد كان يشعر أن الزمن لا ينتظر، لأن التحديات كانت كبيرة في ساحته، وكان يحسّ بأن على السائرين في خط المسؤولية الكبيرة لطموحات الأمة، لأن يعتصروا الزمن كله حتى لا يتركوا في داخله إية حالة فراغ لا يمتلئ بالحركة وهكذا قفزت دراسته الفلسفية إلى الساحة في أول موقف للتحدي الآتي من مواقع الكفر والاستكبار . . فكان كتاب «فلسفتنا» هو الانطلاقة الأولى التي لم يحتاج إلى زمن كثير فيها في الوقت الذي كان فيه الكثيرون من دارسي الفلسفة في النجف بعيدين عن مواقع التحدي أورد التحدي .

وكان انفتاحه على الإسلام الحركي من موقع الرغبة في الخروج من الجمود الذي كان يطبق على الوسط الديني ليحصّره في دائرة ضيقة بعيدة عن الأفق الواسع الذي يمثله الإسلام في فكره ومنهجه وشريعته وحركته من أجل أن يكون شاملاً للحياة كلها . . وكان يؤكد الكلمة التي أطلقها العلامة الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين رضوان الله عليه «لا ينتشر الهدى إلا من حيث انتشر الضلال» . . كانت الأحزاب الكافرة والضالة تسيطر على الواقع السياسي في بلاد المسلمين، بالمستوى الذي تفسح فيه المجال للعقيدة الكافرة أو الضالة أن تفرض نفسها على الذهنية الإسلامية بوسائلها المتنوعة . . الأمر الذي أضعف العقيدة الإسلامية وأفقدتها فاعليتها ومناعتها وأبعدها عن ساحة الصراع في الحياة . . وجعل من الثقافة الإسلامية على الصعيد الفقهي أو الفلسفي حركة تدور حول نفسها من دون أن تقترب من الواقع، لأن الواقع مشغول بغيرها من الثقافات أو القوانين أو الفلسفات لأن الوسائل التي تتبعها القيادات الدينية في نشر الدعوة لا تكفي لاحتواء الساحة العامة للمسلمين . . باعتبار أن الأساليب المتبعة في ذلك لا تسد حاجة العصر، كما أن الزوايا الضيقة التي تدور فيه

لا تتسع للساحات الإسلامية الرحبة في رحابة القضايا الكبيرة التي يحتاجها الناس .

وهكذا رأى أن البعد بين الحوزة والجامعة هو المشكلة التي كانت تعانيها الحوزة في الحلقة المفرغة التي تتحرك فيها، لأنه لم تكن هناك لغة مشتركة بينهما . كما رأى أن هناك بعداً بين الإسلام وبين الواقع السياسي اليومي المتحرك لأن القائمين على شؤون الإسلام لم يقتنعوا بالحاجة إلى الأندفاع في العمل السياسي من مفرداته وأبعاده، إنطلاقاً من المفهوم الذي يفصل بين الدين والسياسة، حتى عادت الصفة السياسية تهمة لعلماء الدين عندما تفرض عليهم الظروف أن يحملوها . مما جعل العلماء معزولين عن الحياة السياسية في المطلق . . وعندما تبتعد الحياة السياسية عن الموقع الديني فأن معنى ذلك أن يكون الدين الذي يرتضيه رجال السياسة هو الذي يفرض نفسه على الواقع ويؤدي بالتالي إلى أن تنكمش المفاهيم الإسلامية الأصلية في زاوية فكرية وتصبح هدفاً للحرب المضادة في كل مواقع الفكر والتربية والإعلام وحركة الواقع، لتكون الحرب على الإسلام باسم الإسلام إذا كانت السلطة السياسية تحمل العنوان التقليدي للإسلام الذي يدور في فلكها العام .

وهكذا بدأ التفكير في تأسيس حركة إسلامية على الأساس الفكري والفقهية الذي يؤمن به، لتتحرك إلى جانب الحركات الإسلامية الأخرى التي كانت مرتكزة على أسس فكرية أو فقهية مختلفة . . وهكذا انطلقت فكرة حزب الدعوة الإسلامية» من خلال نتائج الأحاديث التي كانت تدور بينه وبين الطليعة الإسلامية من إخوانه . . وكانت كلمة «الدعوة الإسلامية» منطلقة من المفهوم الذي يعتبر السياسة حركة في الدعوة، كما جرى في الجهاد أسلوباً من أساليب إنطلاقها في حركة الواقع من خلال الأفاق التي يفتحها، والحواجز التي يكسرها، والساحات التي يحررها . . للإيحاء الدائم للعاملين فيها بأن العمل السياسي الإسلامي يختلف عن غيره من أنواع العمل السياسي لدى الآخرين بأنه ليس مجرد عمل سياسي مفصول عن مواقع العمل الأخرى، بل هو مرتبط بالدعوة إلى الإسلام، مما يجعله يتكامل مع كل مفردات العمل التي تؤلف

عناصر الدعوة، على النهج الذي انطلق الإسلام فيه .

وربما كانت «الأسس» التي بدأ السيد الشهيد كتابتها لتكون برنامجاً للعمل محاولة للإحياء بأن نشوء حركة إسلامية جديدة لا بد أن ينطلق من الأسس الفكرية والفقهية التي تمنحها الشرعية من جهة، كما تفسح لها المجال لتبرير التعددية في العمل الإسلامي . . حتى لا يكون الحزب الجديد مجرد محاولة للتمايز أو للتعدد في نطاق الذات أو في نطاق الموقع .

وهكذا انطلقت «الدعوة الإسلامية» من خلال فكره وجهده وموقعه وكان لدوره فيها الأثر الكبير في إتماء الكثيرين إليها وثقتهم بها وتعاونهم مع العاملين فيها . . وقد عانى الكثير من المشاكل في سبيل ذلك من الوسط العلمي الحوزي الذي كان لا يطبق فكرة الأحزاب ويرى فيها نوعاً من الانحراف عن الخط المرسوم للعالم الديني الذي يملك مقداراً كبيراً من العلم والفضل أمثال السيد الشهيد الذي قد يبعده العمل الحزبي عن الوصول إلى المرجعية . . وهكذا ترك العمل المباشر في داخل الدعوة، وكما ترك العمل في كتابة (رسالتنا) في مجلة الأضواء التي كانت تصدرها جماعة العلماء في النجف الأشرف لارتباطها غير الرسمي بحركة الدعوة الإسلامية من خلال ارتباطها به . . ولكنه بقي في إشرافه الفكري والعملية بطريقة غير رسمية .

وقد نستطيع التأكيد على أن نشاطه التألفي في كتاب «فلسفتنا» و«اقتصادنا» و«المدرسة الإسلامية» وغيرها من الكتب الفكرية الهادفة، كان منطلقاً من الشعور بحاجة الحركة الإسلامية، باعتبارها الواجبة للإسلام في ساحة التحدي الحركي إلى أن تقدم نفسها إلى العالم في مجالات الصراع الفكري كحركة شملت قاعدة فلسفية عميقة الجذور في الفكر الإنساني، بحيث تتحدى القواعد الفلسفية الأخرى، كما شملت قاعدة للفكر الاقتصادي الذي يتحدى الفكر الاقتصادي الآخر . . وتتحرك في الوقت نفسه، لتأصيل المفاهيم الإسلامية في حركة الواقع .

وكانت الأسس المنطقية للإستقراء» نقلةً نوعية للفكر الفلسفي الإسلامي ليدلّل على أن العقيدة الإسلامية تملك الصلابة العميقة الجذور في عمق الفكر الفلسفي بالمستوى الذي يجعلها حركةً فكريةً متقدمة على المستوى الجديد في حركة الفكر الفلسفي المعاصر..

وإنني أنصّر أن الشخصية الحركية الكامنة في شخصية السيد الشهيد الصدر (قده) هي القوة الدافعة نحو النتاج الفكري المتنوع، فيما هو الفكر الأصولي والفقهّي أو الفلسفي أو الاقتصادي، أو القرآني، والمفاهيمي في عالم تأصيل المفاهيم الإسلامية لأن حركيته لم تكن حالةً منغلقة على الواقع الاستهلاكي في بيئته، بل كانت حالةً منطلقة مفتوحة على الأفاق الرحبة في حركة الإسلام، في الحياة..

وهكذا رأيناه يفكر في «المرجعية الرشيدة» التي تمثل النقطة النوعية لحركة المرجعية، لتكون مؤسسةً بدلاً من أن تكون فرداً، ولتكون فاعلةً لا أن تكون منفعةً، ولتمنح التحرك الإسلامي قوة دفع جديدة ليبقى تحت رعايتها وإشرافها.. حيث تقدم له الفكر، ويقدم لها التجربة وتمنحه شرعية القيادة، ليعطيها حركية شرعية. لتكامل المرجعية والحركة الإسلامية فلا تكون المرجعية مجرد قاعدة للفتوى، ولا تكون الحركة الإسلامية، مجرد حالة حزبية منغلقة، بل يتسعان - معاً - في الأفاق الرحبة للإسلام كله على مستوى الأمة كلها.

وإذا كان السيد الشهيد رضوان الله عليه قد انفتح على الثورة الإسلامية الرائدة في إيران بقيادة الإمام الخميني حفظه الله، فأعطاهما التأييد الكلّي من فكره ومشاعره وحركته.. حتى أن شهادته في مركز التحدي الكبير للنظام الطاغوي في العراق، كانت من بين العطاء الكبير الذي قدمه للثورة التي أدخلت الرعب في قلوب الحكام الظالمين في المنطقة.. إذا كان السيد الشهيد قد انفتح كل هذا الانفتاح فإن خسارة الثورة الإسلامية الشاملة له كانت كبيرة جداً لأن فكره الفقهّي المنفتح على الواقع الحركي، كان يمكن أن يحقق للثورة في

حركتها نحو النظام الإسلامي في خط الدولة الكثير من النتائج الفقهية القانونية القائمة على أدق الأسس السلمية المعترف بها من فضلاء الحوزة مما لا يستطيع أحداً الاعتراض عليه إلا من خلال الاختلاف في المباني الفقهية.

إن من مشاكل الحركة الإسلامية في حركة الثورة والدولة أنها لا تجد الكثيرين ممن يستطيعون الجمع بين الفكر الفقهي العميق، وبين الفكر الحركي المنفتح . . مما جعل من مسألة صياغة المشروع الإسلامي الكامل، مسألة صعبة جداً في الوقت الذي يمثل ذلك ضرورة إسلامية كبيرة بالغة الأهمية في مسألة التصور الإسلامي الشامل، وفي الأجابة على كل علامات الاستفهام التي يطرحها الواقع المعاصر على جميع المستويات. لقد كان الشهيد الصدر أحد الرجال الكبار القلائل الذي يملكون عمق المعرفة الإسلامية وشمولها وامتدادها وإمكانية تطويرها وتعميقها في المواقع الجديدة. . وذلك من موقع الحركة الإسلامية التي تعيش في فكره كما تعيش في خطواته العملية في الحياة.

لقد كان مثال العالم الفقيه الأصولي الفيلسوف الإسلامي الحركي الذي جعل كل حركته العلمية المبدعة في خدمة الحركة الإسلامية الرائدة.

وقد كانت الجريمة بالقضاء على حياته المباركة تمثل خطورة الأجرام بمقدار ما أدت إلى خسارة العالم الإسلامي مما كان يمكن لهذا الإنسان الكبير أن يبدعه في كل مجالات المعرفة الإنسانية وما زال الباحثون بحاجة إلى التعميق في دراسة حياته العريضة القصيرة ليأخذوا منها الكثير من الدروس في حركة الإسلام نحو المستقبل.

وقد استطاع السيد العزيز الفاضل الأستاذ السيد محمد الحسيني أن يلقي الضوء على كثير من حياة شهيدنا العظيم مما يمكن للدارسين أن يجدوا في مؤلفه هذا مصدراً مهماً من مصادر حياة السيد الشهيد سواء في بداية حياته مروراً بالساحات المتحركة التي عاش فيها أو التي قادها وانتهت حركته في طريق الشهادة.

« وإننا في الوقت الذي نقدر له هذا الجهد الكبير نلفت الأنظار إليه من أجل
أن يستفيدوا منه الكثير لألقاء الضوء على كثير من جوانب تلك الحياة المباركة
التي أعطت الإسلام الكثير ولا تزال تمدّه بالكثير من إحياءاتها المبدعة .
والحمد لله رب العالمين

محمد حسين
فضل الله

٦ شهر رمضان المبارك ١٤٠٩

الاهداء

الى بلادي
الى العراق الدامي
الى فتيانه وفتياته الطاهرات المعذبين في سجون جلاوزة
بغداد
الى الامهات اللاتي ينتظرن قدوم المهاجرين
الى ضحايا الفتك والارهاب
الى شهداء بلاد الرافدين
الى رمز الشهادة، والبطولة، والفداء
الى القمة السماء في تاريخ المرجعية
الى الامام الصدر الشهيد
الى كل هؤلاء اقدم كتابي وفاءً واکراماً وإجلالاً
لتضحياتهم وعطاءاتهم العظيمة

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بسم الله وله الحمد ، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وعلى آله وصحبه الأخيار .

(١)

المبررات التي دفعتني لبحث ودراسة حياة الامام آية الله العظمى الشهيد السيد الصدر (قدس سره) كثيرة منها الموضوعي والذاتي .

الشهيد الصدر مدرسة فكرية شمولية ذات معالم متميزة وخصائص فريدة ، أضاف حقائق جديدة في ميادين مختلفة من ميادين العلم .

ففي الفقه هو عالم لا يجارى بعد من أكابر الفقهاء ، وفي الأصول مدرسة تكاد تسبق معظم المدارس الأصولية على مرّ العصور ، وفي الفلسفة فيلسوف قوي الحجة والبرهان ، وفي الاقتصاد وضع أسس المذهب الاسلامي ، وفي المنطق أضاف نظريات جديدة عجز عنها الآخرون ، وفي التفسير اتجاه جديد ، وفي التاريخ محقق قل نظيره . . .

ونبوغه في واحدة من هذه الحقول والميادين العلمية يكفي لضرورة تناوله بالدراسة والبحث ، فكيف اذا كان قد نبغ في كل هذه الميادين وصار مرجعاً فيها .

والشهاد الصدر تاريخ أمة ، تاريخ الاسلام وحركته الصاعدة وجهاد المجاهدين ومعاناة المظلومين .

الشهيد الصدر تاريخ المرجعية المشرق وتاريخ الوعي في العراق ، فمن رام دراسة تاريخ العراق السياسي والمرجعية وتاريخ الوعي الاسلامي وقصة معاناة

الشعب المسلم في العراق ، لا بد أن يقف طويلاً أمام هذه الظاهرة ظاهرة اسمها .. محمد باقر الصدر .

أما الدوافع الذاتية فاني منذ اشتد ساعدي وعرفت معنى الحياة كنت أهوى الامام الصدر وأبحث عن أخباره وألتمس رؤيته مثلي مثل الشباب العراقي الذي كان يحج الى منزل متداع في أحد أزقة « العمارة » ^(١)

(٢)

وخلو المكتبة الاسلامية من دراسة شمولية لحياة السيد الشهيد وعزوف الأفاضل من تلامذته هو الذي شجعتني للكتابة . ولا اكتمكم سرّاً فاني عجزت عن ذلك مراراً وتكرس قلبي على اعتاب عظمته وجلالة قدره وترددت في المضي وانتابني اليأس لولا التشجيع الذي لقيته من الأفاضل والعلماء الاعلام من بعض تلامذة السيد الصدر وصحبه الكرام ، فعاد الأمل الى نفسي وتوكلت على الله لانجاز هذا البحث الذي هو بين يديك - قارئ العزيز - وقد تناولت فيه الجوانب المختلفة من حياة السيد وباختصار في كل جانب ، ويمكن للباحثين ان يتناولوا هذه الفصول والابواب الذي اشتمل عليها - هذا الكتاب - بأسهاب فان كلاً منها يصلح ان يكون بحثاً مستقلاً .

(٣)

ولست أول من كتب في حياة السيد الصدر فقد ظهرت العديد من الكتابات والمقالات والبحوث التي تناولت جوانب مختلفة من حياته الشخصية والسياسية والعلمية وكان آخرها المقدمة التي كتبها سماحة السيد كاظم الحائري في كتابه « مباحث في علم الأصول » في تقارير بحث استاذة الشهيد . وهذه المقدمة التي تقع في ما يزيد على مائة صفحة تعد اليوم من أهم المصادر في الدراسة والبحث في حياة السيد الصدر .

أما كتابي هذا - فلا أدعي أنه أكملها - بيد أنه من أكثرها شمولاً واستيعاباً

(١) العمارة أحد الأحياء القديمة في النجف الأشرف يسكنها الإمام الصدر .

لحياة السيد الصدر وقد حاولت أن لا أدع جانباً من جوانب حياته بالقدر الذي تطيقه صفحات الكتاب وخطة البحث ومنهجته وكي أمل لأن أنال به رضا العلماء الاعلام واساتذتي الكرام والشباب المثقف واخواني المجاهدين وأن يعذروني مواطن الخطأ والزلل فانهم سيجدون مني صدراً رجباً لتقبل كل نقد مصدره حسن النية والانتصار للحقيقة .

الجمعة ٢٥ / صفر / ١٤٠٩ هـ

٧ / ١٠ / ١٩٨٨ م

دمشق - محمد الحسيني

الفصل الأول

حياته الشخص

* نسبه

* بين الأصلاب الشاخرة والارحا

آل الصدر

آل ياسين

* ولادته

* نشأته

* هجرته الى النجف - دراساته

* كلمة في استاذة « السيد الخوئي

* اخلاقه ، سجاياه

* مظلوميته



ل

صية

م المطهرة

«

نسبه الشريف :

الشهيد السيد ابو جعفر محمد باقر الصدر العاملي الأصل العراقي المولد والمنشأ بن السيد حيدر بن اسماعيل بن صدر الدين بن صالح بن الشريف محمد بن إبراهيم الملقب بشرف الدين بن زين العابدين بن علي نور الدين بن نور الدين علي بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن طاهر بن الحسين بن موسى بن إبراهيم المرتضى بن الامام موسى الكاظم بن الامام الصادق بن الامام الباقر بن الامام زين العابدين بن الامام الشهيد الحسين بن الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم أجمعين .

من هؤلاء دعاة الحق ثبتت للشهيد الصدر الرفعة والجلالة ، ومن هذه الشجرة الطيبة ورث الكمال وحب انفضيلة .

من أولئك النفر الذين أطاعوا الله حق طاعته فكان منطلقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيههم التواضع غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع ومن أولئك الذين لولا الأجل الذي كتب عليهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب .

اولئك الذين عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ، والذين ارادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم فقدوا انفسهم منها^(١) .

من أولئك ورث الشهيد الصدر حب الله وابتغاء مرضاته ونيل لقائه ولولا الأجل الذي كتب عليه لم تستقر روحه في جسده طرفة عين . فحمل خشبته على ظهره يبحث عن يصلبه عليها^(٢) علّه يسقي شجرة الاسلام بدمه ، فحقق الله

(١) نهج البلاغة خطبة المتقين بتصرف .

(٢) إشارة إلى قول الشاعر الصالح دعبل الخزاعي .

عز شأنه أمله ولم يقطع رجاءه .

إنها ذرية بعضها من بعض القتل لها عادة وكرامتها من الله الشهادة .

بين الاصلاب الشامخة والارحام المطهرة

تقلب السيد الشهيد بين أصلاب الساجدين وأرحام الساجدات ، فمن اقتران أسرة علوية بأسرة عربية من أجل البيوتات العراقية عرفت بالتدين والعلم وولاء آل بيت رسول الله (ص)، تولد السيد الشهيد فكان ثمرة هذا اللقاء والاقتران المبارك .

آل الصدر :

في عهد عثمان بن عفان وولاية معاوية على الشام نفي الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري الى جبل عامل فحمل اليها التشيع وبذر فيها ولاء آل رسول الله (ص) ولعل أهل هذه البلاد أقدم من شايع علياً فجرت عليهم الويلات والمحن وذاقوا مرارة العيش في ظل التسلط الطائفي والعصبية البغيضة .

وبعد منتصف القرن السابع الهجري ظهرت بوادر حركة علمية على يد رائدها الفقيه محمد بن مكّي الملقب بالشهيد الأول فشرع بتأسيس مدرسته الفقهية في جزين ثم خطا خطوات جليلة لانجاح مشاريعه فبرز نجمه في الميدان العلمي والاجتماعي والسياسي والمرجعي فكان أول من أحدث تغييرات جوهرية في الكيان المرجعي وطريقة الاتصال بالقواعد الشعبية .

ولعل همته العالية هذه هي التي اودت بحياته بعد أن اتضح للظالمين مدى قدراته الفكرية والسياسية .

ولم تخل جبال عاسلة بعد مقتل الشهيد الأول بل انتشرت الحركة العلمية التي أسسها الشهيد الأول وتم تصعيدها والحيلولة دون انقراضها على يد العشرات بل

المئات من العلماء الأبرار ، فظهرت المدارس^(١) العلمية في ميس وجبع وعيناتا والنبطية والكوثرية وحنوية والحيام وعيتا وبت جبيل وشقراء وشحور وامتلأت جبال عاملة بالفقهاء والفضلاء حتى قيل انه حضر سبعون مجتهداً في تشييع جنازة في قرية من قرى الجبل وذلك في عصر الشهيد الثاني وما قاربه^(٢) وانصرف جلّ أبناء الجبل الى طلب العلم ، ولا تعثر في معظم الأسر يومذاك الا على فقيه او فاضل .

ومن هذه الأسر العلمية الجليلة آل شرف الدين التي ساهم ابناؤها في احياء الحركة الفقهية في اكثر من موقع ، ولعل أبرز مظاهر هذه المساهمة كان في جبع وشحور .

ويقف في مقدمة رجال هذه الأسرة الشهيد السيد عز الدين الحسين^(٣) بن ابي الحسن الموسوي الجد الأعلى - هذه الاسرة - المستشهد في سنة (٩٦٣) هـ أي قبيل استشهاد الشهيد الثاني بسنة او سنتين على اختلاف الرواة في شهادة الأخير .

ومن أجل التعرف على هذه الأسرة وجلالة قدرها نترجم لأشهر رجالها واعاظم ابنائها .

السيد علي بن الحسين :^(٤)

السيد علي بن عز الدين الحسين بن ابي الحسن الموسوي كان من أبرز تلامذة الشهيد (ره) الثاني في جبع وأقربهم إليه .

ذكره ابن العودي^(٥) في ترجمة استاذه الشهيد الثاني^(٦) في الفصل الذي عقده

(١) معاهد الفقه العاملية، الفصل الأول ص ١٦ ، ص ٨٢ مخطوط .

(٢) أمل الأمل ص ١٥ الحر العاملي ج ١ .

(٣) ستأتي ترجمته إنشاء تعالى .

(٤) يراجع تكلمه الأمل للسيد حسن الصدر ص ٢٨٩ ج ١ .

(٥) الشيخ بهاء الدين محمد العودي من تلامذة الشهيد الثاني صحبه لما يقرب من سبعة عشر سنة وهو من أفاضل علماء جبل عامل ص ٢٦ معاهد الفقه العاملية .

(٦) هو الشيخ زين الدين الملقب بالشهيد الثاني من أعاظم فقهاء الجبل قتل سنة ٩٦٥ أو ٩٦٤ ص ٣١ ، ص ٣٩ معاهد الفقه .

لذكر تلاميذه قال : « ومنهم السيد الامام العلامة خلاصة السادة الأبرار وعين العلماء الأخيار وسلالة الأئمة الأطهار السيد العالم الفاضل الكامل ذو المجدين علي بن الامام السيد البدل أوجد الفضلاء وزبدة الاتقياء السيد المرحوم عز الدين حسين ابن ابي الحسن أدام الله شريف حياته رباه - يعني به الشهيد الثاني - كالوالد لولده ورقاه الى المعالي لتفردة ، وزوجه ابنته رغبة فيه وجعله من خواص ملازميه ، قرأ عليه جملة من العلوم النقلية والعقلية والأدبية وغيرها واجازه اجازة عامة »

والسيد علي - هذا - هو والد السيد محمد صاحب المدارك الذي ولد من بنت الشهيد الثاني وولد له من زوجة الشهيد الثاني - بعد استشهاده - (أم الشيخ حسن^(١) نجل الشهيد صاحب المعالم) السيد نور الدين جد آل شرف الدين .

وبالجملة فان السيد علي من اجل تلامذة الشهيد الثاني قام مقامه في جيع ثم هاجر الى مشهد الامام الرضا(ع) في ايران وكانت يومذاك من الحواضر العلمية العامرة ، فجمع حوله من فضلاء ايران وغيرهم واستفاد منه مشاهير العلماء من ابرزهم السيد الداماد^(٢) .

السيد محمد صاحب المدارك : (٣)

ولد السيد محمد سنة ٩٤٦ هـ من اقتران السيد علي - السالف ذكره - بابنة الشهيد الثاني حال حياته لرغبة الشهيد الثاني بالسيد علي .

وظهرت علائم نبوغ السيد محمد منذ صباه وخطا خطوات حثيثة لطلب العلم واقتربت مراحل حياته في صباه وشبابه وشيخوخته بحياة خاله الشيخ حسن نجل الشهيد الثاني فاشتركا في طلب العلم ونيل اعلى مراتبه ، بل اشتركا في حماية الحركة العلمية في جبل عامل من الانقراض ، وقد ازدهرت مدرسة الجبل بالخصوص مدرسة جيع ببركات أنفاسهما . ويعتبر السيد محمد في مقدمة الفقهاء

(١) الشيخ حسن نجل الشهيد الثاني وليس له خلف غيره وهو الآخر من أعظم علماء الجيل توفي سنة

١٠١١ هـ .

(٢) من أعظم علماء إيران في عهد الدولة الصفوية .

(٣) معاهد الفقه العاملة ص ٤٠

لتبحره في الفقه والاحاطة بالمسالك الفقهية بل ان المقدس الاردبيلي دفع للسيد محمد وخاله الشيخ حسن كتابه مجمع الفائدة لمراجعته واصلاح عباراته يوم كانا في النجف الأشرف لمعرفته بقدراتهما وتبحرهما الفقهي . وفي سنة ١٠٠٩ هـ لبي السيد محمد نداء ربه ليلتحق به الشيخ حسن بعد سنتين .

السيد نور الدين علي بن علي : (١)

السيد علي بن علي اخو السيد محمد صاحب المدارك لأبيه وأخو الشيخ حسن لأمه وهو الجد الأعلى لأسرة آل شرف الدين .

ولد سنة ٩٧٠ هـ من أم الشيخ حسن التي تزوجها السيد علي بعد وفاة استاذة الشهيد الثاني . وانصرف الى طلب العلم كما هو حال ابناء هذه الأسرة وكان في مقدمة من أخذ عنهم السيد محمد والشيخ حسن حتى أصبح في عداد العلماء فهاجر الى مكة المكرمة فصار هناك ممن تشد اليه الرحال للاستفادة من فيض علومه وقد أقام بجوار البيت العتيق الى حين وفاته سنة ١٠٦٨ هـ .

السيد صالح شرف الدين : (٢)

السيد صالح بن محمد بن شرف الدين بن زين العابدين بن السيد نور الدين - المتقدم ذكره - من أشهر علماء شحور وأبرز فقهاءها ، ولد في شحور عام ١١٢٢ هـ ولم يكن آل شرف الدين في شحور وأول من ارتحل منهم من جبع الى شحور سنة ١٠٧٨ (٣) . فنشأ السيد صالح هناك في أحضان أمه بنت الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي صاحب وسائل الشيعة ورعاية أبيه السيد محمد فتتلمذ عليه وعلى غيره من فضلاء جبل عامل ثم هاجر الى مصر فأقام فيها ما يقرب من عشرة اشهر مكباً على تحصيل العلم من شيوخ الأزهر ثم هاجر الى مكة المكرمة فأقام بجوار البيت سنتين فلقب بالمكي ولم يلبث فعاد الى جبل عامل ثم وجهه شطر العراق فتنقل بين النجف وكربلاء لثمانى سنوات عاد الى الجبل مرة اخرى ليفيض

(١) تكملة الأمل ج ١ ص ٣٠٤ .

(٢) معاهد الفقه العاملية ص ٦٩ .

(٣) تكملة الأمل ج ١ ص ٧٢ .

على اهله من روحه وعلمه ورعايته فصار من اعظم المراجع يومذاك الى ان حدثت واقعة الجزار وهجومه على شحور بالخصوص فأصبح مرمى سهام هذا الطاغية فأودعه السجن بعد ان قتل نجله السيد هبة الله^(١) فبقي في السجن الى أن استطاع الفرار منه الى العراق فامضى حياته هناك الى حين وفاته عام ١٢١٧ هـ وقد خلف السيد صالح اربعة من الذكور علماء فضلاء وهم السيد هبة الله والسيد محمد علي والسيد ابو الحسن والسيد صدر الدين .

السيد صدر الدين الصدر : (٢)

هو السيد محمد عرف بصدر الدين تولد سنة ١١٩٣ هـ في احدى قرى جبل عامل ، وأمه هي بنت الشيخ علي من احفاد الشهيد الثاني .

ولما اشتدت المحنة في عهد تسلط احمد الجزار وعبثه في تلك الديار قتل اخوه الشهيد السيد هبة الله وسجن والده العلامة السيد صالح فعاشت جبل عامل

(١) ستأتي ترجمته إنشاء تعالى .

(٢) راجع ص ١٢٦ روضات الجنات ج ٤ محمد باقر الخونساري ، تكملة الأمل ج ١ ص ٢٣٥ .

* الحديث عن آل شرف الدين ذو شجون ويتبادر لأذهان القراء اليوم شخصية من أبرز رجال هذه الأسرة في زماننا المعاصر وهو السيد عبد الحسين شرف الدين صاحب الأسفار الجلية : (المراجعات ، النص والاجتهاد ، الفصول المهمة في تأليف الأمة وغيرها . .) فلا بد من بيان علاقته النسبية مع السيد الشهيد الصدر (رة) .

السيد محمد له ولدان هما السيد صالح الذي تقدم ذكره والسيد محمد الملقب بشرف الدين ويفترق السيد الصدر عن السيد عبد الحسين في إن الأول هو من ولد السيد صالح بينما الثاني من ولد السيد محمد شرف الدين ، (يراجع نسب السيد من خلال الشكل التوضيحي في الصفحات القادمة) .

أما السيد عبد الحسين فهو بن السيد يوسف ولد في الكاظمية سنة (١٢٩٠) ونشأ فيها برعاية والده وسرعان ما حمله إلى جبل عامل حيث قرية شحور . إلا ان السيد يوسف لمس في نجله الذكاء والعبقرية فبعثه إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته العالية فحضر لدى اساطين العلم من أمثال الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب الكفاية والشيخ محمد جواد شيخ الشريعة والشيخ محمد طه نجف والشيخ حسين النوري صاحب المستدرک وغيرهم من الأكابر ، حتى عاد إلى جبل عامل وحمل لواء العلم والجهاد هناك . يراجع ص ٧٣ ، ص ٨٠ معاهد الفقه العاملية .

حياة الارهاب والاضطهاد . ولم تمض فترة ليست بالقصيرة حتى تمكن والده من الفرار فلاحقه أهله ومعهم السيد صدر الدين وعمره حينئذ أربع سنين .

وقد عرف السيد صدر الدين بالذكاء المفرط والنبوغ المبكر ففي السنة السابعة من عمره كتب حاشية على كتاب قطر الندى لابن هشام الانصاري الذي يعد من اعظم علماء النحو والذي صار كتابه هذا موضع العناية في الجامعات العلمية .

وكان في ايام اقامة والده في بغداد يحضر درس السيد صبغة الله امام اهل السنة في عصره وينظره في المسائل الكلامية وهو لما يبلغ .

ونزل كربلاء يوم ازدهار مدرستها على عهد الوحيد البهبهاني وهو ابن اثني عشرة سنة وكانت المعركة على اشدها بين الأصوليين والأخباريين وقفز الوحيد البهبهاني بعلم الأصول الى الذروة وانتصر للأصوليين ، وكان حديث الساعة يومذاك في كربلاء مسائل الأصول ومشكلاته .

ويبدو ان السيد صدر الدين قد وعى مسائل هذا العلم - رغم تعقيدها - وهو ابن اثني عشرة سنة اذ كتب في اول رسالته في حجية الظن (وردت كربلاء سنة خمس ومأتين بعد الألف وأنا ابن اثني عشرة سنة فوجدت الاستاذ الأكبر محمد باقر بن محمد اكمل مصراً على حجية الظن المطلق . .) .

وفي تلك السنة حضر درس السيد مهدي بحر العلوم وكان السيد بحر العلوم يومذاك مشغولاً بنظم منظومته في الفقه ولشدة اعجابه بالسيد صدر الدين وبمهارته في الأدب وفنونه أخذ يعرض منظومته عليه .

ولم تمض الا سنة حتى اعترف له اكابر العلماء بملكة الاجتهاد كما نقل عن السيد الطباطبائي صاحب الرياض .

وعزم على زيارة الامام الرضا فتوجه الى ايران بنية العودة الا انه استقر في مدينة اصفهان - التي كانت يومئذ دار العلم والعلماء - وقد اجتمع اليه فضلاء ايران من كل صوب وفج عميق وانفرد في المرجعية والتدريس والقضاء غير متازع وتخرج عليه اكابر العلماء من امثال الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري وغيره .

ولجلالة قدر السيد صدر الدين ورفيع منزلته أنه اذا قدم من اصفهان الى

النجف كان زعيماً مدرسة النجف الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ حسن كاشف الغطاء يعاملونه معاملة الاستاذ ويجلسان بين يديه جلسة التلامذة .

ولعل شخصيته الفريدة في هذه الأسرة الجليلة هي التي صرفت عن ذريته لقب شرف الدين ونسبت اليه فلقبوا بآل الصدر .

ولما دنا أجله رحل الى النجف منفرداً بعد ان أحس بذلك فبقي فيها مدة حتى وافاه أجله وذلك في سنة ١٢٦٣ هـ .

وخلف السيد صدر الدين اربعة شهد لهم الجميع بالعلم والفضل والسمو لا سيما السيد محمد علي والسيد اسماعيل مع الاعتراف بفضل الآخرين وجلالة قدرهما ، وهما السيد ابو الحسن والسيد ابو جعفر .

السيد محمد علي آقا مجتهد : (١)

لقد رغب أكابر العلماء في السيد صدر الدين فصاهره بعضهم في مقدمتهم شيخ الطائفة الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء فزوجه ابنته فانجبت له السيد محمد علي فكان على سر أبيه فاشتهر في الأوساط العلمية والاجتماعية فضله وصيته ففي الثانية عشر من عمره شهد له حجة الاسلام السيد محمد باقر الرشتي الأصفهاني - وهو من اعظم الفقهاء في عصره - بالاجتهاد وصدقه علماء عصره ، بل ظهر نبوغه وهو ابن سبع سنين لما تكلم معه الحاج ميرزا حسن امام الجمعة في أصفهان - وقتئذ - في تفسير بعض الآيات فتعجب منه الميرزا حسن فالتفت إلى والده السيد صدر الدين وكان حاضراً المجلس وقال مخاطباً اياه ومشيراً الى السيد محمد علي : « آقا مجتهد است » ويعني ان السيد مجتهد .

ومن ذلك الوقت لقب السيد محمد علي بآقا مجتهد .

هذا في حياة والده ، أما بعد وفاته فإنه قام مقامه في الزعامة والتدريس والقضاء في أصفهان وهو لما يزل ولولا المنية التي عاجلته لصار له شأن وأي شأن فقد توفي ولما يبلغ الثلاثين حيث كانت ولادته سنة (١٢٥٠) هـ وافاه أجله سنة (١٢٨٠) هـ .

(١) تكملة الأمل ج ١ ص ٣٨٥ .

السيد اسماعيل الصدر : (١)

كان فقيهاً أصولياً مدققاً له المعلومات الواسعة في العلوم العقلية والنقلية ومن طليعة العلماء المحققين جليلاً مهاباً وقوراً يعلوه التقى والصلاح والنسك .

ولد في مدينة اصفهان ١٢٥٨ هـ ونشأ بها في ظل والده السيد صدر الدين ورعايته وانصرف الى طلب العلم وهو في مرحلة الصبا فلازم الشيخ محمد باقر الاصفهاني . وفي عام ١٢٨١ هـ (٢) تشرف الى النجف وهو في الثالثة والعشرين من عمره ليدرك بحث الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري فلما وصل كربلاء وصله نعي الشيخ ، بيد انه واصل طريقه نحو النجف للحضور لدى أكابر العلماء من تلامذته ، فحضر بحث العلامة الشيخ راضي بن محمد آل خضر النجفي والعلامة الشيخ مهدي حفيد الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء ثم اختص بالسيد المجدد الشيرازي وأصبح من خواص تلامذته واقربهم اليه .

ولما هاجر السيد المجدد الى سامراء وانتقل وشرع بتأسيس مدرسته العلمية هناك توجه العلماء والفضلاء الى سامراء ، فافتقد السيد الشيرازي المع تلامذته فأبرق اليه بالقدوم اليه فاستجاب السيد الصدر فأقام في سامراء قريباً من استاذته بل كان السيد المجدد كثيراً ما يستعين به على أموره وخاصة التدريس فان السيد ولكثرة مشاغله اعتزل التدريس فأوكل امره للسيد الصدر فصار ثالث ثلاثة هو للميرزا محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين والسيد محمد الفشاركي .

وفي عام ١٣١٢ هـ انتقل السيد المجدد الشيرازي الى جوار ربه فعقدت المرجعية للميرزا محمد تقي الشيرازي الا ان السيد الصدر لم يعد نصيباً فكان

(١) راجع نقيب البشراح ص ١٦٠ الطهراني ، تكملة الأمل ج ١ ص ١٠٤ ، مباحث الأصول ص ٢٢ السيد كاظم الخائري ، معارف الرجال ج ١ ص ١١٥ حرز الدين .

(٢) في نقيب البشر ذكر الطهراني ان السيد اسماعيل تشرف الى النجف سنة (١٢٧١ هـ) ولعل الأصح هو ما ذكرناه أعلاه لأنه هاجر الى النجف بقصد الحضور لدى العلامة الأنصاري وهذا يناسب العام الذي توفي فيه العلامة الأنصاري وهو ١٢٨١ هـ .

الأفر حظاً من غيره ، ولم تمض الا سنتين حتى هاجر ومعه جمع غفير من العلماء من تلامذته ومريديه الى كربلاء فانفرد في المرجعية هناك . وكانت المرجعية تتوزع بين الميرزا الشيرازي في سامراء والسيد الصدر في كربلاء وشيخ الشريعة في النجف ، وهذا ما يفسر الرسالة التي كتبها الميرزا الشيرازي لرئيس الوزراء في ايران - حينذاك - مطالباً اياه بالغاء المعاهدة مع الانجليز ورسالته التي كتبها لرئيس الولايات المتحدة الاميركية فان الشيرازي لم يشأ الانفراد فشاركه التوقيع في الأولى السيد الصدر وفي الثانية شيخ الشريعة الأصفهاني^(١) فالسيد الصدر كان علماً من أعلام المسلمين لا يجارى في سعة اطلاعه وتبحره في اكثر من علم فقد نقل انه بالاضافة الى كونه من اساطين الفقه ومحققى الأصول وحملته الحديث وعلومه كان على اطلاع واسع بعلوم عقلية كعلم الكلام والفلسفة والرياضيات كالهندسة والهيئة والنجوم على النسق القديم ولم يعرف من أين أخذ هذه العلوم وعلى من تتلمذ فيها ولم يكن يعرف أنه مطلع على هذه العلوم الا حينما كان يتعرض لها بالمناسبة ضمن أبحاثه الأصولية والفقهية .

وقد تخرج من مجلس بحثه عشرات العلماء منهم :

- ١) حجة الاسلام السيد ابو القاسم الدهكوري صار فيما بعد من اكابر المراجع في اصفهان
- ٢) حجة الاسلام السيد حسين الفشاركي الاصفهاني الحائري
- ٣) آية الله الشيخ عبد الحسين آل ياسين جد السيد الشهيد لأمه سيأتي ذكره .
- ٤) حجة الاسلام الميرزا علي آقا الشيرازي ابن المجدد الشيرازي
- ٥) حجة الاسلام السيد علي السيستاني صار من اكابر المراجع في مدينة مشهد في ايران
- ٦) الآية الحجة الشيخ محمد حسين النائيني الذي يعد من ابرز المحققين الأصوليين
- ٧) آية الله الشيخ محمد رضا آل ياسين من اكابر المراجع المتأخرين .

(١) ثورة الخامس عشر من شعبان «ثورة العشرين» ص ١٠٠ عباس محمد كاظم .

٨ (آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين

وغير هؤلاء كثير .

وقد فارق السيد الصدر الدنيا في الثاني عشر من جمادي الأولى سنة ١٣٣٨ هـ في الكاظمية ودفن بجوار جده الامام موسى بن جعفر (ع).

وكان لرحيله وقع كبير في نفوس العلماء والادباء فقليل في تاريخ وفاته: (١)

لئن يك اخفى القبر شخصك في الثرى	فهيها ما أخفى فضائلك القبر
لقد كنت سر الله بين عباده	ومن سنن العادات أن يكتم السر
فطوبى لقبر انت فيه مغيب	فقد غاب في اطباق (٢) تربته البدر
ولست بمستسق له القطر بعد ما	غدا بشره اليوم بتتجع القطر
تخيرت صدر الخلد ماوى فأرخوا	(من الخلد اسماعيل طاب له الصدر)

ومن رثاه آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين بقوله: (٣)

ويح الصروف فكم تجور بحكمها	أو ما درت من ذا أصيب بسهمها
أمت وما برحت افاعي غدرها	تسقي حشا الاسلام نافع سمها
ابداً تهم بمحق دين محمد	فكأن محق الدين أكبر همها

وقد خلف السيد الصدر اربعة أولاد امتدت بحياتهم حياة ابيهم وكانوا سلوة لمن أحزنه فراق السيد الصدر ورحيله ، وهم السيد محمد مهدي والسيد محمد جواد والسيد صدر الدين والسيد حيدر .

لولا الرجاء بفتية من ولده	ورثوا المكارم عن بكاره أمها
جدوا الى العليا حتى اصبحوا	ولهم من العليا اكبر سهمها

(١) معارف الرجال ج ١ ص ١١٧ نقلاً عن مجلة الهدى عدد ٢ سنة (١٣٣٨ هـ).

(٢) في مقدمة (مباحث الأصول) في ترجمة السيد الشهيد الصدر ذكر الخائري ان في البيت كلمة ساقطة فوضع السيد كلمة (احشاء) ليستقيم البيت .

(٣) شعراء الغري ج ١١ ص ٢٦٣ ، علي الخاقاني .

أكرم بهم من فتية ما أصبحت إلا وكان الفضل غاية همها^(١)
السيد محمد مهدي : (٢)

من العلماء الاجلاء في الكاظمية ، فكان له دوراً بارزاً في الحياة العلمية
والسياسية خاصة في ثورة العشرين « عام ١٩٢٠ في العراق »

وكانت ولادته سنة (١٢٩٦ هـ) ونشأ نشأة اسلامية في ظل هذه الاسرة
الجليلة ، وتتلذذ في أوائل دراساته لدى الشيخ حسن الكربلائي والشيخ محمد
حسين الطوسي والشيخ محمد صادق الشيرازي ثم هاجر الى النجف سنة (١٣١٩ هـ)
وحضر لدى اكابر علمائها فلازم الآخوند الخراساني صاحب الكفاية والشيخ
آغا رضا الهمداني . ثم رجع الى الكاظمية بعد ان أصبح في مراتب العلماء
المتقدمين .

قال عنه السيد حسن الصدر : « السيد الجليل الفاضل النبيل السيد محمد
مهدي ، عالم عامل فاضل جليل بر تقي مهذب صفي ، ذو فضل ونابغية في
العلوم الدينية مع أدب وفضل في الشعر وسائر العلوم العربية والتاريخية » .

السيد صدر الدين : (٣)

اسمه محمد علي الا انه غلب عليه لقب صدر الدين فلم يعرف باسمه ولد
في مدينة الكاظمية سنة (١٢٩٩ هـ) ، ولما هاجر والده الى سامراء بناء على طلب
السيد المجدد الشيرازي حمله معه وهو صغير .

وكانت الحركة العلمية في سامراء في أوج ازدهارها فشغف السيد صدر
الدين بالعلم حبا وأنس لبعض تلامذة والده فتعلم عندهم مقدمات العلوم وما
يسمى بالسطح^(٤) فبعد ان أتم دراستها سافر الى مدينة النجف لاكمال دراساته

(١) من قصيدة للشيخ مرتضى آل ياسين ، شعراء العزي ج ١١ ص ٢٦٣ .

(٢) راجع معارف الرجال ج ١ ص ١١٧ ، تكملة الأمل ص ١٠٥ .

(٣) نقيب البشرج ٣ ص ٩٤٣ ، تكملة ص ١٠٦ .

(٤) تقسم الدراسة في الحوزات العلمية (المجامع العلمية) إلى ثلاث مراحل الأولى المقدمات ويدرس

العالية فحضر ابحاث الأخوند الخراساني الأصولية وغيره من اعلام النجف يومذاك .

وفي سنة ١٣٣٩ هـ - أي - بعد وفاة والده بسنة سافر الى ايران وجاور الامام الرضا (ع) في مشهد - خراسان - ما يقرب من خمس سنوات^(١) أصبح فيها من أجلة علمائها وفي سنة ١٣٤٤ هـ عاد الى النجف الأشرف وحضر ابحاث الميرزا النائي لحمس سنوات ثم عاد مرة اخرى الى ايران فاستوطن قم المقدسة برغبة من مؤسس مدرستها الشيخ عبد الكريم الحائري ، بيد أنه لم يمكث طويلاً فمالبث ان عاد الى خراسان التي ألف أهلها وألفوه وأحبهم وأحبوه ، ولم يعد الى قم الا بعد ظهور بواد رحيل الشيخ الحائري الذي كان يخشى ذهاب جهوده وانقراض مدرسته فالتمس من السيد صدر الدين العودة ليساهم في احياء الحركة العلمية فيها بالتعاون مع كبار العلماء يومئذ ، وقد تقاسم المرجعية نفر من العلماء الاعلام في مقدمتهم السيد صدر الدين .

وقد توفي السيد صدر الدين في يوم السبت ١٩ / ربيع الثاني / ١٣٧٣ هـ ، وأعقب من الذكور اثنين هما السيد رضا الذي ما زال مقيماً في قم والسيد موسى الصدر^(٢) .

فيها الطالب الفقه العلوم العربية والمنطق وغيرها والمرتبة الثانية وهي أعلى مرتبة وهي المسماة بالسطوح وقد تستمر لسبع سنوات أو أقل والثالثة وهي مرحلة الدراسات العليا وتسمى ابحاث الخارج .

(١) في نقيب البشر انه أقام عشر سنوات ويذكر انه عاد إلى النجف سنة ١٣٤٤ هـ والحال ان سفره إلى إيران بعد وفاة والده بسنة كما يذكره الطهراني أي سنة ١٣٣٩ هـ ومن هذا التاريخ إلى تاريخ العودة ما يقرب من خمس سنوات .

(٢) ولد السيد موسى الصدر في قم سنة ١٣٤٩ هـ أيام إقامة والده فيها وانصرف إلى طلب العلم في الحوزة العلمية ولدراسة الأكاديمية فدخل كلية الحقوق بظهران ثم سافر إلى النجف الأشرف وحضر لدى السيد محسن الحكيم والشيخ محمد رضا آل ياسين والسيد الخوئي ولعل السيد موسى الصدر هو أول من رجع إلى جبل عامل من أسرة آل الصدر بعد رحلتهم الطويلة وساهم بدور فعال في نهضة المسلمين وأصبح أبرز زعيم ديني سياسي بآن واحد . وقد اختفى سنة ١٩٧٨ م ولعلّ المتهم الأول هو القذافي الرئيس الليبي .

وقد عرف السيد موسى الصدر مجدداً رؤوياً على العمل لخدمة الإسلام بذكاء وحنكة سياسية

السيد محمد جواد : (١)

ولد السيد محمد جواد سنة (١٣٠١ هـ) وفي نقباء البشر قيل ان السيد محمد جواد اصغر من السيد محمد مهدي واكبر من السيد صدر الدين فتكون ولادته قبل سنة (١٢٩٩ هـ) .

وقد انصرف السيد محمد جواد الى طلب العلم كما هي سيرة اجداده وابناء أسرته ، وتلمذ على كبار العلماء من امثال اغاضياء الدين العراقي والسيد حسين الفشاركي والسيد ابو الحسن الطالقاني والسيد محمد مهدي المراياتي البغدادي ، حتى عد من كبار العلماء في الكاظمية فيما بعد .

وصفه السيد حسن الصدر : « . . السيد الفاضل الجواد السيد محمد جواد فيلسوف عصره في التدقيق والتحقيق وجودة الفكر والعلم بالفقه والأصول والتاريخ وایام السلاطين والمسالك والممالك » وكانت وفاته سنة ١٣٦١ هـ .

السيد حيدر الصدر : (٢)

ولد السيد حيدر في مدينة سامراء سنة ١٣٠٩ هـ أيام اقامة والده السيد اسماعيل فيها ، وقال بعض العاملين مؤرخاً ولادته :

فحيدر واليمن قد جاء معاً فناد بالتاريخ بمن قد ظهر
وفي سنة ١٣١٤ هـ هاجر السيد اسماعيل الى كربلاء ومعه اهله وذووه وكان
السيد حيدر في السنة الخامسة من عمره ، فنشأ في كربلاء وأخذ المقدمات على

وذوق اجتماعي رفيع ونزاهة وعفة في الوقت نفسه فقد عرفته الساحة الإيرانية يوم كان في إيران واللبنانية بعد عودته إلى أرض الوطن .

(١) نقباء البشر ج ١ ص ٣٢٠ ، تكملة ص ١٠٦ ج ١ ، معارف الرجال ج ١ ص ١١٨ .

(٢) راجع تكملة الأمل ج ١ ص ١٠٦ ، نقباء البشر ج ٢ ص ٦٨٣ ، مباحث الأصول ص ٢٦ معارف الرجال ج ١ ص ١١٨ .

بعض الفضلاء في هذه المدينة ، ثم حضر على والده - وكان المرجع الاعلى فيها - وعلى السيد حسين الفشاركي ، والشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري - مؤسس الحوزة العلمية بقم اثناء اقامته في كربلاء .

وقد عرف السيد حيدر بالنبوغ والعبقرية في اوائل شبابه ، فكان يشار اليه في الأوساط العلمية لاشتهار فضله وجلالته .

قال السيد حسن الصدر بحقه : « السيد الوحيد السيد حيدر ، أحد فضلاء عصره وحسنات الزمان العالي الاستعداد ، قوي النظر في الفقه والأصول ، عداة في الفضلاء والمحققين » .

وبعد مضي تسعة عشر عاماً عزم على العودة الى الكاظمية موطن اجداده فكان فيها أشهر من أن يعرف ولولا الأجل الذي عاجله لكان للسيد حيدر شأن عظيم قال السيد عبد الحسين شرف الدين بحقه : « . عرفته طفلاً فكان من ذوي العقول الوافرة والأحلام الراجحة والاذهان الصافية ، وكان وهو مراهق أو في اوائل بلوغه لا يسبر غوره ولا تفتح العين على مثله في سنه ، تدور على لسانه مطالب الشيخ الأنصاري ومن تأخر عنه من أئمة الفقهاء والأصوليين وله دلو بين دلائهم وقد ملأه الى عقد الكرب يقبل على العلم بقلبه ولبه وفراسته فينمو في اليوم ما لا ينمو غيره في الأسبوع .

وقد رأيته قبل وفاته بفترة يسيرة وقد استقر من جولته في غاية الفضل لا تبلغها هم العلماء ولا تدركها عزائم المجتهدين » .

وقال السيد شرف الدين في ترجمته ايضاً : « كان السيد حيدر اصغر اخوته سناً وأوفرهم علماً » .

ولد في سامراء فكان آية علم ان تقس به أي جهبذ من جهابذة الفقه والأصول يرجح عليه عمقاً في النظر وجولة في الفكر وقوة في التفريع واحاطة بالأدلة واعتدالاً بمفادها وانه يستوجب ان يكون في الطليعة من شيوخ الاسلام » .

وليس في مقالة السيد شرف الدين ادنى مغالاة او محاباة ، وانما نطق بالحق قلمه لما عرف من رفيع منزلته وسمو شخصيته .

وفي سنة ١٣٥٦ هـ انتقل السيد حيدر إلى جوار ربه فدفن بقرب الامام الكاظم (ع) ولم يخلف من حطام الدنيا شيئاً، سوى ذرية صالحة .

قال اقا يزرك الطهراني في طبقاته « . . وخلف رحمه الله ولدين : السيد اسماعيل والسيد محمد باقر وهما من الفضلاء المشتغلين بطلب العلم في النجف الأشرف ولا سيما الثاني - يعني به السيد محمد باقر - فقد طبع من آثاره (غاية الفكر) في مبحث الاشتغال و (فذك في التاريخ) حفظهما الله وزاد توفيقهما » .

لم يخلف السيد سوى اسماعيل ، محمد باقر ، ائمة ، حتى ما صنفته انامله الشريفة من اسفار جلية وكتب قيمة فانها فقدت جميعاً عدا (الشبهة الحيدرية) في تلاقي أحد طرفي العلم الاجمالي - أدق المسائل الأصولية - فقد تعرض لها آية الله آقاضياء العراقي في مجلس درسه فكتبت بقلم بعض طلابه في تقرير بحثه .

السيد اسماعيل الصدر : (١)

ولد السيد اسماعيل في مدينة الكاظمية في شهر رمضان المبارك سنة (١٣٤٠ هـ) ونشأ فيها ، وعكف منذ صباه على دراسة العلوم الشرعية والمكملة لها فدرس ما يسمى بالمقدمات والسطوح العالية على علماء الكاظمية .

وفي سنة (١٣٦٥ هـ) هاجر الى النجف الأشرف وتلمذ فيها على اكابر العلماء من امثال خاله آية الله الشيخ محمد رضا آل ياسين وآية الله السيد محسن الحكيم وآية الله السيد عبد الهادي الشيرازي وآية الله السيد أبي القاسم الخوئي .

وقد أقام في مدينة العلم ومركز الاشعاع الفكري فترة أصاب فيها حظاً وافراً من شتى العلوم وتقدم على غيره من عشرات الفضلاء فأجازه كبار العلماء يومذاك ، فعزم على العودة الى الكاظمية فأصبح فيها معتمد المرجعية فيها .

وكان للسيد اسماعيل مساهمة جلية في تصعيد الحركة العلمية فكتب وصنف في الفقه والأصول والتفسير والرجال ، ومما يؤسف له ان جل مصنفاته لم تطبع سوى تعليقة رائعة على كتاب التشريع الجنائي الاسلامي لعبد القادر عودة

(١) اعتمدنا في ترجمته على مقدمة (مباحث الأصول) السيد كاظم الحائري ص ٢٩ .

وهي الأخرى ناقصة ولم يطيع منها سوى القسم الأول .

وعرف السيد اسماعيل بوعيه السياسي وذوقه الاجتماعي فمثل المرجعية في مدينة الكاظمية خير تمثيل ، وكان عضواً في جماعة العلماء في النجف وعضواً في جماعة علماء بغداد ، فاستفاد منه الرساليون واصغى لهم وكان يعلن تأييده لهم واصبح مسجده - الذي اعتاد اقامة الصلاة فيه - مقراً للرساليين والشباب الواعي المثقف .

ومن معالم شخصيته البارزة صراحته وجرأته فنقل^(١) عنه انه واجه العميل المحترف الشيخ علي كاشف الغطاء^(٢) بكلام عنيف ايام المد الأحمر وما قال له : « الله الله في دينك . . الله الله في بيتك العريق » .

ومن مصاديق جرأته كلامه مع الرئيس عبد السلام عارف حينما اجتمع به وفد من جماعة علماء بغداد وكان فيهم السيد اسماعيل فاراد عبد السلام التظاهر بحرصه على الاسلام فقال : أن ابني أحمد يلتزم بالصلاة اليومية التزاماً تاماً .

فرد عليه السيد اسماعيل بقوله : « نحن لا نريد ابنك - فقط - مصلياً او عابداً بل عليك ان تجعل جميع ابناء الشعب العراقي - الذي ترأسه انت - من المصلين . . (٣) »

(١) جريدة الجهاد ص ١١ العدد (٢٨٣) ٧/شعبان/١٤٠٧ ، ٦/نيسان/١٩٨٧ م .

(٢) علي كاشف الغطاء فقيه إلا انه من فقهاء السوء ووعاظ السلاطين وهو من أسرة علمية جليلة نبغ من أبنائها عشرات الفقهاء ، أيد عبد الكريم قاسم والشيوعية يوم افترى العلماء بأجمعهم بكفرهم وبدأت المعركة فلم يتخل عنهم حتى ظاهرياً ، وآخر صفحات تاريخه الأسود وقوفه إلى جانب الحكم العفلقى - الصدامي .

(٣) جريدة الجهاد ص ١١ العدد (٢٨٣) .

المقام العلمي الشامخ لأسرة آل الصدر

آل الصدر من أشهر الأسر العلوية وأعرقها في العلم والفضل والأدب والورع والتقوى والصلاح وهذه الأسرة العريقة قد اتخذت ألقاباً مختلفة باختلاف العصور طيلة ما يزيد على قرنين فكانوا يلقبون : تارة بآل أبي سبيحة وأخرى بآل حسين القطعي وثالثة بآل عبد الله ورابعة بآل أبي الحسن وخامسة بآل شرف الدين وأخيراً بآل الصدر^(١) .

والحديث عن المقام العلمي لهذه الأسرة حديث عن الآباء والأجداد ولا يختص باللقب الأخير فان لقب آل الصدر ليس بعيداً بل لا يزيد عمره الزماني على المائتي سنة سوى بضع سنين . ولأجل التعرف على مقام هذه الأسرة الجليلة لا بد من معرفة مدى مساهمة علمائها وعمق تأثيرهم العلمي على مر العصور وفي أكثر من موقع .

والحقيقة ان آثار فضل علمائهم ما زالت شاخصة للعيان منذ أمد بعيد وفي أكثر المعاهد العلمية والمراكز الفقهية التي ظهرت في البلاد الإسلامية كمعهد النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية وسامراء واصفهان ومشهد - خراسان - ومكة فضلاً عن جبل عامل . وليس في نيتي الاطّباب في هذا المقام وانما سأقتصر على بعض الاشارات من هنا وهناك وفي بعض المعاهد العلمية خشية الاطالة والخروج عن خطة البحث ومنهجته .

(١) مقدمة مباحث الأصول، السيد الخائري .

في مكة المعظمة :

كان لهم شأن عظيم اذ كانت في سالف الزمان والأيام الغابرة موطناً لكثير من علماء الامامية في مقدمة هؤلاء علماء هذه الأسرة ولعل اول من رحل الى مكة هو العلامة السيد نور الدين^(١) جدهم الأعلى الذي كان في أول امره في بلاد الشام ثم رغب في الهجرة الى بيت الله الحرام وصار له في تلك الديار مقاماً علمياً جليلاً وأخذ عنه عشرات العلماء والفضلاء من شتى الأصقاع ، وكان وقتئذ من اكابر الفقهاء وقضى عمره الذي أناف على التسعين في التدريس والتصنيف ومن أشهر ما كتبه وصنفه (شرح المختصر النافع للمحقق الحلي) و (الأنوار البهية على الرسالة الاثني عشرية في الصلاة للشيخ البهائي) و (الفوائد المكية في نقض الفوائد المدنية) رد على الملا محمد امين الأسترا بادي - زعيم الحركة الاخبارية - الذي كان مقيماً في الحجاز. ومن أقام منهم في مكة ولده العلامة السيد زين العابدين^(٢) الذي كان تولده في قرية جبع من جبل عامل سنة ٩٩٦ هـ والظاهر انه انتقل به والده الى مكة وهو بعد صغير ، فنشأ هناك وجاور البيت الحرام الى حين وفاته عام ١٠٧٢ هـ .

ومنهم : السيد علي^(٣) نجل السيد نور الدين وهو من العلماء الأفاضل ، ولد في مكة سنة ١٠٦١ هـ وقد توفي والده وهو في السابعة من عمره فكفله أخوه السيد زين العابدين ونشأ تحت رعايته وأخذ دراساته عن علماء الامامية وجمهور المسلمين من اهل السنة وصار من ابرز علماء مدرسة مكة المعظمة ، وكانت وفاته سنة (١١١٩ هـ) .

ومنهم : السيد رضي الدين^(٤) بن السيد محمد بن نور الدين ، فالسيد

(١) راجع البحث ص ٤ .

(٢) تكملة الأمل ج ١ ص ٢٢٤ .

(٣) تكملة الأمل ص ٣٠٦ .

(٤) ن ، م ص ٢٠٨ .

رضي الدين حفيد السيد حيدر أخو السيد زين العابدين - المذكور أعلاه - ، وهو من العلماء الاجلاء في مكة وكان يقصده العلماء لطلب الاجازة منه لمكانته العلمية .

ومنهم : السيد عباس^(١) بن السيد علي من أحفاد السيد نور الدين ، صاحب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) وهو كتاب يتضمن الأدب والتراجم والتواريخ ، وكانت ولادته بمكة سنة (١١١٠ هـ) ونشأ بها وأخذ عن علمائها واتصل بالشهيد العلامة السيد نصر الله الحائري وزار معه العراق وإيران ويظهر انه رجع من مكة الى موطنه جبل عامل وتوفي سنة (١١٧٩ هـ) .

ومنهم : السيد شرف الدين^(٢) ابراهيم بن زين العابدين جد آل شرف الدين ، وكان تولده في جيع سنة (١٠٣٠ هـ) ثم انتقل الى مكة المعظمة ولعله مع أهله - واقام فيها غير أنه استحسن العودة الى الجبل فاقام في جيع ثم ارتحل الى شحور وكان اول من انتقل اليها من آل شرف الدين .

ومنهم : السيد علي^(٣) بن حيدر بن نور الدين - الذي تقدمت ترجمة ولده السيد عباس - وهو من العلماء الذين عرفوا بالورع والزهد والنسك ، جاور البيت الحرام حتى قبضه اليه سنة (١٠٨٩ هـ) .

وفي اصفهان :

كانت اصفهان في الدولة الصفوية مركز العلم في ايران ومعهد الفقه الرئيس ، وقد أولى السلاطين الصفويين عناية خاصة بأصفهان فقدم اليها العلماء من كل صوب وحذب ، وفي مقدمة هؤلاء علماء الجبل فكان في طليعتهم المحقق الثاني الشيخ علي الكركي والشيخ عبد الصمد تلميذ الشهيد الثاني ونجمله الشيخ البهائي والشيخ لطف الله الميسي وعشرات العلماء الآخرين وكانت هجرتهم الى ايران في فترات زمنية مختلفة .

(١) ن ، م ص ٢٥٢ .

(٢) ن ، م ص ٧٢ ، ص ٢٥٢ .

(٣) ن ، م ص ٢٩٨ .

وكان لأسرة الشهيد الصدر(ره) نصيباً منها ، ويبدو ان أول من رحل الى اصفهان للاقامة فيها هو السيد محمد^(١) بن ابراهيم شرف الدين بن زين العابدين الذي ولد في جبع سنة ١٠٤٩ هـ وتلمذ على بعض علماء جبل عامل ثم هاجر الى العراق ومكث زمناً لطلب العلم ثم توجه منها الى اصفهان وكانت في أوج ازدهارها فتلمذ فيها على العلامة السبزواري فرغب فيه استاذة وقربه منه وزوجه احدى بناته .

ولما توفي السبزواري اختلف الى الشيخ علي حفيد الشيخ حسن نجل الشهيد الثاني يوم كان باصفهان وكان السيد محمد مكرماً ومعظماً لدى الشاه عباس الصفوي الا انه لم يبق في اصفهان فاخترت الهجرة الى مشهد ليعود مرة اخرى الى جبل عامل فأحصى العلم في قرية شحور وتلمذ عليه فيها من مشاهير علماء الجبل كولده العلامة السيد صالح والشيخ سليمان المعنوق .

ومن هاجر الى اصفهان السيد صدر الدين^(٢) الصدر بل ان مدارس اصفهان ومجامعها العلمية مدينة لفضله فانه انفرد بالمرجعية فيها .

وقام مقامه ولده السيد محمد علي^(٣) آقا مجتهد فكان من اعظم علماء اصفهان واكابر مراجعها ، الذي اختار الاقامة فيها وكذلك اولاده بينما عزم اخوه السيد اسماعيل - جد السيد الشهيد - على العودة الى العراق واستقر به الحال هناك .

أما أبناء السيد محمد علي فانها اختارا الاقامة في اصفهان وهم السيد ميرزا بهاء الدين^(٤) الذي يعد من فضلاء اصفهان ممن يغلب عليهم العرفان ، والسيد جواد^(٥) وهو الآخر من مشاهير علماء هذه الأسرة ، وكان في بادىء امره في النجف الأشرف ثم رحل الى اصفهان .

(١) تكملة ص ٣٣٥ .

(٢) راجع البحث ص ٥ .

(٣) راجع البحث ص ٧ .

(٤) تكملة ص ١١١ .

(٥) ن ، م ص ١٢٩ .

ومن علماء هذه الأسرة ممن هاجروا الى اصفهان السيد قاسم^(١) بن محمد بن عبد السلام بن زين العابدين بن السيد عباس^(٢) صاحب النزهة هاجر اول أمره الى العراق ثم ارتحل منه إلى اصفهان حيث وجود السيد صدر الدين وهو من الفقهاء الذين عرفوا بالورع والزهد وكثرة التهجد .

وفي مشهد - خراسان - :

في ظل الدولة الصفوية ازدهرت مدارس الفقه في مختلف انحاء ايران ، وفي طليعة هذه المدن خراسان التي تضمنت قبر الامام الرضا (ع) واصبحت من المراكز العلمية الشهيرة ، ولما بدأت الهجرة العاملة الى ايران أصابت خراسان حظاً منها فانتشر علماء الجبل في هذه المدينة ولعل اشهرهم الشيخ محمد بن الحسن الحر العامل صاحب الوسائل .

أما أسرة السيد الشهيد الصدر فيبدو ان أول من هاجر الى خراسان هو جدهم الاعلى السيد علي بن الحسين تلميذ الشهيد الثاني ويظهر من بعض الاجازات انه قد اجتمع اليه العديد من أكابر علماء ايران وفضلائها .
ومنهم : السيد محمد بن السيد ابراهيم شرف الدين - الذي مر ذكره فانه لما ارتحل من اصفهان التحق بخراسان واختص بالشيخ الحر العامل ولازمه فترة من الزمن الى حين عودته الى جبل عامل .

ومنهم : السيد صدر الدين نجل السيد اسماعيل الصدر الذي أصبح من أشهر علماء خراسان ولولا إلحاح الشيخ الحائري في قدومه الى قم ل طال به العهد فيها .

وفي كربلاء :

كان لآل الصدر مقام جليل حينما انتقل اية الله السيد اسماعيل الصدر الى كربلاء من سامراء بعد وفاة استاذة المجدد الشيرازي - كما مر ذكره - فأصبح من أبرز وأشهر مراجع هذه المدينة المقدسة بل لم يكن ثمة من يضاهيه علماً وورعاً

(١) ن ، م ص ٣٤٢ .

(٢) راجع البحث ص ١٦ .

ومكانة ولم تكن هجرة اسماعيل الصدر هذه أول عهدهم بهذه المدينة فان جدتهم السيد صالح سبق له ان حل هذه الأرض قبل فراره من قبضة الطاغية أحمد الجزار طلباً للعلم فيها وكذلك نجله السيد صدر الدين الذي تتلمذ على الفحول من علمائها امثال السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض ، والسيد مهدي بحر العلوم .

وأحفاده — ابناء السيد اسماعيل — فإن جل دراساتهم في كربلاء ايام اقامة والدهم خاصة السيد حيدر الصدر .

وفي الكاظمية :

ولهم في مدينة الكاظمية وجود متميز فكان علماءها من ابرز الوجودات العلمية والمرجعية ، كالسيد صالح - الذي تقدم ذكره مراراً - ونجله العلامة السيد محمد علي^(١) الذي كان يعتبر من أكابر العلماء من تلامذة السيد محمد مهدي بحر العلوم وقد طلبه أهالي بغداد على عهد شيخ الطائفة جعفر صاحب كشف الغطاء .

ومن ذلك الوقت توفر لهم المقام السامي في هذه المدينة فسكنها السيد الهادي^(٢) بن السيد محمد علي وابنه السيد حسن الصدر والسيد يوسف^(٣) شرف الدين والسيد محمد مهدي الصدر واخوه السيد حيدر وكان آخر الشخصيات المبرزة في الكاظمية السيد اسماعيل الصدر شقيق السيد الشهيد. هذا الوجود المتميز كان يقلق أعداء الاسلام فالحاسوسة البريطانية في العراق المس بيل تحدثت في احدى رسائلها عن الصعوبات التي واجهت الانجليز في محاولاتهم للاتصال بالشيعة ، وترى أن في مقدمة هذه العوائق الفقهاء الذين

(١) راجع تكملة الأمل ص ٣٨٣ .

(٢) السيد هادي والد السيد حسن الصدر ولد سنة ١٢٣٥ هـ وله السيد محمد علي إلى إيران بدعوة من أخيه السيد صدر الدين وما لبث أن توفي والده في أصفهان فكفله عمه السيد صدر الدين ولذلك تلقب بالصدر وإلا فهو من آل شرف الدين لأن لقب آل الصدر يختص بأولاد السيد صدر الدين واحفاده دون غيرهم من آل شرف الدين . ثم عاد إلى العراق فحضر لدى علماء النجف الأشرف حتى أصبح من كبار الفقهاء فهاجر إلى الكاظمية على عهد الشيخ محمد حسن آل ياسين المرجع العام فيها .

(٣) السيد يوسف بن السيد جواد والد السيد عبد الحسين شرف الدين من أكابر علماء الكاظمية إلا أنه رجع عنها إلى جبل عامل .

تمركزوا في المدن المقدسة ، وتصفهم بأنهم متطرفون في عدائهم للانجليز وأن حياتهم مطبوعة بآثار القدم فتقول : « . . . وهناك مجموعة من هؤلاء الذوات في الكاظمية ، المدينة المقدسة الواقعة على بعد ثمانية أميال من بغداد المتطرفة في إيمانها بالوحدة الاسلامية والمتشددة في مناواة الانجليز وفي مقدمة هؤلاء أسرة الصدر التي قد تكون أبرز أسرة عرفت بالتعليم الديني في العالم الشيعي كله ^(١) . . . » .

والحقيقة أن أبناء هذه الأسرة قد انتشروا ليس في مكة واصفهان وخراسان وكربلاء والكاظمية وحسب ، بل امتدت هجرتهم الى معظم البلاد الاسلامية حيثما وجدت معاهد العلم ومدارسه .

فرحل الى مصر غير واحد من علمائهم يتصدرهم السيد صالح الذي قضى فترة ليست بالقصيرة يحضر ابحاث علماء الأزهر .

والسيد أمين ^(٢) بن السيد عباس من فضلاء هذه الأسرة وأجلة علمائها اقام في مصر زمناً طويلاً للبحث والمناظرة مع علماء الأزهر .

ولعل ابرز شخصية عرفتها مصر واكبرها علماء الأزهر هو السيد عبد الحسين شرف الدين .

وفي الهند كان مهم السيد جمال الدين ^(٣) بن علي نور الدين بن علي بن الحسين المشتهر بأبي الحسن الذي أصبح المرجع العام في حيدر آباد ونال منزلة جليلة في نفوس القواعد الشعبية والقيادة السياسية فيها . وكان أول أمره قبل رحلته الى الهند مقيماً في اليمن على عهد أميرها أحمد بن الامام الحسن .

وفي طهران كان لبعضهم شأناً كالسيد ميرزا جعفر بن السيد أبي الحسن الذي انتقل منها الى كرمنشاه وصار من ابرز العلماء فيها .

وفي يزد ^(٤) استقر الحال بزعيم آل الصدر السيد صدر الدين الصدر الذي التمس اهالي يزد الاقامة بينهم فأجابهم الى ذلك زمناً ثم رحل الى اصفهان .

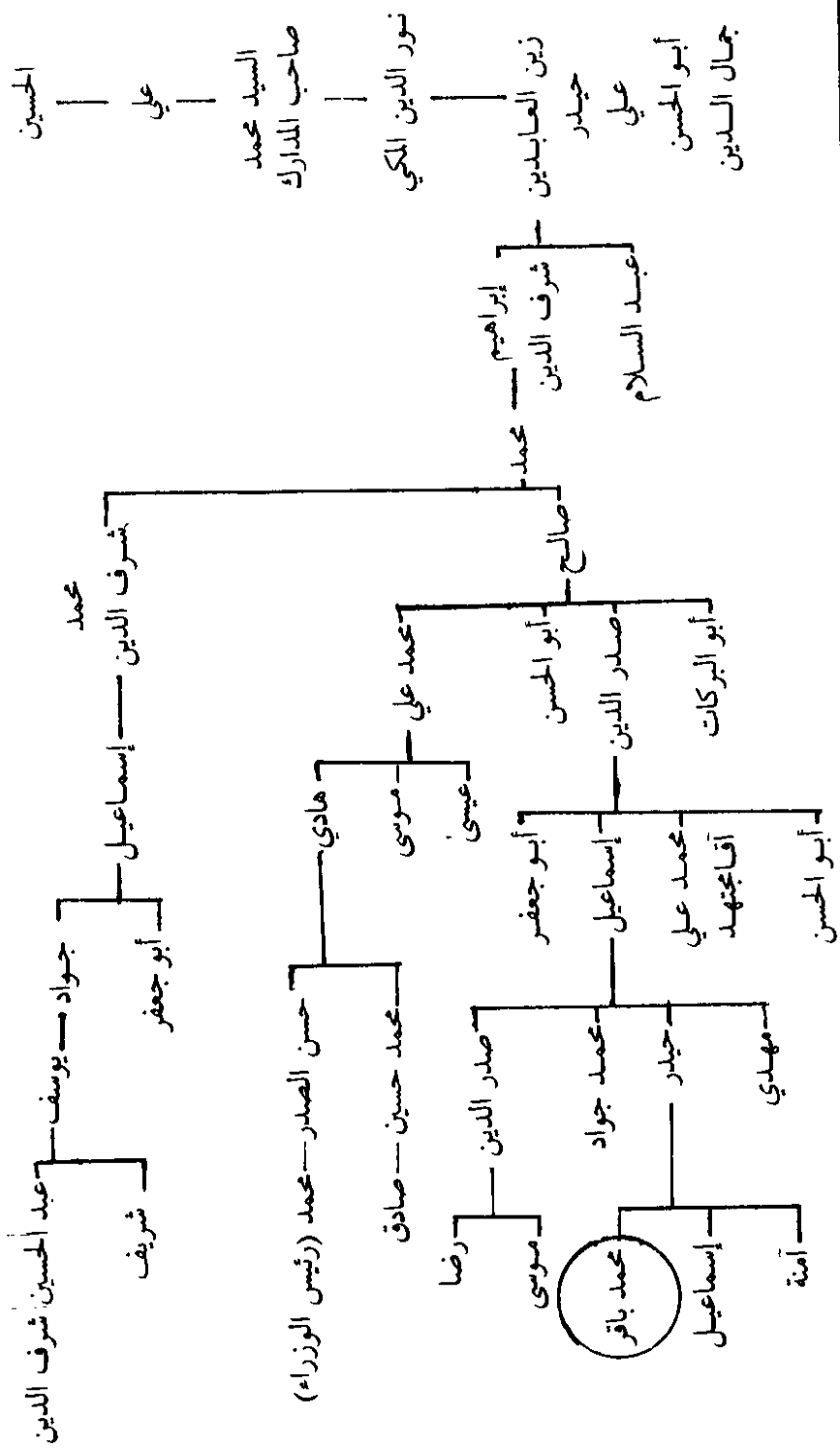
ولو أراد الباحث المزيد من التتبع لظفر بالكثير من مفردات هجرتهم تصلح

(١) موسوعة العتبات المقدسة (قسم الكاظمين) ج ١ (الكاظمية في المراجع الغربية) د. جعفر الحياط ص ٢٧٥ .

(٢) تكملة الأمل ص ١٠٨ .

(٣) ن ، م ص ١٢١ .

(٤) ن ، م ص ٢٣٧ .



نسب الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قده)

الشهيد محمد باقر بن حيدر بن إسماعيل بن صدر الدين بن محمد بن إبراهيم بن زين العابدين بن نور الدين بن علي بن الحسين .

أن تكون بحثاً مستقلاً .

وهذا ما لم نقصده في المقام سوى الإشارة الى رفيع مقامهم وسمو منزلتهم العلمية .

آل ياسين :

كان الامام الشهيد ^(١) وليد الاقتران المبارك بين آل الصدر عبر ابنها البار السيد حيدر وبين آل ياسين عبر كريمتهم الفاضلة .

وكان الحديث فيما مضى عن آل الصدر .

أما آل ياسين فهي الأخرى اسرة علمية أدبية سبقت الى الفضيلة وتقدمت نحو المجد نزحت من مقرها الأصلي « تلعكبر » الى الكاظمين . وفي القرن الثاني عشر هاجر جدها الأعلى الشيخ محمد رضا بن الشيخ محسن الكاظمي الى النجف الأشرف واشترى بها داراً سنة ١١٦٢ هـ وخطّ رحله بها وهي دار المقدس الشهير الملا أحمد الاردبيلي كما هو المعروف ^(٢) . . ومن مزايا هذه الاسرة الجليلة تخرجها عن الانتساب الى الشجرة العلوية بعد ان كان لهم شبهة سيادة قوية ^(٣) .

ولعل أبرز شخصية علمية في هذه الأسرة هو الشيخ محمد حسن ^(٤) جد هذه هذه الأسرة الذي يعد من اعظم الفقهاء في عصره . ثم برز غير واحد من رجالها إلى عهد قريب .

ولست في مقام الحديث عن فقهاء هذه الأسرة وعلمائها وسأكتفي في الحديث عن جد الشهيد ^(٥) لأمه واخواله للتعرف على عظمة الوعاء الأسري الذي عاش في ظله الامام الشهيد ^(٥)

الشيخ عبد الحسين ^(٤) :

الشيخ عبد الحسين بن الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن كبير فقهاء هذه

(١) ماضي النجف وحاضرها ج ٣ ص ٥٢٦ .

(٢) ن ، م ج ٣ ص ٥٢٧ .

(٣) ستاتي ترجمته إنشاء تعالى .

(٤) معارف الرجال ج ٢ ص ٣٩ ، نقباء البشرا ج ٣ ص ١٠٣٣ .

الأسرة الجليلة ، وأبوه هو الآخر كان من أجلة العلماء الا أنه نشأ في أحضان جده فأحسن تربيته وتعليمه واعتنى به وصرفه الى طلب العلوم الشرعية فتلمذ على تلامذة جده في الكاظمية في أول أمره ثم هاجر في حياة جده الى مركز العلم النجف الأشرف فبقي فيها مدة من الزمن ما لبث ان هاجر بعدها الى سامراء ليدرك بحث السيد المجدد الشيرازي ولما وصله خبر وفاة جده رحل الى الكاظمية ليقوم مقامه الا أنه سرعان ما سافر منها الى كربلاء لحضور بحث آية الله السيد اسماعيل الصدر فاخص به سنتين فحاز على درجة الاجتهاد واطمأن الى نفسه فعاد الى الكاظمية ليكون في طليعة علمائها الاعلام .

وفي الكاظمية صاهره السيد حيدر الصدر على كرمته فانجبت له السيد اسماعيل والسيد محمد باقر وآمنة .

الشيخ محمد رضا آل ياسين^(١) :

صاهر الشيخ عبد الحسين السيد هادي الصدر على كرمته شقيقة السيد حسن الصدر فانجبت له ثلاثة من فحول الفقه والأدب والعلم ، كان كبيرهم الشيخ محمد رضا الذي تولد في ربيع الأول عام (١٢٩٧ هـ) ونشأ نشأة اسلامية برعاية والده وقد لمس فيه والده النبوغ والذكاء فاهتم بتعليمه فقرأ عليه وعلى غيره من الفضلاء المقدمات وما يسمى بالسطوح وكان من اساتذته السيد حسن الصدر والشيخ حسن الكربلائي والسيد علي السيستاني واخيراً الآية السيد اسماعيل الصدر وجلهم من مشاهير شيوخ الحوزات العلمية وأكابر اساتذتها .

وقد عرف الشيخ محمد رضا بنوغيه في الفقه وتبحره العميق ووفرة عقله فبرز في مقدمة المراجع الاعلام ورجع اليه في التقليد وكان محط انظار العلماء فتخرج من مجلس درسه عشرات الفقهاء والعلماء وبعد ان ناهز على السبعين من عمره الشريف لبي نداء ربه سنة (١٣٧٠ هـ) .

الشيخ مرتضى آل ياسين^(٢) :

هو ابو علي المرتضى من مشاهير العلماء ومراجع الدين أديب كبير ، وشاعر

(١) نقاء البشر ج ٢ ص ٧٥٨ وص ٩٢٠ من نفس المصدر.

(٢) شعراء الغري ج ١١ ص ٢٥٥ ، ماضي النجف وحاضرها ج ٣ ص ٥٣٤ الشيخ جعفر محبوبة.

رقيق ، ولد في مدينة الكاظمية عام (١٣١١ هـ) ونشأ بها على جده السيد هادي الصدر وأبيه الشيخ عبد الحسين وفيها انصرف الى طلب العلم فقرأ المقدمات والسطوح على بعض علمائها ثم هاجر الى النجف الأشرف للحضور في مجلس المحقق النائيني والمرجع السيد ابو الحسن الاصفهاني وحضر ابحاث اخيه العلامة محمد رضا فنال الاجتهاد وهو في عقده الثالث .

وقد هاجر الى مدينة الكاظمية ليستقي من ينبوع علمه فريق من علماء الكاظمية وبغداد ثم سكن مدينة كربلاء بطلب من أفاضل علمائها لاهياء الحركة الفقهية فيها فاستجاب لطلبهم فكان محط انظار عشاق العلم فتخرج من حلقة درسه عشرات العلماء .

ولما انتابت العلل والأمراض جسم اخيه الشيخ محمد رضا عاد الى النجف الاشرف ليكون ساعده فقام بأعباء ادارته العلمية وزعامته الدينية واداء الصلاة جماعة وكان اخوه الرضا قد أرجع مقلديه في احتياطاته الى الشيخ المرتضى وهذا خير شاهد على سمو منزلته العلمية وكونه اهلاً للمرجعية الا انه كان عازفاً عنها حتى أنه رفض ان تطبع له رسالة عملية مع كثرة مقلديه .

أما عن جهاد الشيخ المرتضى فإنه كان في مقدمة العلماء والمراجع الواعين وتشهد له جماعة العلماء المجاهدين في النجف بالوعي والمثابرة من أجل رفع لواء الاسلام .

الشيخ راضي آل ياسين^(١):

وكان ثالث ابناء الشيخ عبد الحسين هو الشيخ راضي وهو الآخر يعد من اعظم علماء عصره خاصة في مدينة الكاظمية .

ولد في مدينة الكاظمية في شهر محرم الحرام سنة (١٣١٤ هـ) ونشأ بظل رعاية والده وجدّ في طلب العلم منذ نعومة اظفاره كما هو دأب اخوته واعاظم رجال أسرته فدرس في الكاظمية ما يسمى بمرحلة المقدمات والسطوح ثم هاجر الى

(١) راجع نقيب البشر ج ٢ ص ٧١٨ .

النجف الأشرف لاكمال دراساته العالية وهي ما تسمى بأبحاث الخارج فحضر لدى الاساطين من الفقهاء في مقدمتهم شقيقه الشيخ محمد رضا والشيخ محمد كاظم الشيرازي حتى تأهل ان يكون من كبار العلماء .

ولما توفي والده عزم على الرجوع الى الكاظمية ليقوم مقامه فكان محل اعتماد اهالي الكاظمية وما حولها .

وعرف الشيخ راضي - الى جانب كونه عالماً - بالأدب وكان ممن ينظم الشعر ومن مشاريعه الفريدة انه جمع كلمات الامام الحسن والحسين (ع) وخطبهما على غرار ما جمعه الشريف الرضي من كلمات امير المؤمنين (ع) واسماه (أوج البلاغة) وعرف الشيخ راضي في طليعة المؤرخين ومن اشهر ما كتبه في هذا الميدان كتابه المنقطع النظير « صلح الحسن » الذي أماط فيه عن حقيقة الأمر فاكمل نقصاً كان واضحاً في المكتبة الاسلامية .

ومما كتبه في التاريخ « تاريخ الكاظمية » وهو مما لم يصنف مثله .
وفي لبنان عام (١٣٧٢ هـ) انتقل الى جوار ربه ونقل جثمانه الى النجف ودفن فيها .

ولادته رضاً

بينما كان الفتى العلوي وصاحبته يعيشان حياة الأمل والايمان وقد مضى ما ينيف على العشرة اعوام لاحت بشائر قدوم المولود الجديد .

وفي الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة وعلى أرض الكاظمية ولد الأمل والخب وانبعثت الحياة من جديد في ذلك البيت العلوي . وكانت البسمة لا تفارق شفاه آل الصدر وآل ياسين معا وكل يشعر بعظمة الحدث ...

انه قدوم محمد باقر !

ولعلمهم منذ الساعات الأولى أحسوا بالفرح والسرور والحزن ولوعة الالم معا :

روايتان في ولادة الامام الشهيد (قد):

إحداهما أنه ولد سنة (١٣٥٠ هـ) وثانيهما انه ولد سنة (١٣٥٣ هـ) أي قبل

(١) حسب الرواية الثانية فان ولادته في ٢٥ ذي القعدة ١٣٥٣ تصادف في ١٩٣٥/٣/٢ هـ

وفاة ورحلة والده الأغر عن هذه الدنيا بثلاث سنوات تقريباً .

وليس مهماً أي الروايتين أصح وإنما المهم هو ان الامام الشهيد كان قد عاش عمره كله ، فيينا يعمر الكثير من النوع البشري عشرات السنين وهم في الحقيقة لم يعمرُوا بضع سنوات ، عاش الامام العمر للرسالة ، للهدف الأسمى ، في حب المطلق . . ولكن على صعيد التحقيق العلمي والبحث أيهما الأنسب والأصح ؟
لعل البعض يميل الى الأول دون الثاني ولعلّ المنشأ في ذلك هو الشيب الذي أسرع في لحيته ليوحى انه في شيخوخة متهممة .

ويبدو ان الثاني هو الأنسب ويؤيده ما اشتهر من ان الامام الشهيد لم يدرك حياة ابيه فلو صحت الرواية الأولى لكان قد وعى زمان ابيه وحياته لأن وفاة والده كانت سنة (١٣٥٦ هـ) وهذا يعني أنه في السادسة من عمره إذن .
ويقويه ما نقل في (مقدمة مباحث الأصول)^(١) لتلميذه المحقق السيد الحائري لأنه أدق ما كتب . .

ومن الطريف ما ينقله آية الله الشهيد صدوقي - شهيد المحراب - إذ يقول :
« رأى جد الشهيد الصدر - يعني السيد اسماعيل الصدر - فيما يرى النائم في منامه نفسه وقد حلّ ضيفاً على الامام الرضا ثم في مرقده الشريف في مشهد المقدسة .
وما ان دنا من الضريح المطهر حتى انفلق عن طلعة الامام البهية فبرز الامام إليه مرحباً وبعيياً ومستقبلاً إياه بالبشاشة والبشر ثم طلب إليه أن يصحبه إلى قم المقدسة حيث إخته معصومة في قم . وفي المرقد المقدس حدث نفس الذي حدث في مرقد الإمام الرضا (ع) حيث انشق القبر كأنه الباب المفتوح وأطلت معصومة مبتسمة فرحة لتحيا ضيفها الإمام الرضا (ع) وجدّ الشهيد الصدر .

وفي اثناء عملية التعريف والترحيب سأل الامام الرضا اخته قائلاً : هؤلاء بني الصدر بذلوا فينا مهجهم وكرّسوا لخدمتنا انفسهم . ان الله عزّ شأنه سيمنّ عليهم بولدٍ صالح يكون على يديه خيرٌ للاسلام عميم !

ثم يعقب الشهيد صدوقي : وهكذا كان فلقد منّ الله تبارك وتعالى على الأمة الاسلامية بالعبد الصالح السيد محمد باقر الصدر الذي عمّ خيره وفضله الآفاق الاسلامية^(٢) .

(١) ص ٦ .

(٢) جريدة الجهاد العدد (٢٣٢) الاثنين ٢٧ / رجب / ١٤٠٦ هـ و ص ١٢ .

شأنه رضي

بعد أن أنشأ أبو جعفر المنصور مدينته المعروفة بمدينة السلام تفاؤلاً بسلامة دولته من الخطر والضرر سنة ١٤٥ هـ أصابه الزمان بوفاة ابنه جعفر الأكبر وكانت وفاته ١٥٠ هـ فاتخذ مقبرة جديدة في أرض الكاظمية الحالية وسماها « مقبرة قريش » أو « مقابر قريش » ليدفن فيها من كان قرشياً .

وفي سنة ١٨٣ هـ دفن فيها الامام موسى الكاظم (ع) دفن بعده بعدة سنين حفيده الامام محمد الجواد (ع) ^(١) ومن ذلك الحين نسبت الى الامام الكاظم فسميت الكاظمية او الكاظم على تقدير بلدة الكاظم أو الكاظمين على تقدير بلدة الكاظمين ، وأصبحت الكاظمية محط انظار المؤمنين يقصدونها للزيارة والسكنى .

يقول الشريف الرضي (٢) :

ولي قبران (بالزوراء) أشفي بقرهما نزاعي واكتثابي
أقود اليهما نفسي وأهدي سلاماً لا يجيد عن الجواب

وقد جاور الكثير من العلماء مرقد الامامين الكاظمين (ع) وشهدت هذه المدينة حركة علمية نشطة وبرز فيها العشرات من اعاضم الفقهاء فكان لها مدرسة فقهية متميزة بالعمق الفقهي والاصولي وبرع علماؤها في أكثر من علم وأسدوا للعلم خدمة جليلة في البحث والتصنيف .

ومن أبرز علماء هذه المدرسة واعاضم فقيهاها :

السيد محسن الاعرجي الكاظمي (٣) :

المعروف بالمحقق الكاظمي والمحقق البغدادي وهو من أجل الفقهاء

(١) موسوعة العتبات المقدسة ج ٦ (قسم الكاظمين ج ١ - الكاظمية قديماً) الدكتور مصطفى جواد ص ٩. يحاول البعض أن يطلق على الكاظمية تسمية «مشهد باب التين» لأن مقبرة التين تقع شرقي مقبرة قريش وذلك للإلهام ويجعل الدكتور مصطفى جواد على هؤلاء ويقول إن «مشهد عبد الله بن أحمد بن حنبل الواقع في مقبرة التين أولى بهذه النسبة من مشهد الإمام الكاظم لقربه .

(٢) راجع أعيان الشيعة ٩ ص ٤٧ السيد محسن الأمين العاملي .

والمحققين الأصوليين ممن تتجه اليهم الأنظار صاحب مدرسة في الفقه والأصول وقد اشتهر بكتابه الوسائل في الفقه والمحصل في علم الأصول .

وكان أول أمره يشتغل بالتجارة حتى مضى من عمره اربعون عاما فهاجر الى النجف الأشرف واخذ عن علمائها ثم حضر لدى زعيم مدرستها حينئذ السيد مهدي بحر العلوم حتى أصبح في طليعة تلامذته وتصدر العلماء وقد أناف على التسعين ودفن في الكاظمية وكانت وفاته سنة ١٢٢٧ هـ .

الشيخ أسد الله التستري^(١) :

الشيخ أسد الله بن الحاج اسماعيل التستري الكاظمي وأصله من شوشتر هاجر بعض أجداده الى العراق . ويعد الشيخ أسد الله التستري من أبرز المحققين الأصوليين حينئذ وهو من تلامذة الآغا الوحيد البهبهاني زعيم المدرسة الفقهية في كربلاء والسيد بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض .

وللشيخ التستري آثار علمية سواء في الفقه او الأصول كانت محل نظر العلماء في مختلف الأعصار وقد تلمذ عليه جمهور من مشاهير الفقهاء في مقدمتهم السيد عبد الله شبر .

السيد عبد الله شبر^(٢) :

السيد عبد الله نجل السيد محمد رضا آل شبر ولد في النجف سنة (١١٨٨ هـ) ثم ارتحل والده الى الكاظمية فحمله معه وفي الكاظمية حيث كان والده من مشاهير علمائها نشأ السيد عبد الله وانصرف الى طلب العلم فقرأ لدى ابيه وحضر ابحاث السيد محسن الاعرجي والشيخ أسد الله التستري - على قول - .

وقد نبغ السيد عبد الله وظهر فضله وكان أشهر العلماء في الكاظمية بل لم يعرف في أسرة آل شبر من يضاهيه علماً وفضلاً حتى لقب بالمجلسي الثاني لكثرة

(١) راجع الأعيان ٣م ص ٢٨٣ .

(٢) مقدمة تفسير شبر ص ٣٣ .

تصانيفه التي تزيد على السبعين في مختلف ميادين العلم .

والى جانب كثرة تصانيفه فانه تخرج عليه عشرات العلماء امثال الشيخ عبد النبي الكاظمي الرجالي المعروف والشيخ حسين محفوظ العاملي وغيرهم من الأفاضل. توفي سنة (١٢٤٢ هـ) ودفن بالكاظمية .

الشيخ محمد حسن آل ياسين^(١)

محمد حسن بن الشيخ ياسين جد الشيخ عبد الحسين الذي هو الآخر جد الشهيد الصدر^(٢) لأمه - ولد في الكاظمية سنة (١٢٢٠ هـ) ونشأ فيها وقرأ المقدمات على جملة من افاضل علمائها وحضر لدى علماء الكاظمية امثال الشيخ عبد النبي الرجالي المعروف صاحب «تكملة النقد» والشيخ اسماعيل نجل الشيخ أسد الله التستري .

وهاجر الى كربلاء لاكمال دراساته على عهد صاحب الفصول وشريف العلماء وقضى فيها ردهاً من الزمن ثم انصرف عنها الى النجف الاشرف للحضور لدى فقيه الشيعة الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والفقيهين الجليلين الشيخ على آل كاشف الغطاء والشيخ جواد ملا كتاب وفي سنة (١٢٥٥ هـ) رجع الى الكاظمية وانفرد في الزعامة فيها الى حين وفاته سنة (١٣٠٨ هـ) .

السيد مهدي الحيدري^(٣) :

السيد مهدي بن السيد احمد الحيدري من أسرة عرفت بالعلم والفضيلة ومن اشهر رجالها السيد المترجم وكان قد تولد ونشأ في الكاظمية ثم انتقل الى النجف وأدرك فيها أواخر عهد الشيخ مرتضى الأنصاري فقرأ على الشيخ محمد حسين الكاظمي والميرزا محمد حسن الشيرازي والشيخ محمد حسن آل ياسين . وقد لازم استاذة المجدد الشيرازي وهاجر معه الى سامراء بيد أنه عاد منها الى الكاظمية ليستقل فيها بالبحث والتدريس والزعامة واصبح فيها المرجع الذي لا ينزع .

وكان للسيد مهدي الحيدري دوراً فعالاً في قتال الانجليز ولعله أول من افنى

(١) نقباء البشرح ١ ص ٤٥٠ .

(٢) راجع الاعيان ص ١٤٣ م ١٠ .

بقتالهم ووجوب الدفاع عن المقدسات الاسلامية وطردهم من بلاد الاسلام .

توفي سنة (١٣٣٦ هـ) في الكاظمية ودفن بها .

السيد حسن الصدر (١) :

السيد حسن بن السيد هادي بن محمد علي بن السيد صالح فهو من آل شرف الدين غير ان والده السيد هادي لما فقد والده السيد محمد علي كفله عمه السيد صدر الدين فلقب بالصدر فغلب على اولاده واحفاده . ولد السيد حسن في الكاظمية سنة (١٢٧٢ هـ) ونشأ بها في ظل أبيه وقرأ عليه وعلى غيره من علماء الكاظمية أمثال الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن آل ياسين .

وفي سنة (١٢٩٠ هـ) هاجر الى النجف الأشرف لاكمال دراساته فحضر لدى السيد المجدد الشيرازي وهاجر معه الى سامراء بعد حين ، فقربه السيد المجدد اليه وأكرمه فطال مكثه في سامراء نحواً من سبع عشرة سنة ثم رجع عنها الى الكاظمية وقد رجع اليه الناس في التقليد غير مرة إلا أنه أبى وأرجعهم الى ابن عمه السيد اسماعيل الصدر - جد الشهيد الصدر - الى حين وفاته فقلده جمع غفير .

وقد عرف السيد حسن الصدر بكثرة التأليف في أكثر من علم قل نظيره .

الشيخ مهدي الخالصي (٢) :

الشيخ مهدي بن الشيخ محمد حسين ولد في الكاظمية سنة (١٢٧٦ هـ) وهو من أسرة علمية تسكن الكاظمية والخالص وقد خرج منها عدد كبير من العلماء وكان الشيخ مهدي قد تلقى علومه في بلدة الكاظمية والنجف الأشرف وحضر على علماء أجلاء منهم والده والشيخ محمد حسين الكاظمي والميرزا حبيب الله الرشتي والمجدد السيد الشيرازي حتى أصبح في طليعة علماء الكاظمية .

ولما هاجم الانجليز العراق كان الشيخ الخالصي في مقدمة المراجع فأفتى

(١) مقدمة تكملة الأمل بقلم الحجة السيد عبد الحسين شرف الدين ، وترجمه بقلمه في التكملة

ص ١٦٠ ، نقيب البشر ج ١ ص ٤٤٥ .

(٢) الأعيان ١٠ ص ١٥٧ .

بوجوب قتالهم وساهم في الاعداد لطردهم وتطهير العراق من استعمارهم .

ولم يهدأ بعد ان استتب الأمر للانجليز فقد شارك في الثورة العراقية الكبرى - ثورة العشرين- فدعا الى مقاطعة الانتخابات التي كانت وراءها الحكومة البريطانية ولذلك عمدت السلطات المحتلة الى نفيه مع من أمرت بنفيهم من العلماء الى ايران .

وللحق فان الشيخ الخالصي كان يعد في مقدمة المراجع الواعين حتى أنه أبى - منفرداً - التعهد للحكومة البريطانية بعدم التدخل بالسياسة لقاء السماح له بالرجوع الى العراق ورجع المراجع المنفيون الى العراق عدا الشيخ الخالصي فبقي في ايران وتوفي في مشهد الامام الرضا - خراسان - سنة (١٣٤٣ هـ) ودفن فيها .

ومن رثاء من الشعراء جميل الزهاوي :

فجعتنا حوادث الأيام بأبي الشعب حجة الاسلام
قد وجدنا شهر الصيام كثيباً لنعي أق شهر الصيام

أما على الصعيد السياسي^(١) فكان لمدينة الكاظمية دوراً جهادياً فعالاً في تحريك الأمة والجماهير المسلمة في التصدي للانجليز إبان دخولهم العراق أو في احداث ما بعد الاحتلال وعلى كلا المستويين كان للعلماء الدور القيادي والطلبي .

ففي سنة ١٣٣٢ هـ عندما داهمت الجيوش الانجليزية العراق من جهة البصرة استغاث أهل البصرة بزعيم الكاظمية ومرجعها الكبير السيد مهدي الحيدري وبغيره من العلماء فاستجاب العلماء وفي طليعتهم السيد الحيدري وأصدر فتواه بوجوب الدفاع ودعا الى الاجتماع العام في الصحن الكاظمي الشريف فارتقى المنبر وعلن عن نيته في الخروج بنفسه للقتال وأبرق الى علماء النجف مخبراً اياهم بعزمه فقدم الى الكاظمية شيخ الشريعة والسيد مصطفى الكاشاني والسيد علي الداماد وغيرهم من العلماء .

(١) موسوعة العتبات المقدسة (قسم الكاظمين ج١) ص ١٣٧ .

أما ما بعد الاحتلال فكان للكاظمية شأن جهادي كبير وتحمل العلماء العناء من أجل التوعية السياسية لآبناء الأمة الإسلامية من أجل الحيلولة دون أن تمر موآمرات المستعمر ومخططاته ، بل ان حركات بغداد كانت تسير وراء قيادة فراتية وأن أول حركة من هذه الحركات قد ولدت في الكاظمية من قبل آية الله السيد أبي القاسم الكاشاني. لقد عمل الكاشاني في مدينة الكاظمية من وقت بعيد قبل ان تصبغ بغداد بلون الثورة فقد كان يطبع المنشورات في الكاظمية وتوزع سرياً بتوقيع « الجمعية الإسلامية العربية » فأقضى مضجع السلطة العسكرية المحتلة فبثت العيون والجواسيس لمعرفة اعضاء الجمعية فعاد كل هؤلاء بخفي حنين لا يعرفون عن الجمعية الا التوقيع التي كانت تحملها المنشورات وهي الرئيس ابو القاسم الكاشاني^(١) ، السكرتير الشيخ جواد الزنجاني^(٢) .

فقد تصدى العلماء شعبياً وتنظيمياً لتعبئة الجماهير وتوعيتها وكان في مقدمتهم آل الصدر وعلماء آل ياسين .

ولست في مقام بيان التاريخ السياسي للكاظمية ، فحسب القاريء المضبطة التي وقعها علماء الكاظمية في يوم الاربعاء الموافق ٢٥ / ربيع الثاني / ١٣٧٧ هـ التي اعلنوا فيها عن مطالبتهم بحكومة اسلامية باعتبارهم ممثلي جمهور الأمة الإسلامية .

ووشحت هذه المضبطة بتوقيعات اجلة علماء الكاظمية وهم : آية الله الشيخ مهدي الخالصي وآية الله السيد حسن الصدر وآية الله السيد مهدي الصدر

(١) السيد أبو القاسم الكاشاني نجل العلامة السيد مصطفى الكاشاني من مشاهير العلماء المجاهدين في العراق وإيران ، كان أول أمره في النجف الأشرف وأخذ علومه عن والده — الذي هو الآخر من المجاهدين — والشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب الكفاية والميرزا الخليلي وكان للسيد الكاشاني الدور الفعال في ثورة العشرين وقتال الإنجليز خاصة في الكاظمية ولذلك لاحقه وأخذت السلطات تطارده باستمرار فالتجأ إلى إيران وبدأ جهاده فيها من جديد وقاد ثورة الشعب المسلم في إيران ضد الشاه المقتول وانتصرت الثورة بقيادته غير ان انحرافات مصدق صادرت دماء الآلاف من الشهداء . راجع نقباء البشر ج ١ ص ٧٥ .

(٢) راجع موسوعة العتبات المقدسة (قسم الكاظمين ج ١) ص ١٥١ .

والعلامة الشيخ ابراهيم السلماسي والعلامة السيد احمد نجل آية الله السيد مهدي الحيدري وآية الله الشيخ عبد الحسين آل ياسين^(١) .

فهذه المضبطة تحمل أسماء وتوقيعات ثلاثة من أكابر علماء آل الصدر وآل ياسين .

أما السيد محمد الصدر^(٢) فإن دوره الفعال في قتال الانجليز وفضح مؤامراتهم أشهر من أن يعرف^(٣) وعلى كل حال فإن مدينة الكاظمية مدينة لعلماء آل الصدر وآل ياسين فكان لرجلهم الفضل الأكبر في تشييد ودعم الحركة العلمية والجهادية فيها والدفاع عن كرامتها .

في هذه المدينة المقدسة المفعمة بروح العلم والجهاد نشأ الامام الشهيد (ره) وملأت أسماعه الصور الجهادية الرائعة لرجال أسرته وأحواله ، وفتح عينيه ليشهد انصراف رجالهم للعلم والدفاع عن شريعة محمد (ص) .

نشأ الامام الصدر (ره) في هذه الأجواء ليحمل هموم الآباء وآمالهم .

عاش الامام الشهيد (ره) حياة اليتيم وذاق طعم مرارتها فانه فقد أباه وهو في الثالثة من عمره الشريف .

رزقه الله تعالى أخاً عطوفاً ملؤه الحنان والرعاية فجمع بين الأخوة ومقام الأبوة فعنى بأخيه الذي أحس بجلالة قدره وهو في نعومة أظفاره ، وكان يرى فيه الأمل .

ومرت الأيام وتوالت السنون فيكبر الأمل ولا يزال الأخ الحنون على عهده ليرعى أمانة الأب الذي فارق الدنيا سريعاً .

أما الامام الصدر (ره) فانه كان يشعر بعطف أخيه وحنانه ورعايته ، وكلما

(١) ن ، م ص ١٤٥ .

(٢) السيد محمد الصدر نجل آية الله السيد حسن الصدر وهو من العلماء الفضلاء وكان يتمتع بالرعي السياسي والروح الجهادية وقد شغل منصب رئاسة الوزراء بعد تأسيس الدولة العراقية إلا انه قدم استقالته فيها بعد .

(٣) راجع تأريخ الحركة الإسلامية، الرهيمي ص ٢٢٢ ، وموسوعة العتبات (قسم سامراء ج ١) ص ٣٢٣ .

اشتد عوده أخذ يكبر أخاه يوماً بعد يوم ، حتى نقل^(١) ان الامام الشهيد(ره) حينما أهدي كتابه (اقتصادنا) الى اخيه كتب عبارة الاهداء « أخي بل أبي أفديه نفسي . . »

انصرف السيد الصدر(ره) الى المدارس الرسمية فالتحق بمدرسة منتدى النشر في الكاظمية التي كانت تعنى بالتربية الاسلامية بالاضافة الى التعليم العصري .

ولم تمض الا فترة يسيرة من الزمن حتى لمع الامام الصدر(ره) بين التلامذة واشتهر اسمه وفاق أقرانه واتجهت نحوه أنظار معلميه وزملائه الطلاب على حدّ سواء .

ولم يقتصر ذلك على المدرسة فقد نقل احد رفاقه يومئذ انه قد (تجاوز هذا الاعجاب به والحديث عنه جدران المدرسة الى الشارع والسوق والمدارس الأخرى وفي كل مكان حتى انني فوجئت يوماً أن أبي يدعوني الى أن أقتدي به في سلوكي وفي حديثي مع الناس . .)^(٢)

فالجميع يلمس العبقرية والنبوغ الصارخ في هذا الفتى العلوي فيكبروه أيما أكبار ويرأى للجميع ان لهذا الفتى شأنًا يوماً ما .

يقول أحد رفاق السيد الشهيد ايام صباه في المدرسة : « كنا نعرف عنه أنه مفرط في الذكاء ومتقدم في دروسه تقدماً يَبْز فيه زملاءه كثيراً أو ندر نظيره ، وما طرق أسماعنا أن هناك تلميذاً في المدارس الأخرى يبلغ بعض ما يبلغه من فطنة وذكاء ، لذا إتخذ معلموه نموذجاً للطلاب المجد والمؤدب والمطيع ، فما من درس الا وكان حديث المعلم عنه يطغى على ما يلقننا من مادة وكان ذلك يزيدنا احتراماً له واعجاباً به حتى أخذ بعض الطلبة يجهد نفسه في تقليده في مشيته وفي حديثه وفي جلوسه في الصف لينال ما ينال من احترام واعجاب^(٣) . »

أحد معلمي الشهيد(ره) كان مستغرباً أول أمره للعناية التي يبذلها مدير

(١) جريدة الجهاد العدد (٢٨٣) ٧ / شعبان / ١٤٠٧ هـ .

(٢) مقدمة مباحث الأصول ص ٣٤ .

(٣) مقدمة المباحث ص ٣٤ .

المدرسة لأجل الشهيد^(٥) وأخذ يبحث عن الدواعي اذ يقول : « وشاءت الصدفة أن انفرد بالسيد المدير فاستوضح منه عما كان يشغل تفكيري بشأن هذا الطفل فأجابني : أرجو أن ترعاه كما يرعاه زملاؤك من الهيئة التدريسية فقد سبق وأوصيتهم به خيراً لأنني أتوسم فيه ان يكون له مستقبل كبير باعث على التفاخر والاعتزاز بما يقوم به وبالدرجة العلمية التي أترقب أنه سيصلها ويبلغها .

فرحت أرقب هذا الطفل عن كتب فأقربته اليّ وأحدث معه كلما سنحت الفرصة مظهراً اليه حبي وودّي اللذين نغيا مع الأيام بل الساعات محباً لي متعلقاً بي لا يفارقني في الصف أثناء الدرس أو بعده أثناء فترة الاستراحة .

وقد كان طفلاً يحمل أحلام الرجال ويتحلّى بوقار الشيوخ ، وجدت فيه نبوغاً عجبياً وذكاءً مفرطاً يدفعانك على الاعتزاز به ويرغمانك على احترامه وتقديره كما شهدت كل المدرسين أيضاً يكونون له هذا الاحترام وهذا التقدير .

لقد كان كل ما يدرس في هذه المدرسة من كافة العلوم دون مستواه العقلي والفكري وكان شغوفاً بالقراءة محباً لتوسيع دائرة معرفته ساعياً بجهد الى تنمية مداركه ومواهبه الفذة لا تقع عيناه على كتاب الا وقرأه وفقه ما يحتويه في حين يعزّ فهمه على كثير ممن أنهوا المرحلة الثانوية ، وما طرق سمعه اسم كتاب في أدب أو علم أو اقتصاد أو تاريخ الا وسعى الى طلبه ، وكان يقرأ كل شيء .

وقد حدثني أحد الزملاء ممن كان لديهم الامام بالماركسية واطلاع على كثير من الكتب التي كتبت فيها قائلاً لي : لقد جاءني يوماً مبدياً رغبته في أن يقرأ بعض الكتب الماركسية ونظرياتها ليطالع على مكونات هذه النظرية .

ترددت في بادئ الأمر عن ارشاده الى ذلك لأنه طفل وخشيت أن تتشبع افكاره بالماركسية ونظرياتها ، وبعد الحاح منه شديد ولما كنت لا أحب رد طلبه أرشدته الى بعض المجلات والكتب المبسطة في كتابتها عن الماركسية وفي عرضها لها .

وقد أخذت على عاتقي تهئية ما تيسر لي من هذه المجلات والكتب وهي نادرة وعزيزة لأنها كانت آنذاك من الكتب المحرّم بيعها في المكتبات .

وبعد ان تسلّمها مني تهلل وجهه فرحاً ثم أعادها إليّ بعد أن قرأها مكرراً طلبه أن أجد له كتباً أكثر موضوعية وأعمق شرحاً وعرضاً لآراء الماركسية فهيأت له ما طلب وكنت اظن أنه سوف لا يفقه منها شيئاً لأنني أنا نفسي رغم مطالعاتي الكثيرة في هذا الموضوع أجد أحياناً صعوبة في فهمها .

وبعد مدة اسبوع واحد أعادها الي وطلب غيرها .

واضاف المدرس قائلاً : أحببت أن اعرف ما الذي استفاده هذا الطفل من قراءته لهذه الكتب واذا به يدخل في شرح الماركسية طويلاً وعرضاً فأخذت من شرحه لها كل ما غمض علي معناه عند قراءتي لها ، فعجبت لهذا الطفل المعجزة وهو لما يزل في المرحلة الثالثة من الابتدائية وقد زاد في اطمئناني عندما راح يشرح لي أنه كان يأتي على مناقشة كل رأي على حده مناقشة العالم المتبحر في العلم فاطمأنت بأنه لم يتأثر بالماركسية مطلقاً وأنه كان يقرؤها كنا قد لا كدارس لها .

وحدثني عنه مدرس اللغة العربية فقال : والله لولا الانظمة والقوانين ولو كانت هناك حكومة تقدر النبوغ والكفاءة لمنحته الشهادة الثانوية بأعلى الدرجات وفتحت له ابواب الكليات ليختار منها ما يشاء وكفيتها أمر الذهاب الى المدرسة والعودة منها الى البيت .

ان إمامه باللغة العربية يفوق حد التصور لطفل في سنّة وكم من مرة جعلني أقف أمامه محرجاً لا أجد جواباً فاضطر أن أوّجل الجواب على سؤاله الى يوم آخر لثلا اكون في موضع العاجز عن الجواب أمام تلامذتي^(١) . . . »

كان الامام الشهيد عالماً منذ صباه فيكاد رفاقه في المدرسة لا يفقهون له حديثاً وهو يبيح لهم من أسرار المعرفة وكنوزها .

عن هذه الأيام الخالية يقول محمد علي الخليلي - رفيق الامام الشهيد أيام صباه - يصف حديث الامام يومئذ : « فقد كان حديثاً تتخلله عبارات هي بالنسبة لنا غير مفهومة وأصعب فهمها ولأول مرة سمعنا فيها كلمة الماركسية والامبريالية

(١) مقدمة المباحث ص ٣٩ .

والديالكتيكية والانتهازية وكلمات أخرى أظنها كانت تعني أسماء الفلاسفة وعلماء وشخصيات لم يحضرني فيها سوى اسم (فيكتور هوغو) و (غوته) وغابت عني أكثرها إذ مرّ عليها زمن طويل قارب الأربعين عاماً ولأنها كلمات كانت في حينها يصعب علينا نطقها وتلفظها ، كانت غريبة علينا جداً ولم نسمع بها أو بمثلها من الأسماء في كتبنا المدرسية ولم نقرأ فيها الا (أديسون) و (نيوتن) وغيرها ممن درسنا عنهم وعن اكتشافاتهم واختراعاتهم^(١) »

إمتاز الامام الشهيد منذ صباه مع عبقرية الفذة وذكائه المفرط بالجرأة والشجاعة الأدبية ، ومن أروع ما ينقل عنه ما نقله السيد حسن شبر اذ يقول « أتذكر في عام ١٩٤٥ م أقام منتدى النشر حفل تأبيني في أربعينية آية الله السيد أبي الحسن الاصفهاني ، في ذلك الوقت جاء السيد الصدر الى النجف الأشرف للدراسة . . . جاء (ره) بمعية اخيه الأكبر آية الله السيد اسماعيل الصدر الى منتدى النشر ، وكان يضع على رأسه عمامة خضراء ، وعند دخوله سلّم على الشيخ المظفر سلام الكبار فأثار استغراب الجميع ، لقد كنا نحترم شيخنا المظفر أيما احترام ، فكيف يسلم على شيخنا الكبير ويصافحه مثل العلماء وهو شاب صغير^(٢) . »

وتشهد له المجالس والمحافل في الكاظمية عظيم جرأته فكان يرتقي المنبر في الصحن الكاظمي كل عام في يوم عاشوراء وفي وفيات الأئمة الاطهار (ع) ليلقي كلمة في المناسبة عن ظهر قلب وكأنه يرتجل مسترسلاً بل نقل انه يحفظ الكلمة هذه في فترات وجيزة جداً لا تتجاوز مسيرة الموكب من المدرسة الى الصحن الكاظمي .

لقد أعطى لموكب المدرسة شعبية واسعة فكان الناس ينتظرون الموكب بشوق وخفة^(٣) . وفي الأيام العشرة الأولى من محرم كان يعقد في حسينية آل ياسين مجلس حسيني كبير يضم رعيلاً من العلماء ويضم جماهير غفيرة من المؤمنين فجاء السيد محمد باقر الصدر وهو طفل صغير ليقراً كلمة كتبها في الحسين (ع) سيد

(١) مقدمة المباحث ص ٣٦ .

(٢) مجلة الجهاد العدد (٢١) ص ٧٧ السنة ٣ (١٤٠٧هـ) .

(٣) راجع مقدمة المباحث ص ٣٤ .

الشهداء فلم يمتلك خاله المغفور له حجة الاسلام والمسلمين الشيخ راضي آل ياسين صاحب كتاب صلح الحسن لم يمتلك نفسه حتى بادر وقال له « احسنت يا رافعي العراق » تشبيهاً له بالأديب المعروف الرافعي^(١).

تفوق الامام الشهيد(ره) على أقرانه فصرف اليه انظار معلميه ورفاقه بل اشتهر اسمه خارج المدرسة ليكون المثل والقذوة الا ان خلقه الرفيع وهدوءه ووداعته وودّه حال دون ان يبغضه أحد ويظهر له العداوة .

يقول الخليلي : « . . . وما أتذكر أنه كان له حسدٌ من الطلاب بل كان حبهم له يطغى على كل شيء يتوددون ويتقربون منه وذلك بسبب سلوكه العقلاني معهم واضفاء حبه وحنانه على من هو أصغر منه واحترامه لمن هو اكبر منه وكنا نشعر - وان كبرناه سنوات - .

لقد كان والله معجزة وآية من آيات خلق الله ولا أجدي مبالغاً مهما قلت عنه واطنبت في امتداحه والثناء عليه وتعداد حسناته وصفاته التي لم نجد نظيراً لها في سموها لدى غيره من كل تلامذة المدارس^(٢) »

ولشدة ذكائه كان كثيراً ما يشكل على معلميه بشكل لا يتصور أنه يصدر من طفل في مرحلة الابتدائية بل في صفوفها الأولى ، حتى أنه أشكل يوماً على معلم التربية الاسلامية الذي أثبت وجود الخالق بأدلة قرآنية فقط فقال له الامام الصدر(ره): ان هذه الأدلة لا تلزم الا من آمن بالقرآن فتصور انني لاؤمن بالقرآن .

(١) جريدة الجهاد العدد (١٣١) السنة (٥) ٧ / رجب / ١٤٠٤ هـ .

(٢) مقدمة مباحث الأصول ص ٣٥ .

هجرته - دراساته :

لقد كان السيد محمد الصدر - رئيس الوزراء يومئذ - يطمح أن يواصل الامام الشهيد(ره)دراساته في المدارس الرسمية ليدخل الجامعات وكان يرى فيه أملاً كبيراً لذلك أخذ يشجعه وينميه غير أن الامام الشهيد(ره)غالباً ما يرفض ذلك :بؤكد تصميمه وعزمه على مواصلة طريق الآباء والأجداد في أحياء العلوم الاسلامية ومعارفها .

فالسيد الصدر(ره)وان التحق بمدرسة منتدى النشر الابتدائية إلا أنه كثيراً ما يغيب عن أنظار معلميه ورفاقه الطلاب وهذا ما يثير لديهم الدهشة والاستغراب لأنه عرف مجداً ودوراً على المطالعة مع نجاحه الباهر فهو لا يعتذر عن حضور الامتحان أبداً ويجوز على أعلى الدرجات دائماً . كان خافياً على الجميع ما يدور في ذهن هذا الفتى العبقري وما يخططه للمستقبل بيد أنهم عرفوا أنه منصرف لدراسة العلوم الاسلامية .

في الحادية عشرة من عمره الشريف ترك المدرسة وانصرف كلياً لدراسة المعارف الاسلامية (فقرأ - رحمه الله - في الحادية عشرة من عمره المنطق وكتب رسالة في المنطق يعترض فيها باعتراضات على بعض الكتب المنطقية . . .

وفي أوائل الثانية عشرة من عمره درس معالم الأصول^(١) على يد اخيه المرحوم السيد اسماعيل الصدر وكان من شدة ذكائه يعترض على صاحب المعالم بايرادات وردت في الكفاية^(٢) منها « انه ورد في بحث الضد في كتاب المعالم الاستدلال على حرمة الضد بأن ترك أحدهما مقدمة للآخر فاعترض عليه شهيدنا الصدر بقوله : اذن يلزم الدور

(١) معالم الأصول من الكتب الأصولية القديمة صنفه الشيخ حسن نجل الشهيد الثاني .

(٢) الكفاية للأخوند محمد كاظم الخراساني قائد ثورة الدستور في إيران كان يوجهها من مقره في النجف الأشرف .

فقال له المرحوم السيد اسماعيل : هذا ما اعترض به صاحب الكفاية على صاحب المعالم^(١) كان الامام الشهيد(ره) هادفاً في انصرافه لتحصيل المعارف الاسلامية وعلومها ولم يسلك هذا الطريق حفاظاً على الكيانات الأسرية التي نعارف ان ينصرف جلّ ابنائهم لطلب العلوم الاسلامية حتى فسّاقهم فيجنون على الاسلام وشريعة محمد (ص)

نعم كان الامام واعياً لطريقه لذلك صمد بكل قوة امام العوائق والامنيات التي أريدت له حتى نقل^(٢) ان المرحوم السيد اسماعيل ونظراً للظروف الاقتصادية والمعيشية التي مرت بها أسرته بعد وفاة والدهم السيد حيدر(ره) طلب من السيد ان يترك الدراسة ويعمل في السوق فما كان من الامام الشهيد(ره) إلا ان أحتج على هذا الطلب بالاضراب عن الطعام قائلاً لأخيه « ان بإمكانك ان اشبع من الغذاء والأكل ولكن ليس بإمكانك ان اشبع من العلم فاتركني وشأني»

ولم يستطع السيد اسماعيل اقناعه الا بعد رجاء شديد .

وفي عام (١٣٦٥ هـ) هاجر الامام الشهيد(ره) من الكاظمية الى مدينة النجف الأشرف مركز الفقه الاسلامي بمعية السيد اسماعيل(ره) وباقي افراد عائلته .

وفي النجف الأشرف بدأ الامام الشهيد(ره) حياة جديدة ملؤها الجهد فكان دؤوباً على طلب العلم بشكل منقطع النظير فلا يرى شخصه في الأندية والمجالس الا قليلاً ونقل^(٣) انه اتخذ لنفسه غرفة صغيرة في داره لا يخرج منها الا لأداء الصلاة او حضور الدرس ولتناول الغذاء ومن الطريف ما نقل^(٤) عن المرحوم السيد اسماعيل من ان خادماً عائلة آل الصدر رأى في عالم الرؤيا الامام أمير المؤمنين

(١) الباحث ص ٤٢ .

(٢) جريدة الجهاد العدد (٢٨٣) ص ١١ بتاريخ ٧ / شعبان / ١٤٠٧ هـ .

(٣) مجلة الأضواء عدد ٣ السنة ٥ / رجب / ١٤٠٤ هـ الصادره في قم المقدسة ص ١٥٥ .

(٤) ن ، م ص ١٥٦ بقلم السيد عبد الكريم القزويني .

(ع) وهو يقول له « قل لمحمد باقر لماذا لم يأت في هذه الأيام لحضور درسنا »
فقص هذا الرجل رؤياه على السيد اسماعيل فقال له : لا أعلم بذلك فليأت
السيد محمد باقر ونسأله عن ذلك .

فلما جاء السيد محمد باقر حكيت له هذه الرؤيا فتبسم وقال : سبحان الله
اني كنت اغتنم خلو الحرم الطاهر من الزائرين بعد صلاتي الظهر والعصر فأذهب
الى الحرم الشريف لمطالعة دروسي لاستلهم من روحانية الامام أمير المؤمنين (ع)
واستفيد من فيض علومه ، ومنذ يومين لم اذهب الى الحرم .

يتمتع السيد الشهيد^(٥) بذهنية وقادة وعبقورية فريدة من نوعها فلم يعرف
عن السيد^(٥) أنه تتلمذ في دراساته ما قبل الدراسات العليا - المسماة ببحث
الخارج - على أحد سوى السيد اسماعيل الصدر^(٥) واستعان ببعض آخر .

أما ما ينقل عن تتلمذه لدى العلامة الفيلسوف ملا صدرا البادكوبي فانه في
الحقيقة قرأ عليه الأسفار على عجل وقد أنهاها في ستة اشهر كان يقرأ العبارة فاذا
صادفه غموض فيها قام الملا صدرا بتوضيحها .

وهذا ما يذكره الشيخ صدرا إذ يقول : (اشتراط عليّ أن لا يتابعني في
التدريس الرتيب عن هذا الكتاب بل طلب مني أن يقرأ عليّ كل يوم صفحات من
هذا الكتاب ويسألني عما أشكل عليه فقبلت وانتهى دراسة هذا الكتاب بسرعة على
هذا الشكل) الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية في العراق، غالب حسن
ص ٨ .

يقول السيد محمد باقر الحكيم (. . . وكان من سوء الحظ ان يكون استاذة في
المرتبة الثانية المسماة في الحوزة العلمية ب « السطوح » كان استاذة في هذه المرتبة
غير قادر على تبيان حقيقة الطالب المدونة في الكتب العلمية وكان السيد الصدر
حيياً يملكه الحياء - والمؤمن شعاره الحياء - كان حياً لا يمكن ان يعتذر عن درس
هذا الاستاذ بعد ان طلب الحضور لديه ، ولكن ماذا يصنع وهو يريد ان يتفهم
هذه الدروس تفهماً كاملاً .

هنا بدأت معاناة أخرى وجهاد آخر من أجل طلب تحصيل العلم .

فبدأ السيد الشهيد بدرسه وبذاته يقرأ هذه الكتب ويرجع الى الحواشي المختلفة من هذه الكتب ويجهد فكره وذنه الوقاد من أجل ان يتفهم هذه الكتب ، وقد تفهمها بالفعل ، وقد تمكن من دراسة السطوح بهذه الطريقة الذاتية الفريدة^(١) .

أما مرحلة ما يسمى بحث الخارج فان الامام الشهيد^(٢) حضر بحث علمين من أعلام الفقه والأصول وهما آية الله العظمى الشيخ محمد رضا آل ياسين وآية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي ولم يحضر أبحاث غيرهم ، وما توهمه البعض^(٣) من أنه تتلمذ عن آية الله السيد محسن الحكيم ليس صحيحاً . ويقال انه حضر لدى خاله الشيخ مرتضى آل ياسين احتراماً وتأيداً له^(٤) .

وكان حضوره لدى خاله الشيخ محمد رضا آل ياسين وهو في حضر مع أكابر العلماء وزاحمهم أمثال آية الله الشيخ صدر البادكوبي وآية الله الشيخ عباس الرميثي وآية الله الشيخ محمد طاهر آل راضي والحجة السيد عبد الكريم علي خان والحجة السيد محمد باقر الشخص والحجة السيد اسماعيل الصدر^(٥) .

وقد انتهى بحث الشيخ آل ياسين يوماً الى مسألة ان الحيوان هل يتنجس بعين النجس ويظهر بزوال العين أو لا يتنجس بعين النجس ؟

فذكر الشيخ آل ياسين^(٦) : ان الشيخ الأنصاري ذكر في كتاب الطهارة : ان هنا ثمرة في الفرق بين القولين تظهر بالتأمل .

وقال الشيخ آل ياسين : ان استاذنا المرحوم السيد اسماعيل الصدر حينما انتهى الى هذه المسألة طلب من تلاميذه ان يبينوا ثمرة الفرق بين القولين فبيناً له

(١) من نظرات جماعة العلماء بقلم السيد محمد باقر الحكيم .

(٢) أرقام وآراء حول نظام البحث في العراق ص ٢٥٦ فواد كاظم ومجلة الحكمة اللبنانية عدد (٦) رجب / ١٤٠٠ هـ ص ٥٠ .

(٣) الشاهد الشهيد ص ٧ الكاتب ع . نجف .

(٤) مباحث الأصول ص ٤٢ السيد الحائري .

ثمرة في ذلك وأنا الآن أطلب منكم أن تأتوا لي غداً بعد التفكير والتأمل بثمرة القولين .

فحضر شهيدنا الصدر في اليوم التالي قبل الآخرين لدى استاذته وقال : اني جئت بثمرة للقولين فتعجب الشيخ آل ياسين من ذلك لأن صغر سنه كان يوحي الى الشيخ آل ياسين بأن حضوره مجلس الدرس ليس حضوراً اكتسابياً بالمعنى الحقيقي بالكلمة وإنما هو حضور ترفيهي فذكر الشهيد الصدر ما لديه من الثمرة مما أدهش الاستاذ آل ياسين لفرط ذكاء هذا التلميذ الصغير ونبوغه .
وقال له : أعد بيان الثمرة لدى حضور باقي الطلاب .

وحينما حضر الطلاب الآخرون طالبهم الشيخ الاستاذ بالثمرة فلم يتكلم منهم احد فيقول الشيخ : ان السيد باقر لديه جواب فيظن الطلاب انه السيد باقر الشخص ويستغرب السيد الشخص لأنه لم يستحضر جواباً فيقول الشيخ آل ياسين : لا ، انه السيد باقر الصدر فانه اتى بثمرة للخلاف غير الثمرة التي نحن اتينا بها الى استاذنا .

ويشرح الامام الشهيد (هـ) في بيان جوابه فيثير اعجاب الحاضرين من أكابر العلماء لعدم سماعهم بمثل هذه الثمرة بل ان الأستاذ الشيخ آل ياسين قال له عندما طرح الامام الشهيد جوابه : ان السيد اسماعيل الصدر حينما طلب منّا التفكير في الجواب لم يجب أحد على سؤاله سوى عمك السيد محمد مهدي الصدر وأنا وجوابك هذا لم نسمع به^(١) .

منذ تلك الفترة في اوائل بلوغه بلغ الامام الشهيد (هـ) ما لم يبلغه العلماء من افاضل الحوزة حتى قال عنه اخوه السيد اسماعيل « سيدنا الأخ بلغ ما بلغ في أوان بلوغه »^(٢) . ففي السابعة عشر من عمره الشريف شهد له العلماء بملكة الاجتهاد

(١) مباحث الأصول ص ٤٣ ، جريدة الجهاد العدد (١٣١) السنة ٥ / ٧ / رجب / ١٤٠٤ هـ ص ٨ ، مجلة الأضواء العدد ٣ سنة ٥ الصادرة بقم رجب / ١٤٠٤ هـ ص ١٥٤ .

(٢) مباحث الأصول ص ٤٣ .

ففي عام (١٣٧٠ هـ) توفي الشيخ آل ياسين (ره) وعَلَّقَ الشيخ عباس الرميثي^(١) بتعليقه على رسالة الشيخ آل ياسين (بلغة الراغبين) ولفرط اعتقاده وشدة ايمانه بذكاء شهيدنا الصدر ونبوغه طلب منه ان يحضر مجلس التحشية فلبى الشهيد (ره) دعوة استاذة واشترك في مجلس التحشية . . . وكان يقول له الشيخ عباس الرميثي في ذلك التاريخ : ان التقليد عليك حرام^(٢).

ويقول الفقيه السيد كاظم الحائري : سألت الأستاذ - رحمه الله - ذات يوم عن انه هل قلَّد في حياته عالماً من العلماء أولاً ؟ فأجاب (ره) بأني قلدت قبل بلوغي سن التكليف المرحوم الشيخ محمد رضا آل ياسين ، أما من حين البلوغ فلم أقلد أحداً . ولا اذكر انه قال : كنت من حين البلوغ اعمل برأيي أو قال : كنت بين العمل بالاحتياط والعمل بالرأي^(٣).

الامام أبو القاسم الخوئي :^(٤)

آية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي نجل السيد علي اكبر من أكابر الفقهاء المتأخرين يعترف له الجميع بالفضل .

وكانت ولادته في مدينة خوى التابعة لأذربايجان في النصف من شهر رجب عام (١٣١٧هـ) فنشأ فيها في ظل والده وتحت اشرافه ورعايته ، وفي حدود سنة (١٣٣٠هـ) هاجر به والده الى النجف الأشرف وهو في الثالثة عشر من عمره .

ولما استقر بوالده الحال وجهه الى الدراسة وصرفه لطلب العلوم الشرعية فتوجه اليها السيد ابو القاسم بهمة عالية وجد فريد فاكمل ما يسمى بمرحلة

(١) الشيخ عباس الرميثي بن عبود بن الحاج خلف بن هلال المالكي الرميثي هاجر إلى النجف ودرس المقدمات والسطوح ولازم آية الله الشيخ محمد رضا آل ياسين وبعد وفاته لازم الآية السيد عبد الهادي الشيرازي وقد كان الشيرازي يحمله ويحترمه كثيراً ولما توفي سنة (١٣٧٩هـ/شوال/١٥) قال عنه الشيرازي فقدنا فقيهاً . وقد رثاه الشعراء والأدباء . راجع نقباء البشر ج ٣ ص ١٠٠٤ آغا بزرك الطهراني.

(٢) مباحث الأصول ص ٤٣.

(٣) ن ، م ص ٥٢.

(٤) راجع نقباء البشر ج ١ ص ٧١ آغا بزرك الطهراني.

المقدمات ومرحلة السطوح بجدارة ، ثم حضر الدراسات العليا وهي مرحلة ما يسمى بالبحث الخارج فاختص باعظم علماء عصره كآلآية المحقق الأصولي الشيخ محمد حسين النائيني والمحقق الأصولي الشيخ آقاضياء العراقي والآية الشيخ محمد حسين الكمباني ، وكتب تقارير بحوثهم مثل اجود التقارير في الأصول وتقارير لأبحاث استاذة النائيني وتقارير الفقه وله حاشية على العروة الوثقى في الفقه ، وفي التفسير نفحات الاعجاز والبيان في تفسير القرآن خرج منه مجلد واحد ، وفي علم الرجال له معجم رجال الحديث يقع في ثلاث وعشرين جزءاً .

وما زال منذ عشرات السنين يلقي أبحاثه في الفقه يحضر مجلس درسه أكابر الفقهاء وقد تخرج على يديه عشرات الفقهاء في مقدمة هؤلاء جميعاً الامام الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر. أما علاقة الامام الشهيد (ره) باستاذة الخوئي فيقول الشيخ جعفر المهاجر^(١) الذي صحب الامام الشهيد (ره) لفترة : (وكان له باستاذة علاقة خاصة ، وصفها لي - رحمت الله تعالى عليه - اكثر من مرة وما زلت اذكر منها قوله لي : انه كان يحضر درس استاذة مع بقية الدارسين ، ثم يعود الى التأمل فيما ألقى عليه وكثيراً ما كان يطرق باب استاذة ليلاً ليوذعه مناقشة مكتوبة لأرائه . . . ليعود صباحاً ويتلقى تعليقات استاذة على المناقشة مكتوبة على نفس السورقة ، وقد يتابعان المناقشة قبل خروج الأستاذ الى درس الفقه الصباحي . . .) .

ومع العلم بجلالة السيد الخوئي وعظيم منزلته الفقهية يتبين قدر الامام الشهيد (ره) وهو يومذاك شاب فيجرو على النقض على آراء مثل السيد الخوئي والرد عليها .

ويذكر السيد كاظم الحائري عن أستاذة الامام الشهيد (ره) أنه أورد على أستاذة الخوئي فيما بين الصلاة والدرس - في مسألة من أهم المسائل الأصولية - فأجاب السيد الخوئي بجواب وأجابه السيد الشهيد (ره) بنقض عليه فأجابه

(١) مجلة المطلق اللبنانية مقال تحت عنوان (الشهيد الثالث السيد محمد باقر الصدر) ص ١١٧ عدد

(٢٠) رجب / ١٤٠٢ هـ .

السيد الخوئي بجواب آخر فنقض عليه الشهيد (ره) بنقض آخر وهو لا يزال يجيبه وينقض عليه حتى وصلت النقوض الى السبعة . وأخذ السيد الخوئي يفكر في الجواب غير أن وقت الدرس قد حان فانقطعت النظرة بينهما^(١).

هذه هي طبيعة العلاقة العلمية بين الأستاذ وتلميذه ، أما عن العلاقة التي كانت تربطهما خصوصاً بعد ظهور الامام الشهيد (ره) كمرجع فكانت في أروع الصور وقد ضرب السيد الشهيد (ره) في ذلك المثل الأعلى في احترامه لأستاذه رغم كل الأجواء وطبيعتها التي عاشها هذان العلمان الأستاذ وتلميذه ، فكان السيد الشهيد (ره) لا يذكر السيد الخوئي في مصنفاته وفي مجلس بحثه وحلقته درسه إلا بكلمة السيد الأستاذ.

ومن أروع صور هذه العلاقة ما ينقل^(٢) عن خلق الامام الشهيد (ره) يوم كان بحضرة أستاذه جالساً الى جنبه فدخل السفير الايراني - وكان السيد الشهيد (ره) شاباً - ومما قاله السيد الخوئي للسفير أنه يرغب في تعمير قبر استاذة الشيخ الكمباني فأبدى السفير استعداداً ثم التفت السيد الخوئي للسيد الصدر فقال: نعمل لأساتذتنا كي يعمل السيد الصدر لأستاذه مثل ما عملناه فأجابه الشهيد (ره): عفواً سيدنا أنا خادمكم.

فما لا شك فيه أن الأستاذ الوحيد الذي حضر الامام الشهيد (ره) بحثه ولازم الحضور لديه واختص به هو الامام الخوئي - دام ظله - .

أما خاله آية الشيخ محمد رضا آل ياسين (ره) فانه حضر بحثه لفترة لا تزيد على خمسة أعوام . ومن الجدير بالذكر^(٣) ان الامام الشهيد (ره) حضر أبحاث استاذة الامام الخوئي في الفقه لما يقرب من ثلاثة عشر سنة ابتداء حضوره سنة (١٣٦٥ هـ) اي سنة هجرته من الكاظمية الى النجف وانتهى تحصيلاته سنة (١٣٧٨ هـ).

(١) راجع مباحث الأصول للسيد الحائري ص ٢٠٧ (بحث القطع).

(٢) هذا ما ذكره لنا شفاهاً الشيخ إبراهيم الأنصاري من تلامذة الإمام الشهيد الصدر (ره) وذلك في يوم الأحد ١٠/ صفر/ ١٤٠٨ هـ وكان حاضراً المجلس يومئذٍ وسمع كلام السيد الخوئي عنه.

(٣) مباحث الأصول ص ٤٤.

بينما حضر أبحاث السيد الخوئي الأصولية لما يقرب من أربع عشرة سنة ابتداء
حضوره من نفس تلك السنة وانهى تحصيلاته سنة (١٣٧٩ هـ).

« أخلاق الإمام الصدر وسجاياه »

لم يكن للشهيد الصدر^(١) مدرسة في علم الاخلاق النظري فلم يكتب او يحاضر فيه - وان كان يطمح الى ذلك عندما تصدى لتجديد المناهج في مدرسة النجف وجامعتها الفقهية الكبرى - بيد أن له مدرسته الاخلاقية المتميزة والفريدة من نوعها في عالم الواقع والتطبيق العملي تستحق البحث عن أصولها وخصائصها لتكون نبراس نور وهداية في طريق العلماء والقادة . وما عساني اكتب عن مدرسته الاخلاقية في مثل هذه العجالة سوى شذرات من مصاديق أخلاقية جسدها على أرض الواقع وفي حياته العملية مع أبناء أمته وأبناء نوعه من العلماء .

زهده :

ليس الزهد بمعنى بيع الدنيا وانما هو في كلمة موجزة « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » فلماذا اذن عزف شهيدنا عن الدنيا بشكل يبدو غريباً ؟ ان الهدف الحقيقي وراء عزوفه هذا ليس هو الزهد الكاذب الذي يدعيه الكسالى وما يسمون « بالمقدسين » انما هو زهد علي بن أبي طالب (ع) الذي يخشى ان ينام مبطناً وحوله الجياع من رعيته .

فكان الشهيد الصدر منذ ان لمع نجمه في مدرسة النجف وحتى التقى ربه شهيداً لا يملك سوى ما يقتات به ليومه .

فزواجه من ابنة عمه آية الله السيد صدر الدين كان من موقوفة خصصت لتزويج السادات ، وأداؤه فريضة الحج بمائتي دينار دفعتها اليه دار الفكر للطباعة لقاء حق طبع كتابه « فلسفتنا » .^(١)

(١) جريدة الجهاد العدد (٢٨٤) ١٤/ شعبان/ ١٤٠٧ هـ ص ٧.

يقول السيد كاظم الخائري : « ادركت الاستاذ الشهيد فيها بعد أيام فقره وفاقته حينما كان مدرساً معروفاً في الخوزة العلمية في النجف الأشرف ومع ذلك كان يعاني من الضيق المالي وكان يدرسنا في مقبرة آل ياسين في حرّ الصيف ولم تكن وسيلة تبريد في تلك المقبرة ولم يكن يمتلك وسيلة تبريد في بيته وكان المتعارف وقتئذ في النجف الأشرف عدم وجود عطلة صيفية لطلاب الخوزة العلمية فكان الطلبة يدرسون حتى في قلب الحر الشديد .

ولا أنسى ان المرحوم السيد عبد الغني الأردبيلي - رحمه الله - تشرف ذات يوم بخدمته في بيته الواقع في محلة العمارة فيما بعد الزقاق المسمى بـ (عقد السلام) وقال له : إن الحر شديد وطلابك يعانون من الحر في ساعة الدرس في مقبرة آل ياسين فأذن لنا بشراء (مبردة) نضعها في المقبرة لتبريد الجو ، ولي صديق من التركمان في شمال العراق من بياع المبردات وهو مستعد لتزويدكم بمبردة بسعر الكلفة وهو سعر يسير ويقسط السعر عليكم أشهراً عديدة لا يأخذ منكم في كل شهر عدا دينارين فسكت استاذنا الشهيد(ره) خجلاً وحياءً من أن يقول ان وضعي الاقتصادي لا يسمح بهذا ولكن المرحوم السيد عبد الغني اعتقد ان السكوت من الرضا فاستورد مبردة ووضعها في المقبرة ثم أخبر استاذنا الشهيد بما فعل فرأيت وجه استاذنا قد تغير حيرة في كيفية دفع هذا المبلغ اليسير الا ان المرحوم السيد عبد الغني(ره) لم ينتبه الى ذلك ، وعلى أي حال فقد التزم استاذنا الشهيد بدفع المبلغ^(١) »

ينقل خادم الشهيد عن ملبسه ومأكله يقول «دخلت عليه صباح أحد الأيام لآتيه بفطوره فرأيت يأكُل صمونة يابسة كنت قد جلبتها منذ اسبوع فلما رأيته استحي ودار وجهه الشريف . . . وأما من ناحية اثاث البيت وفراشه فلا يوجد شيء جديد إلا ما كان موجوداً في أيام زواجه (ره) وتلاحظ عباءته فهي الأخرى قديمة مضت عليها السنون»^(٢) .

(١) مقدمة الباحث ص ٤٨ .

(٢) جريدة الشهادة العدد (٢٠٢) ٨/ شعبان/ ١٤٠٧ هـ .

السيد عبد الرحيم الشوكي هو الآخر يقول « بعثت أحد الأشخاص الى السيد الشهيد عندما كنت وكيله وأعطيت له بعضاً من الأموال ليدفعها الى السيد(ره) ففعل غير ان السيد الشهيد أرجعها اليه ثانية بعد أن رفع منها ديناراً واحداً فتعجب هذا الشخص فسأله عن عدم قبوله للمال فأجابه فرقه على من تعرفون من الطلاب المعوزين ، فقال له : فلم رفعت منه ديناراً فقط قال : هذا هو ما يكفيني ليومي وان الذي رزقني ليومي هذا سيرزقني لغد(١) » .

فعرّف عن الدنيا مواساة للضعفاء والفقراء والبايسين انطلاقاً من موقعه القيادي في الأمة والمجتمع ليكون لهم على الدوام ظهيراً .

ومن أجل الصور وأروعها وهو يداعب طفله التي ترى بين يدي ابنيها الأموال التي تجبى له وهو محروم منها فيقول لها : ان هذه الأموال ليست لنا وانما هي أمانة عندنا ترجع الى المسلمين ولا يمكننا التصرف بها كيفما نشاء وأنى نشاء .

وكان يعلم أفراد أسرته كيف يعيشون وهم في موقع المسؤولية والقيادة ليكون الحرمان والمعاناة عن وعي وفي مرضاة الله تعالى .

ولذلك كان يرفض السيد (ره) الهدايا التي تعارف الكثير من أبناء الأمة تقديمها الى العلماء تكريماً لهم واعانة لهم على حياتهم ولتفرغهم في تحصيل العلم ، فكان الشهيد(ره) يحاول ان يخلق من هذه الدوافع عند هؤلاء المتبرعين دوافع اسلامية خالصة بعيدة عن آجواء المودة العاطفية والصداقة المجردة والهوى القلق فيحثهم على توجيه هذه الأموال الى ما ينفع الأمة بشكل عام كبناء المدارس والمساجد والمؤسسات الاجتماعية وتوظيفها في خدمة الجميع ، ولذلك كله عمد السيد الشهيد الى عدم قبول الدار والسيارة وغيرها التي تقدم اليه فيصرفها الى موارد ووجوه اخرى ، ومن الطريف ما ينقله(٢) أحد تلاميذه انه سأل الاستاذ

(١) في حديث للسيد عبد الرحيم الشوكي بتاريخ ٨/ شعبان/ ١٤٠٧هـ في مسجد أرك بطهران .

(٢) جريدة الجهاد العدد (٢٨٤) ١٤/ شعبان/ ١٤٠٧هـ ص ٧

الشهيد : فقال سيدنا هل تملكون منزلاً ؟ فاجابه : نعم فقال : اين موقعه ؟ فقال له السيد الشهيد : في الجنة انشاء الله .

نكران الذات :

لعل خصيصة نكران الذات من الخصائص التي قلما يقوى أحد على التحلي بها خاصة في الأوساط العلمية والعلمائية وبين صفوف الزعماء والقادة لأن غريزة حب الذات من اقوى الغرائز وأشدّها لدى الانسان بل لعلّها أم الغرائز .

ولم يقو على هذه الغريزة الا نفر محدود وهو ما ندر في تاريخ العلماء والمسيرة الانسانية تنم عن عظمة هؤلاء النفر .

ومن هؤلاء شهيدنا السيد الصدر(ره)الذي عاش من أجل الرسالة فلم يعبأ بغرائز النفس وطموحاتها فتجرد عن المظاهر السطحية لينشغل بالمهام الكبيرة والصعبة التي تعترض مسيرة بناء الأجيال المسلمة فانكر ذاته وتنازل عن كل شيء حينما تقف هذه الأمور في طريق البناء لتعكّر صفوف المسيرة ورسالتها ، فالاسماء والألقاب والجاه والمظاهر الزائفة لا تعني شيئاً في القاموس الصدري بل حتى الأمور الكبيرة التي تهّم الأمة تنازل عنها الشهيد الصدر(ره) أحياناً لمصلحة الأمة ، فالمرجعية التي تعدّ من أهم الأمور من أجل قيادة الأمة واصلاح ما فسد فيها كانت هدف السيد الصدر(ره) ليكون أقدر على قيادة المسيرة واصلاح شؤون المسلمين بيد أنه لما ظهر له ان ثمة صعوبات في الطريق لا يمكن تجاوزها الا بإثقال الأمة بالخلافات والمنازعات الجانبية عزف عنها واختار الطريق الأصح وبأسلوب هادئ وتخطيط واع وسليم . فعندما دعا السيد مير محمد القزويني لمرجعية الشهيد الصدر في البصرة - في ظروف لم تسمح لذلك - التمسّه الشهيد(ره) وبأصرار بعدم الدعوة لذلك^(١) ، بل أنه وفي أواخر أيامه كان حذراً هادئاً في قيادة الأمة كيلا يغضب ويزعج ممن حوله .

(١) راجع الشاهد الشهيد ص ١٠٨ . بقلم ع . نجف .

ويوم صدر كتابه القيم (اقتصادنا) غلف إحدى دور النشر في بيروت كتاب (اقتصادنا) بغلاف يحمل صورته ونبذة من حياته فأمر السيد الشهيد (ره) كاتب هذه السطور ان يتفق مع الموزع - قاسم الرجب - على نزع هذا الغلاف قبل بيعه^(١) .

ومن المصاديق الرائعة التي جسدها الامام الشهيد (ره) ما ينقله السيد كاظم الحائري يقول « حدثني - رحمه الله - ذات يوم : انه حينما كتب كتاب (فلسفتنا) أراد طبعه باسم جماعة العلماء في النجف الأشرف بعد عرضه عليهم متنازلاً عن حقه في وضع اسمه الشريف على هذا الكتاب الا أن الذي منعه أن جماعة العلماء أرادت اجراء بعض التعديلات في الكتاب وكانت تلك التعديلات غير صحيحة في رأي استاذنا الشهيد ولم يكن يقبل باجرائها فيه فاضطر ان يطبعه باسمه .

قال - رحمه الله - اني حينما طبعت هذا الكتاب لم اكن اعرف انه سيكون له هذا الصيت العظيم في العالم والدوي الكبير في المجتمعات البشرية مما يؤدي الى اشتها من ينسب اليه الكتاب وأنا افكر أحياناً أني لو كنت مطلعاً على ذلك وعلى مدى تأثيره في اعلاء شأن مؤلفه لدى الناس فهل كنت مستعداً لطبعه باسم جماعة العلماء وليس باسمي كما كنت مستعداً لذلك أولاً ؟ وأكاد ابكي خشية اني لو كنت مطلعاً على ذلك لم أكن أستعد لطبعه بغير اسمي^(٢) . »

انه يستصحب الحدث السالف ليمتحن نفسه ويختبر نواياه لثلاث تحيد عن الطريق الذي اختاره وليكشف عن مدى استعدادده للتنازل عن ذاته من أجل الهدف الاسمي والغاية الأرفع .

ويدفعه^(٣) ممن كان حوله لترجم نفسه وذلك بكتابة مذكراته بخطه وقلمه كي لا تضيع وتحرم الأمة تجاربه العلمية والسياسية والاجتماعية . . وهو أمر سائع

(١) راجع المرجعية الشهدية ص ٣٢ السيد حسين الصدر .

(٢) مقدمة مباحث الأصول ص ٤٥ .

(٣) جريدة الجهاد العدد (٢٣٢) ٢٧ / رجب / ١٤٠٦ هـ على لسان الشيخ محمد رضا النعماني .

ليس فيه بأس بل أصبح اليوم امرأً طبيعياً جداً فيعمد العلماء ورجال السياسة لكتابة مذكراتهم وتجاربهم ، غير ان شهيدنا الكبير - وان كان الأمر سائغاً - يعتذر بأن المجتمع - يقصد مجتمع الحوزة - لا يستسيغ هذا اللون من التعريف وقد يفسره بأنه لون من الهوى وحب الشهوة^(١) .

شجاعته :

أما شجاعته فهي مما ورثه الامام الشهيد(ره) عن أجداده الطاهرين (ع) فتجده لا يعبأ في مقارعة الظالمين بقسوتهم وشدة بطشهم وفتكهم ولا يخاف ما يؤول اليه مصيره ما دام ذلك في ذات الله وفي مرضاته وفي سبيل اعلاء كلمته ففي الظروف الحرجة التي تَعَزُّ فيها النفس يبادر السيد الصدر للتضحية ويستترخص النفس ، وفي اليوم الذي تبلغ القلوب الحناجر ويلوذ الجميع الى الصمت مخافة بطش الحاكمين يرفع الشهيد عقيرته مستنكراً الظلم ويتحدى جلاوزة الظالمين فيوم كان المد الأحمر يغزو الشارع العراقي يفتك بكل من يعارض يتصدى الشهيد الصدر(ره) للرد على الافكار الاحادية بكل موضوعية وفي الوقت الذي يخشى ان يصادر الكتاب وهو في طريقه الى المطبعة .

وأفصح عن شجاعته وبطولته في وقفته الجريئة ضد الحكم العفلقى فحارت السلطات فيه وهي تتردد في البطش لطبيعة المواجهة يومذاك حتى انتصرت الثورة الاسلامية في ايران بقيادة الامام الخميني فأعلن الامام الصدر بجرأة فائقة عن تأييده لها فأذهب عن قلوب ابناء الأمة الاسلامية صداً الخوف فعرف الاستكبار كله ان العائق الوحيد الذي يقف في طريقه هو الامام الصدر فلا بد من تصفيته بأي شكل من الاشكال وادرك الامام الصدر عظم المسؤولية والمخاطر التي سيتعرض لها والمعاناة والمطاردة بل القتل الذي ينتظره فاختر كل ذلك بعزم وإرادة صلبة .

(١) لقد ترجم الكثير من العلماء أنفسهم وهو أمر يكاد يتفق الجميع على كونه طبيعياً غير ان الأجواء التي كانت تحيط بالسيد الشهيد(ره) لا تسمح بذلك فهو يخشى التشهير به .

وتتردد شائعة بين اوساط المؤمنين مفادها ان موآمرة تحاك للقضاء على
نخض الامام الصدر^(هـ) بشكل هادىء لا يثير الشكوك ضد السلطات فتدبر ضده
حادث سيارة وهو في طريقه لزيارة الامام الحسين (ع) في كربلاء .

وعلى اثر هذه الشائعة سارع احد العلماء للتعبير عن قلق المؤمنين فأخبر
السيد الشهيد^(هـ) وحذره من كيد السلطة وموآمراتها فقال^(هـ) « لا يهمني بأي طريقة
أموت لأن الموت واحد ولا فرق عندي بين ان أموت بحادث سيارة أو بطلقة أو على
الوسادة »^(١) .

ولما طلب من السيد الشهيد^(هـ) ادانة الثورة الاسلامية والتعرض بسوء
لشخص قائدها الامام الحميني قال السيد الشهيد مخاطباً ضابط الأمن « لقد كان
هدي وأمني في حياتي تأسيس حكومة اسلامية وآلآن وقد تأسست في ايران
وتحققت أمني فكيف اقول شيئاً ضدها ؟

وعندما قال له الضابط بأنه سيعدم قال له السيد الشهيد : اذا كنت مأموراً
بتنفيذ حكم الاعدام فننذه الآن وأنا انتظر الاعدام منذ فترة والشهادة طريق آبائي
وأجدادي فما كان من ضابط الأمن إلا أن بكى وقبل يد السيد الشهيد^(٢) .

تواضعه :

وما اشتهر به الامام الشهيد^(هـ) تواضعه الذي قل نظيره لدى العلماء من
امثاله ويقف المرء حائراً امام مثل هذا التواضع وبدون تكلف وتصنع ، مع الصغير
والكبير ، مع العالم والجاهل ، مع مختلف طبقات المجتمع وشرائحه .

ويبدو ان هذه الخصلة كانت تلازم شهيدنا^(هـ) منذ طفولته ، فالمعلم الذي
أشرف على تعليمه يوم كان في منتدى النشر الابتدائية - في الكاظمية - شعر الى
جانب نبوغه وذكائه المفرط أمراً غريباً هو التواضع فيقول : (. . وما وجدته يوماً

(١) جريدة الجهاد العدد (٢٨٣) ٧/ شعبان/ ١٤٠٧ هـ ص ٩ على لسان السيد حسين الحسيني .

(٢) جريدة الجهاد العدد (١٣١) ٧/ رجب/ ١٤٠٤ ص ٥ في حديث للسيد كاظم الحائري .

وقد ارتكبه الغرور واطغى عليه العجب بنفسه او تعالى على زملائه التلاميذ مما عنده من علم ومعرفة . . (١)

فهو مع نبوغه الخارق الذي يلفت الأنظار اليه مما يحبه لدى المعلمين وينال احترامهم بشكل يفوق العناية بزملائه لا يأخذه الكبرياء مع ان ذلك امراً لا يكاد يكون غريباً في هذه المرحلة .

ويشتد التواضع كلما اشتد السيد الشهيد (ره) وقوي وكبر حتى اصبح في مراتب العلماء الاعاظم والمراجع الاكابر فلم يأخذ الكبرياء منه مأخذه فظل هو ذاك محمد باقر الوديع الودود يحترم العلماء من اقرانه وانداده ويعطف على من هو دونه ومما يروى عن تواضعه الجم انه سأل أحد تلامذته مسألة فلكية فقال له : افترضوا اني تلميذكم فاشرحوها لي (٢) .

ومن أروع ما جسده الشهيد الصدر في التواضع ما نقل (٣) انه (وصلت الى النجف الأشرف جنازة لميت من المشخاب - من نواحي النجف - ووضعت في الصحن لأجل الصلاة عليها فذهب بعض ذوي المتوفى الى منزل السيد الصدر طالبين منه الصلاة وآخرون الى بيت السيد يوسف الحكيم ولم يعلم كل من هؤلاء بذهاب الاخرين .

والتقى السيد الصدر والسيد يوسف الحكيم عند جنازة المتوفى فتأخر السيد الصدر (ره) وأخذ يلح على السيد يوسف بالتقدم للصلاة ويعتذر له بأنه غير مسبوق بقدمه وابدى اعتذاره الشديد لذلك بخجل وحياء ثم تنحى السيد الصدر جانباً حتى رفعت الجنازة وتفرق الجميع .

ولم يكتف السيد الشهيد الصدر بهذا الاعتذار - مع انه لا يستوجب هذا الأمر اعتذاراً من هذا القبيل مع العلم بأنه كان يومذاك من كبار العلماء ومن رشح

(١) مقدمة الباحث ص ٤٠ .

(٢) جريدة الجهاد العدد (٢٣٢) ٢٧ / رجب / ١٤٠٦ هـ ص ٥ على لسان الشيخ إبراهيم الأنصاري .

(٣) هذا ما نقله الشيخ . .

للمرجعية - فذهب الى منزل السيد يوسف الحكيم ليكرر الاعتذار ويعلن عن اسفه الشديد «ان في هذا الموقف الذي يسجله الشهيد الصدر^(١) مما لا يقدم عليه الا ما ندر . ومثل هذا التواضع والحب اخذت الأمة تصبو اليه مرجعاً وقائداً لأنها وجدت من رسول الله (ص) تواضعه وحيه ورأفته .

عطفه ورأفته :

كان لا يرى^(٢) الا مبتسماً في الضراء والسراء ويتعامل مع من حوله تعاملأً أوبراً وأخوياً حتى مع أولئك الجلاوزة الذين وضعتهم السلطات عيوناً تحصي عليه أنفاسه وتراقب حركاته وسكناته .

ولو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله لكنه كان ودوداً عطوفاً تأوي الى خنائه وعطفه شرائح المجتمع، كبيرهم وصغيرهم، عالمهم وجاهلهم، ويستظلون بظلال رأفته فكان يسبغ عليهم وده وحنانه ورأفته .

فأبوته لطلابه كانت ذات طابع خاص لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحوزات فشمّل طلابه وتلاميذه بعناية خاصة ففي أيام التفسير^(١) التي دامت ستة أيام كان رحمه الله يودع طلبة الحوزة وهو يبكي بكاء شديداً حتى انه كان يودع بعض الطلبة من الذين يعادونه ويسبونه وهو يعلم بذلك لكنه حينها ودعهم كان يبكي بكاء شديداً لفراقهم .

وعرف^(٢) بتفقد احوال طلابه المالية والاجتماعية واحتياجاتهم فكان يراقب ملابسهم ويسأل عن مأكلاتهم لئلا يكونوا في ضيق وفاقة .

ونقل^(٣) ان احد المقربين جاء الى السيد^(٤) واخبره ان في المدرسة الشبرية

(١) قامت السلطات في السبعينات بحملة إخراج العلماء الأجانب من العراق بحجج واهية وذلك للقضاء على المدارس الدينية التي كان الأجانب يشكلون الغالبية فيها .

(٢) جريدة لواء الصدر ص ١٦ / ٩ نيسان / ١٩٨٤ م العدد / ١٤٤ .

- من المدارس الدينية - احد الطلبة لم يذق طعاماً منذ يومين واعتلت على وجه السيد الشهيد كآبة وارتعدت فرائضه وقال صحيح هنا في النجف من الطلبة من هو جائع ؟ لم يذق طعاماً منذ يومين وأنا شبهان . ماذا اقول للامام الحجة ؟ ماذا اجيب ربي يوم القيامة ؟

وعندها ناول هذا الشخص خمسة دنانير وأمره ان يبحث الخطي وان يعتذر اليه وطلب منه ان يستغفر له لأنه لم يكن على علم بحاله .

ولم يكن هذا العطف والود حكراً على طلبته وتلاميذه بل يتعدى الى غيرهم من الضعفاء فينقل خادمه انه في يوم زفافه حضر الامام الشهيد(ره) ومعه تلاميذه فتكلم الامام(ره) بالمدعويين قائلاً : بانني مبتهج بهذا الزواج وكأنه زواج ابني .

ولم يقتصر الشهيد على تلبية دعوة خادمه لحضور زفافه بل اطال الجلوس عنده ليشعره الحنان والعطف الذي تعودته منه وعرفه عنه .

والجميل من شهيدنا (ره) انه لا يشمل العناية والعطف من حوله وحسب بل يشعرهم عطفه هذا وهم على البعد ، فكثير من العلماء من يسبغ على من حوله الرعاية غير انه سرعان ما يشغل عنهم اذا ابتعدوا عنه فلم يعد يذكرهم أو يحاول ان يتذكرهم .

أما الامام الصدر(ره) فليس كذلك ان عطفه ورعايته اوسع نطاقاً واكثر امتداداً فعطفه يطارد احبته ان ذهبوا وان كانوا .

وقدر لخادمه هذا ان يهاجر من العراق وابتعد عنه مخدومه بل حبيبه فلم تنصل علاقتها فيواصل الشهيد(ره) رعايته له بين الحين والآخر .

ومن اجمل مصاديق هذه الرعاية والعطف رسالة كتبها لخادمه هذا تنقلها بالنص لما فيها من دلالات تعكس عظمة الامام الصدر وعلو شأنه .

كتب له بتاريخ ١٥ / محرم الحرام / ١٣٩٦ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم : جناب الوفي الزكي الصفي والزمن المهاب

التقي محمد علي حرسه الله بعينه التي لا تنام .

السلام عليكم ورحمته وبركاته
وبعد فقد تسلمت رسالتكم الكريمة وكنت في تلهف للاطلاع على
احوالكم واستقراركم ففرحت بالرسالة كثيراً وحمدت المولى سبحانه وتعالى
على وصولكم وسائر افراد العائلة صحيحين سالمين وعلم الله أن ذكرك
وصورتك في قلبي والبراني^(١) بكل ما فيه يذكرك وبنيك وامانتك افانت لم تكن
خادماً للبراني وإنما كنت ابناً من ابنائه البارين وولداً من أولاده المخلصين أعادك
الله إليه على أفضل حال بجاه محمد وآله الأطهار وإني على أي حال وفي جميع
الأحوال حاضر لما أقدر عليه من عونك ومساعدتك وإن ولدنا آقاي أبو أحمد
حفظه الله يمكنك أن تلجأ إليه كلما احتجت إليّ .

ان الرفقاء والعائلة جميعاً يذكرونك بأفضل الذكر واعطره ويشعرون
بالوحشة لسفرك وولدنا محمد جعفر^(٢) حينما اطلع على ان الرسالة منك أهوى
عليها بقمه وامتد يقبلها وهو يناديك وقلبه الصغير ممتلي حباً ووفاءً لك وثناءً
عليك .

ارجو ان لا تقطع اخبارك عنا لنكون في اطمئنان عليك وعلى صحتك
واستقرارك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى والدكم الجليل وعلى سائر
اخوتكم ومن يتعلق بكم خصوصاً اخيكم الكبير ثقة الاسلام الشيخ حسن علي
محقق حفظه الله ورعاه .

وفي الحقيقة ان ما تذكرونه ايها الأوفياء من الشكر لا موجب له فانا لم نقم
الا بما يجب . وفقنا الله تعالى لخدمتكم جميعاً سبغ عليكم من نعمه وآلائه وبركاته
ما هو أهل لذلك وهو أرحم الراحمين .^(٣)
محمد باقر الصدر

(١) البراني باللهجة العراقية يعني الغرفة التي تعد لاستقبال الضيوف وكان يجتمع في هذه الغرفة
السيد الشهيد ومن حوله محبيه وتلاميذته في أوقات خاصة .

(٢) محمد جعفر نجل الإمام الشهيد الصدر (ره) وليس له من الذكور غيره .

(٣) نشرت الرسالة بخط يد السيد الشهيد في جريدة الشهادة العدد (٢٠٢) السنة الخامسة بتاريخ

٨/ شعبان/ ١٤٠٧ هـ ص ٢ وهي بحق تستحق أن تدون في التأريخ .

هذه صورة حية من صور عطفه مع محبيه ، بيد ان عطفه هذا لم يقتصر على هؤلاء النفر وهذه الطائفة فأخذ يمتد ليشمل اعداءه من الجلاوزة الذين يتربصون به اولئك عيون السلطة وجواسيسها ، فلم يحقد عليهم بل يتألم لوضعهم مثله مثل اجداده الطاهرين .

ومن ذلك ما ينقله الشيخ محمد رضا النعماني الذي لازمه في ايام الحصار والاقامة الجبرية يقول : (. . . فلقد سمعته مرة يكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله . . . ولما استوضحته علمت انه نظر من الشباك فرأى رجال الأمن ممن كان مكلفاً بالحراسة على بيته في اقامته الجبرية عطاشى يتصبب العرق من وجوههم فأمر الخادم بأن يسقيهم الماء . ولما قلت له سيدنا هؤلاء يستحقون اكثر من ذلك قال : انت واي طالب آخر عندما توضع هذه العمامة عل رأسه يجب ان يغير نظرتة للناس « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » . انت عشت في بيثة مؤمنة فصرت مؤمناً ولو ان المجتمع اتاح هؤلاء الفرصة لكانوا مثلك ومثل اي مؤمن آخر، وما يدريك ان يأتي وقت يهتدون فيه . . .

ثم يقول الشيخ النعماني : ان هذا الخلق الرفيع خلق لدى هؤلاء شعوراً بمظلومية السيد الشهيد^(٥) فقاموا بكتابة المنشورات ضد السلطة والصقوها على الجدران فشعرت بهم السلطات فألقت القبض عليهم^(٦) .

تسامحه :

والتسامح مَعْلَمٌ آخر من معالم مدرسته الأخلاقية في عالم الواقع فكثير ما سبيء البعض اليه وعن قصد احياناً فيرد عليهم بالصبر الجميل والتسامح لأن الامام الصدر^(٧) كان قد وظف كل امكاناته من اجل هدف اسمى هو بناء المدرسة الاسلامية والأجيال المسلمة لذلك لم يعبأ بما ينال شخصه فيعرض عنهم بسماحته وعفوه .

(١) جريدة الجهاد العدد/٢٣٢/٢٧/رجب/١٤٠٦ ص ٥ .

وقد اشتهر عنه الكثير من تسامحه منها ما نقله السيد الحائري أنه (انفصل احد طلابه عن درسه وعن خطه الفكري الاسلامي ثم بدأ يشتمه وينال منه في غيابه امام الناس وكان كثير من كلماته تصل الى مسامع استاذنا العظيم وكنت - السيد الحائري - ذات يوم جالساً بحضرة الشريفة فجرى الكلام عن هذا الطالب الذي ذكرناه فقال^(١) : انا لا زلت اعتقد بعدالة هذا الشخص وان ما يصدر منه ناتج عن خطأ في اعتقاده وليس ناتجاً عن عدم مبالاته بالدين)^(٢) .

فلم يكف الامام الصدر بسماحته تجاه هذا الشخص بل انه فسر كلامه بطريق يتناسب مع حمل عمل المسلم على الصحة واعتذر عنه وبرر له عمله .

وتحدث ذات يوم مشكلة يبعث اثرها احد الطلاب رسالة للامام الصدر فيها من الاساءة ما لا يمكن الاعراض عنه وهو ينال من شخص الامام ويتعرض لكرامته فيقرأ السيد الصدر الرسالة في مجلس بحثه دون ان يذكر اسم هذا الطالب ويعلق عليها بشيء من الكلام ثم يحاول ان يشعر كاتبها الحب والمودة والاجلال وانه موضع احترام السيد الصدر رغم ما صدر منه وانه يفسر هذه السطور التي كتبها بشكل هاديء مما دعا هذا الطالب الى ان يتعرف على الامام الصدر ويكتشف عظمته في هذا الموقف فيصبح فيما بعد من ابرز طلبته وتلامذته وفي مقدمتهم .

احترام الآخرين :

ومن ابرز ملامح شخصيته^(٣) احترامه لآراء الآخرين وعدم الاستهانة بهم والسخرية بما يتوصلون اليه من نتائج حتى لو كانت تلك النتائج تخاطئة بدرجة عالية من الوضوح . وهذا ما ينفرده به الشهيد فقد تعارف لدى اكثر علمائنا الأعلام - مع ما هم عليه من خلق رفيع - انهم يوصمون افكار مخالفهم بالجهل وعدم الوضوح فاذا اختلف عالم مع نظيره فانه يوصم فكرته وما توصل اليه بالسخف او أنه مما يضحك الثكلى (كما علق احدهم على استدلال بعض العلماء على ولاية

(١) مقدمة المباحث ص ٤٦ .

الفقيه أو ان ما توصل اليه مما لا يصدر عن له ادنى معرفة .

ومن الطريف جداً أن احد اكبر علماء الأصول يعلق على افكار نظيره الذي عاصره فيقول بعد نقل آرائه : هذا ما ينسب الى بعض من يدعي العلم .

أما شهيدنا الصدر^(٢٠) فلا يعمد الى مصادرة آراء الغير ولا يثير عليها بمثل ذلك بل يثني على العلماء وان كان يرى خطأ آرائهم ويشيد بجهودهم ومن أروع مصاديق احترامه هذا ما كتبه في مقدمة كتابه (غاية الفكر في الأصول) الذي كتبه وهو ما زال في عنفوان الشباب وقد خالف فيه المشهور من كلمات العلماء كتب يقول : (. . . ولئن كان أكثر مطالب هذا الكتاب مخالفاً لما هو المسموع من الكلمات فليس ذلك لأنني قد أهتذيت إلى ما لا يصل إليه الاساتذة والاكابر ، وهيئات لذهني القاصر ان يرتفع الى ذلك وانما هو لأنني لم أوفق للعروج الى آفاق تفكيرهم ومجاراتهم في انظارهم الدقيقة وكل رجائي من المولى سبحانه ان يشملني بعنايته ولطفه ويوفقني لاقتفاء اثرهم ويعدني للتشرف باتباع خطواتهم المباركة . .) .

التنقد الذاتي :

لقد عرف بين الاوساط العلمائية انهم في حديثهم عن النكسة التي انقلت المسيرة الاسلامية لا يبحثون عن اخطائهم فيعمدون دائماً الى البحث عن اخطاء الأمة والقاء اللائمة عليها فمثلهم كمن ينظر الى الناس فيطلع عليهم دون ان يطلعوا عليه .

أما الشهيد الصدر^(ره) فلم ير في الأمة سبباً للانتكاسة دون القيادة بل وجده فيهما معاً، ويرى ان على العلماء ان يفتشوا في اخطائهم قبل ان يفتشوا عن اخطاء الأمة ولذلك اخذ يربي تلامذته ويؤكد لهم ضرورة تغيير نظرة العلماء لآبناء الأمة .

والشاهد الصدر^(ره) أول من أطاق اللثام عن السبب الحقيقي وراء الانفصال بين القواعد الشعبية والقيادة الاسلامية فلم يفسره بخيانة هذه القواعد - وان كانت تتحمل جزءاً من المسؤولية - بل عمد الى الكشف عنه وذلك في محاضراته التي

القاها عن المحنة ومحاضراته التي القاها عن الدور التاريخي للمرجعية ، فوجد ان الخطأ يكمن في طبيعة العلاقة بين القواعد الشعبية وقيادتها الاسلامية لأن الأوساط العلمائية لا تتعامل مع هذه القواعد بل تتعامل مع اجدادها الأموات لذلك قرر البحث عن وسائل جديدة تناسب مع الظروف التي تعيشها هذه القواعد .

وبذلك يكون الشهيد الصدر قد سن سنة حسنة الا وهي « النقد الذاتي » الذي يقوم به العلماء للكشف عن مدى الانسجام بينهم وبين قواعدهم الشعبية ومدى نجاح اساليبهم في المجتمع وما تحققة من نتائج مرضية .

مظلومية الشهيد الصدر

الحديث عن مظلومية الامام الشهيد(ره) حديث ذو شجون لأنه حديث عن مظلوميته بين قومه وابناء نوعه واخوته وممن يعرف قدره وعلو شأنه .

انه الحديث الذي يدمي القلوب ويستثير المشاعر وتقشعر له الابدان فكيف يسوغ هؤلاء الحفنة ممن يتزي بالدين ويستتر به ويتظاهر بالدفاع عنه مناصبة هذا العالم الجليل مع معرفتهم به واطلاعهم على شخصيته الفريدة وما يتمتع به من علم واخلاق وشرف وجلالة وورع وتقوى .

انه(ره) كان لا يعبأ بالسلطة الغاشمة ومؤامراتها بقدر ما يخشى كيد هؤلاء النفر وهو الثلة التي دأبت على محاربته حتى اصبحت شريكة في دمه .

وكان(ره) يحاول ان لا يثير هذه الحفنة وهو يغفر لها ما تقترفه بحقه كاظماً غيظه علماً تفيق من سباتها وتخرج من شباك الشيطان التي ينسجها لهم واغراهم باعمالهم هذه وزينها في انظارهم .

وتترامى الاتهامات والاكاذيب الى مسامع شهيدنا(ره) ويصبر على ذلك وهو يتأوه ويتوجع دون ان يظهره للامة او يحاول استثماره لمحاربة خصومه هؤلاء حتى انه كتب رسالة لأحد تلامذته^(١) يصف له نفسه قائلاً : « ان مثلي مثل الشجرة جذرها منخور واغصانها وارفة الظلال مثمرة » فهو يشير الى ما حققه في مسيرته العلمية والجهادية رغم ما يتعرض له من هنا وهناك .

ولم يكتف هؤلاء الحفنة باعلان الحرب ضده بل عمدوا الى مصادرة كل

(١) الرسالة موجهة إلى السيد كاظم الخائري .

معلم من معالم مدرسته لتشويه شخصه لدى اوساط المجتمع ولذلك تحاول ان تسخف آراءه وتسخر منها وهي تعلم بمكانة افكاره وآرائه فحاول بعضهم ان يوحى للعوام من الناس ان افكار السيد الشهيد(ره) وكتبه ليست على درجة من الاهمية ولو كان السيد قد اهتم بمجالات غير الفلسفة والاقتصاد لكان نفعه اعظم بل وصف آخرون منهم كتبه انها فكر جرائد وصحف . وفي كل هذه الاتهامات يحاولون اخفاء الطابع الشمولي لمدرسته فهم لا يتعرضون الى ما كتبه في الفقه والاصول وما شيده في هذا المضمار من نظريات فقهية واصولية تعد من أروع ما توصل اليه الفكر الفقهي والاصولي .

ولم تقتصر هذه الحرب على مستوى اشارة الشكوك والاتهامات وحسب حول كتبه وابحاثه بل قوطعت من قبل هؤلاء واخذوا يلاحقون من يقرأها والتضييق عليه في امور معيشته وقطع مرتبه فيضطر الى التراجع احياناً .

ومن المخزي جداً ان كتاب « دروس في علم الأصول » الذي يعد من اروع المناهج التدريسية في علم الأصول التي كتبها الشهيد الصدر بأسلوب علمي متين ولغة علمية جديدة وضمن حلقات ثلاث لم يجرؤ أحد على تدريسها سوى ثلاثة من أبرز تلامذته حتى نقل ان احدهم شرع في تدريس هذه الحلقات في سرداب مدرسة القزويني وبتكتم شديد خشية من ذويه واصدقائه .

وفي يوم من الأيام شرع الامام الشهيد بحثه في مسألة فقهية (من كان سفره اكثر من حضره) ثم عقب على ذلك بقوله : اني اصبح مرضي اكثر من صحتي وقد أدبت ردحاً من الزمن دور التدريس العلمي وتربية الطلاب وقد داهمتني اليوم عوارض الشيخوخة والامراض فعليكم ان تبحثوا عن استاذ غيري تواصلون عنده الدرس .

وقد كان اعلان الامام الشهيد(ره) تعطيل درسه طامة كبرى لطلابه فهرع كل واحد منهم يلتمس استاذه بخضوع ورجاء وبكاء ، غير انه (ره) لم يزل مصراً على رأيه .

وفي مجلس التعزية الذي كان يعقده الامام(ره) اسبوعياً في منزله وكان يومئذ حاشداً لأن الجميع يحاول ان يراقب الموقف عن قرب ، وكان يومها قد

حضر المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية (ره) ذلك المجلس - وكان في زيارة للعراق - فاستثمر ذلك الوقت للحديث مع السيد الصدر (ره) معاتباً إياه على هذا القرار :

وأصر الشيخ مغنية على معرفة الدوافع لهذا القرار وحاول الامام (ره) التزام الكتمان دون جدوى فانفجر البركان في صدره ليعلن عما في نفسه من آهات وآهات . . طالما غصّ الطرف عنها وكظم غيظه وتلقاها بصدر رحب ، ولكن التماذي بمثل هذه المنكرات أفقد الامام صبره ليتخذ قراره في الكشف عما يلاقيه ويتعرض له .

وعندها انطلق الامام الشهيد (ره) يميظ اللثام عن الصيغ المتنوعة التي يستخدمها هؤلاء النفر وهذه الحفنة من توجيه التهم والباطيل لشخصه والتعرض لطلابه مما يضطرهم الى ترك الحضور لديه خوفاً من هذه التهم التي تنالهم ويتعرضون لها في الطرقات والمجالس والمحافل فيلجأ بعض طلبته الى سماع أشرطة التسجيل التي تسجل البحوث التي يلقيها الامام الشهيد (ره) ويستعيض بسماعها عن حضور الدرس وتكفيه شر هذه الحرب الشعواء التي يثيرها هؤلاء .

ومما ذكره السيد الشهيد (ره) كمصدق من مصاديق هذه المحاربة انه جاءه طالب لم يحضر سوى ليوم واحد فقط مجلس بحثه فاذا به يواجه التحذير والتنديد به لأكثر من مرة من قبل بعض ابناء الحوزة قبل موعد الدرس لليوم القابل مما اضطره ان يعزم على ترك الحضور مخافة هذه التحذيرات والتنديد به .

انها شقشقة هدرت ثم استقرت وسرعان ما كظم غيظه دون ان يتخلى عن قراره لأنه يهدف الى معالجة هذا الوضع بطريقة يمكن ان تشل نشاط هذه الحفنة ولذلك لم يقتنع بحديث الشيخ مغنية رحمه الله حينما حاول اقناعه بالتخلي عن قراره والرجوع الى التدريس .

ووصل الى مسامع الامام الخوئي نبأ قرار السيد الشهيد (ره) واصراراه على ذلك وعكف السيد الخوئي على تلطيف الأجواء والحيلولة دون اصرار السيد الشهيد فبعث بعض الأفاضل من تلامذته ودارت مناقشات بين السيد الشهيد

ومبعوث السيد الخوئي اسحق فياض احد افاضل الحوزة وقد تخلى السيد الشهيد(ره) عن قراره اثر هذه المباحثات^(١) . ويبدو ان السيد الصدر(ره) لم يقصد الاستمرار في تعطيل درسه وانما كان يروم وضع حدود لما تثيره هذه الحفنة عندما يتصدى السيد الخوئي للتعرف على مصدر هذه الاتهامات والباطيل ولا بد انه يحول دون استمرارها وهذا ما يريده السيد الشهيد(ره) لذلك سرعان ما رجع الى التدريس بعد المباحثات التي اجراها مع مبعوثي السيد الخوئي .

والحقيقة ان هناك دوافع شخصية وسياسية وعائلية تختفي وراء هذه الحملات المسعورة من اكاالة التهم والباطيل ضد السيد الشهيد(ره) وطلابه ومدرسته ومحبيه ومريديه ومطاردتهم والتضييق عليهم .

فمن هذه الدوافع الحسد الذي يكثر في أوساط العلماء وتساهم في خلقه بطانة كل عالم بما ترميه الى مسامحه عن العالم الآخر . ومن المؤسف جداً أن هذا المرض ينتشر بشكل غريب في هذه الأوساط ولا تترفع عنه حتى المقامات العالية من العلماء الذين لا يليق بهم ذلك وهناك من الشواهد ما تجعل القارئ في حيرة من أمره .

وكان هذا المرض دافعاً رئيسياً في كثير من الخصومات والمقاطعات التي تحصل بين العلماء فقد نقل ان العالم الكبير شريف المازندراني كان يحضر بحث احد ابرز العلماء يومئذ في كربلاء فلما قدم الشيخ موسى كاشف الغطاء كربلاء حضر مجلس بحثه في الفقه فاعرض عنه استاذة السابق لحضوره بحث الشيخ كاشف الغطاء فحاول الشريف المازندراني اقناعه فلم يستجب له .

وهذا المرض الخطير كان دافعاً كبيراً لاعلان الحرب الكلامية وغيرها ضد السيد الشهيد فقد وجد هؤلاء في شخص الامام الصدر(ره) ما يهدد كياناتهم التي شيدها بالخداع والتضليل ، فهم يعرفون رفيع منزلته العلمية وعلو همته وصدق لسانه وعظيم قدراته في مستويات ومجالات كثيرة مما يجعلهم يخسرون كثيراً من مواقعهم في المجتمع رغم ان الامام الصدر لم يحاول ان يهدد كياناتهم

(١) جريدة الجهاد ص ٧ العدد ٢٣٣ / ٤ شعبان ١٤٠٦ هـ ، والعدد ٢٨٣ / ٧ شعبان ١٤٠٧ هـ ،

وفي حديث خاص للسيد علي أكبر الخائري مساء الثلاثاء ١٤ / ج ١ / ١٤٠٨ هـ .

بشكل مقصود ومتعمد لكنهم ادركوا ان هذه المؤهلات في شخصه كافية لأن تهددهم وتدمر الوجودات الوهمية التي عاشت على موائد الاسلام دون ان تقدم من أجله شيئاً يعود بالنفع له .

ومن الدوافع ايضاً الدوافع العائلية فان هناك عوائل علمية دينية تحاول احتكار الزعامة الدينية في علمائها وتحول دون إفلاتها فكانت كثيراً من المؤسسات الدينية كالمساجد والمدارس العلمية بل حتى المرجعية الذي يعد المؤسسة القيادية والسلطة السياسية والدينية باتت الوراثة تتحكم بها .

ومن المعروف ان السيد الصدر^(٥) من ابرز العوائل العلمية الدينية التي ساهمت مساهمة فعلية في بناء المدارس العلمية في اكثر من موقع - كما تقدم - وهذا ما يجعل العوائل التي هي في موقع محمود في خطر جاد يهدد وجوداتها رغم علمهم بتقوى الامام الصدر^(٥) التي تمنعه من التفكير بذلك الا انهم كما قلنا يعرفون ان مؤهلاته تكفي - وان لم يقصد - لنيل ذلك .

فهؤلاء يخشون ان تصير المرجعية يوماً الى وهذا يعني الكارثة بل الانتحار لأن صيرورة المرجعية بيده تعني اعدام الخط الهزيل والمتخاذل الذي يعيش على حساب الدين لذلك يفكر هؤلاء باسلوبين يكمل احدهما الآخر .

الاسلوب الاول هو تشويه شخصية الامام الصدر في انظار المجتمع وذلك باشاعة التهم والباطيل او اضعاف مدرسته عبر مطاردة تلامذته ومريديه وجعلهم في زاوية من الاحداث بحيث لا يمكنهم التأثير على سير الأحداث . وكذلك تشويه صورته في اذهان العلماء والمراجع بشكل يتناسب مع موقعهم .

اما الاسلوب الآخر فهو ترشيح شخصية يمكن ان تشغل الدور القيادي كمرجع خليفة للمرجع الذي يخشى من وفاته . ولذلك عمد هؤلاء الى ترشيح شخصية يمكنهم الاختفاء خلفها وحاولوا دعمها باساليب عديدة ولكن دون جدوى - كما سيأتي بيانه في فصل المرجعية - .

ومن الدوافع الدافع السياسي ويعتبر من اهم هذه الدوافع وفي مقدمتها ، فقد عرف هؤلاء النفر ان الشهيد الصدر^(٥) بقدراته الهائلة ووعيه السياسي يمكن له ان يبني اجيالاً اسلامية على قدر كبير من الوعي الاسلامي السياسي وهذا ما

لا يتفق مع ما يتبناه هؤلاء النفر لكونهم قديسين لا يتدخلون بالسياسة ولا يهمهم سوى امور دينهم بعيداً عن زخرف الدنيا والسلطان .

فقد عرف هؤلاء السيد الشهيد (ره) منذ شبابه بوعيه السياسي ومدرسته الاسلامية المتميزة يوم أسست جماعة العلماء وصدرت المجلة الناطقة باسمها فبادر هؤلاء الى افتعال ضجة كان خلفها العاطلون والمشبهون حتى اضطرتهم الى اعتزال الكتابة في المجلة - كما سيأتي - ثم إتهامه بالحزبية والتدخل بالسياسة لدى كثير من العلماء بغية تشويه صورته ، فمئذ الأيام الأولى التي تأسس فيها حزب الدعوة الاسلامية صدر منشور في كربلاء كان وراءه بعض من هؤلاء ينددون بالسيد الصدر (ره) وبعض الشخصيات ممن حوله . بل حاول بعضهم - كما سيأتي - ان يذهب برجليه الى بعض المراجع ليوغر صدورهم ضد السيد الشهيد (ره) عبر اتهامات باطلة ومزيفة ، غير ان شخصية الشهيد وما يتمتع به لدى هؤلاء المراجع من حب واحترام فائقين اضاعت الفرصة امام هؤلاء العاطلين .

ومن الطريف ما ينقله (١) احد تلامذة السيد الشهيد (ره) قال : (ان السيد الشهيد (ره) نقل لي ان احد الاشخاص قال لاستاذي الخوئي ان السيد محمد باقر الصدر أسس حزباً اسلامياً . فأجابه السيد الخوئي : لو أسس السيد محمد باقر الصدر حزباً فاني أول من أسجل اسمي فيه) .

هذه الدوافع جعلت هؤلاء القوم لا يتورعون من الكيد للسيد الشهيد (ره) وكانت الحوادث الأخيرة التي تعرض لها السيد الصدر من حجز واعتقال ثم الاعدام أملاً لبعضهم تحقق على ارض الواقع فلم يعبأوا بما حل فيه والامة الاسلامية بل ان الكثير منهم القى باللائمة عليه لتدخله بالسياسة كما يزعمون . ولم يكف هؤلاء عن أباطيلهم وكذبهم حتى يتعرض لاشد محنة فلاحقوه بالاشاعات وهو في محتته .

تقول احدي المؤمنات المقربات من الشهيذة (ره) بنت لهدى وهي تتحدث

(١) من حديث للشيخ إبراهيم الأنصاري في مجلس التأبين الذي أقامته جماعة العلماء في قم المقدسة ليلة الخميس ٩/شعبان/١٤٠٧ هـ / نيسان / ١٩٨٧ م .

عن الاعتقال الأول للشهيد الصدر عام ١٩٧٢ م : (خرجت أريد بيت السيد الشهيد بعد سماعنا بالخبر فصادفت في طريقي إحدى المتدينات وإذا بها تقول لي بفرحة : ألم أقل لك إن محمد باقر الصدر عنده حزب ويتدخل بالسياسة واليوم قد اعتقل ولكنه حين أحسّ بقرب اعتقاله ابتلع كمية من الحبوب وانتحر . تقول هذه المؤمنة : اني لما عاتبته على ذلك أبدت تأسفها واعلنت ان ذلك ما سمعته من العائلة)^(١)

ولهذه الاشاعة ما يماثلها في ايام محنته الأخيرة التي سبقت اعدامه وشهادته ، وهذه الدوافع وغيرها مما لم نأت على ذكرها وراء الصمت الذي اختاره العلماء بشكل مباشر او غير مباشر ، فكان بعضهم يتقطع قلبه خوفاً من السلطة ويكاد يغشى عليه يوماً بعد يوم وبعض يطير فرحاً للإنجاز الذي تحقق فقد كفتهم السلطات قتال - محمد باقر الصدر - ليخلوا لهم الجو وتحلوا لهم الدنيا .

كل هذا هو الذي دعا الجميع الى الصمت - غير نفر قليل ممن قتل او شرد - فقد (طلب احد الفضلاء مرة من مجموعة من العلماء وبعضهم الآن على قمة التصدي للثورة الاسلامية في العراق ان يكسروا القيد حول منزل المرجع الشهيد اثناء اعتقاله في منزله وكان ذلك اثناء احد الأعياد الإسلامية ، ولكن اولئك العلماء الأفاضل اعتذروا جميعاً فزاره الفاضل المذكور بمفرده ولم يتعرض لشيء) .^(٢)

(١) جريدة الجهاد العدد (٢٨٣) ٧/ شعبان ١٤٠٧ هـ ص ١٤ .

(٢) مقال (ثلاثة من تلاميذ السيد الشهيد يكتبون تأريخ العراق السياسي الحديث) جريدة المسار

العدد ١٨/٢٨/ يونيو ١٩٨٧ م ص ١١ .

الفصل الثاني

حياته العلمية

- * معالم مدرسته
- * مع الشهيد الصدر (ره)
- فقيهاً
- اصولياً
- فيلسوفاً
- مفسراً
- اقتصادياً
- مؤرخاً
- مع الشهيد الصدر امام المناطقة
- * كتاباته السياسية والحركية
- * مصنفاته
- * دور السيد الشهيد في دعم المكتبة الاسلامية
- * الامام الشهيد (ره) ودوره في جامعة النجف الكبرى

معالم مدرسته

لقد كان ذكاء الشهيد الصدر مفرطاً وخارقاً للعادة واكتشف معلموه ومن أشرف على تعليمه وتربيته سواء في المدرسة الرسمية التي اخذ علومه فيها لمدة وجيزة أو لدى العلماء الذين تتلمذ عليهم في دراساته للمعارف والعلوم الاسلامية - نبوغه المبكر وصار موضع عنايتهم .

وكبر الشهيد الصدر^(٥) واشتد وقوي نبوغه معه ووقف الجميع وقفة اكبار واعجاب بهذه الذهنية الوقادة وقد نقل^(١) انه : اجتمع الشيخ مرتضى آل ياسين مع السيد الخوئي في مجلس من المجالس في الفترة التي كان السيد الشهيد^(٥) يتلمذ فيها على يد السيد الخوئي ، فوجه السيد الخوئي للشيخ آل ياسين سؤالاً قال له : هل يحدثكم السيد محمد باقر بشيء من أفكاره ؟ فقال له الشيخ آل ياسين : ولم تسألون عن ذلك ؟ قال السيد الخوئي : يا شيخنا ان هذا الرجل فلتة ، هذا الرجل عجيب فيما يتوصل اليه وفيما يطرحه من نظريات وافكار .

وصحب هذا النبوغ الكبير الطموح الكبير ، فكان الشهيد^(٥) طموحاً بعيد النظر ، قوي العزيمة ، وهذا ما جعله مدرسة خاصة متميزة قل نظيرها ، وهي جديرة بالبحث والتحقيق .

واكتشاف معالم مدرسة الشهيد الصدر^(٥) الفكرية وخصائصها مهمة شاقة وعسيرة تفتقر الى الدقة والاستقراء والاحاطة بافكار ونظريات مدرسته ، ونكتفي

(١) جريدة صوت العراق العدد ٧٦/٨/شعبان ١٤٠٨ هـ في حديث للسيد حسين الصدر.

في هذا الباب الى وضع بعض الأسس التي يمكن للباحثين تعميقها والبحث عن مفرداتها في محيط افكاره ونظرياته في الفقه والأصول والفلسفة والاقتصاد والمنطق والتاريخ والتفسير . .

— ان جلّ كتابات وبحوث الامام الشهيد (ره) وليد الحاجة والضرورة فهو يعني بما يفتقر اليه المجتمع من الغذاء الفكري فيبادر الى اشباع هذه الحاجة فهو في حالة تأهب مستمر للدفاع عن الثغور الاسلامية في الفكر والعقيدة ويستهدف القضاء على الأمراض الفكرية المستوردة بعد تشخيص العلاج الناجح الذي يستأصل جذوره واقتلاعها .

يقول احد تلامذة الشهيد (ره): « في بداية الغزو الماركسي للعراق لم تكن في المكتبات كتباً اسلامية من النوع الذي يرد الشبهات عن الفكر الاسلامي فذهبت الى السيد الصدر وعرضت عليه حالتنا فكتب لنا مقدمة فلسفتنا وكنا نستسخنها ونوزعها على المؤمنين^(١) » .

ثم كتب السيد الشهيد كتابه القيم « فلسفتنا » وكذلك كتابه « اقتصادنا » لهذا السبب . وكان من المفترض ان يصدر كتاب « مجتمعنا » ولكن الالحاح المتزايد من قبل البعض اضطر السيد الشهيد (ره) ان يصدر كتاب « اقتصادنا » بينما تأجل كتاب « مجتمعنا » وذلك لأن الساحة الفكرية والمكتبة الاسلامية كانت بحاجة شديدة واكيدة للكشف عن النظرية الاسلامية في الاقتصاد .

وكتاب الأسس المنطقية للاستقراء هو الآخر وليد هذه الحاجة فقد سئل الشهيد (ره) عن البواعث التي دعته لتأليف هذا الكتاب فأجاب : (ان مرحلة الاستيراد في العالم الاسلامي من الغرب يجب ان تنتهي وعلينا أن نصدر ابداعنا الى الغرب)^(٢)

لذلك كانت بحوث « وابداعات الشهيد . . كانت كلها بدافع سد الحاجة الاسلامية لتلك المجالات التي درسها والملاحظة التي نريد تأكيدها ان الشهيد لم يبحث عن شيء من غير هدف اسلامي ولهذا لا نجد دراساته وبحوثه الا

(١) في حديث للسيد عبد الكريم القزويني / جريدة الشهادة ٨ / شعبان / ١٤٠٧ هـ العدد (٢٠٢) .

(٢) الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية في العراق الأستاذ غالب حسن ص ٢٣ .

نافعة ومعقدة ذلك ان التفاعل مع الهدف والاخلاص له يترشح الى تمام العمل ويسري اليه ويمنحه القوة والعمق . . .»^(١)

فالكتابة للشهرة والانجار وحب الجاه والرغبة في التكبر والتظاهر بالاعلمية ليس له وجود في هذا القاموس الفكري لمدرسة الشهيد .

ويشعر السيد الشهيد ان ثقافة المرأة المسلمة باتت متدنية فدفع أخته الشهيذة بنت الهدى بأن تكتب للمرأة المسلمة بأسلوب قصصي ، وهذا ما اكده الشهيذة نفسها . (٢)

— ومن معالم مدرسة الشهيد الصدر (ره) التجديد وذلك على مستويين :
الأول : التجديد في طريقة التفكير والثاني : التجديد في المنهجية . فعلى المستوى الأول فان الشهيد لا يقتصر على محاكاة ما خلفه السلف من نظريات وافكار بل يضيف اليها افكاراً ونظريات تعمقها وترمم بنيانها تارة او اعادة صياغتها من جديد بشكل يتباين معها .

فكانت للسيد الشهيد^(٣) قدرة فائقة في طرح الأفكار والنظريات في اكثر مجالات الفكر ، فما طرق مجالاً منها الا وازاف له فكرة ، في الفقه والأصول والتفسير والتاريخ والفلسفة والاقتصاد والمنطق ، وفي كتابه الأسس المنطقية للاستقراء قفز ليشيد نظرية تباين ما تعارف عليه المنطق الأرسطي واستدل فيه على وجود الخالق عن طريق حساب الاحتمال . «ومن الصعوبات التي كانت تواجه (جامعة النجف) عدم الاطلاع على ما يدور في العالم من بحوث حول المعرفة والاقتصاد والسياسة وغير ذلك . . ولم يكن يدور بخلد الكثيرين ان من الضروري البحث في هذه الأمور . . ولكن السيد الشهيد كان من السابقين في هذه الميادين واستطاع اثبات ان للاسلام رأياً مبنياً لما تراه بحوث المحدثين في تلك المجالات » (٣)

(١) مجلة الحوار السياسي الفكري ص ١١٨ العدد (٣٠ - ٣١) ، مع الشهيد الصدر محققاً بقلم السيد حسن النوري .

(٢) راجع نفس المصدر السابق ص ١١٧ .

(٣) الحوار الفكري السياسي ، مع الشهيد الصدر محققاً ، بقلم السيد حسن النوري ص ٦٦ العدد (٢٨ - ٢٩) .

والعالم الاسلامي بحاجة اليوم الى افراز ما أضافه الشهيد الصدر - من افكار ونظريات في مختلف مجالات الفكر - في كتاب مستقل ليتعرف على مدى التطور الحضاري الذي بلغه الفكر الاسلامي على يد الشهيد الصدر والنقلة التي تحققت على يديه وهذه مسؤولية تلقى على المحققين والباحثين وبالاخص تلامذة الشهيد الصدر ورواد مدرسته الفكرية .

أما المستوى الثاني من التجديد فكان التجديد في المنهجية فلم يكتف الشهيد بما يطرحه من آراء وافكار بل عمد الى التجديد في صياغتها وتبويبها فالمنهجية الفنية والفريدة لكل ما يتناوله السيد الشهيد كان معلماً واضحاً من معالم مدرسته ففي الفقه تبني منهجية خاصة تتناسب مع حداثة العصر ولغته الجديدة والمستوى الثقافي الذي وصل اليه المسلمون في هذه الحقبة ، ولذلك عمد الى تغيير المناهج الذي درج اسلافه من العلماء في كتابة الرسائل العملية الفقهية التي لا تفي بحاجات المجتمع المسلم ولا تجيب على أسئلته وهي غالباً ما تكون قديمة اللغة والاسلوب والمنهج فوجد من الضروري ان يكتب رسالة عملية في الفقه - رغم انه كتب تعليقه على منهاج الصالحين للسيد الحكيم - تنسجم مع الواقع العملي الذي يعيشه المجتمع المسلم فكتبها باسلوب لغوي متين ومنهجية حديثة وعمد الى تقسيم الاحكام الشرعية وعرضها بالشكل الذي يبين المنهج القديم .

وكانت الرسالة العملية التي كتبها السيد الشهيد(ره) « الفتاوى الواضحة » مظهراً من مظاهر التطور التاريخي في كتابة الرسائل العملية .

وفي علم الأصول ايضاً عمد السيد الشهيد(ره) الى تغيير المنهج الذي دأب عليه العلماء في عرض المسائل الأصولية وتبويبها وكانت الحلقات التي كتبها في علم الأصول « دروس في علم الأصول » مظهراً من مظاهر هذا التغيير وقفزة نوعية في هذا المضمار وأمام الغزو الثقافي الغربي والشرقي كتب السيد الشهيد « فلسفتنا » و « اقتصادنا » بمنهجية حديثة عصرية تتناسب مع المناهج الثقافية المستوردة .

ويبدو ان للسيد الشهيد(ره) قدرة تجديدية قل نظيرها - وهي تحتاج الى دراسة مستقلة - في الفكر والمنهج بل حتى في اختيار عناوين كتبه وابحاثه فانه يضع لكتبه

عناوين تنسجم مع حداثة العصر وطابعه الجديد وتكرس المسؤولية الاسلامية كما في كتبه فلسفتنا واقتصادنا فانه يربط بين مسؤولية المسلمين والفلسفة الاسلامية والاقتصاد الاسلامي لذلك لم يضع لكتبه عناوين من قبيل « الفلسفة الاسلامية » او « الاقتصاد الاسلامي » .

وكان التصدي للغزو الثقافي الذي تعرضت له البلاد الاسلامية مهمة شاقة وخطيرة لأن الغرب والشرق كان قد هاجم المجتمع الاسلامي في عقر داره وهو في غفلة من أمره فكان موقف علماء المسلمين موقفاً دفاعياً مطبوعاً بالضعف سلاحه التبرير والتأويل ورد الشبهات التي يثيرها هذا الغزو .

أما الشهيد الصدر فلم يكن يتقبل هذا النمط من المجابهة فانتقل من الخندق الدفاعي الى خندق الهجوم والافتحام و (كتاباته وأفكاره كانت تعبر عن هذا الانتقال الكبير فلا تجد في كتاباته المواقف الدفاعية التي كنا نجدها في كتابات من كان قبل من المفكرين ، ففي المرحلة السابقة كان الفكر الغربي والشرقي هو الذي يملك زمام المبادرة والهجوم والتصدي وكان دورنا الدفاع عن قضايا الاسلام كالدفاع عن حقوق المرأة ومسألة الرق وما يتصل بذلك . غط السيد الشهيد نمط آخر هو الافتحام الى داخل قلاع الفكر الرأسمالي والماركسي فكتبه « فلسفتنا » و « اقتصادنا » تصدت للهجوم الناجح والموفق في عقر ديار الرأسمالية والماركسية ^(١)

وكان هذا الانتقال في كتب السيد الشهيد ^(٢) وإبحاثه من خندق الدفاع الى الهجوم والافتحام سببه الفهم الواعي للشريعة الاسلامية والاصالة في فكر الشهيد ^(٣) ولذلك « فلقد تمكن سماحته من طرح الفكر الاسلامي الأصيل من خلال كتاباته ومؤلفاته ومحاضراته ولم نجد فيها المحاولة الترقيعية التي نجدها عند بعض الكتاب والمفكرين المهزومين فكرياً تجاه الحضارتين الشرقية والغربية بل نجد الطرح الاسلامي المستقل والقائم بالذات بصورة اصيلة وصافية » ^(٤)

— والمعلم الاخر في مدرسة الشهيد الصدر ^(٥) الاحاطة والدقة والشمول في كل

(١) (٢) جريدة الجهاد ص ٣ العدد/٢٣٢/٧/رجب/١٤٠٦ هـ بقلم الشيخ محمد مهدي الاصفى .

المجالات الفكرية التي بحثها الشهيد وهذه الدقة والاحاطة لها الأثر الكبير في الآراء والافكار والنظريات المطروحة فمن النقاط ذات الأهمية الفائقة في اتصاف أية نظرية بالمتانة والصحة مدى ما تستوعبه من احتمالات متعددة وما تعالجه من جهات شتى مرتبطة بموضوع البحث فان هذه الخصيصة هي الاساس الأول في انتظام الفكر والمعرفة في أي باب من الأبواب بحيث يؤدي فقدانها الى ان تصيح النظرية مبتورة ، ذات ثغرات ينفذ من خلالها النقد والتفنيد للنظرية . وهذه الميزة ايضاً كان يتمتع بها فكر السيد الشهيد بدرجة عالية فانه لم يكن يتعرض لمسألة من المسائل العلمية سيما في الأصول والفقه الا ويذكر فيها من الصور والمحتملات ما يبهز العقول وهذا هو جانب الاستيعاب والاحاطة المعمقة في فكره . . . وقد ظهرت هذه السمة العلمية وهذه الخصيصة حتى في أحاديثه الاعتيادية فكان يتناول أي موضوع ومهما كان بسيطاً واعتيادياً بصوغه علمياً ويخلع عليه نسجاً فنياً ويطبعه بطابع منطقي مستوعب لكل الاحتمالات والشقوق حتى يخيل لمن يستمع اليه انه امام تحليل نظرية علمية تستمد الاصاله والقوة والمتانة من مبرراتها وأدلتها المنطقية «^(١) فالسيد الشهيد يستوفي في بحوثه كل المقدمات والأدلة والبراهين دون ان يخرج عن دائرة بحثه ولا يزد في الشكل الذي يدخل فيه عناصر ومواضيع دخيلة لا علاقة لها بالبحث يقول الشيخ محمد جواد مغنية : « ان الصدر عندما يريد ان يحقق مسألة ما ، فهو كالذي ينزل الى أعماق الأرض ثم عندما يريد الخروج الى سطحها يفتش عن كل الطرق المؤدية الى السطح ولا يكتفي بطريق واحد . » (٢)

فعندما يتناول الشهيد الصدر (ره) مسألة ما فان قلمه لا يدعها الا وقد ذكر جميع الاحتمالات والوجوه بحيث لا يترك مجالاً لغيره من بعده الذي لا يجد مبرراً لتناول البحث وقد سبقه اليه قلم الشهيد الصدر (ره)

— وتتميز مدرسة الشهيد الصدر بالجرأة والاقدام في طرح الحقيقة والنظريات التي يتوصل الى استنتاجها ولا يحاول إخفاءها خشية الرد عليها من

(١) مقدمة بحوث في علم الأصول ج ١ ص ٨ السيد محمود الهاشمي .

(٢) الحوار الفكري السياسي ص ٦٧ العدد (٢٨ - ٢٩) .

المشهور لأنه يعتقد ان الحقيقة العلمية لا بد ان يكشف النقاب عنها واذا ما تجلت لأحد وجب عليه ابرازها الى حيز الوجود وان كان في ابرازها تخطئة للسلف والمشهور وذلك في كل المجالات التي بحثها السيد الصدر(ه).

يقول السيد حسن النوري : (والملاحظ في المنهج الذي اختاره السيد الشهيد في تحقيقاته ان الموانع الزمانية والمكانية والسياسية والبيئية لم تكن تؤثر عليه ولا يهجم من أجل اكتشاف الحقيقة وابرازها ان تكون العوامل المحيطة به لا تقبل هذه الحقيقة . . وقد كان السيد الشهيد سباقاً في ميادين العمل والتخطيط وميادين الاكتشافات العلمية . . ففي الزمن والبيئة والمكان الذي لا يعرف بعد عن الحكومة الاسلامية عرض السيد الشهيد الادلة التي تثبت مشروعية الحكومة الاسلامية في رسالة لا زالت مخطوطة . . ويشكك في بعض بدييات ارسطو ومنطقه في بيئة علمية اعتمدت على المنطق الارسطي في كل علومها . . ويطرح نظريات جديدة تنسف بعض ما اعتبره جملة من الأصوليين قواعد ثابتة لا تقبل المناقشة . » (١)

— ومن المعالم التي طبعت بها مدرسة الشهيد(ه) هو الحياد تجاه النظريات والمذاهب والأفكار التي يطرحها الخصوم ولا يحاول ان يقفز الى النتائج دون مناقشتها بل يعتمد الى دراستها بشكل موضوعي ثم يصدر احكامه عليها .

وفي المرحلة التي يعرض فيها السيد الشهيد(ه) نظريات خصومه يكون بعيداً عن التعصب ولذلك (لم يخف السيد الشهيد كل مواخضة على الاسلام بل عرضها أحسن مما كان يعرضها اصحابها واهلها وعمل على تنفيذها باساليبه العلمية البارعة ، وابتعد عن كل محاولة تشهيرية تتنافى مع الأذواق العلمية بل وأربأ بنفسه وفكره ان يكون مشهراً) (٢)

وحالة الحياد هذه وعدم التعصب واضحة في مناقشاته مع المذهب الماركسي والاشتراكي كما سيأتي في الحديث عن فلسفته .

— ومن معالم مدرسته ايضاً أنها خرجت من نطاقها ودائرتها الإقليمية لتخترق

(١) الحوار الفكري السياسي ص ٦٥ العدد (٢٨ - ٢٩).

(٢) الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية في العراق ص ٢٢ غالب حسن.

الحدود المصطنعة وتنفذ الى قلوب المسلمين في كل مكان ، فلم يكن يفكر الشهيد الصدر^(١) اقليمياً بل كان يفكر بحاجات المجتمع الاسلامي خارج حدود ودائرة العراق فكانت نظرياته موضع عناية المسلمين في مصر وتونس وفلسطين وايران والخليج اذ يقول^(٢) احد علماء فلسطين ان فكره^(٣) أشعل الثورة في قلوبنا ونفوسنا وفجر الوعي في فكرنا وعقولنا في الوقت الذي كنا في جوع الى الفكر الاسلامي . بل ان بعض التنظيمات الاسلامية جعلت من كتبه منهاجاً لها .

وخروج افكاره ليس عن دائرة الاقليمية فحسب بل عن دائرة المذهبية فلم يعد يفكر السيد الشهيد مذهبياً فقط - وان كان ذلك سائغاً ومشروعاً - بل يفكر على المستوى الاسلامي كله ولذلك كانت كتاباته وليدة الحاجة الاسلامية بغض النظر عن المذهبية . يقول الدكتور أحيدة النيفر « والذي يقرأ لباقر الصدر يدرك بسهولة انه لم يكتب لطائفته الشيعية فحسب فهو رغم كونه الشيعي حريص ان يكون خطابه اسلامياً تتجاوز به النعرات الطائفية الضيقة لذلك فهو مع استشاداته الكثيرة بالمراجع والعلماء الشيعية فهو كثير الاستعمال للمراجع السنية »^(٤) .

هذا كله دعا الفرق الاسلامية على تعددها الى اقتناء كتبه والاستشارة بها حتى ان الشهيد (ره) عندما طبع فتاواه « الفتاوى الواضحة » كانت ترده الرسائل من الأخوة أهل السنة يطلبون الكتاب للعمل بفتاواه^(٥) .

(١) من حديث للشيخ عبد العزيز عودة إمام مسجد الشيخ عز الدين قسام في غزة بفلسطين في جريدة الجهاد العدد/٣٤٢/١٤/شوال/١٤٠٨ هـ ص ٦ .

(٢) مجلة العالم الصادرة بلندن العدد (٢١٧) ٩/ نيسان/ ١٩٨٨ م (الفكر الاجتماعي في الكتابات الإسلامية الحديثة) للدكتور أحيدة النيفر كلية الشريعة بتونس .

(٣) ملحق جريدة الجهاد بتاريخ ٢٠ / جمادي الثانية/ ١٤٠٣ هـ / ٤/ نيسان/ ١٩٨٣ م ص ٧ .

الباب الثاني

مع الشهيد الصدر

- فقيهاً
- أصولياً
- فيلسوفاً
- مفسراً
- إقتصادياً
- مؤرخاً
- إمام المنطقة

مع الشهيد الصدر فقيماً

لقد تميزت مدرسة الشهيد الصدر (قد هـ) الفكرية بطابع الشمول فلم تقتصر على مجال من مجالات الفكر والمعرفة فقد طرق الامام الشهيد (قد هـ) اكثر ابواب الفكر ودون استئذان مقتحماً أبوابها وهو ما زال في عنفوان شبابه ولولا ان ادركته الشهادة وخطفته يد المنون لما ترك مجالاً إلا وتناوله قلمه الشريف لترك اثره فيه ، فكان السيد الشهيد (قد هـ) فيلسوفاً وعالمًا بالاقتصاد والمنطق والتأريخ والتفسير واللغة والرجال . .

وكان علمه في هذه المجالات على تعددها على سبيل التخصص فكان مرجعاً في كل هذه المجالات وهذا ما يقل نظيره فقد برز الكثير من العلماء وذاعت شهرتهم إلا أن تخصصهم في هذه المجالات التي اشتهروا بها كان على حساب المجالات الأخرى أما شهيدنا الصدر (قد هـ) فانه اشتهر صيته في مجالات متعددة رغم وعورة مسالك هذه العلوم والمعارف التي عرف بها فكان ذا نظرية في الاقتصاد والفلسفة وذا رأي في علم الرجال والتأريخ واللغة وذا مدرسة مستقلة متميزة في المنطق والأصول ولكنه كان قبل ذلك كله فقيهاً من أكابر الفقهاء ومرجعاً من اعاضم المراجع قل نظيره ونذر مثيله .

وقد عرف نظره الثاقب وغوره البعيد ورأيه السديد في مسائل الفقه ومواضيعه منذ صباه حتى اذا حضر بحث السيد الخوئي فكان أبرز تلامذته اصغرهم سنأ وأوفرهم حظاً في الفقه ومسائله ففضى ثلاث عشرة سنة في ملازمة السيد الخوئي وهم في أشد الخصومة الفكرية ابراماً ونقضاً .

وفي سنة (١٣٨١ هـ) شرع السيد الشهيد (قد هـ) بالقاء ابحاثه العالية في

الفقه وحضر لديه الكثير من العلماء والفقهاء واستمرت بحوثه لما يقرب من العشرين عاماً الى قبل استشهاده . وكانت بحوثه الفقهية من اروع البحوث كما اعترف بذلك اعلام الفقه يقول السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي^(١) : « انني أخرج في الحديث عن هذه الشخصية - شخصية السيد الصدر - المثلث خصوصاً وان ذلك يحتاج الى معرفة دقيقة بكل الظروف التي احاطت بها الا انني اكتفي بايراد بعض النقاط عن هذه الشخصية ذات الابعاد المتعددة ، ومنها عنصر الاصاله الاجتهادية التي قل نظيرها^(٢) » .

ثم يلقي السيد الأردبيلي نظرة اجمالية على الموقع المتميز لشخصية السيد الشهيد (قد ه) في مسيرة الفقه وحركته المتطورة فيقول « . . . فالشيخ الطوسي مثلاً ذو مدرسة فكرية كادت تسد على الآخرين باب الاجتهاد نتيجة عظمتها . . . وهكذا حتى جاء آية الله البروجردي فأعطى الفقه دفعة جديدة ، ولا شك ان هناك نقصاً في الدراسات الفقهية ذلك هو « الخلاء الفقهي » في مجال العلاقات الاجتماعية العامة ، فهناك الكثير من المسائل التي لم يبحث فيها الفقهاء ، وكان السيد الصدر أحد النوابع الفريدة التي تحدثت في هذا المجال^(٣) »
والحقيقة ان مدرسة الشهيد الصدر (قد ه) الفقهية وانجازاتها العلمية وما حققته لجدير بالدراسة والتحقيق وهو أمر موكل للعلماء والفقهاء بالخصوص من عاش على موائد مدرسة الشهيد (قد ه) العلمية أو من عاصرها وشهد مكاسبها وانجازاتها العظيمة .

كتب السيد الحائري عن انجاز مكاسب مدرسة استاذة في حقل الدراسات الفقهية قائلاً « وفي علم الفقه ترى ابداعاته (قد ه) لا تقل عن ابداعاته في علم الأصول ، وقد طبع من ابحاثه الفقهية أربعة مجلدات باسم « بحوث في شرح

(١) السيد عبد الكريم الأردبيلي أحد فقهاء إيران وهو اليوم رئيس المحكمة العليا في إيران التي تعتبر أعلى منصب قضائي .

(٢) جريدة الجهاد ص ٤ العدد ٢٨٣ / ٧ شعبان / ١٤٠٧ هـ .

(٣) جريدة الجهاد العدد ٢٨٣ / .

العروة الوثقى » فيها من التحقيقات الرشيقة التي لم يسبقه بها أحد ما لا يحصى وأشير هنا كمثال الى بحثين من أبحاثه التي ينهر بها الفقيه الالمعي .

احدهما : بحثه الرائع في تحقيق نكات قاعدة الطهارة الوارد في المجلد الثاني من البحوث المشتمل على عمق وشمول لا تراهما في أبحاث أخرى عن تلك القاعدة .

والثاني : بحثه القيم في مسألة اعتصام ماء البشر عن كيفية التخلص عن الروايات الدالة على الانفعال وهو وارد - أيضاً - في المجلد الثاني من البحوث حيث ساق البحث بأسلوب فائق لم أره لدى باحثي هذه المسألة قبله .

ولم يوفق (قد ه) لكتابة الكثير عن الفقه المستدل ما عدا المجلدات الاربعة في الطهارة وما درسه عن الفقه المستدل اكثر مما كتبه وقد درس قسماً من ابحاث الخمس وغير ذلك .

والذي كان يصبو اليه - رحمة الله - هو تطوير بحث الفقه من عدة جوانب وفق لبعضها بمقدار ما كتب أو درس ، ولم يوفق للبعض الآخر ، وتلك الجوانب هي ما يلي :

١ - تعميق دراسته بنحو لم يسبق له مثيل وقد وفق لذلك بمقدار ما كتب أو درس .

٢ - تبديل النزعة الفردية والنظرة الموضوعية الى النظرة الاجتماعية والنظرة العالمية في البحوث التي تتطلب ذلك . وهاتان النظرتان أو النزعتان لهما الأثر البالغ في كيفية فهم القضايا الفقهية فمثلاً : اخبار التقية والجهاد تفهم باحدى النظرتين بشكل يمكن وبالنظرة الأخرى بشكل آخر . وأدلة حرمة الربا قد تفهم باحدى النظرتين بشكل يمكن معه تحليل نتيجة الربا ببعض الحيل وتفهم بالنظرة الأخرى بالشكل الذي لا يؤدي الى هذه النتيجة وما الى ذلك من الأمثلة الواسعة في الفقه .

٣ - توسيع أفق البحث الفقهي لشتى أبواب الحياة بالشكل المنسجم مع متطلبات اليوم وبأسلوب يتجلى به ان الفقه يعالج كل مناحي الحياة ويساكب الوضع البشري الفردي والاجتماعي حتى النهاية وبشكل يتضح ان البحث

الفقهى متحرك يواكب حركة الحياة . وقد شرع - رحمه الله - لتجسيد هذا الجانب في رسالته العملية المسماة (الفتاوى الواضحة) الا ان استشهاده قد حال بينه وبين اكمال الكتاب .

٤ - تطوير منهجة عرض المسائل وتبويبها بالشكل المنعكس في مقدمة « الفتاوى الواضحة »

٥ - وكان - رحمه الله - عازماً على ان يبحث فقه المعاملات بشكل مقارن بين فقه الاسلام والفقه الوضعي ، كي يتجلى ان الفقه الاسلامي هو الجدير بادارة الحياة واسعادها دون غيره ، وقد حالت جريمة البعث الكبرى بينه وبين تحافنا بهذا البحث القيم^(١) انتهى .

نظرة في كتابه « الفتاوى الواضحة »

النظر في كتاب « الفتاوى الواضحة » يستدعيه الكشف عن معاناة السيد الشهيد (قد ه) في عملية استنزال الفقه من برجه العاج الذي يحتكره البعض الى الحياة الاجتماعية وتطويره ليكون في متناول الجميع . وكذلك يكشف عن الجهود الجبارة التي بذلها الشهيد الصدر (قد ه) في عملية تجديد هذا النحو من كتابة الفقه المسمى : « الرسالة العملية » .

فالرسالة العملية لم تكن معروفة قبل منتصف القرن العاشر الهجري وانما كان الشيخ البهائي العاملي المتولد سنة (٩٥٣) هـ (أول من كتب رسالة عملية فقهية غير استدلالية وهي دورة كاملة من الفقه عرفت باسم « الجامع العباسي » نسبة الى الشاه عباس الصفوي^(٢)) وكان قد كتبها للشاه عباس الصفوي باللغة الفارسية ، ودرج العلماء والفقهاء من بعده على كتابة فتاواهم بشكل تعليقات وحواش على « الجامع العباسي » ثم ظهرت عدة رسائل فقهية باللغة العربية واكتفى الفقهاء بالتعليق عليها أيضاً دون ادخال التغيير في منهجيتها وتبويبها مما جعل الرسائل العملية امراً روتينياً لا يغني عن جوع ولا يشبع حاجة المسلمين في

(١) مقدمة مباحث الأصول ص ٦١ .

(٢) الإسلام وإيران لمؤلفة الشيخ الشهيد مرتضى مطهري ، ترجمه محمد هادي اليوسفي ص ٩٦ ج ١ .

البحث عن الاحكام الشرعية التي في الكثير من الأحيان غير مذكورة في هذه الرسائل العملية .

وكان السيد الشهيد (قد هـ) في أول امره قد كتب تعليقه على « منهاج الصالحين » للمرحوم السيد محسن الحكيم .

كتب السيد الحائري عن تلك الفترة التي كتب بها السيد الشهيد (قد هـ) تعليقه هذه يقول : « ومن طرائف الأمور ان الاستاذ الشهيد - رحمه الله - مضت عليه برهة من الزمان كان له مقلدون كثيرون في شتى المدن العراقية ، ولعله في خارج العراق ايضاً وكان يمتنع عن طبع رسالة عملية لأنه كان شاباً آنذاك ، ولعل قسماً من المجتمع لم يكن يستسيغ طبع رسالة عملية لعالم شاب مع وجود مراجع كبار متقدمين في السن ، فكان بعض مقلديه يضطرون الى استنساخ تعليقه على الجزء الأول من منهاج الصالحين بخط اليد ، وما زلت أنا محتفظاً في مكتبي بنسخة منها استنسختها بيدي »^(١) .

ولما ترشح الشهيد الصدر (قد هـ) للمرجعية وظهرت مرجعيته طبع رسالته العملية على شكل تعليقة على « منهاج الصالحين » كما هو المتعارف لدى المراجع إلا أنه بقي غير مقتنع بجدوى هذا النمط من الرسائل العملية إذ يقول (وحيثما صدرت تعليقتنا على منهاج الصالحين أحسست احساساً واضحاً من خلال مراجعات القارئ وأسئلة السائلين بما كنت على إيمان به من ضرورة الأخذ بالملاحظتين السابقتين - سيأتي بيانها في محله - في وضع رسالة عملية تنقيد بمنهج سليم في العرض من الناحية الفنية وتلتزم بلغة مبسطة حديثة وتبدأ في العرض من الصفر وتحاول ان تعرض الأحكام من خلال صورة حية وتطبيقات منتزعة من واقع الحياة وتنتجه الى بيان الحكم الشرعي لما يستجد من وقائع)^(٢)

فكان الشهيد الصدر يراقب عن كثب المستوى الذي وصلت اليه الأمة الاسلامية ومدى ما تحتاجه ، ومن خلال متابعته المستمرة وشعوره الدؤوب

(١) مقدمة الباحث ص ٦٨ .

(٢) الفتاوى الواضحة ص ٩٧ .

بالمسؤولية الملقاة على عاتقه كان يؤمن بضرورة التغيير ورفض الأطر القديمة ، أو اصلاحها اذا كانت قابلة لذلك والابتعاد عن النظرة الاستصحائية في تحليل الظواهر الاجتماعية ، فما كان مستساغاً قبل قرون لم يعد اليوم كذلك ولا ضرورة لاستصحابه ما دامت هناك المبررات التي تؤكد عدم فاعليته .

ومع قيام المبررات التي تدعو للتغيير قام السيد الشهيد (قد ه) بوضع الاساس الجديد في كتابة الرسائل العملية الجديدة التي ستكون بمثابة الحجر الاساس في عملية التغيير في المستقبل . أما المبررات التي دعت السيد الشهيد (ره) لكتابة فتاواه بالأسلوب الجديد فانه كتب يقول : (وقد قامت الرسائل العملية بدور مهم وجليل في هذا المجال ولكن على الرغم مما تمتاز به عادة من الدقة في التعبير والايجاز في العبارة توجد فيها على الأغلب ملاحظتان تستدعيان التغيير والتطوير .

الملاحظة الأولى : ان هذه الرسائل تخلو غالباً من المنهجية الفنية في تقسيم الأحكام وعرضها وتصنيف المسائل الفقهية على الأبواب المختلفة . ومن نتائج ذلك حصل ما يلي :

أولاً : ان كثيراً من الأحكام اعطيت ضمن صور جزئية محدودة تبعاً للأبواب ولم تعط لها صيغة عامة يمكن للمقلد ان يستفيد منها في نطاق واسع .

ثانياً : ان عدداً من الأحكام دس دساً في ابواب اجنبية عنه لأدنى مناسبة حرصاً على نفس التقسيم التقليدي للأبواب الفقهية .

ثالثاً : ان جملة من الأحكام لم تذكر نهائياً لأنها لم تجد لها مجالاً ضمن التقسيم التقليدي .

رابعاً : أنه لم يبدأ في كل مجال بالأحكام العامة ثم التفاصيل ولم تربط كل مجموعة من التساؤلات بالمحور المتين لها ولم تغط المسائل التفريعية والتطبيقية بوصفها أمثلة صريحة لقضايا أعم منها لكي يستطيع المقلد ان يعرف الأشباه والنظائر .

خامساً : افترض في كثير من الأحيان وجود صورة مسبقة عن العبادة او الحكم الشرعي ولم يبدأ العرض من الصفر اعتماداً على تلك الصورة المسبقة .

سادساً : انظمت المعالم العامة للاحكام عن طريق نشرها بصورة غير منتظمة وضاعت على المكلف فرصة استخلاص المبادئ العامة منها .

الملاحظة الثانية : ان الرسائل العملية لم تعد تدريجياً بوضعها التاريخي المؤلف كافية لأداء مهمتها بسبب تطور اللغة والحياة ، ذلك ان الرسالة العملية تعبر عن احكام شرعية لوقائع من الحياة والأحكام الشرعية بصيغها العامة وان كانت ثابتة ولكن اساليب التعبير تختلف من عصر الى عصر آخر ووقائع الحياة تتجدد وتتغير ، وهذا التطور الشامل في مناهج التعبير ووقائع الحياة يفرض وجوده على الرسائل العملية بشكل وآخر .

فاللغة المستعملة تاريخياً في الرسائل العملية كانت تتفق مع ظروف الأمة السابقة اذ كان قراء الرسالة مقصورين غالباً على علماء البلدان وطلبة العلوم المتفقهين لأن الكثرة الكاثرة من ابناء الأمة لم تكن متعلمة ، وأما اليوم فقد أصبح عدد كبير من ابناء الأمة قادراً على ان يقرأ ويفهم ما يقرأ اذا كتب بلغة عصره وفقاً لأساليب التعبير الحديث فكان لا بد للمجتهد المرجع ان يضع رسالته العملية للمقلدين وفقاً لذلك .

والمصطلحات الفقهية التي تعتمد عليها الرسائل العملية غالباً للتعبير عن المقصود وقد كان من مبرراتها تاريخياً اقتراب الناس سابقاً من تلك المصطلحات في ثقافتهم ، بينما ابتعد الناس عنها اليوم وتضاءلت معلوماتهم الفقهية حتى اصبحت تلك المصطلحات على الأغلب غريبة تماماً .

وعرض الأحكام من خلال صور عاشها فقهاؤنا في الماضي كان أمراً معقولاً فمن الطبيعي ان تعرض احكام الاجارة مثلاً من خلال استئجار دابة للسفر ولكن اذا تغيرت تلك الصور فينبغي ان يكون العرض لنفس تلك الأحكام من خلال الصور الجديدة ويكون ذلك اكثر صلاحية لتوضيح المقصود للمقلد المعاصر^(١) . « انتهى .

(١) الفتاوى الواضحة ص ٩٥، ص ٩٦ .

فالامام الشهيد (قد ه) لم يلعن الماضي ولم يتبرأ منه بل اعترف بجلالة الرسائل العملية القديمة ودورها في تبليغ الأحكام الشرعية ومدى جدارة الفقهاء الذين كتبوها لأنهم كانوا يتكلمون ويكتبون بلغة ابناء عصرهم ، فهم اجتماعيون بقدر تعاملهم مع المجتمع .

ولكن مع جلالة هذه الرسائل العملية فانها غير مقبولة اليوم لعدم تناسبها وانسجامها مع المستوى الثقافي والفقهى لابناء هذا العصر وذلك ليس لأنها تتكلم معهم بلغة اجدادهم الماضين وتعبيراتهم بل لأنها أصبحت غير قادرة على تلبية نداءاتهم لمعرفة الحكم الشرعي وذلك لضياح قسم كبير من الأحكام الشرعية التي لم يكن من الضرورة ذكرها في الماضي فجرى العلماء اليوم على عدم ذكرها او ذكرها في ابواب مختلفة مع حاجة المجتمع اليها كما هو في الملاحظة الأولى اليوم ذكرها الشهيد الصدر (قد ه) .

وهذا هو الخلل الذي يبدو ذاتياً كما هو الحال في الملاحظة الأولى والثانية لأنه قائم في ذات هذه الرسائل العملية . ولكن هناك عنصراً موضوعياً هو الآخر كان مبرراً للتغيير ألا وهو التطور والحدثة في الحياة .

وهذا العنصر كان مبرراً أيضاً للسيد الشهيد (قد ه) في مشروعه التغييرى اذ كتب يقول «الوقائع المتزايدة والمتجددة باستمرار بحاجة الى تعيين الحكم الشرعي ولئن كانت الرسائل العملية تاريخياً تفي بأحكام ما عاصرتة من وقائع فهي اليوم بحاجة الى ان تبدأ وتدرجياً باستيعاب غيرها مما تجدد في حياة الانسان .

والاحكام الشرعية على الرغم من كونها ثابتة قد يختلف تطبيقها تبعاً للظروف من عصر الى عصر فلا بد لرسالة عملية تعاصر تغيراً كبيراً في كثير من الظروف ان تأخذ هذا التغيير بعين الاعتبار في تشخيص الحكم الشرعي فمثلاً الشرط الضمني - على حد تعبير الفقهاء - واجب ونافذ وهو كل شرط عليه العرف العام وان لم يصرح به في العقد ولكن نوع هذه الشروط - لما كان العرف هو الذي

يحددها - تختلف فقد يكون شيء ما شرطاً ضمناً مع العقد في عصر دون عصر»^(١) .

هذه المبررات دعت الشهيد الصدر (قد ه) الى كتابة رسالته العملية الجديدة «الفتاوى الواضحة» وقد عمد الى تقسيم الأحكام الشرعية الى أربعة أقسام:

الأول : العبادات والثاني : في الأموال ويشتمل على الأموال العامة والأموال الخاصة والثالث : السلوك الخاص والرابع : السلوك العام .

ففي القسم الأول جعل كتاب الطهارة والصوم والاعتكاف والحج والعمرة والكفارات وفي القسم الثاني بحث الأموال بقسميها العامة وتشمل الزكاة والخمس - وقد اعتاد الفقهاء في رسائلهم على ذكرها في العبادات - ولكن السيد ذكرها لأن الجانب المالي أبرز فيهما من الجانب العبادي . وكذلك يدخل في ضمن هذا القسم بحث الخراج والانفال وغيرها من الأموال المخصصة للمصلحة العامة .

وجعل في هذا القسم الأموال الخاصة أي ما كان للافراد فبحث في الاسباب الشرعية للملك أو كسب الحق ويدخل في ضمن هذا احكام الأحياء والحيازة والصيد والتبعية والميراث والضمانات والغرامات بما في ذلك عقود الضمان والحوالة والقروض والتأمين وغير ذلك .

وجعل في باب آخر في احكام التصرف في المال فشمّل كتاب البيع والصلح والشركة والوقف والوصية وغير ذلك من المعاملات والتصرفات .

أما القسم الثالث أي السلوك الخاص ويقصد به ما لا يتعلق مباشرة بالمال ولا يدخل في عبادة الانسان لربه . واحكامه على نوعين : الأول : ما يرتبط بتنظيم علاقات الرجل مع المرأة ويدخل فيه النكاح والطلاق والخلع والمباراة والظهار والايلاء وغير ذلك .

(١) الفتاوى الواضحة ص ٩٧ .

والثاني : ما يرتبط بتنظيم السلوك الخاص في غير ذلك المجال ويدخل فيه احكام الأطعمة والاشربة والملابس والمساكن وآداب المعاشرة واحكام النذر واليمين والعهد والصيد والذباجة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . .
أما القسم الرابع : وهو السلوك العام ويريد به سلوك ولي الأمر في مجالات الحكم والقضاء والحرب ومختلف العلاقات الدولية ويدخل في ذلك احكام الولاية العامة والقضاء والشهادات والحدود والجهاد . . .

مع الشهيد الصدر أصولياً

فكما نبغ السيد الشهيد (قد ه) في الفقه منذ صباه فانه نبغ في علم الأصول منذ تلك الفترة ومن آيات نبوغه هذا الايرادات التي اشكل بها على كتاب « المعالم في الأصول » يوم تتلمذه على يد أخيه السيد اسماعيل الصدر (قد ه) فكانت تخطر بباله الاشكالات التي أوردها صاحب الكفاية الآخوند الخراساني في كفايته التي تعد من أدق الكتب الأصولية .

وكذلك ما كتبه في علم الأصول في مبحث الاشتغال « غاية الفكر » وقد خالف فيه نظريات المشهور من علماء الأصول وأساطين هذا العلم .

ويبدو نبوغه أمراً طبيعياً فانه ورث عن آبائه وأجداده تلك العبقرية الخارقة والذكاء المفرط فكان أباه وأجداده ممن أسهم مساهمة فعالة في بناء الكيان الأصولي فجده الأعلى السيد نور الدين علي بن علي ممن دافع عن علم الأصول إبان الهجوم الذي شنّه الأخباريون على علم الأصول فكتب كتابه « الفوائد المكية في نقض الفوائد المدنية الأسترآبادية » ^(١) وذلك رداً على كتاب شيخ الأخباريين الميرزا محمد امين الأسترآبادي الذي صنف كتابه « الفوائد المدنية » وتعرض لعلماء الأصول وحمل عليهم .

وجده السيد اسماعيل بن السيد صدر الدين كان من مفاخر علماء الأصول وهو صاحب « الشبهة العباتية » التي أثارها في الأوساط العلمية حين قدومه الى

(١) الذريعة ج ١٤ ص ٢٢٤ آغابزرك الطهراني، وتكملة الأصل ص ٣٠٥ السيد حسن الصدر.

النجف الأشرف على عهد صاحب القوانين .

وناهيك عن مقام ابيه وبراعته في الفن الأصولي وهو صاحب « الشبهة الحيدرية » التي تناولها العلماء بالبحث والتحقيق وكان في مقدمتهم شيخ الأصوليين الشيخ ضياء الدين العراقي .

وقد تتلمذ السيد الشهيد (قد ه) على السيد الخوئي وحضر ابحاثه الأصولية ففقد ما يقرب من أربعة عشر سنة ثم انفصل عنه ليؤسس مدرسته الأصولية المتميزة فشرع فيلقاء بحوئه العليا في عالم الأصول في سنة (١٣٧٨ هـ) في يوم الثلاثاء في الثاني عشر من شهر جمادي الثاني .

وكانت حصيلة ما ألقاه من بحوث في الأصول في دورتين بدأت الأولى سنة (١٣٧٨ هـ) وانتهت في يوم الثلاثاء في الثاني عشر من شهر ربيع الثاني لعام (١٣٩١ هـ) وقد استمرت هذه الدورة لما يقرب من ثلاث عشرة سنة ، ثم بدأ الدورة الثانية الى قبيل استشهاده فلم يوفق لاكمالها وقد مضى عليها ما لا يقل عن تسع سنوات .

وكتب تقارير بحثه الأصولي كل من تلميذه السيد كاظم الحائري والسيد محمود الهاشمي فصدر لأول الجزء الأول من القسم الثاني تحت عنوان (مباحث الأصول) وهو بخصوص مبحث القطع وكتب في مقدمة الكتاب ترجمة وافية لاستاذة السيد الشهيد اعتمدنا عليها كثيراً .

وصدر للثاني منها - وهو في العراق يوم كان بقرب استاذة - كتابين وألحق بهما في ايران خمسة اجزاء أخرى تحت عنوان (بحوث في علم الأصول) .

وقد ترك السيد الشهيد (قد ه) آثاره الخالدة في عملية تطوير الفكر الأصولي فقد كتب فيه وباحث ، فشيء أروع النظريات الأصولية ، ولكن ما كتبه أقل مما درسه فقد كتب في شبابه كتاب « غاية الفكر » في مبحث الاشتغال وكتاب « المعالم الجديدة » وذلك تلبية لدعوة كلية اصول الدين بيغداد في وضع المناهج الدراسية فكتب لها هذا الكتاب ، واخيراً وقبل شهادته بثلاثة اعوام كتب أروع كتاب أصولي يقع في اربعة اجزاء على حلقات ثلاث ليكون كتاباً دراسياً في جامعة النجف الكبرى وهو اليوم موضع عناية العلماء وسنلقي عليه نظرة خاصة .

أما ما درسه فكان في فترة زمنية تقرب من اثنتين وعشرين سنة تخرج من مجلس بحثه الكثير من الفضلاء والفقهاء .

أما ابداعاته ومساهمته في تطوير الفكر الأصولي فقد تجلّى في النظريات التي طرحها السيد الشهيد (قد ه) وابداعه في تغيير مناهج البحث الأصولي، وكتب السيد الحائري عن ذلك يقول :

« . . فحقاً ان علم الأصول قد مر على يد استاذنا الشهيد بعصر جديد فلو اصفناه الى العصر التي قسم ^(١) اليها فترات العلم في العالم الجديدة لكان هذا عصرًا رابعاً هو عصر ذروة الكمال ترى فيه من الابحاث القيمة والجواهر الثمينة والدرر المضيئة ما يبهر العقول وهي تشتمل على مباحث فريدة من نوعها وفيها ما تكون - تارة - جديدة على الفكر الأصولي تماماً أي : انها لم تبحث من قبل ، واخرى تكون مغيرة كما اختاره الأصحاب في ابحاثهم السابقة ببرهان قاطع واسلوب فائق ، وثالثة معدلة لنفس ما اختاره الأصحاب ومصلحة له ببيان لم يسبق له نظير .

فمن القسم الأول : ما جاء به من البحث الرائع لسيرة العقلاء وسيرة المتشرعة فقد تكرر لدى اصحابنا المتأخرين (قد ه) التمسك بالسيرة لاثبات حكم ما ولكن لم يسبق أحد استاذنا - رحمه الله - فيما أعلن في بحثه للسيرة وابرز أسس كشفها والقوانين التي تتحكم فيها والنكات التي يبنى الاستدلال بها على أساسها باسلوب بديع ومنهج رفيع وبيان متين .

ومن هذا القسم أيضاً بحثه القيم عما اسماه بنظرية التعويض وهو وإن كان اقرب الى فن البحوث الرجالية منه الى الأصول ولكنه قد بحثه بالمناسبة ضمن مباحث حجية خبر الواحد وأوضح فيه كيف اننا نعوض - احياناً - المقطع السندي المشتمل على الضعف البارز في سند الحديث بمقطع آخر غير بارز لدى الناظر بالنظرة الأولية وهذا الأمر وان وجدت بذوره لدى من تقدم على الاستاذ - رحمه الله - ولكن لم أر احداً قبله يتعرض لهذه الفكرة على مستوى البحث العلمي ويدقق في أسس هذا التعويض وأقسامه

(١) لقد قسم السيد الشهيد (ره) في كتابه المعالم المراحل التي مرّ بها علم الأصول إلى ثلاثة عصور

ومن القسم الثاني : بحثه البديع في حجية القطع الذي أثبت فيه أن رأس الخيط في البحث انما هو مولوية المولى وحدودها ، وانحدر من هذا المبدأ الى الآثار التي تترتب على ذلك وانتهى الى ابطال ما بنى عليه المحققون جيلاً بعد جيل من قاعدة قبح العقاب بلا بيان ، وآمن بمنجزية الاحتمال وأن البراءة التي نؤمن بها هي البراءة الشرعية أما البراءة العقلية فلا .

ومن هذا القبيل ابطاله لحكومة الأصول بعضها على بعض حينما تكون متوافقة في النتيجة كحكومة استصحاب الطهارة على قاعدة الطهارة أو الأصل السببي على الأصل المسببي الموافق له وكذلك ابطاله لحكومة الامارة على الأصل لدى توافقها في النتيجة .

ومنه أيضاً ابطاله لما اشتهر من جريان أصالة الطهارة في ملاقي بعض اطراف الشبهة المحصورة على تفصيل يأتي في محله انشاء الله .

ومنه ايضاً بحثه البديع في الوضع وابرازه لنظرية القرن الأكيد .

ومن القسم الثالث بحثه الرائع عن حقيقة المعاني الحرفية حيث يوافق فيه على أصل ما اختاره المحققون المتأخرون من كون المعاني الحرفية هي المعاني النسبية والمغايرة هوية للمعاني الاسمية ولكن مع ادخال تعديل واصلاح جوهرين على ما أفاده الأصحاب (قد ه) ومن هذا القبيل بحثه الذي لم يسبق له نظير عن الجمع بين الأحكام الظاهرية والواقعية حيث اختار نفس ما اختاره المحققون من امكانية الجمع بينهما وعدم التنافي والتعارض فيما بينهما ولكن مع التعديل الجوهرى لطريقة الاستدلال وكيفية الجمع .

وقبل ان اترك هذه النقطة لا يفوتني ان أشير الى ان من ابحاثه البديعة ايضاً أبحاثه عن الترتب وعن التراحم وعن قاعدة لا ضرر والتي تعارف البحث عنها في الأصول رغم انها قاعدة فقهية .^(١) انتهى .

وقد وضع السيد الشهيد (قد ه) نظرياته في أدق المسائل والبحوث الأصولية التي قل فيها المخالف لوعورة مسالكها والتعقيد الذي يكتنفها وغالباً ما

(١) مقدمة المباحث ص ٥٨ ، ص ٦٠ .

يكون العلماء مقلدة للسلف والمشهور تحاشياً للخلاف وهذا ما يعكس نظره الثاقب والدقة العلمية في نظريات السيد الشهيد (قده).

نظرة في كتابه « دروس في علم الأصول » .

لقد كان السيد الشهيد الصدر (قده) يرفض حالة الجمود والركود واعتياد الأساليب القديمة التي أكل الدهر عليها وشرب حتى أنه (قده) كان يسمي هذه الحالة بالنزعة الاستصحابية أي استصحاب الوسائل القديمة والنفور من طابع التجديد في كل شيء . وفي محاضرة له أكد تدمره من هذه النزعة اذ يقول : « لا بد لنا ان نتحرر من النزعة الاستصحابية ، من نزعة التمسك بما كان حرفياً بالنسبة الى كل اساليب العمل . هذه النزعة التي تبلغ القمة عند بعضنا ، حتى ان كتاباً دراسياً مثلاً - أمثل بابطال الأمثلة - اذا أريد تغييره الى كتاب دراسي آخر افضل منه حينئذ تنقف هذه النزعة الاستصحابية في مقابل ذلك . إذا أريد تغيير كتاب بكتاب آخر في مجال التدريس - وهذا أضال مظاهر التغيير - حينئذ يقال : لا ، ليس الأمر هكذا بل لا بد من الوقوف ، لا بد من الثبات والاستمرار على نفس الكتاب الذي كان يدرس فيه الشيخ الأنصاري أو المحقق القمي (قده) ... »^(١) .

نعم ان هذه النزعة هي التي عطلت الطاقات العظيمة وهدرت الامكانيات الهائلة كتطوير الفكر والحرمة العلمية حتى نقل ان السيد المجدد الشيرازي الذي يعتبر من اعظم الفقهاء لم يترك كتاباً واحداً وقد سئل عن ذلك فقال : بعد الرسائل والمكاسب لا ينبغي لأحد تأليف كتاب في الفقه والأصول ، ولذا أمر بإلقاء كل ما كتبه من بحوثه العلمية وآرائه القيمة ونظرياته الصائبة في نهر دجلة^(٢) .

ومن هذا الواقع انطلق السيد الشهيد (قده) ليغير وليشجع على التغيير في كل اساليب العمل الاسلامي بل حتى في وضع المناهج الدراسية في جامعات الفقه فلجأ الى تغيير منهاج علم الأصول وبكل جرأة فكان انقلاباً ضجر منه أصحاب الدعة والراحة ومن ليس فيهم قابلية التغيير الذين يسرون ركودهم وجودهم بحفظ ما كان وابقائه .

(١) محاضرات المحنة ص ٧٨ .

(٢) ترجمة الشيخ الأنصاري في مقدمة «المكاسب» بقلم السيد محمد كلانتر ص ١٤١ .

وهكذا كتب السيد الشهيد (قد ه) (دروس في علم الأصول) في ثلاث حلقات ويقع في أربعة اجزاء أعده لطلبة ما يسمى « بطلبة السطوح » أي قبل مرحلة الدراسات العليا التي تسمى « البحث الخارج » .

وقد كان بعض العلماء الأبرار من يدفع السيد الشهيد (قد ه) للاسراع في انجاز هذا المشروع فكتبه وانجزه في ما يقرب من ثلاثة اشهر أو يزيد عليها ، وكان من هؤلاء العلماء تلميذه المرحوم السيد عبد الغني الأردبيلي الذي كان له الدور الكبير في حث السيد الشهيد على انجازه - كما صرح بذلك الشهيد نفسه - ليكون هذا الكتاب منهاجاً في حوزته (مدرسته الفقهية) الفتية التي أسسها في اردبيل بعد هجرته الى ايران بيد انه توفي قبل نيل مراده وصدر الكتاب بعد وفاته فاهدى الشهيد (قد ه) كتابه هذا الى روح تلميذه .

وانطلق السيد الشهيد (قد ه) في ثورته المنهجية والطرح العلمي المتجانس لا لرغبة في نفسه لوضع منهج في علم الأصول - وهو الذي لا يكتب الا للء الفراغ وبدافع اشباع الحاجة كما تقدم - بل لتوفر المبررات الموضوعية التي لا يختلف فيها اثنان .

وقد أوضح السيد الشهيد (قد ه) هذه المبررات التي دعت الى استبدال الكتب الأصولية القديمة بما وضعه من منهج علمي جديد وذلك في مقدمة كتابه نذكرها باختصار وتلخيص لأهميتها علمياً وتاريخياً .

المبرر الأول : ان الكتب الدراسية القديمة (المعالم، القوانين ، الرسائل ، الكفاية^(١)) تمثل مراحل مختلفة من مراحل الفكر الأصولي ، فالمعالم تعبر عن مرحلة قديمة تاريخياً من مراحل علم الأصول ، والقوانين تمثل مرحلة اعلى من سابقتها ، بينما كانت الرسائل والكفاية نتاج اصولي يعود لما قبل مائة سنة تقريباً وقد حصل علم الأصول بعد الرسائل والكفاية على خبرة مائة سنة تقريباً من البحث والتحقيق على يد أجيال منعاقبة من العلماء المجددين وهذه المثة جديرة بافرازات علمية

(١) كتاب المعالم للشيخ حسن نجل الشهيد الثاني والقوانين للمحقق القمي والرسائل للشيخ الأنصاري والكفاية للأخوند الخراساني .

جليلة ، وتطورات جديدة في طريقة البحث في جملة من المسائل الأصولية واستحداث مصطلحات حديثة تبعاً لهذه الطفرة العلمية خلال المئة عام . أليس من الحق ان تنال هذه التطورات والافرازات اهتماماً أكبر ليكون الطالب قد استوعب افكارها ومصطلحاتها الحديثة بينما يقف الطالب متحيراً في البحث الخارج لهول سماعها لأول مرة دون ان تطرق ذهنه في تلك الكتب الدراسية القديمة التي تتعامل معه بلغة ما قبل مائة عام . فهناك فاصل معنوي بين ابحاث الخارج التي تمثل التطور الذي هو حصيلة المائة سنة الأخيرة وبين تلك الكتب الدراسية .

ويؤكد السيد الشهيد (قد ه) هذا بشاهد يذكره على سبيل المثال لما استجد من مطالب ومن هذه المطالب افكار باب التزاحم ومسلك جعل الطريقة الذي اشاده الميرزا النائيني والمسائل المتفرعة عليه في مسائل قيام الامارات مقام القطع الموضوعي وحكومة الامارات على الأصول ورفع قاعدة قبح العقاب بلا بيان بجعل الحجية وفكرة جعل الحكم بنحو القضية الحقيقية بآثارها الممتدة في كثير من ابحاث علم الأصول كبحت الواجب المشروط والشرط المتأخر والواجب المعلق واخذ العلم بالحكم في موضوع الحكم والوجه الجديد لبحث المعاني الحرفية الذي يختلف اختلافاً أساسياً عن الصورة الغربية التي تخلفها آراء صاحب الكفاية في ذهن الطالب .

نعم ان الفكر الأصولي قد تطور بعد الشيخ الأنصاري والآخوند الخراساني على يد اساطين الأصول كالميرزا النائيني والشيخ آقايضاة العراقي والسيد الخوئي والاصفهاني والسيد الشهيد الصدر (قد ه) واصبح في مرحلة متميزة عن المراحل السابقة في صياغة النظريات الأصولية المختلفة ولغتها واصطلاحاتها فلا بد من تعرف الطالب على هذه النظريات والمصطلحات كي لا يفاجأ في الدراسات العليا بنظريات اصولية مختلفة تماماً عما درسه ، وبلغة مختلفة ومصطلحات متباينة ، وهذا يستدعي وضع كتاب يمثل هذه المرحلة ، وكان هذا هو المبرر الأول الذي دفع السيد الشهيد لوضع هذا المنهج الدراسي الجديد .

المبرر الثاني : ان هذه الكتب الأربعة لم يكن يهدف مصنفوها ان تكون كتباً دراسية بل كانت تعبر عن افكارهم ولهذا لم يكن في حسابهم الطالب المبتدئ والذي يسير خطوة خطوة ، وانما كانوا يهدفون الى اقناع خصومهم في المسائل

المختلف عليها ولذلك غالباً ما يستعرض مصنفوها خطوات الاستدلال بشكل متكامل وتحذف منه بعض الحلقات في الاثناء أو البداية لوضوحها لدى العلماء .
وعليه فلم يراع في هذه الكتب توفير فهم مسبق عند الطالب للمسائل والقواعد التي يستعين بها الطالب لهضم المادة ومعرفة تسلسل البرهان والدليل .

وقد أوضح السيد الشهيد (قد ه) هذه الحقيقة ودعمها بعدد غير قليل من الشواهد والامثلة في مختلف الابحاث الأصولية من هذه الكتب الأربعة .

المبرر الثالث : وهو من افرازات المبرر الثاني الذي تمثل في كون غرض هذه الكتب يعبر عن افكار مصنفها للرد على خصومهم ومن أجل اقناعهم ! وعليه فهي فاقدة لغرض أساسي في طريقة التدريس ويتمثل هذا الغرض في طريقة اعداد الطالب بشكل متجانس وتنسيق دقيق بين عدة مراحل من دراسته ، فلا بد في البداية من تكوين ثقافة عامة ثم الانتقال به الى مرحلة أعلى منها بشكل تدريجي الى بحث الخارج .

المبرر الرابع : الطريقة الموروثة تاريخياً في عناوين المسائل الأصولية التي لم تعد تعبر عن الواقع تعبيراً صحيحاً لأن ابحاث علم الأصول وصلت القمة وافراز التطور الأصولي عن عناوين جديدة لم تكن بالأمر بينها كانت بعض هذه المسائل يبحث تحت عناوين ربما تكون هي اهم من المسائل صاحبة العنوان .

هذه هي المبررات التي دعت السيد الشهيد (قد ه) لاستبدال الكتب القديمة بما وضعه من فيهم جديد في علم الأصول .

ولم يكن بوسع السيد الشهيد (قد ه) ان يقبل بعمليات الترفيع والتلفيق في المناهج من القديم والحديث فهو يصبو الى عملية انقلابية تهدف الى التغيير بشكل كامل وجذري ولذلك رفض السيد الشهيد (قد ه) المحاولات الاصلاحية التي قام بها بعض العلماء الاجلاء وبالخصوص محاولة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه اصول الفقه .

ورغم حداثة (اصول المظفر) وجهوده الجبارة في هذا المضمار يرى السيد (قد ه) عدم نجاح هذه المحاولة ويبيدي عليها بعض الملاحظات مع انه (قد ه) يعتبرها اكثر المحاولات استقلالية وأصانة .

والملاحظات التي أبدتها السيد الشهيد (قد ه) هي ما سنذكره باختصار

هي :

١ - ان كتاب اصول الفقه لا يمكن ان يقتصر عليه في مرحلة السطوح (وهي مرحلة ما قبل الدراسات العليا) بل هو حلقة وسيطة بين المعالم وكتابي الكفاية والرسائل ، ومع ان الشيخ المظفر قد ضمن كتابه بأفكار حديثة مستقاة من مدرسة النائيثي والمحقق الأصفهاني بيد أنها لا تفي بالغرض لأن الطالب يقرأ المعالم التي تمثل مرحلة قديمة لعلم الأصول ينتقل فجأة وبقدرة قادر - كما يعبر السيد الشهيد - ليقراً الأفكار الحديثة السالفة الذكر ثم يعود القهقري ليقراً افكار الكفاية والرسائل التي نوقشت واستبدلت جملة منها بأفكار أمتن في كتاب اصول الفقه .

ولذلك فان السيد الشهيد (قد ه) يعتبر هذه المحاولة ترقيعية .

٢ - ان بحوث الكتاب لا تعبر عن مستوى واحد من العطاء كيفاً وكماً فيعمد الشيخ المظفر الى الاطناب في بعض المباحث بينما يوجز في مباحث اخرى بل يرى السيد الشهيد (قد ه) ان لا تنسيق بين بحوثه وبين بحوث الكفاية التي فرض منهجياً ان تكون بعده في الخط الدراسي .

وبعد كل هذه الاعتراضات والملاحظات التي سجلها السيد الشهيد (قد ه) على الكتب الدراسية القديم منها والحديث ما هي ميزات الحلقات التي كتبها وأراد لها ان تحل محل الكتب الأربعة وما استجد بعدها ، فلا يسعنا الا ان نقرأ ما كتبه السيد في مقدمة كتابه « دروس في علم الأصول » لنرى الفرق والبون بين هذه وتلك .

أولاً : من الاعتراضات التي أوردها السيد (قد ه) على الكتب الأربعة انها لا تصلح اليوم لئلا تكون مرجعاً في التدريس وهي تمثل مراحل تأريخية تتفاوت قدماً وقد ظهرت نظريات جديدة ومصطلحات حديثة غيرت مجرى الفكر الأصولي لذلك كان هدف السيد الى طرح هذه النظريات الجديدة التي تمثل آخر مرحلة من مراحل تطور الفكر الأصولي وان لم تكن هذه النظريات صحيحة في نظر السيد الشهيد لأن الغاية من كتابة المنهج الجديد «دروس في علم الأصول» أو ما

تسمى بـ «الحلقات الثلاث» اختصاراً - هي اعداد الطالب وتمرينه على الممارسة الفنية لتلك الأفكار وتطرح احياناً افكاراً غير صحيحة لي طرح من خلالها عرض النظريات الصحية عند مناقشة هذه النظريات القديمة .

ثانياً : ان الحلقات الثلاث تمثل جميعاً منهجاً واحداً يستوعب كل واحدة منها مباحث علم الأصول بكاملها ولكنها تختلف في مستوى البحث كماً وكيفاً وتدرج هذه الحلقات بطرح مسائل علم الأصول بشكل يتناسب وقابلية الطالب وتفادي تحميله ما يفوق قابلياته وقدراته في كل من هذه المراحل .

فبينما تمثل الحلقة الأولى مقدمة وتمهيداً لمسيرة الطالب العلمية، تمثل المرحلة الثانية أعلى من سابقتها، بينما تقسم الحلقة الى جزئين يمثل الجزء الثاني منها مرحلة عالية جداً تؤهل الطالب لحضور البحث الخارج (الدراسات العليا) .

وهذه الميزة في الحلقات الثلاث تنفرد بها عن الكتب الأصولية الأخرى .
ثالثاً : وقد تجاوزت الحلقات الثلاث ما اعترض على الكتب الأربعة من الطابع الموروث تاريخياً للمسائل الأصولية فأبرزت المسائل بعناوين مناسبة مستجدة تناسب التطور الذي مر به علم الأصول . اضافة الى عدول السيد الشهيد (قد) عن تصنيف المسائل الأصولية إلى مجموعتين أو التصنيف الرباعي فعوضاً عن تقسيم المسائل الأصولية الى مباحث الألفاظ والأدلة العقلية قسم الشهيد مسائله الى مباحث الأدلة ومباحث الأصول العملية ويظهر ان السيد (قد ه) انما عمد الى هذا التقسيم لأنه يناسب عملية الاستنباط التي يمارسها الفقيه والتي تشتمل على مرحلتين مترتبتين طولياً وهي الأدلة والأصول فبعد ان يفقد الفقيه الدليل يعتمد الى البحث عن الأصول .

رابعاً : استعرضت الحلقات مسائل الأصول مبتدئة باليسير وتنتهي بالمعقد من هذه المسائل وتدرجت في عرضها بحيث لا تعرض مسألة الا بعد ان تكون قد استوفت كل ما له دخل في تحديد التصورات العامة فيها .

خامساً : ومن أجل ذلك كله فان الشهيد (قد ه) لم يتعرض في المسائل التي بحثها لكل أدلتها من روايات وآيات إلا بقدر ما يستدعيه الطرح العلمي لأن

عرض كل الأدلة ليس من هدف الحلقات وانما تلزم في البحث الخارج او الكتب المعدة لتكوين الآراء النهائية فيلتزم المؤلف باستعراض الأدلة كلها .

سادساً : ومن مميزات الحلقات هذه انعدام الذاتية فلم يكن الشهيد (قد) بصدد عرض آرائه الأصولية في كتابه هذا لذلك يعمد الى عرض الآراء والنظريات التي اكتشفها غيره من علماء الأصول وان لم يكن السيد الشهيد (قد ه) يوافق نظره نظرة العلماء هؤلاء .

نعم . يذكر السيد الشهيد (قد ه) آراءه الأصولية اذا استدعى ذلك الأمر ليس باعتباره مؤلف الكتاب فلا بد ان يضم نظرياته في الأصول وانما باعتباره صاحب مدرسة أصولية لها آروها ونظرياتها الخاصة التي ساهمت بشكل فعال في تطوير الفكر الأصولي في المرحلة الأخيرة من مراحلها .

ولذلك فان آراء السيد الصدر (قد ه) ونظرياته لا يمكن التعرف عليها من خلال مراجعة الحلقات الثلاث « دروس في علم الأصول » وان صيغت هذه الآراء المعروضة في الحلقات بشكل يدل على التبني والارتضاء .

ومع هذا التجديد في منهج الدراسات الأصولية فان السيد الشهيد (قد ه) حافظ على العبارات الأصولية القديمة ولم يدخل عليها تطويراً مهماً وذلك ليتمكن الطالب من الرجوع الى الكتب القديمة وغيرها التي تستعمل تلك المصطلحات ولكن السيد (قد ه) اكتفى في عملية تجديد هذه المصطلحات على مستوى الحلقة الأولى فقط مراعاة لهذه الملاحظة المهمة وهي تجديد المصطلحات الأصولية .

مع الشهيد الصدر فيلسوفاً

الابداع والذكاء المفرط والعبقرية المتميزة التي يتمتع بها السيد الشهيد الصدر (قد ه) جعلته يخوض في اكثر من مجال من مجالات العلم والمعرفة لا لمجرد الاطلاع وحسب بل ليكون من رواد النظريات والأفكار فيها فخاض في مجال الفلسفة والاقتصاد والمنطق ولم يعرف عنه تتلمذه لدى احد من العلماء بل كان يعتمد على قدراته الذاتية وامكاناته الهائلة .

ففي الفلسفة التي تعتبر من العلوم المعقدة اجتاز المراحل الدراسية ثم ليصبح فيلسوفاً دون حضوره لدى اساتذة الفلسفة بل نقل عن الفيلسوف الكبير يومئذ في النجف الأشرف المعروف بملا صدرا البادكوي انه قال عن الفترة التي حضر فيها السيد الصدر (قد ه) لديه لدراسة كتاب الحكمة المتعالية المعروف بـ«الأسفار الأربعة» للفيلسوف الاسلامي الكبير الملا صدرا الشيرازي «اشترط علي ان لا يتابعني في التدريس الرتيب من هذا الكتاب بل طلب مني ان يقرأ كل يوم صفحات من هذا الكتاب ويسألني عما أشكل عليه فقبلت وأنهى دراسة الكتاب بسرعة على هذا الشكل»^(١).

فدراسة الشهيد الصدر (قد ه) لكتاب الاسفار الأربعة بهذا الشكل وبهذه الفترة الزمنية الوجيزة مع كون هذا الكتاب يمثل أعلى مرحلة من مراحل الفلسفة وهو بمثابة الدراسات العليا في علم الفلسفة لا بد لدارسيه ان يكونوا قد قطعوا

(١) الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية في العراق، ص ٨ للأستاذ غالب حسن.

شوطاً كبيراً في دراسة الكتب الفلسفية ومناهجها الدراسية المتداولة - يدل على عبقرية الفذة وابداعه وذكائه المفرط مع انه لم يعرف تتلمذه على أحد في دراسة الكتب الفلسفية المتعارف تداولها قبل كتاب الأسفار الأربعة وهذا يدل على انه كان يلجأ الى قدراته الذاتية ولا يستعين بأحد الا في الضرورات القصوى كما فعل في تتلمذه على الفيلسوف الملا صدرا البادكوي . . وهذه العبقرية جعلته في مقدمة فلاسفة القرن العشرين ممن يشار اليهم بالبنان . ولكنه لم يكتب في الفلسفة سوى كتابه الشهير « فلسفتنا » وهذا مما أفاد خصومه في محاربته والتشكيك بفلسفته للنيل من شخصيته الفلسفية ومصادرة مدرسته المتميزة في هذا المجال .

يقول السيد حسن النوري في تنفيذ هذه الدعوى : « لقد كان الشهيد الصدر فيلسوفاً من غير منازع ، استطاع تكوين نظرية جديدة في المعرفة ولقد دخل ميدان النظريات القديمة في المعرفة وناقشها وانتهى الى عدم قدرتها الكاملة على طرح النظرية الصحيحة في تفسير المعرفة الانسانية . . وقد يقول البعض ان الفيلسوف هو من يدرس الفلسفة القديمة ثم يقوم بشرحها وتفصيلها كالسيد الطباطبائي . ونحن نقول ان من يستطيع ان يطرح نظرية جديدة للمعرفة لا تبني فقط مع الاسس المنطقية والفلسفية التقليدية فيلسوف بمعنى الكلمة ، وهذا ما ينطبق على الشهيد الصدر (قد ه) فهو من أساتذة « الحكمة المتعالية » ومن الذين قدموا نظرية جديدة في المعرفة »^(١)

وكتابه « فلسفتنا » ليس الا تلبية لنداء الرسالة الاسلامية واشباعاً للحاجة يومئذ - كما سيأتي - فلم يكتب السيد الشهيد (قد ه) في كتابه نظريته في المعرفة في هذا الكتاب بل ظل يواصل ويواكب العلوم الفلسفية ويسعى باستمرار الى التعرف والبحث عن الحقيقة ولذلك عدل عن كثير مما اعتنقه في نظرية المعرفة التي كتبها وصاغها في كتابه فلسفتنا فقدم نظرية جديدة لنظرية المعرفة تختلف عن سابقتها في عدد مهم من أقسام المعرفة البشرية وذلك في كتابه « الأسس المنطقية للاستقراء » .^(٢)

(١) مع الشهيد الصدر محققاً، بقلم السيد النوري مجلة الحوار العدد/ ٢٨ - ٢٩ / ص ٥٤ .

(٢) مقدمة المباحث ص ٦٣ .

وكان أيضاً « قد بدأ أخيراً بتأليف كتاب فلسفي معمق ومقارن بين آراء الفلاسفة القدامى والفلاسفة الجدد وبدأ يبحث تحليل الذهن البشري ولم يوفق لا كماله ولا نعلم بمصير ما كتبه في ذلك ولعله صودر من قبل البعث العميل ضمن ما صودر من كتبه وممتلكاته » واعتقد انه لو صدر ذلك الكتاب ولو على نحو غير كامل لكان له شأن اعظم بكثير من كتاب « فلسفتنا » لأنه يعبر عن معاناة وتجارب لمدة طويلة بين فترة صدور كتابه « فلسفتنا » والفترة التي شرع في هذه البحوث الجديدة .

فلسفتنا :

كتاب « فلسفتنا » هو أشهر أثر فلسفي خلفه الامام الصدر (قد ه) فينبغي للباحث ان يتلمس من خلال مراجعته كتاب « فلسفتنا » الذوق والحس الفلسفي لدى السيد الشهيد (قد ه) ومثانة براهينه وقوة حججه واستدلالاته الفلسفية مع ما لهذا الكتاب من قصة تروي أيام المعاناة والجهاد الفكري مع أشرس أعداء الاسلام ، يوم امتد الغزو الأحمر ليسرق من العراق والبلاد الاسلامية المجاورة تأريخها ومجدها وعقيدتها وفكرها الاسلامي فتصدى الامام الشهيد (قد ه) ليكتب فلسفة الاسلام في أقصر وقت وفي ظروف عصيبة ملؤها الخوف والمطاردة ليعيد للاسلام رونقه وللرسالة زبرجها ولم يعبأ بما يؤول اليه مصيره وحياته وكيانه وهو في مقتبل العمر ومطلع الشباب .

يقول السيد محمد باقر الحكيم : « ولا زلت اذكر ان كتاب « فلسفتنا » كان يطبع في مطبعة تطبع فيها جريدة شيوعية كان يشرف عليها مسؤول الحزب الشيوعي للفرات الأوسط (حسن عويّنة) حيث كان الشرر يتطاير من أعينهم عندما كنت أراجع المسودات في المطبعة^(١) » .

ويذكر السيد الحكيم انهم كانوا يذهبون الى المطبعة وحرس الجمهورية يومذاك يملؤون الشوارع وينكلون بمن يعاديهم فكانوا يخشون ان يأخذوا من أيديهم نسخ الكتاب^(٢) . في هذه الظروف صدر كتاب « فلسفتنا » فكان انطلاقة جديدة

(١) (٢) في حديث للسيد محمد باقر الحكيم في مجلة الجهاد العدد/ ١٤/ ٢ جمادي الآخرة/ ١٤٠١ هـ

لم تعهد لها النجف الأشرف بهذا المستوى من العمق الفلسفي والتجديد المنهجي مع شراسة الهجمة وضيق الوقت فشمر الصدر عن ساعديه لينجز كتاب فلسفة الاسلام بهذا الأسلوب في مدة عشرة أشهر^(١) .

ودخل كتاب « فلسفتنا » ميدان الصراع الفكري فتهاوت أمامه صروح الفلسفة المادية المتهاوية فباتت على عروشها خاوية وليس فيما أقول مبالغة فقد اعترف بذلك اساتذة المعرفة والفلسفة .

يقول الدكتور اكرم زعيتر « انني اعتقد ان المادية الديالكتيكية لم تجابه بمناقشات فلسفية واعية فاهمة ولم تفرع برودود علمية من قبل كتاب العرب المتفلسفين كما جوبهت وكما قرعت بهذا الكتاب - يقصد فلسفتنا - اجل انه لم ينازلها منازل عربي أو مسلم عنيد حسب اطلاعي مثل محمد باقر الصدر^(٢) .

ويقول الدكتور سليمان دنيا استاذ الفلسفة بكلية اصول الدين بجامعة الأزهر مخاطباً احد علماء العراق في مصر : « انني استفدت من كتاب فلسفتنا وطالعت اكثر من مرة فلو انك تقيم بمصر وتطبع هذا الكتاب فاني مستعد للقيام بتدريسه هنا على طلابي في الجامعة . . . »^(٣) .

وكتب الدكتور سليمان دنيا مقدمة لكتاب « الشيعة وفنون الاسلام » لآية الله السيد حسن الصدر فيذكر الدكتور دنيا في مقدمته هذه بجهود الامام الشهيد (قد ه) وعبقريته فيقول : « . . وفي هذا المقام يحلولي ان أشير الى مفخرة من مفاخر المسلمين يحق ان نعز بها ونفاخر تلکم هي : كتب السيد « محمد باقر الصدر » التي ما أظن ان الزمن قد جاء بمثلها في مثل هذه الظروف التي وجدت فيها . لقد انتجت عبقريته الفذة الكتب الآتية : « فلسفتنا » و « اقتصادنا » تلکم الكتب التي تعرض عقيدة الاسلام ، ونظم معاملاته عرضاً تبدو الى جانبه الآراء التي تشمخ بها أنوف الكفر والملاحدة من العربيين وأذئابهم ممن ينتسبون الى

(١) مباحث الأصول ص ٦٢ .

(٢) مجلة الاضواء الإسلامية العدد/الأول/١٥/ ذي الحجة/١٣٧٩ هـ نقلاً عن صحيفة الحياة البيروتية العدد/٤٢٩٤/٢٣/٤/ ١٩٦٠ م .

(٣) مع رجال الفكر في القاهرة ص ١٥٨ الطبعة الأولى .

الاسلام وهو منهم براء ، وكأنها فقايع قد طفت على سطح الماء ثم لم تلبث ان اختفت وكأنها لم توجد^(١) .

ويقدم احد طلاب كلية الآداب قسم الفلسفة اقتراحاً بتقديم اطروحة عن الفكر الفلسفي عند السيد الصدر فيترامى ذلك الى مسامع شيخ المتفلسفين العرب الدكتور الاستاذ زكي نجيب محمود فيبادر الدكتور الى كتابة توصية الى الكلية بقبول هذه الأطروحة معرفاً بالبعد العلمي لشخصية الصدر (قد ه) خصوصاً كتابه « فلسفتنا »^(٢) .

وكتب احد وزراء التربية السابقين في العراق عن كتاب « فلسفتنا » : « أشهد ان فلسفة الاسلام وعقيدته لم تشهد من احسن جلاءها وجلا نورها على هذا الوجه الرزين الدقيق الذي لم تفعل فيه العاطفة ولم يؤثر فيه الشعور والانفعال الذاتي مثل محمد باقر الصدر »^(٣) .

أما المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية فيقول : « . . . وبعد فهل أتهم بالمحاباة ؟ اذا قلت : ان المؤلف رد لاهل العلم والدين كرامتهم ومكانتهم التي كانت لهم أيام زمان : وهل أتهم بالمغالاة اذا قلت انه فضح الماديين ولم يبق لهم من باقية ؟ وفي عقيدتي ان كتاب « فلسفتنا » لو ترجم الى اللغات الاجنبية لكان له شأن وأي شأن . . . ولقال اهل الغرب والشرق : ان جامعة النجف اقوى خصم عرفه الماديون على الاطلاق »^(٤) .

والذي يميز كتاب « فلسفتنا » عن غيره من الكتب الفلسفية ليس فقط في متانة الأفكار الفلسفية والآراء العلمية والحجج الدامغة والاستدلالات الباهرة ، بل في الطابع التجديدي الذي ارتداه كتاب « فلسفتنا » فظهر في زي الأطروحات الفلسفية المعاصرة التي تنسجم مع الذوق الشعبي اليوم .

ولم يعرض السيد الشهيد (قد ه) عضلاته وقدراته الفلسفية ولم يكن ناوياً

(١) مع رجال الفكر في القاهرة ص ١٦٣ كتب الدكتور دنيا هذه المقدمة سنة ١٩٦٧ م .

(٢) جريدة لواء الصدر العدد ٢٩٥ / ٩ / شعبان ١٤٠٧ هـ ص ٧ حديث مع الشيخ أبي ذر الخالد .

(٣) مع الشهيد الصدر محققاً بقلم السيد النوري لمجلة الحوار العدد ٣٠ - ٣١ / ص ١٣١ .

(٤) مع علماء النجف الأشرف ص ١٣٨ مؤلفه الشيخ محمد جواد مغنية .

ذلك بل أراد مجابهة غزو فكري اقتحم دار الاسلام ، وكان المسلمون عزلاً من سلاح الفكر الفلسفي فكتب السيد الصدر كتابه « فلسفتنا » لطبقات المجتمع المسلم عموماً بلغة سهلة واسلوب جديد فتسلحت به جماهير الاسلام للذود عن رسالتها وعقيدتها وبذلك كان الامام الصدر (قد ه) (أول من أنزل الفلسفة الاسلامية ، من برجها العاجي الذي احتكره أناس مخصوصون معدودون على الأقل في زمننا الحاضر في العالم الاسلامي وغير الاسلامي في دنيا العروبة والعراق عامة ، وعلى صعيد الامامية بصورة خاصة . . . نعم انزلها وجعلها في متناول الطبقة المثقفة من الناس وعلى مستوى العصر وبمستوى اهتماماته . . .)^(١)

وحقق كتاب « فلسفتنا » انتصاراً كبيراً على المستوى العلمي النظري وعلى المستوى العملي فكان يمثل انطلاقة جديدة في عالم الكتب الفلسفية بما تضمنه من افكار وآراء ونظريات فلسفية متينة واسلوب عصري جديد . ولكنه بالاضافة الى ذلك لم يقبع في زوايا المكتبات كغيره من الكتب الفلسفية بل اقتحم الحياة العملية فتلاقفه المسلمون في كل مكان فهزمت أمامه جحافل الغزو الاحادي ولم تقم لهم منذ ذاك قائمة .

ومن الطريف ما ينقله^(٢) الشيخ رفسنجاني^(٣) عن ايام السجن في عهد الشاه حين وصل الكتابان - فلسفتنا واقتصادنا - فعمت الفرحة المؤمنين بينما بدت على المنافقين^(٤) حالة الحقد والنفور فلم يجرؤ احد منهم على ان يتصفح الكتابين بسبب التحريم الذي صدر من قياداتهم

نعم ! لقد حقق كتاب « فلسفتنا » انتصاراً كبيراً في عالم الفلسفة فأخرس

(١) الشهيد الصدر الفيلسوف الفقيه ص ٢٧ عبد الحسين البقال .

(٢) جريدة الجهاد العدد / ٨٠ / ٢٠ / جمادي الآخرة / ١٤٠٣ هـ ص ١٠ .

(٣) الشيخ علي أكبر رفسنجاني أحد القيادات العلمائية في إيران وهو يشغل اليوم مناصب قيادية عليا في الدولة الاسلامية .

(٤) اطلق مصطلح المنافقين في إيران على « حركة مجاهدين خلق » وهي حركة منافقة تتبنى الماركسية الإسلامية حسب ما يدعون وقد ناهضت بعد قيام الثورة النظام الإسلامي وقامت بعدة اغتيالات وتفجيرات في إيران ضد القيادات الإسلامية والشعب الإيراني المسلم .

خصومه عن الجواب والنقض على نظرياته الفلسفية سوى اعتراضات هنا وهناك كان أولها في حياة الامام الشهيد الصدر نشرت في مجلة «الثقافة الجديدة» فكتب الشهيد (قد ه) جواباً على هذه الاعتراضات ثم دفعها الى احد طلابه^(١) فصاغها الأخير صياغة جديدة ونشر الجواب في نفس المجلة باسم تلميذه المشار اليه .

أما موضوعات كتاب « فلسفتنا » ومنهجيته^(٢) فالكتاب ينقسم الى بحثين وضمن البحث الأول تناول السيد المواضيع التالية :

١ - الاستدلال على المنطق العقلي القائل بصحة الطريقة العقلية في التفكير وان العقل بما يملك من معارف ضرورية فوق التجربة هو المقياس الأول في التفكير البشري ولا يمكن ان توجد فكرة فلسفية أو عملية دون اخضاعها لهذا المقياس العام وبرهن السيد انه لا غنى للنظرية التجريبية عن المنطق العقلي .

٢ - درس قيمة المعرفة البشرية بالتدليل على ان المعرفة انما يمكن التسليم لها بقيمة على أساس ان المنطق العقلي لا المنطق الديالكتيكي الذي يعجز عن ايجاد قيمة صحيحة للمعرفة .

وقد تناول السيد في البحث الثاني من هذا الكتاب المسائل التالية متسلسلة في خمسة حلقات هي : ١ - المفاهيم الفلسفية المتصارعة في الميدان ٢ - الديالكتيك كما رسمه هيجل وماركس ٣ - مبدأ العلية وقوانينها ٤ - المادة او الله : وفيها صياغة للمفهوم الاسلامي الالهي للعالم في ضوء القوانين الفلسفية وفي ضوء مختلف العلوم الطبيعية والانسانية ٥ - مشكلة الادراك التي تمثل حقلاً فلسفياً مهماً للصراع بين الفلسفة المادية والميتافيزيقية على ضوء مختلف العلوم ذات العلاقة بالموضوع من طبيعية وفسيولوجية وسيكولوجية .

معالم مدرسته الفلسفية :

ليس في النية ان اكتب عن مظاهر العبقرية الفلسفية في فكر الامام الشهيد

(١) هذا ما نقله لي شخصياً تلميذ الشهيد الصدر (ره) ذاته .

(٢) الشاهد الشهيد ص ١٦ .

(قد ه) الفلسفي وانما اتلمس ذلك وعلى استحياء لأن ذلك من اهتمامات اساتذة الفلسفة ومن مسؤولياتهم .

يقول الاستاذ معاذ حسن : « يعتمد الشهيد الرابع في محاكماته الفلسفية اسلوب الحسم الذي يوفر على الدارس الجهد والوقت في تتبع جزئيات المدارس الفلسفية وتفصيلاتها انه - رحمه الله - يتناول القاعدة الرئيسية في المذهب ويسلط عليها معاول نقده الصارم ومن البديهي ان نفس القاعدة يؤدي الى انهيار الصرح القائم عليها . » (١)

ويعتبر اسلوب الحسم من مظاهر عبقرية السيد الشهيد (قد ه) وابرز معالم مدرسته الفلسفية ويعتمده الشهيد (قد ه) في كثير من مناقشاته الفلسفية ليسد الطريق على خصومه دون اطناب .

فمن مفردات ومصاديق هذا الأسلوب مناقشته للقاعدة الاساسية في المذهب التجريبي القائلة « التجربة هي المقياس الاساس لتمييز الحقيقة » فيقول الشهيد (قد ه) « . . . وبكلمة اخرى ان القاعدة المذكورة التي هي ركيزة المذهب التجريبي ان كانت خطأ سقط المذهب التجريبي بانهار قاعدته الرئيسية ، وان كانت صواباً صح لنا ان نتساءل عن السبب الذي جعل التجريبيين يؤمنون بصواب هذه القاعدة فان كانوا قد تأكدوا من صوابها بلا تجربة فهذا يعني انها قضية بديهية وان الانسان يملك حقائق وراء عالم التجربة وان كانوا تأكدوا من صوابها بتجربة سابقة فهو امر مستحيل لأن التجربة لا تؤكد قيمة نفسها (٢) »

ومن مفردات ذلك ايضاً اعتراضاته (قد ه) على الماركسية وما تدعيه من اكتشاف قانون الحركة وان الحقيقة تتغير طبقاً لقانون الديالكتيك والذي اعتبرته الماركسية النقطة المركزية في نظريتهم الجديدة، فيتصدى الشهيد (قد ه) إلى هدم نظريتهم على ضوء ما قرروه انفسهم فيقول « وليس تحمس المدرسة الماركسية لاختضاع الحقيقة لقانون الحركة والتطور إلا لأجل القضاء على الحقائق المطلقة التي

(١) ص ٢٢ العبقريّة الفلسفية عند الشهيد الصدر بقلم الأستاذ معاذ حسن، مجلة الجهاد

العدد / ١٦ / عام ١٤٠٤ هـ .

(٢) فلسفتنا ص ٧٦ .

تؤمن بها الفلسفة الميتافيزيقية وقد فاتها أنها تقضي على مذهبها بالحماس لهذا القانون لأن الحركة إذا كانت قانوناً عاماً للحقائق فسوف يتعذر اثبات أية حقيقة مطلقة بالتالي يسقط قانون الحركة بالذات عن كونه حقيقة مطلقة . فمن الطريف ان الماركسية تؤكد على حركة الحقيقة وتغيرها طبقاً لقانون الديالكتيك وتعتبر ان هذا الكشف هو النقطة المركزية لنظرتهم في المعرفة وتتغافل عن ان هذا الكشف بنفسه حقيقة من تلك الحقائق التي آمنوا بحركتها وتغيرها . فاذا كانت هذه الحقيقة تتحرك وتتغير كما تتحرك سائر الحقائق بالطريقة الديالكتيكية فهي تحتوي على تناقض سوف ينحل بتطورها وتغيرها كما يحتم ذلك الديالكتيك ، واذا كانت هذه الحقيقة مطلقة لا تتحرك كفى ذلك رداً على تعميم قوانين الديالكتيك والحركة للحقائق والمعارف وبرهاناً على ان الحقيقة لا تخضع لأصول الحركة الديالكتيكية فالديالكتيك الذي يراد اجراؤه على الحقائق والمعارف البشرية ينطوي على تناقض فاضح وحكم صريح باعدام نفسه على كلا الحالين ، فهو اذا اعتبر الحقيقة مطلقة انتقضت قواعده ، وتحلى ان الحركة الديالكتيكية لا تسيطر على دنيا الحقائق لأنها لو كانت تسيطر عليها لما وجدت حقيقة مطلقة ولو كانت هذه الحقيقة هي الديالكتيك نفسه ، واذا اعتبر حقيقة نسبية خاضعة للتطور والحركة بمقتضى تناقضاتها الداخلية فسوف تتغير هذه الحقيقة ويزول المنطق الديالكتيكي ويصبح نقيضه حقيقة قائمة . «^(١)

ويؤكد ^(٢) الامام الشهيد (قد ه) ان الفلاسفة الاسلاميين سبقوا غيرهم في اكتشاف قانون الحركة وان الماركسية لم تكن هي التي اكتشفته بل اضافت له الطابع الديالكتيكي لقانون الحركة الذي أوقعهم في الحيرة لأنه يعدم نفسه وبذلك يكون اكتشاف قانون الحركة قد تم على يد فلاسفة الاسلام ومن ذلك مساهمة الفيلسوف الاسلامي الكبير صدر الدين الشيرازي في نظريته الحركة العامة وما وصل اليه من نظرية الحركة الجوهرية .

نعم : لقد عمد السيد الشهيد (قد ه) على استخلاص حكم الاعدام على

(١) فلسفتنا ص ١٩٤ .

(٢) راجع فلسفتنا ص ٢٣٣ .

قانون الحركة الديالكتيكي من الطابع الديالكتيكي لقانون الحركة الذي تؤمن به الماركسية ، دون ان يتعب الشهيد (قد ه) نفسه ويورط قراءه بمتاهات المناقشة الفلسفية ، وهذا ما نجده أيضاً في مناقشته مذهب السلوكية ونظرية فرويد والمادية التاريخية، فان الشهيد (قده) ينتزع من هذه النظريات اعترافاً بانبيارها وحكماً باعدام نفسها لأن مذهب السلوكية لا يرى الفكر إلا حالة مادية تحدث في جسم المفكر وترى نظرية فرويد ان القوى اللاشعورية هي القاعدة الاساس وتربط المادية التاريخية الفكر بعامل الاقتصاد .

فاذا كانت هذه النظريات تدمر نفسها بنفسها فلماذا نتيه بمناقشتها ولذلك يكتفي الشهيد (قد ه) بهدم القواعد الاساسية التي تقوم عليها هذه النظريات ليجعلها هشياً .

ففي معرض مناقشته لمذهب السلوكية يقول (قد ه) : « فالنظرية السلوكية تصور الفكر باعتباره حالة مادية تحدث في جسم المفكر باسباب مادية كما تحدث حالة ضغط الدم فيه ، ولأجل ذلك تنتهي بتجريده من قيمه الموضوعية غير ان هذه النظرية ليست هي من وجهة نظر السلوكية نفسها إلا حالة خاصة حدثت في أجسام اصحاب النظرية انفسهم ولا تعبر عن شيء سوى ذلك^(١) »

ويجب على نظرية فرويد والمادية التاريخية « كما ان نظرية فرويد جزء من حياته العقلية الشعورية فاذا صح ان الشعور تعبير محرف عن القوى اللاشعورية ونتيجة محتومة لتحكم تلك القوى في سيكولوجية الانسان فسوف تفقد نظرية فرويد قيمتها لأنها في هذا الضوء ليست اداة للتعبير عن الحقيقة وانما هي تعبير عن شهواته وغرائزه المخبوءة في اللاشعور . وقل الشيء نفسه عن المادية التاريخية التي تربط الفكر بالوضع الاقتصادي وبالتالي تجعل من نفسها نتيجة لوضع اقتصادي معين عاشه ماركس وانعكس في ذهنه معبراً عن متطلباته في مفاهيم المادية التاريخية ، ويصبح من المحتوم على المادية التاريخية ان تتغير وفقاً لتغير الوضع الاقتصادي^(٢) » .

(١) فلسفتنا ص ١٦١ .

(٢) فلسفتنا ص ١٦٢ .

ويبدو أسلوب الحسم واضحاً جلياً في مناقشات السيد الشهيد (قد ه) وتنتشر مفرداته بين دفتي الكتاب بشكل واسع ليكون مظهراً من مظاهر عبقرية الشهيد الفلسفية وابداعه فانه يتناول القواعد الرئيسية في نظريات الخصوم ليحولها الى حطام يتبع ذلك انهيار النظريات هذه التي تمثل تلك القواعد منها اللبنات الاساسية في بنائها وكيانها .

مرّ معنا قبل قليل ان السيد الشهيد (قد ه) يرى أسبقية الميتافيزيقية في ميدان اكتشاف قانون الحركة ولكن هذا يبدو متناقضاً مع قوله (قد ه) « ان الحقيقة لا يمكن ان تتطور وتنمو وان تكون محدودة في كل مرحلة من مراحل تطورها بحدود تلك المرحلة الخاصة بل لا تخرج الفكرة - كل فكرة - عن احد أمرين : فهي اما حقيقة مطلقة واما خطأ^(١) » .

يبدو هذا لأول وهلة تناقضاً ، لكن السيد الشهيد (قد ه) يعتمد أسلوباً جديداً هو أسلوب التحليل ويأمل الشهيد من قرائه ان يعيروهم أذهانهم لسماع برهانه ولا يكونوا كالماركسيين جرياً على عادتهم في اتهام الميتافيزيقية بالجمود والسكون في تفسيرهم للطبيعة ، ويطمئن القارئ بحقيقة هي ان الايمان بالحقيقة المطلقة ورفض تغييرها لا يعني جمود الطبيعة بل ان الميتافيزيقيين يرون ان التطور قانون عام في عالم الطبيعة والدليل كما يقدمه الشهيد (قد ه) معتمداً أسلوب التحليل هذه المرة .

يقول الفيلسوف الشهيد (قد ه) « ولنفرض - لايضاح ذلك - ان سبباً معيناً جعل الحرارة تشتد في ماء خاص ، فحرارة هذا الماء بالفعل في حركة مستمرة وتطور تدريجي ومعنى ذلك ان كل درجة من الحرارة يبلغها الماء في درجة مؤقتة وسوف يعبرها الماء بصعود حرارته الى درجة أكبر . فليس للماء في هذا الحال درجة حرارة مطلقة ، هذا هو حال الواقع الموضوعي القائم في الخارج فاذا قسنا حرارته في لحظة معينة فكانت الحرارة فيه حال تأثر المقياس بها قد بلغت (٩٠) - مثلاً - فقد حصلنا على حقيقة عن طريق التجربة ، وهذه الحقيقة هي ان درجة الماء في تلك اللحظة المعينة كانت (٩٠) وانما نقول عنها انها حقيقة لأنها فكرة تأكدنا من مطابقتها

(١) فلسفتنا ص ١٩٢ .

للواقع اي لواقع الحرارة في لحظة خاصة .

ومن الطبيعي ان حرارة الماء سوف لا تقف عند هذه الدرجة بل انها سوف تتصاعد حتى تبلغ درجة الغليان ، ولكن الحقيقة التي اكتسبناها ها هي الحقيقة لم تتغير ، بمعنى أن متى لاحظنا تلك اللحظة الخاصة التي قسنا حرارة الماء فيها تحكم - بكل تأكيد - بأن حرارة الماء كانت بدرجة (٩٠) فدرجة (٩٠) من الحرارة التي بلغها الماء وان كانت درجة مؤقتة بلحظة خاصة من الزمان وسرعان ما اجتازتها الحرارة الى درجة اكبر منها ، الا ان الفكرة التي حصلت لنا بالتجربة - وهي ان الحرارة في لحظة معينة كانت في درجة (٩٠) - فكرة صحيحة وحقيقة مطلقة ولذا نستطيع ان نؤكد صدقها دائماً . ولا نغني بالتأكيد على صدقها بصورة دائمة ان درجة (٩٠) كانت هي الدرجة الثابتة لحرارة الماء على طول الخط فان الحقيقة التي اكتسبناها بالتجربة لا تتناول حرارة الماء إلا في لحظة معينة فحين نصفها بأنها حقيقة مطلقة وليست مؤقتة نريد بذلك ان الحرارة في تلك اللحظة المعينة قد تعينت في درجة (٩٠) بشكل نهائي ، فالأمر ان تبالغ حرارته درجة (١٠٠) مثلاً عقيب تلك اللحظة ولكن من غير الجائز ان يعود ما عرفناه من درجة الحرارة عن تلك اللحظة الخاصة خطأ بعد أن كانت حقيقة^(١) .

ان الشهيد (قد ه) يفوت الفرصة على خصومه في اتهام الميتافيزيقيين بالجمود وذلك باعتماد اسلوب التحليل للكشف عن مغالطات خصومه .

وقد كشف الشهيد (قد ه) عن الخلط الذي وقعت به الماركسية الذي تمثل في الخلط بين انكارها للواقع الموضوعي الثابت غير المتغير وانكارها للحقائق المطلقة بمعنى الفكرة واستهدفت من خلال ذلك نفي الواقع الموضوعي يقول الشهيد (قد ه) لبيان ذلك الخلط « . . ان الماركسية وقعت في خلط اساسي بين الحقيقة بمعنى الفكرة والحقيقة بمعنى الواقع الموضوعي المستقل فالميتافيزيقا تعتقد بوجود حقيقة مطلقة بالمعنى الثاني فهي تؤمن بواقع موضوعي ثابت وراء حدود الطبيعة ، ولا يتنافى هذا مع عدم ثبات الحقيقة بالمعنى الأول وتطورها

(١) فلسفتنا ص ١٩٢

المستمر . فهب ان الحقيقة في ذهن الانسان متطورة ومتحركة أبداً ودائماً فأني ضرر يلحق من ذلك بالواقع الميتافيزيقي المطلق الذي تعتقد به الالهية ما دمنا نقبل امكان وجود امكان موضوعي مستقل عن الشعور والادراك ؟ وانما يتم للماركسية ما تريد اذا اخذنا بالفلسفة المثالية وقلنا : ان الواقع هو الحقيقة الموجودة في ذهننا فحسب فاذا كانت الحقيقة في فكرنا متطورة ومتغيرة فلا متسع للايمان بواقع مطلق وأما اذا فرقنا بين الفكرة والواقع ، وآمنا بامكان وجود واقع بصورة مستقلة عن الوعي والتفكير فلا ضير في ان يوجد واقع مطلق خارج حدود الادراك وان توجد حقيقة مطلقة في افكارنا^(١)

ويتمتع الفيلسوف الشهيد (قد ه) بقدرته الفائقة في تحليل المغالطات والمحاولات التي يقوم بها بعض انصار المذاهب الفلسفية للدفاع عن نظرياتهم فيقوم الشهيد (قد ه) بتحليل هذه المغالطات بشكل يكشف زيفها وطابع الخلط فيها وهذا يدل على الدقة العلمية والمتابعة والتحقيق الفلسفي بحيث لا تمر هذه المغالطات وتفلت من الحاجز الذي وضعه الشهيد (قد ه) ليمنع من عبور الزائف منها .

ومن مفردات ذلك محاولة الدكتور نوري جعفر والتي حاول فيها اثبات ان جميع القوانين العلمية نسبية حتى الرياضيات التي تبدو بديهية فهي بنظره يمكن ان تتغير فجمع (٢+٢) لا يساوي دائماً أربعة كما يقول ويحاول ان يستدل على ذلك بمثال هو: إننا إذا جمعنا حجمين من الكحول مع حجمين من الماء فالنتيجة تكون أقل من أربعة حجوم ممزوجة وسبب ذلك ، راجع الى ان السائلين تختلف جزئيات احدهما في شدة تماسكها عن الآخر فينفذ عن المزج جزئيات السائل الأكثر تماسكاً (الماء) من بين الفراغات النسبية الموجودة بين جزئيات الكحول وتكون النتيجة متشابهة لخلط مقدار من البرتقال مع مقدار من الرقي حيث ينفذ قسم من البرتقال من بين الفراغات الموجودة في الرقي وحاصل جمع كالون من الماء مع كالون من حامض الكبريتيك انفجار مرعب على ان ذلك الجمع اذا تم بدقة علمية وبشكل يتفادى حدوث الانفجار فان النتيجة مع هذا

تكون أقل من كالونين من المزيج ويكون حاصل جمع $2 + 2 = 2$ أحياناً أخرى
فاذا خلطنا غازين درجة حرارة كل منهما درجتان مئويتان فان درجة حرارة الخليط
تبقى درجتين .

هذه المحاولة لو نجحت تثبت ان القوانين نسبية وليس فيها ما هو حقيقة
مطلقة وقد تصدى السيد الشهيد (قد ه) الى الكشف عن المغالطة في الاستدلال
عليها فيقول مجيباً على كل واحد من هذه الأمثلة التي قدمها الدكتور نوري
جعفر : « وهذا النص يعرض لنا ثلاث عمليات رياضية : أ : أن حجمين من
الكحول اذا جمعناهما مع حجمين من الماء فالنتيجة تكون أقل من (٤) حجوم .
وهذه العملية تنطوي على مغالطة وهي أننا في الحقيقة لم نجمع بين حجمين
وحجمين ، وانما خسرنا شيئاً في الجمع فظهرت الخسارة في النتيجة ذلك ان حجم
الكحول لم يكن متقوماً بالجزئيات فحسب وانما يتقوم بالجزئيات والفراغ النسبي
القائم بينها ، فاذا أحضرنا حجمين من الكحول كان هذان الحجمان يعبران عن
جزئيات وفراغ بينهما لا عن الجزئيات فحسب وحين يلقي على الكحول حجمين
من الماء وتسلسل جزئيات الماء الى الفراغ النسبي القائم بين جزئيات الكحول
فتشغله نكون قد فقدنا هذا الفراغ النسبي الذي كان له نصيب من حجم
الكحول ، فلم نجمع اذن بين حجمين من الكحول وحجمين من الماء وانما جمعنا
بين حجمين من الماء وجزئيات حجمين من الكحول ، واما الفراغ النسبي فيها
فقد سقط من الحساب وهكذا يتضح أننا اذا أردنا ان ندقق في صوغ العملية
الرياضية نقول : ان جمع حجمين كاملين من الماء مع حجمين من الكحول
باستثناء الفراغ المتخلل بين جزئياته يساوي أربعة حجوم باستثناء ذلك الفراغ
نفسه .

وليست قصة هذه الحجوم الاكآلاف النظائر والأمثلة الطبيعية التي يشاهدها
كل الناس في حياتهم الاعتيادية فماذا نقول في جسم قطني ارتفاعه متر وقطعة من
حديد ارتفاعها متر ايضاً لو وضعنا أحد الجسمين على الآخر ، فهل ينتج من ذلك
ارتفاع مترين ؟ وفي تراب ارتفاعه متر وماء ارتفاعه متر ثم ألقينا الماء على التراب
فهل نحني من ذلك ارتفاعاً مضاعفاً ؟ طبعاً لا ، فهل من الجائز ان نعتبر ذلك
دليلاً على تفنيد البدهيات الرياضية ؟ !

ب : ان جمع كالون من الماء مع كالون من حامض الكبريتيك لا ينتج كالونين وانما يحصل من ذلك انفجار مرعب وهذا أيضاً لا يتعارض مع البدئية الرياضية في جمع الأعداد ، ذلك ان $(1 + 1)$ انما يساوي اثنين اذا لم يعد احداهما أو كلاهما حال الجمع أو المزج وإلا لم يحصل جمع بين واحد وواحد بمعناه الحقيقي ففي هذا المثال لم تكن الوجدتان - الكالونان - موجودتين حين إتمام عملية الجمع لتنتج اثنين .

ج : ان جمع غازين درجة حرارة كل منهما درجتان مئويتان ينتج حرارة الخليط بنفس تلك الدرجة ايضاً من دون مضاعف وهذا لون آخر من التمييز لأن العملية انما جمعت غازين وخلطت بينهما لا انها جمعت بين درجتي الحرارة وانما يجمع بين الدرجتين لو ضعفت الدرجة في موضوعها فنحن لم نصف حرارة على حرارة لتتقرب حدوث درجة اضخم للحرارة وانما اضعفنا حاراً الى حار واخلطنا بينهما^(١) » انتهى .

ويبطل السيد الشهيد (قد ه) مغالطات الماركسية ومحاولاتها في استغلال نظرية دارون لاضفاء الطابع العلمي على نظريات الماركسية فاعتبروا نظرية دارون انتصاراً لقوانين الديالكتيك فتصدى السيد الشهيد لابراز جوهر التناقض بينهما الأمر الذي لا يحق بعده للماركسية ان تتشبث بهذه النظرية وأوضح (قد ه) ان التنازع من أجل البقاء ليس ديالكتيكاً ذلك لأنه لا يسفر عن توحيد الأضداد في مركب ارقى وانما يؤدي الى افناء احد الضدين والاحتفاظ باخر فهو يزيل الضعاف من أفراد النوع ازالة نهائية ويبقى الأقوياء فأين المركب الجديد الذي يتركب ويتوحد فيه الضعاف والأقوياء ويؤكد السيد الشهيد (قد ه) ان التناقض بين الأقوياء والضعفاء ليس مرده التناقض الداخلي وانما هو نتيجة لعوامل خارجية كالبيئة والمحيط التي ميزت الأقوياء وأمدتهم بعناصر القوة .^(٢)

ومن هذا القبيل ايضاً ما قام به الفيلسوف الشهيد (قد ه) في الكشف عن المغالطة في محاولة الفيلسوف العربي الكبير زكي نجيب محمود في محاولته لتركيز

(١) فلسفتنا ص ١٩٦ .

(٢) فلسفتنا ص ٣٠٠ .

الاعتراض على الاستدلال القياسي الذي يدعي التجريبيون عدم فائدته وانه لا يؤدي الى معرفة جديدة (١)

ومن معالم مدرسة الشهيد (قد ه) الفلسفية الابداع الذي يعتبر مظهراً عاماً في مدرسة الشهيد الشمولية فهو يتمتع بقدرة هائلة وامكانيات ضخمة في اضافة طروحات جديدة ومعارف ونظريات مبتكرة يزود بها المسيرة الحضارية للانسان ، وهو كما رأينا في المجالات التي ذكرناها يبتكر نظريات لم تعرفها المجالات هذه كذلك هو في عالم الفلسفة فانه درس وبحث في الفلسفة الاسلامية والفلسفة القديمة على العموم ولكنه لم يؤلّه هذه الفلسفة لتحول دون ابداعاته فقفز بالفلسفة قفزة انقلابية عميقة وذلك فيما قدمه في كتابه « الاسس المنطقية للاستقراء » اذ جاء بابداع منطقي فسر به الاستقراء تفسيراً جديداً يختلف فيه عن الفلسفة العقلية المتمثلة بأرسطو ويختلف عن الفلسفة التجريبية المتمثلة في برتراندرسل (٢) .

(١) فلسفتنا ص ٨٤ .

(٢) من مقال « العبقورية الفلسفية عند الشهيد الصدر بقلم معاذ حسن ص ٢٨ مجلة العدد / ١٦ .

مع الشهيد الصدر مفسراً

لقد كان السيد الشهيد (قد ه) مفسراً ذا أفق بعيد ومنهج تفسيري جديد انعكست فيه المعالم ذاتها - التي تقدم ذكرها - والتي تتميز بها مدرسة الشهيد (قد ه)

وقد يبدو غريباً لأول وهلة وصف السيد الشهيد (قد ه) مفسراً لمن يجعل اطلاق هذا الوصف وعدمه مرتبطاً بدور مدار التصنيف في علم التفسير فالشاهد (قد ه) لم يصنف تفسيراً سوى ما خلفه للأمة الاسلامية من كتابات ومقالات ومحاضرات بيد انها كافية لأن تضعه في مقدمة علماء التفسير لأنه صاحب مدرسة جديدة في التفسير وهو التفسير الموضوعي الذي أشاد معاليه (قد ه) الى جانب آرائه القيمة المتناثرة هنا وهناك .

ولذلك سأعتمد الى اقتطاف ما سجله السيد الشهيد (قد ه) من إلفات رائعة في تفسير القرآن الكريم .

كتب الامام الصدر (قد ه) لكلية اصول الدين ببغداد منهج علوم القرآن « علوم القرآن » وقد شمل هذا المنهج بحثاً رائعة سجل الشهيد (قد ه) بعضاً من آرائه فيه يمكن استراقها . ولكنه قد يضم نظريات غيره ويستعرضها بشكل يوحي احياناً تبنيه لها لأنه كتب هذه البحوث لتكون منهجاً في كلية اصول الدين ولم يقصد من تأليفه تسجيل آرائه ونظرياته في علوم القرآن كما يظهر ذلك في بحث « النسخ في القرآن » فان الشهيد (قد ه) أشار^(١) الى كون البحث مقتبساً من

(١) ص ١٦٨ علوم القرآن للسيد الشهيد (ره) .

كتاب استاذ السيد الخوئي «البيان في علوم القرآن» مع اختلاف نظره وتباين رأيه مع ما يتبناه السيد الخوئي .

ومن البحوث الرائعة التي تضمنها الكتاب بحث « اثبات النص القراني » وسلامته من التحريف والضياع الذي يعد من أهم البحوث القرآنية ، فقد عمد السيد الشهيد (قد ه) في هذا البحث الى التمييز في الجواب عن شبهة تحريف القرآن على مستويين أولهما الجواب على المستوى الاسلامي أي بأدلة قرآنية أو حديثية وهي لا تنفع الا تجاه المسلم - على حد تعبير السيد الشهيد نفسه - وهذا ما تركه الى جواب المفسرين على هذه الشبهة بينما تصدى للجواب على المستوى الثاني أي تجاه غير المسلم .

وقد أطلق السيد الشهيد (قد ه) على ما أستدل به في الجواب عن هذه الشبهة « البحث الموضوعي وما تفرضه طبيعة الأشياء » ويقصد بطبيعة الأشياء مجموع الظروف والخصائص الموضوعية والذاتية التي عاشها النبي والمسلمون والقرآن أو اختصوا بها مما يجعلنا نفتتح بضرورة قيام النبي (ص) بجمع القرآن في عهده^(١) مما يثبت سلامة النص القرآني وعدم طرو التحريف والتزوير والضياع .

وقد جعل السيد الشهيد (قد ه) من أهمية الكتاب العزيز في حياة المسلمين والدور القيادي للرسول (ص) ووعيه وعلمه بما ستؤول اليه الأمور بعده وتوفر ادوات الكتابة الى غير ذلك من خصائص موضوعية في حياة المسلمين كافياً للدلالة على جمع القرآن في عهد النبي (ص) الذي من شأنه ان يبدد سحب الشبهة التي تثار من أجل التشكيك في سلامة النصوص القرآنية .

ثم عمد السيد الشهيد الى مناقشة الروايات الدالة على تأخر جمع القرآن بعد حياة النبي (ص) على يد الخلفاء وأثبت عدم تناقضها مع ما توصل اليه من ضرورة جمع القرآن في حياة الرسول (ص) .

ثم انتقل إلى مناقشة الاحتمالات التي يمكن تصورها في مقام التحريف والتزوير

(١) علوم القرآن ص ٩ .

واثبت بطلانها ، كما ناقش الروايات الخاصة في وقوع التحريف وناقش في صحتها مما لا يدع مجالاً الا لرفضها وعدم الأخذ بمضامينها .

وفي بحث المكي والمدني يستعرض السيد الشهيد (قد ه) الاتجاهات المتعددة في تفسير المكي والمدني ويذكر ثلاثة اتجاهات منها أولها : الذي يرى ان المدني والمكي يقوم على اساس الترتيب الزمني للآيات واعتبار الهجرة حداً فاصلاً فما نزل من القرآن قبل الهجرة فهو مكي وما نزل بعدها فهو مدني . وثانيهما : الذي يرى الأساس هو الناحية المكانية فما نزل في مكة فهو مكي وما نزل في المدينة فهو مدني . وثالثهما : يقوم على أساس مراعاة الأشخاص المخاطبين فالمكي ما وقع خطاباً لأهل مكة والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة .

وعندما يروم السيد الشهيد (قد ه) تسجيل موقفه من هذه الاتجاهات وابداء رأيه فانه لم يعتمد الى الانتصار لاتجاه على حساب آخر وانما يشير الى ما يجعل هذه الاتجاهات صحيحة بالجملة فيقول : « . . . والواقع ان لفظ المكي والمدني ليس لفظاً شرعياً حدد النبي (ص) مفهومه لكي نحاول اكتشاف ذلك المفهوم وانما هو مجرد اصطلاح تواضع عليه علماء التفسير وما من ريب في ان كل احده له الحق في ان يصطلح كما يشاء . (١) » ثم يشير الى رجحان الاتجاه الأول لاعتبارات علمية .

وفي بحث آخر عقده للتمييز بين التفسير والتأويل فاستعرض الاتجاهات التي فسرت التأويل فمنهم من يراه مرادفاً للتفسير ومنهم لا يرى ذلك ، وفي هذا البحث لم يجار موقفه موقفه في بحث المكي والمدني بل عمد الى التفريق بين حالتين فعلى الصعيد الاصطلاحي يمكن اعتبار هذه الاتجاهات المتعددة على هذا المستوى كما هو الحال في بحث المكي والمدني . ويبدو عدم صحة كثير من هذه الاتجاهات على الصعيد الثاني فيما اذا لاحظنا كلمة التأويل وموارد استعمالها في القرآن الكريم . (٢)

(١) علوم القرآن ص ٤٤٠ .

(٢) ص ٧٦ م .

ومن بحوث الكتاب القيمة بحث « المحكم المتشابه » فيستعرض السيد الشهيد (قد ه) الاتجاهات الرئيسية في تفسير المحكم والمتشابه ثم يناقش آراء أكابر علماء التفسير من أمثال العلامة محمد حسين الطباطبائي والعلامة الفخر الرازي ويثبت عدم صحة ما ذهبوا إليه ثم يسجل رأيه ومختاره في المحكم والمتشابه على أساس قرينة خاصة في إحدى الآيات المباركات التي خصت المحكم والمتشابه بالذكر قوله تعالى « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب » فيرى الفخر الرازي أن المحكم هو ما يسمى في عرف الأصوليين بالمبين والمتشابه ما يسمى في عرفهم بالمجمل ، بينما يرى العلامة الطباطبائي أن الآية المشابهة دالة على معنى قريب مردد لا من جهة اللفظ بل من جهة التعارض بينها وبين مدلول آية أخرى غير مرية وهي الآية المحكمة ، وعلى خلاف ذلك يرى السيد الشهيد (قد ه) أن التشابه المقصود في الآية الناشئ ضمن نطاق التشابه في تجسيد صورة المعنى وتحديد مصداقه الواقعي الموضوعي لا في نطاق التشابه في العلاقة بين اللفظ ومفهومه اللغوي .

ولا يدعي السيد الشهيد (قد ه) عدم صلاحية كلمة التشابه لاستيعاب التشابه اللغوي وإنما ينفي إرادته لوجود قرينة خاصة في نفس الآية المباركة تأبى أن يكون المراد من التشابه هو التشابه اللغوي والقرينة هي قوله تعالى ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ . فإن هذا الاتباع لا يكون إلا في حالة ما إذا كان للفظ مفهوم لغوي يكون العمل به اتباعاً له . فالتشابه لم ينشأ من الاختلاط والتردد في معاني اللفظ ومفهومه اللغوي وإنما ينشأ من الاختلاط في تجسيد الصورة الواقعية لهذا المفهوم اللغوي وتحديد مصداقه في الذهن من ناحية خارجية^(١) .

أما عن القصص القرآني أو بحث القصة في القرآن فإنه من البحوث التي تصدر اهتمامات علماء القرآن الكريم ويبدو أن الفصل الخاص بهذا البحث في كتاب « علوم القرآن » للسيد الشهيد (قد ه) لم يكن بقلمه وإنما أتمه السيد محمد

(١) علوم القرآن ص ١٣٥ .

باقر الحكيم ولكننا ننقل كلمة رائعة للسيد الشهيد (قد ه) بشأن القصة في القرآن الكريم تبين الدور الذي تقوم به القصة في القرآن والفرق بينها وبين ما هو في الكتب السماوية الأخرى فيقول : « . . ان القصص الحق في القرآن لا يمكن ان تكون مجرد استنساخ لما جاء في كتب العهدين حتى لو افترضنا ان أفكار هذه الكتب كانت شائعة ومنتشرة في الوسط الذي ظهر فيه النبي لأن الاستنساخ يمثل دوراً سلبياً فقط دون الأخذ والعطاء ، بينما دور القرآن في عرض القصة ايجابي فانه يصحح ويعدل ويفصل القصة عما ألصقت بها من ملاسبات لا تتفق مع فطرة التوحيد والعقل المستنير والرؤية الدينية السليمة^(٢) »

وبالاضافة الى بيان دور القصة في القرآن في عرض المفاهيم الاسلامية فان السيد الشهيد يؤكد على ناحية أخرى ويرد على الشبهة القائلة بتعلم النبي (ص) هذه القصص من الكتب السماوية فان هذا الاقتباس يبدو لا قيمة له بنظر السيد الشهيد ما دام هناك الفرق الكبير في الطرح الذي يؤكد نبوة الرسول محمد (ص) .

وقد تناول السيد الشهيد (قد ه) بعض الآيات القرآنية بالتفسير في مناسبات مختلفة ضمن بحوث مختلفة او محاضرات ألقاها على طلبته ، وان مراجعة هذه التفاسير يظهر النفس القرآني المتميز في فهم الآيات المباركات . نذكر كنموذج منها :

في كتابه « فذك في التأريخ » الذي صنفه وهو في السابعة عشرة من عمره الشريف وفي تفسير قوله تعالى ﴿ واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيعاً ﴾ يؤكد السيد (قد ه) حقيقة أن الارث المقصود في الآية هو ارث المال لا ارث العلم كما يدعيه البعض ليصح الاستدلال به في مقام اثبات ارث الزهراء من ابيها بشأن قضية فذك ، ولذلك يعمد السيد (قد ه) الى اثبات هذه الحقيقة ولكن بأسلوب فلسفي هذه المرة فيقول : « . . والارث في الآية بمعنى ارث المال لأنه هو الذي ينتقل حقيقة من الموروث الى الوارث وأما العلم والنبوة فلا ينتقلان انتقالاً حقيقياً

(٢) مقدمة الفتاوى الواضحة ص ٦٩ .

وامتناع انتقال العلم على نظرية اتحاد العاقل والمعقول واضح كل الوضوح ، واما اذا اعترفنا بالمغايرة الوجودية بينهما فلا ريب في تجرد الصور العلمية وانها قائمة بالنفس قياماً صدورياً بمعنى انها معلولة للنفس والمعلول الواحد بحسب الذات - لا بمجرد الاتصال فقط - متقوم بعلمه ومرتبطة الهوية بها فيستحيل انتقاله الى علة أخرى ولو افترضنا ان الصور المدركة اعراض وكيفيات قائمة بالمدرک قياماً حلولياً فيستحيل انتقالها لاستحالة انتقال العرض من موضوع الى موضوع كما برهن عليه في علم الفلسفة سواء أقلنا بتجردها أو بماديتها بأن اعترافنا باشمال الصور المدركة على الخصائص العامة للمادة من قابلية الانقسام ونحوها . واذن فالعلم يستحيل انتقاله في حكم المذاهب الفلسفية الدائرة حول الصور العلمية جميعاً . « (١)

وقد حاول بعض المفسرين ان ينتصر للخليفة الأول ففسر كلمة الارث في كلام زكريا بآرث النبوة لأن يحيى (ع) لم يرث مال ابيه لاستشهاده في حياة ابيه . فيجيب السيد الشهيد (قد ه) على هذا الاعتراض بأنه متوجه على كلا التفسيرين لأن يحيى كما انه لم يرث مال أبيه كذلك لم يخلفه في نبوته ، وان ما ثبت له من النبوة لم يكن وراثياً . أما عن مطلوب زكريا فيقول السيد الشهيد (قد ه) انه سأل ربه وارثاً يرثه بعد موته ولذا قال : (واني خفت الموالي من ورائي) أي بعد موتي فان كلامه يدل بوضوح على انه أراد وارثاً يخلفه ولم يرد نبياً يعاصره والا لكان خوفه من الموالي بعد وفاته باقياً ، فلا بد - على كل تقدير - ان نوضح الآية على اسلوب يسلم عن الاعتراض وهو ان تكون جملة ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ جواباً للدعاء بمعنى ﴿ ان رزقني ولداً يرث ﴾ لا صفة ليكون زكريا قد سأل ربه ولياً وارثاً ، فما طلبه النبي من ربه تحقق وهو الولد ، وتوريثه المال أو النبوة لم يكن داخلاً في جملة ما سأل ربه وانما كان لازماً لما رجاه في معتقد زكريا . « (٢)

وفي تفسيره للآية المباركة ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين

(١) فذلك في التاريخ ص ١٣٤ .

(٢) فذلك في التاريخ ص ١٣٦ .

آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴿ نموذج آخر من ذوقه القرآني السليم والتفاعل مع كتاب الله تعالى ، وقد ذهب المفسرون الى اتجاهات مختلفة في تفسير هذه الآية المباركة فبينما يرى الشيخ محمد عبده ان المقصود من كلمة « كان » في الآية ليس هو المعنى وانما قصد بها الثبات والتحقيق فوازنها وزان الآية المباركة ﴿ ان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون ﴾ فالآية ليست بصدد الحديث عن زمان مضى وانما بصدد كينونة البشرية كذلك .

أما العلامة الطباطبائي فيرى ان الآية تشير الى غطين من الخلافات والخلاف الأول كان قد حدث في المراحل الأولى للبشرية بعد ان كانت متوحدة متجانسة وعلى أثر هذا الاختلاف بعث الله النبيين للفصل بينهم وعلى أثر ذلك نشأ خلاف آخر حول قبول هؤلاء الأنبياء وقبول رسالتهم . وعليه فالعلامة الطباطبائي يرى ان المراحل البشرية الأولى لم يكن هناك انبياء أو رسل . يرى السيد الشهيد ان في تفسير الطباطبائي تكلف وانه خلاف سياق الآية ثم يفسر الآية بشكل اكثر ملاءمة مع سياق الآية فيرى (قد ه) ان المراحل الأولى هي الأخرى كان قد بعث الله الأنبياء فيها ، وان الخلاف هو خلاف واحد وليس خلافاً كما يدعيه العلامة الطباطبائي (قد ه) . أما بشأن قوله تعالى ﴿ ... فبعث الله النبيين ... ﴾ فان الآية ناظرة الى الأنبياء الذين بعثوا ما بعد الخلاف ، لأن الأنبياء بحسب رأيه على قسمين : ما كان منهم في المراحل الأولى وهؤلاء كانوا شهداء على الأمة ولم يكن لهم منصب الحاكمية ، ولكن عندما وقع الخلاف بعث الله النبيين من القسم الثاني وهم الأنبياء الذين منحهم الله تعالى الحاكمية فجمع بذلك الأنبياء بعد فترة الخلاف هذه بين الشهادة والحاكمية في الأمة (١) .

وفي قوله تعالى ﴿ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ التي فسرها المشهور من المفسرين بنفي الاكراه والاجبار في الدعوة الى الاسلام واحتج هؤلاء على من اتهم مسيرة الاسلام وانتشاره بالسيف بهذه الآية لأنها تنفي مثل هذا الاكراه .

(١) محاضرات التفسير الموضوعي للسيد كاظم الحائري سنة ١٤٠٥ هـ في شهر رمضان بقلم المؤلف كاتب هذه السطور ونشرت في مجلة الحوار الفكري السياسي الصادرة بقم المقدسة في حلقات .

أما السيد الشهيد (قد ه) فإنه لا يوافق المشهور في تفسيره لهذه الآية ، وبذلك يظهر جلياً ما تتميز به مدرسة الشهيد الصدر (قد ه) من معلم الانتقال من مواقع الدفاع الى عملية الاقتحام ولذلك يرفض هذا التفسير ويرى عدم صوابه فيقول (قد ه) : « وسيء البعض فهم القرآن الكريم في هذه الآية ﴿ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ فيظن ان القرآن كفل للانسان حرية التدين وعدمه ومنع من الاكراه عليه أخذاً بمبدأ الحرية الشخصية الذي تؤمن به الحضارات الحديثة ، ولكن هذا خطأ لأن الاسلام الذي جاء لتحرير الانسان من عبودية الاصنام على اساس التوحيد لا يمكن ان يأذن للانسان بالتنازل عن أساس حريته والانغماس في عبوديات الأرض وأصنامها ، كما ان الاسلام لا يعتبر عقيدة التوحيد مسألة سلوك شخصي خاص كما ترى الحضارات الغربية بل هي القاعدة الاساسية لكيانه الحضاري فكما لا يمكن للديمقراطية مهما آمنت بالحرية الشخصية ان تسمح للأفراد بمناوأة فكرة الحرية نفسها وتبني افكاراً فاشستية دكتاتورية ، كذلك لا يمكن للاسلام ان يقر أي تمرد على قاعدته الرئيسية .

وانما يهدف القرآن الكريم حين ينفي الاكراه في الدين الى ان الرشد قد تبين من الغي والحق تميز عن الضلال فلا حاجة للاكراه ما دام المنار واضحاً والحجة قائمة والفرق بين الظلام والنور لائحاً لكل احد ، بل لا يمكن الاكراه على الدين لأن الدين ليس كلمات جامدة ترددها الشفاه ولا طقوساً تقليدية تؤديها العضلات وانما هو عقيدة وكيان ومنهج في التفكير^(١) .

وأروع ما قدمه السيد الشهيد (قد ه) في مجال التفسير هو الكشف عن التفسير الموضوعي وان وجد من كتب قبله في هذا النوع من التفسير ولكنه غالباً ما كان مشوشاً غير واضح المعالم فتصدى السيد الشهيد (قد ه) الى وضع معالمه الاساسية وخصائصه المتميزة وكشف عن القدرات الهائلة التي يفجرها هذا النوع من التفسير في فهم القرآن الكريم موضوعياً .

وقد طرح السيد الشهيد (قد ه) التفسير الموضوعي من خلال محاضراته

(١) دراسات قرآنية (الحرية في القرآن الكريم) فيما كتبه للأضواء الصادرة باسم جماعة العلماء في النجف .

التي ألقاها على طلبته من العلماء الاعلام وحضرها جمع كبير من المثقفين ايضاً فكان مع عموم الطرح وعدم كونه خاصاً للعلماء أروع ما قدمه في مدرسة التفسير .

واعتقد ان السيد الشهيد (قد ه) كان يأمل منذ عنفوان شبابه الكشف عن هذه المدرسة الجديدة في التفسير والانتصار لها بعد ان عم التفسير التجزيئي وضاع التفسير الموضوعي في بحره فلم يعبأ به علماء التفسير مع كونه أجدر من الأول في نشر الثقافة القرآنية . ويؤكد اعتقادي هذا ما يمكن ان يستفاد من مناقشته وتفسيره للاية المتعلقة بالارث في دراسة قضية فدك فيقول الشهيد (قد ه) في طريقته لفهم القرآن الكريم « وأفضل الأساليب في فهم القرآن ما كان مركزاً على القرآن نفسه^(١) » لأنه (قد ه) يرى ان الاتجاه التوحيدي أو الموضوعي عامل مساعد على النمو على خلاف الاتجاه التجزيئي الذي يشكل عاملاً رئيسياً في اعاقة النمو في علم التفسير ويفسر تطور الفكر الفقهي على أساس ذلك لأن الفقه سار باتجاه توحيد بيننا سار علم التفسير باتجاه تجزيئي^(٢) .

ولا ينوي السيد الشهيد (قد ه) ان يبخص حق التفسير التجزيئي ودوره الكبير في فهم القرآن لأنه يعد الضرورة في مقام التعرف على القرآن الكريم ولكنه يرى ان مهمة التفسير التجزيئي قد انتهت بعد ان فهمت كل آية على حدة وانتقلت المهمة الى النوع الآخر وهو التفسير والاتجاه التوحيدي الموضوعي ليعطي آثاره ومنجزاته في سبيل اشاعة المفاهيم القرآنية والثقافة القرآنية .

وهناك مبرر عملي آخر في تبني الاتجاه التوحيدي فيقول (قد ه) : « الآن أود ان أذكر مبرراً عملياً وهو ان شوط التفسير التقليدي شوط طويل جداً لأنه يبدأ من الفاتحة وينتهي بسورة الناس وهذا الشوط الطويل بحاجة من أجل اكماله الى فترة زمنية طويلة ايضاً ، ولهذا لم يحظ من علماء الاسلام الاعلام الا عدد محدود بهذا الشرف العظيم شرف مرافقة الكتاب الكريم من بدايته الى نهايته ونحن نشعر بأن هذه الأيام المحدودة المتبقية لا تفي بهذا الشوط الطويل ، ولهذا كان من الأفضل اختيار اشواط أقصر لكي نستطيع ان نكمل بضعة اشواط من هذه

(١) فدك في التاريخ ص ١٣٧ .

(٢) المدرسة القرآنية ص ١٨ .

الجولات في رحاب القرآن الكريم^(١) »

اذن الاتجاه التجزيئي قد يحول دون انتشار مفاهيم القرآن كلها لقلة من وفق في تفسير القرآن بأكمله وهذا ما يمكن تفاديه في الاتجاه الثاني ان ينتقي المفسر المفاهيم التي يرى ضرورة بحثها لسد الحاجة في الواقع الثقافي للمسلمين كما فعل السيد الشهيد (قده) في بحث أروع المجالات في القرآن التي لم يسبقه أحد الى بحثها كبحث « السنن التاريخية في القرآن » وبحث « عناصر المجتمع في القرآن الكريم » .

واختيار السيد الشهيد (قده) لهذه المجالات يؤكد شموخ شخصية الشهيد العلمية وقدرته على الكشف عن رأي القرآن في المجالات التي يدعي اليوم علماء الحضارة بتفردهم في اكتشافها فيتصدى الشهيد (قده) لظهور عظمة القرآن الكريم ومجارة الشريعة الاسلامية لحياة الانسانية وصلاحياتها لقيادة المجتمع الانساني وتفوقها على المذاهب الوضعية .

ومن المناسب ان نذكر ما قاله الشيخ جواد آملي احد علماء التفسير اليوم وأبرزهم ممن يتبنى التفسير الموضوعي يقول : « ان فهم حديث القرآن الكريم هو عمل كل المفسرين والتدبر فيه ميسور للعلماء العارفين ولا يحرم منه الا الذين على قلوبهم أقفالها ، أما الذين يستنطقون القرآن فهم قليل ، وقد قال الامام امير المؤمنين « فاستنطقوه ولن ينطق ولكن انبثكم بما فيه » فالاستنطاق بالأصالة ممكن لأهل البيت (ع) وهو بالتبع لتلامذتهم وان السيد الشهيد الصدر كان على هذا مستوى الاعتصام بكتاب الله والرقى في هذا المسار الصاعد^(٢) »

نعم ان السيد الصدر (قده) عندما يروم تفسير القرآن يستنطق القرآن ولذلك تراه يفسر القرآن الكريم بشكل لا يغلبه التكلف بل يطبعه طابع التشبع بمفاهيم القرآن ومعاشتها .

رحم الله الصدر (قده) فانه كان يشعر بأسى عميق لتدني المستوى الثقافي للامة الاسلامية وتحليلها عن الثقافة الاسلامية ، ومن أجل ذلك كله سعى خطوات جلية في هذا المضمار من أجل رفع الثقافة القرآنية في المجتمع المسلم تارة بنفسه وأخرى عن طريق تلامذته وصحبه - كما سيأتي انشاء الله تعالى .

(١) المدرسة القرآنية ص ٤١ .

(٢) جريدة الجهاد العدد / ٢٨٣ / ٧ / شعبان / ١٤٠٧ هـ ص ٤ .

مع الشهيد الصدر اقتصادياً

ان جل اهتمامات جامعة النجف الكبرى لا تتعدى دراسة الفقه والأصول وما يمت لها بصلة وبطريقة كلاسيكية قديمة . أما المجالات الحديثة فلا يعبا بها رجال هذه المدرسة العظيمة رغم الصفة الشمولية التي تميز الشريعة الاسلامية في قيادة المجتمع وبناء الحضارة الانسانية . ولم يتصد لهذه المجالات خلا نخبه من العلماء الراعين يقف في مقدمتهم الامام الصدر الذي يعتبر رائد هذه الحركة الجديدة في التغيير والكشف عن عظمة الاسلام وقدرته على قيادة المجتمع بما يقدمه من نظام متكامل لاسعاد الانسانية .

ومن هذه المجالات « الاقتصاد » التي لم يسبق لأحد ان قدم نظرية الاسلام ومنهج في الاقتصاد مع توفر عناصر هذه الدراسة في الأحكام الاسلامية ، وظلت هذه الاحكام رهينة الكتب القديمة التي لا يقوى على تناولها الا العلماء والفقهاء . وبعد ان كتب الشهيد الصدر (قد ه) « فلسفتنا » الكتاب الذي كان حصيلة الجهود المتظافرة خلال عشرة شهور وللحاجة الملحة يومذاك للتصدي للمد الأحمر فقدم نظرية الاسلام وفلسفته .

ولم يلبث ان استنهضته المسؤولية للدفاع عن الرسالة الاسلامية فبادر مسرعاً بحث الخطى قوي العزيمة ليقدم للأمة الاسلامية نظرية الاسلام الاقتصادية فكتب أروع سفر وأخرجه بأجمل شكل وهو على عجل تلبية لرغبات ابناء الأمة الاسلامية .

وكان (قد ه) يروم بعد ان أنجز كتابه فلسفتنا ان يقدم نظرية الاسلام في المجتمع والدولة وغيرها من مواضيع علم الاجتماع وهذا ما يظهر في خاتمة كتابه فلسفتنا اذ يقول : « وسوف ندرس في (مجتمعتنا) طبيعة هذا التكيف وحدوده في ضوء مفاهيم الاسلام عن المجتمع والدولة ، لأنه من القضايا الرئيسية في دراسة المجتمع وتحليله ، وفي تلك الدراسة سنستوفي بتفصيل كل النواحي التي اختصرنا

الحديث عنها في بحث الادراك^(١) »

فلماذا لم يصدر هذا البحث وظل في زوايا مكتبته أو املاً يصبو لتحقيقه ؟
ان حاجة المجتمع هل التي منعت الشهيد (قد ه) من تحقيق مشروعه هذا
فحالت رغبات ابناء الاسلام عن تحقيق رغبته فاذعن لتحقيق آمال الطليعة المسلمة
فيقول (قد ه) « . . وكنا نقدر ان يكون « مجتمعا » هو الدراسة الثانية في بحوثنا
نتناول فيها افكار الاسلام عن الانسان وحياته الاجتماعية وطريقته في تحليل
المركب الاجتماعي وتفسيره لنتهي من ذلك الى المرحلة الثالثة الى النظم الاسلامية
للحياة التي تتصل بأفكار الاسلام الاجتماعية وترتكز على صرحه العقائدي
الثابت . ولكن شاءت رغبة القراء الملحة ان نؤجل مجتمعا ونبدأ باصدار اقتصادنا
عجلة منهم في الاطلاع على دراسة مفصلة للاقتصاد الاسلامي في فلسفته وأأسسه
وخطوطه وتعاليمه^(٢) »

وقدم السيد الشهيد (قد ه) النظرية الاقتصادية في الاسلام ولم يسبقه في
ذلك أحد فكان عمله (قد ه) تأسيسياً ما زال ينتظر العقول المفكرة والطاقت
الاسلامية لدراسة ما قدمه الشهيد (قد ه) واتمام مشروعه ، وهذا ما يراه السيد
الشهيد نفسه فانه يصف مشروعه بأنه محاولة بدائية مهما أوتي كتابه من النجاح
وعناصر الابتكار .

وقد اعترف بذلك كبار العلماء وأشادوا بالجهود الجبارة التي بذلها السيد
الشهيد من ذلك ما يقوله الدكتور محمد المبارك عميد كلية الشريعة في دمشق
ورئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة اذ يقول : « وتعتبر
محاولة العلامة السيد محمد باقر الصدر في رأيي محاولة جريئة من هذا النوع خطت
خطوات عظيمة وكانت دراسة علمية رائدة نأمل ان يقدم لنا الاخصائيون في
الاقتصاد رأيهم فيها كما يمكن ان يسهم الفقهاء الراسخون والمفكرون الاسلاميون
في بحثها باعتبارها مشروعاً ناضجاً يقدمه مفكر وفقه كبير من علماء الاسلام
المعاصرين^(٣) »

(١) فلسفتنا ص ٤٠٠ .

(٢) ص ٢٧ مقدمة الطبعة الأولى من كتاب اقتصادنا .

(٣) نظام الإسلام - الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة للدكتور محمد المبارك ص ١٢ ط معاونية الرئاسة
للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي في إيران .

ولكنه رغم كون هذه المحاولة بدائية لم يقدم احد من علماء الاسلام مشروعاً متكاملًا ونظرية شاملة للاقتصاد الاسلامي رغم مرور ما يقرب من ربع قرن على صدور كتاب اقتصادنا ، وهذا ما يجعل محاولة الامام الصدر ليس محاولة بدائية تأسيسية فقط بل حازت الصدارة في كتب الاقتصاد الى وقتنا الحاضر وهذا ما يظهر لنا المعلم الذي ذكرناه سالفاً ألا هو العمق والشمولية التي تتميز بها مدرسة الشهيد الصدر (قد ه) بحيث اذا طرق باباً من أبواب المعرفة فانه لا يفرغ من بحثه الا بشكل شامل لا يدع ثغرة يتسلل اليها من بعده .

ولم تكن محاولة السيد الشهيد (قد ه) مجرد تجميع لأحكام الاسلام المتعلقة بالاقتصاد وتنظيم الحياة الاقتصادية كأحكام عقود البيع والايجار والقرض والشركة كما هو دأب من سبق السيد الشهيد (قد ه) في الكتابة بمجال الاقتصاد ، فان هذا ما لا يتفق مع محاولة السيد الشهيد (قد ه) بل يرفض السيد (قد ه) اعتبار مثل هذه المحاولة عملية اكتشاف للمذهب فيقول : « . . وأما حين يكون درسنا لتلك الاحكام وعرضنا لها جزءاً من عملية اكتشاف المذهب الاقتصادي فلا يجدي عرض المفردات فحسب لاكتشاف المذهب وان اكتفت بحوث كثير من الاسلاميين بهذا القدر ، بل يتحتم علينا ان ننجز عملية تركيب بين تلك المفردات ، اي ان ندرس كل واحد منها بوصفه جزءاً من كل وجانباً من صيغة عامة مترابطة ، لننتهي من ذلك الى اكتشاف القاعدة العامة التي تشع من خلال الكل ، أو من خلال المركب وتصلح لتفسيره وتبريره ، وأما في طريقة العزل والنظرة الانفرادية فلن نصل الى اكتشاف »^(١)

فالمحاولة التي قام بها السيد الشهيد (قد ه) فريدة من نوعها وجريئة ورائدة - كما وصفها الدكتور محمد مبارك - وكان (قد ه) أهلاً للقيام بهذه المحاولة بوصفه من أبرز فقهاء القرن العشرين وأشهرهم .

وكانت عملية اكتشاف المذهب الاقتصادي في الاسلام عملية شاقة جداً ومحفوفة بمخاطر عديدة كانت نصب عيني السيد الشهيد (قد ه) وفي مقدمتها الخطر الذاتي فبذل (قد ه) جهده في تفادي هذه المخاطر والحيلولة دون وقوعها في

(١) اقتصادنا ص ٣٩٥ .

مثل هذه الدراسة فيقول (قد ه) : « . . . وأما الخطر الذي يحف بعملية الاكتشاف القائمة على أساس الاجتهاد من فهم الأحكام والمفاهيم من النصوص فهو خطر العنصر الذاتي وتسرب الذاتية إلى عملية الاجتهاد لأن عملية الاكتشاف كلما توفرت فيها الموضوعية أكثر وابتعدت عن مظان العطاء الذاتي كانت أدق وانجح في تحقيق الهدف . وأما اذا أضاف الممارس خلال عملية الاكتشاف وفهم النصوص شيئاً من ذاته وساهم في العطاء فان البحث يفقد بذلك أمانته الموضوعية وطابعه الاكتشافي الحقيقي^(١) » وقد حدد السيد الشهيد (قد ه) منابع الخطر الذاتية في تبرير الواقع ودمج النص ضمن اطار خاص وتجريد الدليل من ظروفه وشروطه واتخاذ موقف معين بصورة مسبقة تجاه النص .

فالسيد الشهيد (قد ه) لا يرفض عملية الاجتهاد وتقدير صور عديدة ومختلفة للمذهب الاقتصادي في الاسلام ما دام ذلك جائزاً وانما يحذر من تسرب الذاتية الى هذه العملية التي تصدر مثل هذه العملية والمحاولة الجليلة .

وقد وضع السيد الشهيد (قد ه) بعض الملاحظات لتوضيح منهج الكتاب

منها : (٢)

١ - ان الآراء الاسلامية فيما يتصل بالجوانب الفقهية من الاقتصاد الاسلامي ، تعرض في الكتاب عرضاً مجرداً عن اساليب الاستدلال وطرق البحث العلمي في الدراسات الفقهية الموسعة ، وحين تسند تلك الآراء بمدارك اسلامية من ايات وروايات لا يقصد من ذلك الاستدلال على الحكم الشرعي بصورة علمية لأن البرهنة على الحكم بآية أو رواية لا يعني مجرد سردها وانما يتطلب عمقاً ودقة واستيعاباً بدرجة لا تلتقي مع الغرض الذي أُلّف لأجله هذا الكتاب وانما ترمي من وراء ذلك عرض تلك الآيات والروايات أحياناً الى ايجاد خبرة عامة للقارئ بالمدارك الاسلامية .

٢ - الآراء الفقهية التي تعرض في الكتاب لا يجب ان تكون مستنبطة من المؤلف نفسه بل قد يعرض الكتاب لآراء تخالف من الناحية الفقهية اجتهاد الكاتب في المسألة وانما الصفة العامة التي لوحظ توفرها في تلك الآراء هي : ان تكون

(١) اقتصادنا ص ٤٠٤ .

(٢) اقتصادنا ص ٣٣ .

نتيجة لاجتهاد أحد المجتهدين بقطع النظر عن عدد القائلين بالرأي وموقف الأكثرية منه .

٣ - قد يعرض الكتاب احكاماً شرعية بشكل عام دون ان تتناول تفصيلاتها ، وبعض الفروض الخارجية عن نطاقها ، نظراً لأن الكتاب لا يتسع لكل التفاصيل والتفريعات .

نظرة في « اقتصادنا » :

تقدم ان ذكرنا معلم الأصالة في مدرسة الشهيد الصدر (قد ه) وعدم الترقيع والتبرير في كتاباته وبحوثه وهذا ما يتضح جلياً في ما كتبه في الاقتصاد ، فجاء كتابه اقتصادنا يكرس الأصالة الاسلامية ويعكس الفكر المستقل في الشريعة الاسلامية ولذلك يلقي السيد الشهيد (قد ه) نظرة دقيقة لواقع الأمة الاسلامية والمذاهب الاقتصادية المستوردة فيحلل المجتمع المسلم ومدى قابليته للتفاعل مع هذه المذاهب بينما يبرهن على تجاوب المجتمع الاسلامي مع عقيدته ورسالته وبذلك يكون المذهب الاقتصادي في الاسلام هو العلاج الناجح الوحيد للقضاء على التخلف الاقتصادي في الدول الاسلامية .

ويسهب السيد الشهيد (قد ه) في الحديث عن مخاطر التبعية الاقتصادية وعدم نجاح قيادة هذه المذاهب المستوردة وفاعليتها في المجتمع المسلم فيقول : « إن استيراد النظام الرأسمالي لا يمكن ان يحل المشكلة بل ان هذا النظام سوف لا يكتب له النجاح وذلك الصراع السياسي الذي عاشته الأمة مع الاستعمار وهذا ما استدعى البعض ان يجرب النظام الاشتراكي بوصفه النقيض للنظام الرأسمالي وهو الآخر غير ممكن له النجاح ويظهر ان كلا النظامين غير قادرين على حل المشكلة وذلك لأن حاجة التنمية الاقتصادية الى منهج اقتصادي ليست مجرد حاجة الى اطار من أطر التنظيم الاجتماعي تتنباه الدولة فحسب بل يمكن ان توضع التنمية ضمن هذا الاطار أو ذاك بمجرد تبني الدولة له والتزامها به بل لا يمكن للتنمية الاقتصادية والمعرفة ضد التخلف ان تؤدي دورها المطلوب الا اذا اكتسبت اطاراً يستطيع ان يدمج الأمة ضمنه وقامت على اساس يتفاعل معها وكلا هذين النظامين يشعر المجتمع الاسلامي بالخوف والقلق تجاههما لذلك من غير الممكن ان تتفجر

طاقات الأمة في معركة البناء هذه^(١) » ومن أجل هذه الحقيقة التي ذكرها السيد الشهيد (قد ه) الى الكشف عن المذهب الاسلامي بوجه أصيل ويزيل عنه كل ما ألتصق به نتيجة لعمل بعض الكتاب والباحثين الترقيعي ، ولذلك يرفض السيد الشهيد (قد ه) التسميات التي شاعت لفترة زمنية والتي يبدو فيها النظام الاسلامي مزيج من النظامين الرأسمالي والاشتراكي فيقول (قد ه) : « ولهذا كان من الخطأ ان يسمى المجتمع الاسلامي : مجتمعاً رأسمالياً وان سمح بالملكية الخاصة لعدة من رؤوس الأموال ووسائل الانتاج ، لأن الملكية الخاصة عنده ليست هي القاعدة العامة ، كما ان من الخطأ ان تطلق على المجتمع الاسلامي اسم المجتمع الاشتراكي وان أخذ بمبدأ الملكية العامة وملكية الدولة في بعض الثروات ورؤوس الأموال ، لأن الشكل الاشتراكي للملكية ليس هو القاعدة العامة في رأيه . وكذلك من الخطأ أيضاً ان يعتبر مزاجاً مركباً من هذا وذاك لأن تنوع الأشكال الرئيسة للملكية في المجتمع الاسلامي ، لا يعني ان الاسلام مزيج بين المذهبين : الرأسمالي والاشتراكي واخذ من كل منها جانباً . . وانما يعبر ذلك التنوع في اشكال الملكية عن تصميم مذهبي أصيل قائم على أسس وقواعد فكرية معينة ، وموضوع ضمن اطار خاص من القيم والمفاهيم تناقض الأسس والقواعد والقيم والمفاهيم التي قامت عليها الرأسمالية الحرة الاشتراكية الماركسية » (٢) .

وتتميز دراسات السيد الشهيد (قد ه) بالموضوعية والحياد النفسي تجاه خصومه فهو لا يستبق النتائج ويحكم على مذهب خصمه بالفشل قبل مناقشته والبرهنة على ذلك ولذلك يقول في مناقشته للمادية : « والمادية التاريخية اذا ادت امتحانها العلمي ونجحت فيه كانت هي المرجع الأعلى في تحديد المذهب الاقتصادي والنظام الاجتماعي لكل مرحلة تاريخية من حياة الانسان واصبح من الضروري ان يدرس كل مذهب اقتصادي واجتماعي من خلال قوانينها وفي ضوئها . . وأما اذا فشلت القوانين الصارمة الأبدية للمجتمعات البشرية فمن

(١) راجع مقدمة الطبعة الثانية لاقتصادنا .

(٢) اقتصادنا ص ٢٩٧ .

الطبيعي عندئذ ان تنهار الماركسية المذهبية المرتكزة عليها ويصبح من الممكن عملياً عند ذاك ان يتبنى الشخص المذهب الذي لا تقره قوانين المادية التاريخية كالمذهب الاسلامي ويدعو اليه بل وان يزعم له من العموم وقدرة الاستيعاب ما لا يتفق مع منطق الماركسية في التاريخ ولهذا نجد لزماً على باحث مذهبي في الاقتصاد ان يلقي نظرة شاملة على المادية التاريخية لكي يبرر وجهة نظره المذهبية ويستطيع ان يحكم على الماركسية المذهبية حكماً أساسياً شاملاً^(١) .

فالسيد الشهيد يسمح لمذاهب خصومه ان تدافع عن نفسها فاذا عجزت عن ذلك حكم عليها بالفشل ولكنه لا يقفز الى اصدار هذا الحكم قبل سماع الدفاع .

وما تتميز به مدرسة الشهيد الأمانة والصدق ففي مناقشاته مع الماركسية لا يكتفي بشاهد او قول كاتب ماركسي ليتثبت به في مقام الرد على الماركسية ولا يقطع بعضاً من عبارته لينذر بها ضد خصومه كما هو شأن الكثير من الكتاب وقد أوضح ذلك (قد ه) في قوله « ولكي نتاح لنا معرفة الاساليب التي تستعملها الماركسية للتدليل على مفهومها المادي للتاريخ يجب استيعاب مجموعة ضخمة من افكار المادية التاريخية وكتبها لأن الأساليب معروضة بشكل متقطع وموزع في كتابات الماركسية^(٢) »

وعشق السيد الشهيد للحقيقة يمنعه من ترديد ما تردده الأوساط المعادية للماركسية دون ان يتأكد من صحتها ومن ذلك يقول « وتتردد في أوساط الكتاب المناهضين للافكار الماركسية مناقشتان للماركسية التاريخية بوصفها نظرة عامة عن التاريخ . الأولى : ان التاريخ اذا كان محكوماً للعامل الاقتصادي ولل القوى المنتجة وفقاً لقوانين طبيعية تسير به من الاقطاع الى الرأسمالية مثلاً ومنها الى الاشتراكية فلماذا تبذل هذه الجهود الجبارة من الماركسيين في سبيل تكتيل اكبر عدد ممكن لشن ثورة فاصلة على الرأسمالية ؟ ! ولم لا يدع الماركسيون قوانين التاريخ فتكفيهم هذه المهمة الشاقة ؟ !

(١) اقتصادنا ص ٤٠ .

(٢) اقتصادنا ص ٧٠ .

الثانية : ان كل انسان يحس - بالضرورة - ان له دوافع اخرى لا تمت الى الطابع الاقتصادي بصلة بل قد يضحى في سبيلها بمصالحه الاقتصادية وبحياته كلها في بعض الأحيان ، فكيف يعتبر العامل الاقتصادي هو المحرك للتأريخ ؟ ! ومن حق البحث العلمي الموضوعي ان نسجل رأينا في هاتين المناقشتين بوضوح ، فهما تعبران عن عدم استيعاب المفهوم الماركسي للتأريخ اكثر مما تعبران عن خطأ المفهوم نفسه^(١) »

ان الخصومة الفكرية بينه وبين الماركسية لم تحل دون ان تقرر خطأ هذه المناقشات بل يعتبران خطأها اكثر من خطأ المفهوم نفسه (المادية التاريخية) .

وكان صدور كتاب « اقتصادنا » منعطفاً تاريخياً في طبيعة الصراع بين النظام الاسلامي والنظام الماركسي فلم تكن الكتابات والبحوث التي سبقت « اقتصادنا » سوى أبواق للتشهير ضد الماركسية والنظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي تردد ما تدعيه الرأسمالية الغربية ، وهذا ما ترفع السيد الشهيد (قده) عن ذكره بل كان صدور كتابه نقلة من مواقع الصراع الموهوم الذي يظهر فيه علماء الاسلام ومفكروه وكأنهم واجهات اعلامية للرأسمالية الغربية الى مواقع الصراع الفكري الحضاري والموضوعي في آن واحد .

ولكن : قد يضطر السيد الشهيد (قده) الى الحديث عن عمليات التطهير التي حصلت في الاتحاد السوفيتي وهي تتسم بالعنف لتطال أبرز قيادي الاتحاد السوفيتي من وزراء واعضاء اللجان السوفياتية المركزية واعضاء الحزب بغض النظر عن التصفيات التي شملت أعداءهم ، فانه يسردها بسرعة فائقة جداً يعقب بعد ذلك ليقول « ولا نرمي من وراء هذا الى التشهير بالجهاز الحاكم في المجتمع الاشتراكي - وليس التشهير من شأن هذا الكتاب - وانما نرمي الى تحليل المرحلة الاشتراكية تحليلاً علمياً لنجد كيف تؤدي بطبيعتها المادية الدكتاتورية الى ظروف طبقية تتمخض عنها ألوان رهيبية من الصراع ؟ ! واذا بالتجربة التي جاءت لتمحو الطبقية قد أنشأتها من جديد^(٢) »

(١) اقتصادنا ص ١٠٢ .

(٢) اقتصادنا ص ٢٣٧ .

قيمة « اقتصادنا » :

لقد صدرت العديد من الدراسات الاسلامية في الاقتصاد الاسلامي فما هي قيمة كتاب « اقتصادنا » وموقعه من هذه الدراسات ؟
من أجل التعرف على الاجابة ننقل نصين لكاتبين اسلاميين يبينان ما تمتاز به دراسة الشهيد الصدر (قد ه) وما تنفرد به عن مثيلاتها رغم مضي ربع قرن على انجازها .

يقول الدكتور محمد المبارك وهو بصدد الحديث عن الدراسات التي انجزت في ميدان الاقتصاد الاسلامي : « ونستطيع ان نذكر من هذه المؤلفات نماذج أربعة لعلها احسن ما كتبت في الموضوع على تفاوت في خصائصها وظروف تأليفها :

١ - (العدالة الاجتماعية في الاسلام) لسيد قطب رحمه الله وقد كان كتاباً رائداً في العالم العربي والاسلامي وكان له أثره العميق الواسع الانتشار اذ ترجم الى كثير من اللغات الاسلامية ولا يزال هذا الكتاب يحتفظ بقيمته لما اشتمل عليه من خطوط عميقة ومفاهيم واضحة مع تحديد للهدف الذي وضع من أجله وهو كما هو نفسه « سياسة المال » فيما يتعلق بالعدالة الاجتماعية وليس الكتابة عن « النظام الاقتصادي في الاسلام » .

٢ - (الاسلام والنظم الاقتصادية المعاصرة) للاستاذ أبي الأعلى المودودي وربما كان الاستاذ المودودي أسبق المؤلفين المسلمين الى الكتابة في هذه الموضوعات في رسائل وبحوث نشرت بالأوردية ثم ترجمت الى العربية وانتشرت في البلاد العربية بعد سنوات كثيرة من ظهورها في الهند ثم باكستان وله بحوث ومؤلفات قيمة اخرى ومنها كتاب في الربا وآخر في ملكية الأرض ويمتاز بالعرض الفكري الموضوعي .

٣ - (اشتراكية الاسلام) للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله ويمتاز بغزارة المادة التي جمعها ونسقها وحرارة الدعوة الى نظام الاسلام ، وان كان اخذ عليه التوسع في تفسير بعض النصوص مضاهاة للاشتراكية بدافع الحرص على دفعها وسد الطريق عليها اجتهاداً منه رحمه الله ، ولو ان عاجلته المنية لكان عازماً على

اخراج طبعة منه تشمل على تعديل لبعض آرائه وتجلية لمقاصده فما أسيء فهمه كما علمت ذلك منه رحمه الله قبيل وفاته .

٤ - (اقتصادنا) للبحاث الاسلامي المفكر السيد محمد باقر الصدر وهو أول محاولة علمية فريدة من نوعها لاستخراج نظرية الاسلام الاقتصادية من احكام الشريعة من خلال استعراضها استعراضاً تفصيلياً بطريقة جمع فيها بين الأصالة الفقهية ومفاهيم علم الاقتصاد ومصطلحاته وقد جعل المؤلف كتابه في جزأين كبيرين خصص أولهما لعرض المذهبين الرأسمالي والماركسي ومناقشتها ونقدتهما نقداً علمياً . والثاني لاستخراج معالم النظرية الاسلامية في الاقتصاد^(١) انتهى

ويبدو واضحاً ان ما يمتاز به « اقتصادنا » به عن غيره من الدراسات هو الأصالة التي تفتقر اليها الكثير من الدراسات بل معظمها والاستيعاب فان الدراسات في الاقتصاد قبل صدور اقتصادنا وبعد صدوره تقتصر على عرض بعض المفاهيم الاسلامية في مجال الاقتصاد او تتناول بعض مسائل الاقتصاد لتقارنها بالاحكام الاسلامية ، بينما قدم « اقتصادنا » نظرية اسلامية في الاقتصاد متكاملة وهذا ما لا مثيل له في الدراسات التي سبقت « اقتصادنا » او لحقت به بعد صدوره وكتب (اقبال آساريا) مقالاً في تحليل ونقد كتاب « الاقتصاد في الاسلام » للبروفسور سيد نواب نقوي ، جاء فيه : « اخذت دراسات الاقتصاد الاسلامي في غضون العشرين عاماً الماضية طريقها الى الرشد والتبلور ومعظم هذه الدراسات تندرج تحت صنفين متميزين :

الاول : الدراسات التي ألفها المطلعون على الفقه الاسلامي وتمثل هذه الدراسات رسائل متفرقة عكفت على جمع جملة من الاحكام الاسلامية التي جاءت لتنظيم الحياة الاقتصادية ، ولم ترق هذه الدراسات الى مستوى محاولة إكتشاف إطار نظري محدد للاقتصاد الاسلامي ، بل هي اشبه بما كتبه المؤرخون المسلمون الأوائل من فصول في حقل المسائل الاقتصادية وعليه فلا تتعدى هذه الدراسات عن كونها تضع اليد على مصادر ووثائق يستعين بها الباحثون في مجال الاقتصاد الاسلامي .

(١) الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة للدكتور مبارك ص ٢٠ .

الثاني : الدراسات التي كتبها المثقفون المسلمون الذين درسوا الاقتصاد في الجامعات الغربية ، دراسات هؤلاء حاولت جهداً استخدام بعض الاحاديث والآيات القرآنية لتدعم بها وجهة النظر التي انتهت اليها وتسبغ عليها زعماً الطابع الاسلامي . وخلاصة أبحاث هؤلاء هي جر الاقتصاد الاسلامي الى مزاج وطريقة التنظيم الاقتصادي في العالم الرأسمالي غايته اكدت على مسؤوليه الدولة الاسلامية لتحقيق الرفاه الاجتماعي لأبناء الأمة كما سعت جهداً لايجاد السبل بغية التخلص من المعاملات الربوية التي يبتلى بها عادة النظام الرأسمالي ، ومضافاً الى هذين اللونين اللذين صبغا الدراسات في حقل الاقتصاد الاسلامي هناك محاولات متفرقة اخرى اتجهت صوب اكتشاف نظرية منسجمة لنظام الاقتصاد الاسلامي ومن هذه المحاولات الانجاز الملفت للنظر الذي كتبه الشهيد محمد باقر الصدر في « اقتصادنا » ورغم ان هذا الكتاب قد أنجزت ابحاثه في حدود الربع قرن المنصرم فهو لا يزال احدث الدراسات في مجال مفهوم الملكية وخصوصاً ملكية الأرض في الاسلام، وكذلك يمثل « اقتصادنا » أولى المحاولات لعرض اطار نظري محكم للنظام الاقتصادي في الاسلام قائم على أساس جمع وتنسيق مختلف الأحكام الاسلامية ذات الارتباط بتنظيم الحياة الاقتصادية »^(١) .

غريب جداً ان محاولة تأسيسية وبدائية - على حد تعبير السيد الشهيد - تبقى أحدث الدراسات في مجال الاقتصاد الاسلامي بعد مرور ربع قرن على كتابتها ورحيل مؤلفها ، وهي لا زالت تنتظر اهتمام المفكرين لمواصلة الطريق الذي فتحه الشهيد الصدر (قد ه) في معاناته للكشف عن نظرية الاسلام في الاقتصاد ، وجميل ما قاله كاتب اسلامي في ذلك « اقتصادنا كتاب وكاتب مظلوم لم تثر لحد الآن منطلقاته ولم يتابع خطه على مستوى البحث والتحقيق رغم الأثر الثقافي الذي يفعله وفعله هذا الكتاب الهادف . . »^(٢)

(١) مجلة الفجر ص ١٦٠ (العدد الأول للسنة الأولى ١٤٠٣ هـ) من مقال للأستاذ حيدر آل حيدر.

(٢) ن، م ص ١٦١ .

ملاحظات حول « اقتصادنا » :

لقد كانت المكتبة الاسلامية تفتقر الى الدراسات الحديثة ومن بينها الدراسات الاقتصادية وتأكدت الحاجة الى مثل هذه الدراسات بعد الهجمة التي شنتها الحضارة الغربية والشرقية ووجدت في ابناء الأمة الاسلامية من يستوردها بحرارة وشغف فتصدى العلماء الأبرار لاستنزال المفاهيم الاسلامية في هذه المجالات الحديثة وكان في مقدمتهم الامام الصدر (قد ه) في أبحاثه المختلفة التي صدرت يومذاك فحققت الانتصار الكبير للفكر الاسلامي وتراجعت الرؤى المستوردة معترفة بالفشل وخيبة الأمل .

وكان صدور كتابه « اقتصادنا » اشباعاً للحاجة وللضرورة الاسلامية واصبح مصدراً للدراسات الاسلامية في مجال الاقتصاد يستقي منه الاساتذة والمفكرون في دراساتهم وبحوثهم الاقتصادية .

يقول الاستاذ يحيى الحاج عثمان سكرتير لجنة العلماء في الحزب الاسلامي الماليزي : في حديثه عن مشروع السيد الشهيد :

عند بدايتي في التدريس في الجامعة كنت كلفت بأن أدرس مادة أسمها « المالية العامة » وهي مادة اقتصادية وكانت الكتابات حول الاقتصاد الاسلامي في السبعينات قليلة وحديثة فوجدت في كتابه « اقتصادنا » وقبل ذلك في مقالاته التي نتبعتها بشغف خير عون لنا . . »^(١)

لقد شعر السيد الشهيد (قد ه) وهو في عنفوان شبابه -- بتدني الوعي والثقافة الاسلامية في مجالات كثيرة منها مجال الثقافة الاقتصادية والرؤية الاسلامية في هذا المجال الذي يعد اليوم من أهم المجالات صلة بحياة الانسان . فمن ذلك تصدى السيد الشهيد الى البحث والكتابة والتنظير فتجلى هذا الشعور في مقالات وبحوث صدرت في مقدمتها كتاب اقتصادنا .

ويشمر الشهيد (قد ه) عن ساعديه وبِعزيمة صلبة للمشاركة في التنظير

(١) جريدة الجهاد ص ١٢ العدد ٧١/٩/ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ .

لوضع الأسس لبنك اسلامي فيليبي دعوة المشرفين على مشروع بيت التمويل الاسلامي في الكويت فيقدم اطروحته التي تمثلت في كتابه « البنك اللاربوي في الاسلام^(١) » الذي اعتبر من اهم البحوث التي قدمت وأدقها وكذلك مساهمته في وضع الخطوط الرئيسية للاقتصاد الاسلامي^(٢) في بحث موجز قدمه للجهات المختصة في الدولة الاسلامية الفتية حين تأسيسها في ايران كمشروع مساهمة في وضع الدستور الاسلامي في ايران ولم يأل السيد الشهيد (قد ه) جهداً في سبيل رفع المستوى الثقافي في المجتمع الاسلامي في مجال الاقتصاد فيبادر الى تشكيل حلقة دراسية لم تعدها جامعة النجف الأشرف التي اقتصرت في تدريس الفقه والأصول دون ان تولي اهتماماً بالمجالات الفكرية والثقافية الأخرى ، فعقد هذه الحلقة ولأول مرة في مسجد آل الجواهري لتدريس كتابه « اقتصادنا »^(٣) .

هذه المشاعر الصادقة والمسؤولة التي تمتع بها الامام الصدر (قد ه) في بناء مجتمع اسلامي واعٍ لم يعتن بها من قبل المفكرين الاسلاميين بعد فالمسيرة التي خطاها السيد الشهيد (قد ه) لم تواصل بعد وهذا هو سر الجمود في الكتابات التي صدرت في بحث المسائل الاقتصادية، فنظرية اقتصادية اسلامية متكاملة كان ينبغي للمفكرين والعلماء الاسلاميين وضعها موضع البحث والتحقيق مع ان السيد الشهيد (قد ه) كان حريصاً على ان يتوسع في بعض مطالب الكتاب ولكنه لم يوفق لذلك وهذا ما يصعد من مسؤولية المفكرين الاسلاميين .

بعد مرور زمن طويل تقريباً على انجاز محاولة السيد الشهيد لم تصدر سوى ملاحظات على كتاب « اقتصادنا » لا تخرج عن كونها ملاحظات على المنهج الذي ظهر به اقتصادنا تقتصر على ذكر ملاحظتين :

(١) لقد فرق السيد الشهيد (ره) في وضع أطروحته لإنشاء بنك إسلامي بين حالتين الأولى هي وضع إطروحة لبنك إسلامي في أجواء فاسدة أي في أجواء عزلة الحكم الإسلامي وبين حالة وضع إطروحة لبنك إسلامي في أجواء الحكم الإسلامي ، واعتبر أطروحته تمثل الحالة الأولى ولذلك تيب الأمة الإسلامية بوضع الأطروحة الثانية في ظل الحكم الإسلامي الجديد التي لم يوفق الشهيد الصدر (ره) لوضعها .

(٢) وذلك في إجابته على سؤال ورده من نخبة من علماء لبنان حول طبيعة الدستور الاسلامي فكتب خمس حلقات سميت « الإسلام يقود الحياة » .

(٣) مجلة الجهاد ص ٧٧ العدد ٧١/١٤٠٣ هـ من مقال للسيد حسن اشير .

الأولى : ما أورده الدكتور محمد المبارك اذ يقول : « وحبذا لو اذ المؤلف لم يقتصر في الآراء الفقهية التي استند اليها على المذهب الجعفري وحده كما فعل غالباً وجعله شاملاً للمذاهب الفقهية الأخرى اذن لكانت الصورة اكمل واتم وان كان هذا لا ينقص من قيمة الكتاب باعتباره معبراً عن النظرية الاسلامية لاشتراك المذاهب كلها في هذه الآراء اشتراكاً يكاد يكون تاماً ولكن توسيع الاطار له دلالة البعيدة واثره المفيد^(١) »

وأجيب على ذلك ان الشهيد الصدر (قد ه) كان ينقل بين الحين والآخر آراء الفقهاء من المذاهب الفقهية المختلفة كما في مسألة تحديد ارض السواد وغيرها وان ما أورده الدكتور محمد المبارك يرد عليه قبل ان يرد على السيد الشهيد اذ ان الدكتور المبارك يترك في كتابه « الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة » التعرض لآراء مدرسة أهل البيت فحسب بل وركز في اكثر الأحيان على آراء وأقوال فرد واحد هو ابن تيمية رغم ما في آرائه من اشكالات كثيرة وضعف في التقييم السليم^(٢) . وبالإضافة الى ذلك فان اختيار السيد الشهيد (قد ه) لعرض آراء مدرسة اهل البيت والتركيز عليها يجعل العرض اكبر في وضع اليد على اجتهادات متعددة بينما تتحدد هذه الاجتهادات وفق المذاهب الفقهية الأخرى نظراً لغلق باب الاجتهاد فيها وفتح الاجتهاد في مدرسة أهل البيت^(٣) .

واعتقد ان الاشكال الذي أورده الدكتور محمد المبارك يعد ذوقياً ومزاجياً او بالأحرى (إذا صح التعبير) نسبياً ، فبينما اعتبر الدكتور المبارك كتاب « اقتصادنا » قليلاً ما يستشهد بآراء المذاهب الفقهية الأخرى اعتبر الدكتور (أحمدة النيفر) كتاب « اقتصادنا » دليلاً على تجاوز الشهيد (قد ه) الخلافات الطائفية وذلك باستعماله الكثير للمراجع السنية - على حد تعبير الدكتور النيفر^(٤) - وهذا ما يقلل من أهمية الاشكال .

الثانية : والتي أوردها احد الكتاب الاسلاميين اذ يقول : « والملاحظ هنا

(١) الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة ص ٢١ محمد المبارك .

(٢) في تعليق للشيخ محمد علي التسخيري في هامش كتاب الدكتور المبارك .

(٣) راجع مجلة الفجر ص ١٦١ العدد ١/ ١٤٠٣ هـ .

(٤) راجع ص ٧٥ من هذا البحث .

ان المنهج الذي استخدمه « اقتصادنا » في اكتشاف نظرية الاسلام الاقتصادية لا يعدم الذاتية ولا يشكل قاعدة صلبة توفر البحث لدى مختلف الباحثين الموضوعية في عملية الاكتشاف . فنحن اذ نستثني فقيهاً كالشهيد الصدر وندعي له بحق ان له القدرة على هضم المناخ العام للتشريع واللباقة النزينة في محاولة الاقتراب من واقع التشريع غير اننا حينما نحاكم منهج « اقتصادنا » بوصفه اطروحة منهجية عامة لدراسة الاقتصاد الاسلامي فسوف نجد ان عملية تفسير الأحكام بالطريقة المطروحة في « اقتصادنا » لا تضمن لنا تجنب اضطراب في الرؤية حينما نترك الباب مفتوحاً امام سائر الباحثين . اذ ان وجهات النظر المتعددة في الفقه الاسلامي تفتح الباب امام اجتهادات نظرية متعددة في عملية تحديد الوجهة المذهبية للاقتصاد الاسلامي^(١) »

ويبدو ان هذه الملاحظة ليست وجهية بناء على شرعية الاجتهاد وهذا ما اكده السيد الشهيد (قد ه) اذ يقول : « ان الصورة التي نكوها عن المذهب الاقتصادي لما كانت متوقفة على الاحكام والمفاهيم فهي انعكاس لاجتهاد معين لأن تلك الأحكام والمفاهيم التي تتوقف عليها الصورة نتيجة لاجتهاد خاص في فهم النصوص وطريقة تنسيقها والجمع بينها . وما دامت الصورة التي نكوها عن المذهب الاقتصادي اجتهادية فليس من الحتم ان تكون هي الصورة الواقعية لأن الخطأ في الاجتهاد يمكن ولأجل ذلك كان من الممكن لمفكرين اسلاميين مختلفين ان يقدموا صوراً مختلفة للمذهب الاقتصادي لأنها تعبر عن ممارسة عملية الاجتهاد التي سمح بها الاسلام وأقرها ووضع لها مناهجها وقواعدها . . »^(٢)

فالسيد الشهيد (قد ه) يرى ضرورة الذاتية التي تنسجم مع الاطار الاسلامي ، أي أن عملية الاجتهاد هي عملية شرعية مادامت محدودة ضمن إطار الكتاب والسنة ووفقاً للشروط العامة التي لا يجوز تجاوزها . وضرورة تعدد الاجتهادات بالتالي تنصب في منانة الاقتصاد الاسلامي لأن هذه الاجتهادات ذخيرة جليلة يمكن الاستفادة من جميعها بوصفها شرعية اسلامية ويمكن للكاتب ان يختار اقوى هذه الاجتهادات واكثرها انسجاماً مع واقع الشريعة وان لم يكن هذا

(١) مجلة الفجر ص ١٥٦ العدد ١/ ١٤٠٣ هـ .

(٢) اقتصادنا ص ٤٠٣ .

اللون من الذاتية تحرراً كاملاً غير انه تحرر في نطاق الاجتهادات المختلفة حسب
تعبير السيد الشهيد (قد ه) .

نعم ! السيد الشهيد (قد ه) يحذر من الذاتية التي حدد منابعها في دمج
النص ضمن اطار خاص وتجريده من ظروفه وشروطه واتخاذ موقف معين بصورة
مسبقة تجاه النص كما مر ذكره في محله .

مع الشهيد الصدر مؤرخاً

لم تصرف مشاكل الفقه والاصول الشهيد الصدر (قد ه) عن الخوض في ميادين المعرفة الأخرى فاتسعت اهتمامات الشهيد لتشمل اكثر حقول العلم والمعارف الانسانية ، ومن ذلك ميدان التأريخ ليسجل روائع افكاره وآرائه التي توصل اليها (قد ه) .

ولقد كان الامام الصدر (قد ه) شغوفاً بالتأريخ منذ صباه ، فعالج مشكلة تأريخية من أعقد مشكلات التأريخ وهو في السابعة عشرة^(١) من عمره وقيل في الحادية عشرة^(٢) ولم يهدف يومئذ من تأليفه الا الاحتفاظ به كمذكر لحياته الفكرية ومؤرخاً لتلك المرحلة من عمره الشريف - كما أوضحه السيد في مقدمة كتابه - ولكنه سرعان ما تقع عليه عيون ممن حوله فيرغبون في طبعه ونشره فيدعن لرغبتهم وتحقيقاً لأمنيتهم ليظهر كتاب « فذك في التأريخ » ليبدد كل الابحاث والدراسات التي سبقتها ويحتل الصدارة في المكتبة الاسلامية باسلوبه الموضوعي وحجته البالغة في تحقيق مسألة الخصومة التأريخية بين الخليفة الأول والزهراء (ع) بنت رسول الله (ص) التي لم تعهد المكتبة التأريخية تحقيقاً بمثل هذا التحقيق ومحكمة بمثل هذه المحاكمة .

وقد كشف الشهيد (قد ه) عن حقائق تأريخية عدة في كتابه « فذك في التأريخ » وأماط اللثام عنها بلهجة علمية واسلوب موضوعي فتناول (قد ه) اكثر من محور في كتابه بما له دخل في معالجة أمر الخصومة فبحث بأروع ما يمكن معالم

(١) مقدمة الباحث للحائري ص ٦٤ .

(٢) مجلة الجهاد ص ٢٨ عدد ١٤ / سنة ١٤٠١ هـ في حديث للسيد نور الـ الأشكوري .

سياسة الخليفتين الأول والثاني تجاه أهل البيت وأوضح الأسس التي تقوم عليها^(١) وأسهب البحث بشكل لم يسبق له مثيل في أمر السقيفة^(٢) وكذلك عالج بحثاً من أهم البحوث التاريخية وهو أمر الفتوحات الإسلامية^(٣) فألقى عليها الأضواء الكاشفة ، وفي كل هذه الأبحاث تجرد عن المواقف المسبقة والعواطف الجياشة التي قد تودي بالباحث الى متاهات مظلمة .

ولم يقتصر الشهيد (قد ه) على بحث الحقائق التاريخية ودراستها بلغة تاريخية صرفة فهو المؤرخ الواعي الذي لا يسلم بالحقائق التاريخية بعيداً عن القرآن والسنة والعقل والذوق العام فقد تناول السيد الشهيد (قد ه) الحديث الذي رواه الخليفة الأول في مقام رد الزهراء (ع) بالبحث والتحقيق فذكر عدة احتمالات في^(٤) تفسير الحديث بما يبطل الاستدلال بالحديث الذي رواه الخليفة الأول لصالحه وبذلك يفقد الخليفة الأول حجته في خصومته مع الزهراء (ع) .

وكذلك تناول السيد الشهيد (قد ه) تفسير آيات الارث التي احتجت بها الزهراء في مقام اثبات ارث الأنبياء بشكل يؤيد دعوى الزهراء ويدحض التبريرات والتأويلات التي حاكها بعض المفسرين^(٥) .

والحقيقة ان كتاب (فدك في التاريخ) بحث تاريخي استعمل فيه الشهيد (قد ه) أدوات المعرفة من تفسير وتحليل للحديث وفقه وفلسفة بما لا يجعله مجرد سرد تاريخي محض .

كيف يتعامل الشهيد مع التاريخ :

لم يكن الشهيد الصدر (قد ه) من هواة التأليف والتصنيف ولذلك لم يترك في أكثر الحقول التي طرق ابوابها سوى مصنف او اكثر وعدة بحوث متناثرة ومحاضرات في مناسبات مختلفة ومن ذلك حقل التاريخ الذي ترك فيه الشهيد كتابه

(١) راجع فدك في التاريخ ص ٦٩ .

(٢) فدك ص ٥٣ .

(٣) راجع فدك ص ٣٨ .

(٤) راجع فدك في التاريخ ص ١١٦ .

(٥) ن . م ص ١٣٤ .

« فذك في التاريخ » وبحوثاً ومحاضرات تاريخية قدر لها ان تكون مصادر للبحث-
التاريخي .

ومن ذلك كله نسترق التعامل الصدري مع التاريخ والتعرف على مظاهر
على التعامل .

يشترط (قد ه) ان يكون المؤرخ موضوعياً يتجرد من عاطفته ولا يقتفي
اثرها ويلبي ايعازاتها لأن الموضوعية ان كانت شرطاً في كل المحاكمات العلمية
فانها في المحاكمات التاريخية أوضح لذلك يقول السيد (قد ه) : « اذا كان التجرد
عن المرتكزات والأناة في الحكم والحرية في التفكير شروطاً للحياة الفكرية المنتجة ،
وللبراعة الفنية في كل دراسة عقلية مهما يكن نوعها ومهما يكن موضوعها ، فهي
اهم الشروط الاساسية لاقامة بناء تاريخي محكم لقضايا أسلافنا ترتسم فيه خطوط
حياتهم التي صارت ملكاً للتاريخ ويصور عناصر شخصياتهم التي عرفوها في
أنفسهم أو عرفها الناس يومئذ فيهم ، ويتسع لتأملات شاملة لكل موضوع من
موضوعات ذلك الزمن المنصرم يتعرف بها على لونه التاريخي والاجتماعي ووزنه في
حساب الحياة العامة أو في حساب الحياة الخاصة التي يعنى بها الباحث وتكون
مداراً لبحثه كالحياة الدينية والاخلاقية والسياسية الى ذلك غير ذلك من النواحي
التي يأتلف منها المجتمع الانساني بشرط ان تستمر هذه التأملات كيانها النظري من
عالم الناس المنظور لا من عالم تبتدعه العواطف والمركزات وينشئه التعبد
والتقليد ، لا من خيال مجنح يرتفع بالتوافه والسفاسف الى الذروة ويبني عليها ما
شاء من تحقيق ونتائج ، لا من قيود لم يستطع الكاتب ان يتحرر عنها ليتأمل ويفكر
كما نشاء له أساليب البحث العلمي النزيه (١) »

ولكن لماذا كل هذه الشروط وقد انصرم ذلك الزمن ومضى دون رجعة فقد
يكون بود بعض الباحثين ان يغفر لاسلافه ذنوبهم وخطاياهم وقد يحلوه ان لا يأتي
على ذكر شيء من سيئاتهم أو يحاول تبريرها أو تأويلها ؟ !
يرى السيد الشهيد (قد ه) ان المؤرخ ليس حراً في ان يغفر لاسلافه تحت
ضغوط العاطفة والتعبد والتقليد لأنه ان فعل ذلك فانه سيزور التاريخ ويشوه
صورته .

(١) فذك في التاريخ ص ٣٤ .

نعم! يحق له ان يكتب رواية يتيه فيها في عالم العواطف والخيال الخصب ، وليكتب ما يشاء ويغفر ما يشاء ويحسن ما يشاء فان ذلك ملكه .
يقول السيد الشهيد : « فاذا كنت تريد ان تكون حراً في تفكيرك ، ومؤرخاً لدنيا الناس لا روائياً يستوحى من دنيا ذهنه ما يكتب فضع عواطفك جانباً أو اذا شئت فاملاً بها شعاب نفسك فهي ملكك لا ينازعك فيها احد ، واستثن تفكيرك الذي به تعالج البحث فانه لم يعد ملكك بعد ان اضطلعت بمسؤولية التأريخ وأخذت على نفسك ان تكون أميناً ليأتي البحث مستوفياً لشروطه قائماً على أسس صحيحة من التفكير والاستنتاج^(١) »

وغالباً ما تتصف الكتابات التأريخية بالتجرد التأريخي المحض بل تخالف أحياناً أولى البدهيات العقلية والشرعية ، أما الشهيد الصدر (قد ه) فيجده المؤرخ الفقيه الذي يطعمك التأريخ مشوباً بالفقه كما يبدو ذلك في مسائل تأريخية عديدة ففي بحثه لحكم الخليفة الأول وقضائه في أمر الخصومة مع الزهراء يطرح على بساط البحث مسألة من أدق المسائل الفقهية الا هي (مسألة جواز قضاء الحاكم بعلمه او عدم جواز ذلك) فرد على أساطين العلماء فيما تعارفوا عليه وما اشتهر على ألسنتهم .

يقول السيد الحائري : « فلقد ناقش - رحمه الله - في كتاب « فذك » ما وقع من بعض أكابر العلماء كصاحب الجواهر رضوان الله عليهم - من الاستدلال على نفوذ علم القاضي بكون العلم أقوى من البينة المعلوم ارادة الكشف منها . ناقش ذلك بقوله « وألاحظ أن في هذا الدليل ضعفاً مادياً لأن المقارنة لم تقم فيه بين البينة وعلم الحاكم بالاضافة الى صلب الواقع وانما لوحظ مدى تأثير كل منهما في نفس الحاكم ، وكانت النتيجة حينئذ ان العلم اقوى من البينة لأن اليقين أشد من الظن ، وكان من حق المقارنة ان يلاحظ الاقرب منهما الى الحقيقة المطلوب مبدئياً الأخذ بها في كل مخاصمة ولا يفضل علم الحاكم في هذا الطور من المقايسة على البينة لأن الحاكم قد يخطئ كما ان البينة قد تخطئ ، فهما في شرع الواقع سواء كلاهما مظنة للزلل والاشتباه » وايضاً ذكر المرحوم الشيخ آقا ضياء العراقي الذي يعتبر من

(١) ن، م، ص ٣٥.

أكابر المحققين في العصر المتأخر ذكر في كتابه رداً على من استدل النفوذ علم القاضي بأدلة القضاء بالحق والعدل : « انه قد يكون المراد بالحق والعدل هو الحق والعدل وفق مقاييس القضاء ، لا الحق والعدل وفق الواقع ، وكون علم القاضي من مقاييس القضاء أول الكلام » واستشهد - رحمه الله - على ذلك بالرواية الدالة على عقاب رجل قضى بالحق وهو لا يعلم ببيان أنه لو كان موضوع القضاء هو الحق الواقعي لا الحق وفق مقاييس القضاء لكان قضاء من قضى بالحق - وهو لا يعلم صحيحاً وضعاً وتكليفاً ، ولا عقاب عليه الا بملك التجري .

وأورد عليه استاذنا الشهيد - رحمه الله - في كتاب فذك بأن هذه الرواية لا تدل على عدم موضوعية الواقع للحكم ، غاية ما هناك ان نقيذ الأدلة التي ظاهرها كون موضوع الحكم هو الحق والعدل الواقعيين بالعلم بمقتضى دلالة هذه الرواية على عقاب من قضى بدون علم فيصبح الواقع جزء موضوع والعلم به جزء آخر للموضوع ولا بأس بذلك^(١) انتهى .

وتباین آراء المؤرخين والكتاب الاسلاميين في تحليل سياسة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) تجاه معاوية ، وحكم البعض على سياسة علي (ع) بالفشل بينما انبرى آخرون للدفاع عنه ، وكل ذلك في اطار تأريخي محض .

أما السيد الشهيد (قد ه) فانه يحلل موقف الامام علي (ع) من منظار فقهي على ضوء قاعدة (التزاحم) فيما اذا توقف واجب أهم على مقدمة محرمة فلا بد من الحفاظ على ذلك الواجب الأهم ولو بارتكاب المقدمة المحرمة حفاظاً على الأهم ورعاية له . على ضوء هذه القاعدة يتساءل الشهيد الصدر (قد ه) عن السبب الذي حال بين الامام علي وتطبيق هذه القاعدة لأجل ان يملك زمام قيادة المجتمع الاسلامي ولو بامضاء ولاية معاوية لفترة زمنية قصيرة ثم يعزله وهو في منعة ليتوفر على هذه الدماء وهذا الشرخ الذي أصاب صفوف المسلمين .

الشهيد (قد ه) يفلسف هذا الموقف التاريخي ويكشف عن عدم صلاحية تطبيق هذه القاعدة الفقهية السالفة الذكر وقدم (قد ه) للجواب على هذه الظاهرة

(١) مقدمة المباحث للحائري ص ٦٤ .

عدة نقاط كدراسة للظروف السياسية والاهداف التي كان يعيشها الامام علي (ع)
تتلخص ^(١) في :

١ - ان الامام علي (ع) كان بحاجة الى انشاء جيش رسالي عقائدي لم يكن موجوداً من قبل ولا بد من اعداده وتربيته فكرياً وعاطفياً ونفسياً وهذا يتطلب جواً مسبقاً صالحاً تنشأ منه بذور هذا الجيش ومن الواضح ان جواً من المساومة وأنصاف الحلول يحول دون انشاء مثل هذا الجيش العقائدي .

٢ - ان الامام جاء في لحظة ثورة تستبطن لحظة تركيز وتعبئة وتجمع كل الطاقات العاطفية والنفسية في الأمة الاسلامية لصالح القضية الاسلامية فلا بد من اغتنام هذه اللحظات وعدم اضاعتها باشاعة روح المساومة وأنصاف الحلول .

٣ - ان ظاهرة الشك في مجتمع الامام علي (ع) كانت شائعة وكان الامام يهدف الى توعية الأمة الاسلامية وتعريفها بحقيقة المعركة بينه وبين خصومه وأنها ليست معركة شخصية ، ومع هذا كانت الشكوك تحوم حول هذه المعركة وعليه فان اقدام الامام (ع) على المساومة اضافة عنصر آخر يزيد من اثارة هذه الشكوك بايجاد عنصر موضوعي لانتشار هذه الظاهرة .

٤ - ان هناك مؤامرة كانت تهدف وجود الأمة الاسلامية وسلخ شخصيتها ومنع الأمة من القيام بدورها بكل جرأة والحيلولة دون هذا الموقف بنصب قيم عليها لتعيش حياة الأكاسرة والقيصرة . كان الامام علي يهدف الى القضاء على هذه.. مؤامرة وما لا شك فيه ان أنصاف الحلول تكريساً لهذه المؤامرة، فلو باع الامام علي (ع) الأمة بيعاً مؤقتاً مع خيار الفسخ - على حد تعبير السيد الشهيد - لكان قد اشترك في انجاح هذه المؤامرة وفي سلخ الأمة عن ارادتها في حين انه يهدف الى تربية الأمة على الشعور بكرامتها ، بحريتها وأصالتها في المعترك السياسي والعقائدي .

٥ - ان الامام علي (ع) لو امضى هذه الاجهزة الفاسدة فليس بإمكانه ان يقوم بعملية التغيير الجذري التي كان يهدف اليها لأن عملية التغيير لا يمكن ان تنشأ على يد الاجهزة الفاسدة نفسها التي لا بد ان يطالها التغيير .

(١) راجع (أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف) ص ١٩ وهي محاضرات للسيد الشهيد (ره) في تاريخ الأئمة (ع) وقد طبعت بعد شهادته .

٦ - ان الامام (ع) يامضائه لهذه الاجهزة اي لوباع الأمة من معاوية بيعاً مؤقتاً مع خيار الفسخ اذن لاستطاع ان يحصل الامام على نقطة قوة وهي ان معاوية سيبايعه مع اهل الشام ولكنه سيفقد نقطة أخرى لأن امضاء ولاية معاوية الاعتراف بشرعيته وان المقارنة بين هاتين النقطتين سوف لن تنتهي من خلالها الى قرار يؤكد ان نقطة القوة التي يحصل عليها الامام علي هي اهم في حساب عملية التغيير خاصة اذا علمنا ان عملية تغيير الولاية وقتئذ لم تكن عملية سهلة ولم تكن عملية بهذا الشكل من اليسر الذي نتصوره في دولة مركزية تسيطر حكومتها المركزية على كل اجهزة الدولة وقطاعاتها ويظهر ان عزل هذه الأجهزة الفاسدة منذ البداية هو الأصلح والأهم .

٧ - ان نقطة القوة التي يفترض ان يحصل عليها الامام (ع) لا يوجد من الدلائل والقرائن ما يوحى بصحة هذا الافتراض لأن معاوية لم يعص علياً (ع) لأجل انه عزل عن الولاية وانما كان ذلك جزء من مخطط مؤامرة طويلة الأمد للأموية على الإسلام لأن الشرف الأموي - على حد تعبير السيد الشهيد - يريد ان يقتنص وينهب مكاسب البناء الاسلامي وهذا ما اباح به ابو سفيان حين وقف على قبر حمزة ليركله برجله وهو يقول : ان الدين الذي قاتلمونا عليه وضحيتم من أجله قوموا واقعدوا وانظروا كيف اصبح كرة في ايدي صبياننا واطفالنا » ومعاوية كان يهدف الى تنفيذ جزء من هذا المخطط الأموي الطويل الأمد .

ان دراسة هذه الظروف ووعيتها على يد السيد الشهيد (قد ه) لم يسبق له مثيل ، وهذا ما يوفر للباحث سهولة استخلاص النتيجة المطلوبة في تقييم صحيح لموقف علي (ع) وسياسته الدقيقة التي شيدها على أساس من الورع والتقوى والدقة في التخطيط . ومن هذه الأسس التي كشف عنها السيد الشهيد (قد ه) يقرر عدم صلاحية تطبيق القاعدة الفقهية التي افترض أول البحث امكان تطبيقها فيقول : (ومن الواضح ان الفكرة الفقهية التي أشرنا اليها سابقاً عن توقف الواجب الأهم على المقدمة المحرمة ، انما تكون فيها اذا كان هناك توقف بالفعل بحيث يبرز ان هذا الواجب الأهم لا يمكن التوصل اليه الا عن طريق هذه المقدمة المحرمة والظروف وطبيعة الاشياء وقتئذ لم تكن توحى ولم تكن تؤدي الى اليقين

بمثل هذا الموقف (١).

ومن مبتكرات السيد الشهيد (قد ه) في حقل التأريخ الاتجاه التوحيدي والترابطي في دراسة التأريخ وقد أشار الى ذلك في بعض محاضراته ودعا اليه بخصوص دراسة تأريخ الأئمة (ع) باعتبارهم خطأ وشوطاً يكمل بعضهم الآخر ولذلك اكد على الاتجاه التوحيدي في تحليل مواقفهم ومعطيات سلوكهم بدلاً من الاتجاه التجزيئي وليس في عملية الاستبدال هذه محض رغبة في نفسه وانما للفائدة التي يحققها هذا الاتجاه دون ذاك فيقول السيد (قد ه) عن هذا الاتجاه « . . وهذا الاتجاه الذي أريد ان اتحدث اليكم عنه هو الذي يتناول حياة كل امام ، ويدرس تأريخه على أساس النظرة الكلية بدلاً عن النظرة الجزئية ، اي ينظر الى الأئمة (ع) ككل مترابط ويدرس هذا الكل ، ويكشف ملامحه العامة ، واهدافه المشتركة ومزاجه الأصيل ويفهم الترابط بين خطراته وبالتالي الدور الذي مارسه الأئمة (ع) جميعاً في الحياة الاسلامية (٢) » .

ولا ينوي السيد الشهيد استبدال الاتجاه التجزيئي بالاتجاه التوحيدي استبدالاً كلياً ويلغي دوره في دراسة وتحليل الجوانب التفصيلية في حياة الأئمة اذ أن هذه الدراسة التفصيلية ضرورية في نجاح الاتجاه التوحيدي ولولا الوضوح في الدراسة التفصيلية لما امكن انجاز الدراسة التوحيدية المترابطة . فدعوته (قد ه) الى الاتجاه التوحيدي في دراسة التأريخ كدعوته الى الاتجاه الموضوعي في تفسير القرآن الكريم . فيقول : « ولا أريد بهذا ان لا ندرس حياة الأئمة (ع) على أساس النظرة الجزئية دراسة كل امام بصورة مستقلة بل ان هذه الدراسة الجزئية نفسها ضرورية لانجاز دراسة شاملة كاملة ملائمة ككل ، اذ لا بد لنا أولاً ان ندرس الأئمة بصورة مجزأة تستوعب الى أوسع مدى ممكن حياة كل امام بكل ما تزخر به من ملامح واهداف ونشاط حتى نتمكن بعد هذا ان ندرسه ككل ونستخلص الدور المشترك للأئمة (ع) جميعاً وما يعبرون عنه من ملامح واهداف وترابط (٣) »

(١) ص ٢٦ (أهل البيت تنوع أدوار وحدة هدف).

(٢) نفس المصدر ص ١٤١ .

(٣) أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف ص ١٤١

وقد ترك السيد الشهيد (قد ه) بضع محاضرات ألقى الضوء على حياة الأئمة (ع) بشكل توحيدي مترابط ولكنه لم يوفق لاتمام مشاريعه الا في مناسبات مختلفة القى فيها هذه المحاضرات القيمة على تلامذته .

وتتميز مدرسة الشهيد الصدر (قد ه) بالوعي التاريخي والذوق السليم ، فهو لا يصدر محاكماته التاريخية الا بعد استيفاء دراسة الظروف والاجواء البيئية التي تيسر للباحث او المؤرخ استخلاص النتيجة دون عناء او نصب ويبدو ذلك في تحليل الأهداف التي دفعت الامام الحسين (ع) للثورة فقد ذهب الكتاب الاسلاميون باتجاهين مختلفين تمثل الأول : في الامام الحسين (ع) خرج بنية الشهادة وكان هذا هو الهدف الذي كان يصبو اليه ولم يكن (ع) بصدد اقامة الدولة الاسلامية لانعدام عناصر الانتصار العسكري وانعدام عنصر التكافؤ في المعركة التي خاضها الامام الحسين (ع) ويدعم هذا الاتجاه النصوص التي صدرت من قبل الحسين (ع) نفسه والتي أعلن فيها عن حتمية المصير الذي ينتظره وما ستؤول الأمور بعده .

وتمثل الاتجاه الثاني في دعوى ان الامام الحسين (ع) انما خرج بدافع اقامة الحكم الاسلامي لتوفر الدلائل والقرائن على امكانية انتصاره والبيعة التي تمت له في الكوفة وارسال السفراء وتبادل الكتب كلها تؤكد هذا الاتجاه ولذلك عمد انصار هذا الاتجاه على تأويل بعض النصوص التي استند اليها الاتجاه الأول وتضعيف البعض الآخر ، ويرر انصار هذا الاتجاه الخسارة العسكرية التي لحقت في صفوف انصار الامام الحسين (ع) بأن اموراً وقعت لم تكن في الحسبان شكلت عناصر مفاجأة للامام الحسين (ع) لتغير الخريطة السياسية والعسكرية وبالتالي فقدان مواقع النصر .

السيد الشهيد (قد ه) يرى في كلا الاتجاهين افراطاً وتفريطاً لأن الاتجاه الأول اعتمد التفسير الغيبي المحض بشكل يلغي كثيراً من مفردات عظمة ثورة الامام (ع) ولذلك أضطر انصار الاتجاه الثاني - كرد فعل - الى اتخاذ موقف تفسيري مناقض تماماً للاتجاه الأول .

أما السيد الشهيد (قد ه) فانه يرى ان الامام الحسين (ع) كان عالماً - حتى بالعلم العرفي لا علم المعصوم - أنه سيقتل وينال الشهادة وان في هذه الشهادة

مصلحة للاسلام - على خلاف الاتجاه الثاني الذي يرى المصلحة في حياته (ع) -
وانما خرج لمواجهة الطغيان الأموي بشكل مسلح لاحداث هزة وجدانية في صفوف
المسلمين ، بيد ان الامام الحسين (ع) لا يمكنه ان يعنون ثورته بعنوان الشهادة
لان هذا العنوان سيفقد الثورة أثرها في تهيج عناصر الثورة في عروق المسلمين
وذلك لغلبة طابع الانتحار والقاء النفس في التهلكة ولذلك عنون الامام الحسين
(ع) ثورته وعمله الاستشهادي بعنوان آخر وهو هدف اقامة الحكم الاسلامي
وبذلك يلغي الشهيد الصدر (قده) مظاهر التباين في النصوص التاريخية التي
يصرح فيها الامام (ع) بعلمه بشهادته وفي بعضها بطلب اقامة الحكم
الاسلامي^(١) .

وبذلك وضع السيد الشهيد (قده) اليد على الحلقة المفقودة في كل من
الاتجاهين في الاتجاه الأول الغيبي فأضاف اليه عنصر الهدف في عملية الاستشهاد
لثلاث تظهر بمظهر الانتحار ، واضاف الى الاتجاه الثاني امكان تعقل المصلحة في
الاستشهاد الذي رفضه انصار هذا الاتجاه وذلك في احداث الهزة الوجدانية في
نفوس المسلمين واثارة المشاعر الثورية فيهم .

ومن استنتاجات السيد الشهيد الرائعة تفسيره للظاهرة الحسينية والظاهرة
الحسنية وبيان الفرق بينهما بشكل لا مثيل له ، وكان قد وقع لغط كثير في تفسير
الظاهرة الحسنية بناء على ادعاء فوارق ذاتية بين شخصية الامام الحسن (ع)
واخيه الحسين (ع) وهذا ما أفقد البحث صفته العلمية والموضوعية .

وقد انبرى السيد الشهيد (قده) في تحليل^(٢) تلك الظاهرتين وتفسيرهما
على أساس موضوعي فهو يرى ان واقع الأمة في زمن الامام الحسن (ع) كان يتل
بمرض الشك وهو لا يميز بين الامام الحسن وخصمه ويرى في المعركة التي بينهما
غلبة الطابع الشخصي والمنافع الشخصية ولذلك ليس بالامكان ان يقوم الامام
الحسن (ع) بعمل مسلح لأنه سيصادر من قبل الجمهور باعتباره معركة شخصية
لا اسلامية . بينما كان موقف الامام الحسين (ع) بعد ان عرى اخوه الامام

(١) من محاضرات السيد الحائري في شهر رمضان ١٤٠٧ هـ ليلة الرابعة والعشرين في الإمامة ودورها في
قيادة المجتمع بقلم المؤلف كاتب هذه السطور نشرت في مجلة الحوار الفكري السياسي .

(٢) من محاضرات السيد الحائري في شهر رمضان لعام (١٤٠٥ هـ) في التفسير الموضوعية بقلم المؤلف .

الحسن (ع) النفعية في خصمه ثورياً مسلحاً لأن الأمة في زمنه لم تعد مبتلاة بمرض الشك وإنما ابتلت بمرض آخر هو مرض الخنوع وضمور الشجاعة والاقدام ولم يعد بالامكان معالجة هذا المرض الا بموقف جريء يفجر في الأمة مواطن القوة والشجاعة والاقدام فبادر الامام الحسين (ع) الى اعلان ثورته لتقتفي اثرها عشرات الثورات والانتفاضات التي زعزعت الصرح الأموي وشرخت كيانه .

الشهيد الصدر إمام المناطقة

مما كتبه الشهيد الصدر (قد ه) في المنطق كتابه « الأسس المنطقية للاستقراء » الذي حقق ففزة حضارية لا مثيل لها في التأريخ .

فكتاب يقول فيه الفيلسوف زكي نجيب محمود « انه من الكتب التي ينبغي ان تترجم الى اللغة الانجليزية لتعرف أوروبا ان لدينا فلاسفة أصليون يملكون العمق الفلسفي والفكر المستقل^(١) »

ويقول فيه الدكتور زكريا ابراهيم : « لو ترجم الكتاب - الأسس المنطقية للاستقراء - الذي ألفه الشهيد الى الانجليزية وقرأه الانجليز لما بقي منهم من يتجه اتجهاً مادياً^(٢) » وقال فيه الشيخ محمد مهدي شمس الدين : « هو كتاب أعتقد انه لم يكتشف حتى الآن^(٣) » كتاب مثل هذا يرتعش قلبي في الكتابة عنه ويولي هارباً خشية الزلل وترقع أمامه الكلمات ، واني على يقين بأن جل من اقتناه في مكتبته لم يفقه منه بضع صفحات .

نعم ! يحق لي ان أؤرخ للكتاب في بداياته وأوليائه ، فانه (قد ه) وضع يده على بعض الخطوط في ضمن مجالس بحثه بما يناسب ذلك البحث ثم أحكم نسج هذه النظرية فيما بعد .

يقول السيد كاظم الحائري : « قد تعرض الاستاذ الشهيد (قد ه) ضمن أبحاثه الأصولية لدى مناقشته للأخباريين في مدى حجية البراهين العقلية الى نمط التفكير المنطقي الأرسطي ونقده بما لم يسبقه احد . وبعد ذلك طور من تلك الأبحاث وأكملها وأضاف إليها ما لم يكن يناسب ذكره ضمن الابحاث الأصولية

(١) تاريخ الحركة الإسلامية ص ٤٩ السيد عامر الحلو .

(٢) ملحق جريدة الجهاد ص ١١ بتاريخ / ٢٠ / جمادي الآخرة / ١٤٠٣ هـ .

(٣) تاريخ الحركة الإسلامية ص ٤٩ .

فأخرجها بأروع صياغة باسم كتاب « الأسس المنطقية للاستقراء » ومن جملة ما أوضحه في هذا الكتاب عدم بداهة قسم من العلوم التي يقول المنطق الأرسطي ببدايتها كالمحسوسات بالحواس الظاهري والمتواترات والتجريبيات والحدسيات وأن هذه العلوم انما تبتي على أساس حساب الاحتمالات وليست على أساس البداهة والضرورة^(١) » وكان كتاب « الأسس المنطقية للاستقراء » وليد مناظرة الشهيد مع تلميذه السيد الحائري اذ كتب استاذ الشهيد (قد ه) رساله يقول « . . . أجذك في كل شيء مهم حولي ، أجذك في الأسس المنطقية للاستقراء حين عشنا معاناة اكتشافها ، وأجذك في المفاهيم حين كنت تلاحقني ليلاً ونهاراً بالاشكال تلو الاشكال والسؤال تلو السؤال ، وأجذك في تلك الساعات الطوال التي كنا نقضيها نتذاكر ونتحدث ، اني أجذك في كل شيء وافتقدك في كل شيء »^(٢) .

ومما يؤرخ لكتاب « الأسس » رسالته التي بعثها إلى السيد مرتضى الرضوي وهو في إقامته بالقاهرة بتاريخ ١٥ / ١١ / ١٩٦٥ م بشأن تهينة بعض المصادر التي تنفعه واتصالاته مع الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود بذلك الشأن نوردها نصاً لأهميتها التاريخية . « بسم الله الرحمن الرحيم » : أخي الأستاذ الجليل المجاهد فضيلة السيد مرتضى الرضوي « دام عزه » . السلام عليكم زنة الاحترام والدعاء والتقدير . تسلمت بالأمس رسالتكم الكريمة التي عبرت من جديد ، وقدمت برهاناً الى جانب البراهين الكثر على أخوتكم الصادقة ، وهمتكم العالية ، وشعوركم العظيم بالمسؤولية تجاه العقيدة التي تقدمون بها باستمرار في مجالاتكم الثقيفية والخدمات الجليلة فشكراً وألف شكر لما قمتم به وتكلفتكموه من أعاب ، وشكراً جزيلاً للأستاذ الجليل الدكتور زكي نجيب محمود على ما تفضل به من معلومات ، فقد تفضل مشكوراً بالارشاد الى الفصل الأخير من كتابه الجليل « المنطق الوضعي » والقسم الخامس من كتاب « برترا ندرسل » أما كتاب « المنطق الوضعي » للدكتور زكي نجيب محمود فهو موجود عندي بطبعته الأولى في مجلد واحد ضخمة وقد جاء ذكره في رسالتي السابقة وأنا أعتر بما جاء فيه عن الاحتمال وكنت ولا أزال أرجع اليه وأستفيد منه ولكنه كان بودي الاطلاع على نظرية الاحتمال وبخاصة

(١) مقدمة الباحث ص ٦٣ .

(٢) راجع مجلة الحوار الفكري السياسي عدد (٢٨ - ٢٩) .

عند « كينز » بصورة أوسع ولهذا فكرت في طلب ترجمة لكتاب « كينز » ويبدو الآن على ضوء رسالتكم ان ترجمة كتاب « كينز » تكتنفها الصعوبات فاذا كان القسم الخامس من كتاب « برتراندرسل » الذي أشار اليه الدكتور زكي نجيب يكفي الى حد ما لاستعراض النظرية فالرجاء يا أخي ان تفاوضوا الاستاذ الجليل زكي نجيب محمود على أساس ما تفضل به من ارشاد الى القسم الخامس من ذلك الكتاب في استحصال مترجم موثوق به لهذا القسم خاصة اذا لم يكن قد سبق ان ترجم الى اللغة العربية وحاولوا ان تحدّدوا أقصر زمان ممكن للترجمة وتفضلوا باخباري عن اتفاقكم على الموضوع مدة وسعراً كما أود ان أعرف حجم القسم الخامس في الأصل الانجليزي . وشكراً لكم يا أخي أولاً وآخرأ والسلام عليكم ورحمته وبركاته .

ملاحظة : ١ - اطلبوا من المترجم تحديد المصطلحات الاساسية في النظرية
٢ - اطلبوا من المترجم ان يكون واضحاً في الترجمة على المستوى العام بوضوح
الاستاذ الدكتور زكي نجيب محمود في ترجمته لكتاب « الفلسفة بنظرة علمية »
وغيره من الكتب التي أنجز ترجمتها الى اللغة العربية ^(١) .

النجف الأشرف - محمد باقر الصدر

هذه هي قصة كتاب « الأسس المنطقية للاستقراء » ومعاناة الشهيد الصدر (قد ه) في سبيل الكشف عن نظريته الجديدة في اثبات وجود الله تعالى بالطريقة الاستدلالية السائدة في العلوم بصورة عامة وباللغة العصرية التي تعهد بها الحضارة اليوم .

أما عظمة الشهيد (قد ه) وعبقريته ونبوغه فهي أمر يحار العقل له . ومن الطريف أن أسجل في خاتمة هذه الوريقات قصتين لأستاذين جليلين مع الشهيد الصدر (قد ه)

الأولى : بخصوص زيارة الاستاذ محمد شوقي الفنجري المتخصص بعلم الاقتصاد للسيد الشهيد (قد ه) فانه حينما بلغ باب مكتبة السيد الشهيد لم يسلم بل ظل مسمراً هناك وعيناه معلقتان صوب السيد (قد ه) ثم خاطبه « بالله عليك

(١) مع رجال الفكر في القاهرة ص ٣٥٣ .

أنت الشيخ محمد باقر الصدر؟ فأجابه نعم تفضل . « فقال الدكتور بلهجته المصرية « مش معقول » ثم كرر قوله « بالله عليك انت الشيخ محمد باقر الصدر » وكررها ثالثة والسيد (قد ه) يشير اليه بالدخول وهو يقول « انت الشيخ محمد باقر الصدر مؤلف كتاب فلسفتنا واقتصادنا » . ثم أعرب الدكتور عن غرابته اذ كان يظن أنه لن يلتقي السيد الشهيد قبل مرور خمسة عشر يوماً من وصوله الى العراق بينما التقاه بعد مرور نصف ساعة من وصوله الى النجف ، لأنه كان يحسب حساب المواعيد والاجراءات الرسمية فاذا به يفاجأ برجل وسيم في العقد الرابع من عمره الشريف ، ثم اخذ يستفسر من السيد (قد ه) في أي الجامعات الأوروبية تلقى علومه وقال له : اني درست في أوروبا واطلعت على مناهج كثيرة في جامعات العالم فلم أر مثل هذا الطرح الموجود في « فلسفتنا » و « اقتصادنا » فاجاب السيد الشهيد (قد ه) : اني لم اخرج من العراق الا مرتين للحج مرة ولزيارة الأقرباء في لبنان مرة اخرى فاستغرب الدكتور قائلاً : اذن اين تلقيت علومك ؟ فقال السيد (قد ه) : أنا خريج المساجد مساجد النجف الأشرف . فقال الدكتور الفنجري : والله ان المساجد التي تخرج أمثالك هي أفضل من جامعات العالم بأجمعها^(١) .

والثانية ما ينقله السيد عبد الكريم القزويني اذ يقول : « اذكر بعد صدور كتابي « فلسفتنا » و « اقتصادنا » عقد مؤتمر في بغداد للمحاميين العرب فكان الدكتور سيف الدين وهو نقيب المحامين المصريين طلب من السلطة البعثية لدى زيارته الى العراق ان يدلوه على بيت السيد الصدر لمقابلته فرفض طلبه الا ان بعض المحامين من أهل النجف جاء به بحجة السباحة فحينما رأى السيد الشهيد قال له : كنت أتصورك رجلاً كبير السن ولديك تشريفات لاعطاء الموعيد . وسأل سيف الدين الشهيد من أي جامعة تخرجتم ؟ فأجابه : تخرجت من جامعة الامام علي بن أبي طالب (ع) فاستغرب الدكتور سيف الدين وقال : ان افكارك لا يمكن ان تحصل عن طريق المطالعة الشخصية .^(٢)

(١) جريدة الجهاد ص ٥ العدد ٢٣٢ / ٢٧ / رجب / ١٤٠٦ هـ في حديث للشيخ محمد رضا النعماني

(٢) جريدة الجهاد ص ١٠ العدد ١٣١ / ٧ / رجب / ١٤٠٤ هـ .

الباب الثالث

دور الشهيد الصدر في دعم المكتبة الإسلامية



ان من ابرز معالم مدرسة الشهيد الصدر (قد ه) تدارك الثغرات في هيكل الفكر الاسلامي وصرح الثقافة الاسلامية ، وكان يشعر بلوعة وألم شديدين تجاه التدني في ثقافة ابناء الأمة الاسلامية وانخفاض وعيها الاسلامي وثقافتها الرسالية ، فكان يشمر عن ساعديه بين الحين والآخر ليتحف الأمة الاسلامية بما يقدمه لها من غذاء فكري ثقافي اسلامي رصين تتجلى فيه الدقة والاصالة والتجديد . هذه الازمة الثقافية التي يمر بها الشعب المسلم في البلاد الاسلامية كانت شاخصة أمام عيني الشهيد الصدر (قد ه) ويوليها اهتمامه الكبير ، بيد ان هناك اهتمامات اخرى سياسية واجتماعية كانت تستدعي حضور السيد الشهيد الصدر (قد ه) الفعال للاشراف على سيرها وحركتها ، فكان الشهيد الصدر عالماً ، مجاهداً ، وقائداً فللشهادة الصدر (قد ه) حضور في اكثر من ميدان سواء في ميدان الفكر والسياسة والميدان الاجتماعي والديني وهذا ما يضيق الخناق على حركة السيد الشهيد (قد ه) العلمية ويحدد من انطلاقها .

والسيد الشهيد (قد ه) ليس كنظرائه من العلماء في العالم ممن يعتزلون ميدان السياسة وعالم المجتمع ليقبعوا في زوايا مكباتهم غير عابئين بمسؤولياتهم تجاه المجتمع والتاريخ وهذا ما يهيء لهم الوقت الكافي لممارسة الكتابة والبحث والتحقيق . ورغم حضور السيد الشهيد (قد ه) الفعال في اكثر من ميدان واكثر من موقع فانه من اكثر العلماء بحثاً وتحقيقاً وفي اكثر من باب من ابواب العلم والمعرفة ، والعقود الأخيرة من عمر السيد الشهيد (قد ه) كانت أقل نتاجاً في ميدان الفكر والنظرية الاسلامية لبزوغ نجمه كمرجع وقائد سياسي وأبرز اساتذة الجامعة الاسلامية في مدرسة النجف الأشرف الكبرى وكان مجلس بحثه في الفقه والأصول من اعظم مجالس البحث في جامعة النجف بل جامعات العلم في البلاد الاسلامية ، ولذلك بدأ السيد الشهيد دوراً جديداً وهو دور الاشراف والتوجيه ليتوفر له الوقت الكافي في الاشراف على اكثر من ميدان وفي مستويات متعددة ومتنوعة .

ورغم انصراف السيد الشهيد (قد ه) الى بحر المرجعية الدينية والقيادة السياسية والاشراف فيبدو انه استأنف حركته العلمية على مستوى الكتابة من جديد في تقديم النظرية الاسلامية في اكثر من ميدان كعهده بها في عنفوان شبابه حينما

اصدر كتبه «اقتصادنا» و «فلسفتنا» و «الأسس المنطقية للاستقراء» في السبعينات ، فشرع في كتابة الفلسفة الاسلامية وذلك بتأليف كتاب فلسفي معمق ومقارن بين آراء الفلاسفة القدامى والفلاسفة الجدد وبدأ بتحليل الذهن البشري كما قدم نظرية إسلامية في تحليل المجتمع الانساني غير ان الهجمة الشرسة التي قادتها السلطة العاشمة في العراق حالت دون تحقيق ذلك . كما انه (قد ه) كان يأمل انجاز كتابة الفقه الاسلامي في المعاملات باسلوب مقارن بالفقه الوضعي^(١) وهذا ما لم يتحقق أيضاً .

ان اهتمامات الشهيد الصدر (قد ه) المتعددة وحضوره الفعال في اكثر من ميدان استدعت الشهيد (قد ه) ان يحث طلابه وتلامذته من العلماء على ملء الثغرات التي تشكو منها المكتبة الاسلامية والنظرية الاسلامية وعلى مستويات مختلفة وفي ابواب مختلفة من ابواب العلم والمعرفة ، ولذلك عهد الى تلميذه السيد محمد الصدر بكتابة موسوعته^(٢) الرائعة المنقطة النظر في الامام المهدي التي تناول فيها السيد محمد الصدر باشباع مسألة الامام المهدي وبأسلوب فكري وتاريخي وعلمي وفق المناهج العلمية الحديثة والمذاهب الفكرية المعاصرة . كما كلف بعض تلامذته الاكفاء لتصنيف مجموع روايات أهل البيت (ع) الى اقسام يتوفر فيها صحة السند على جميع المباني الرجالية والأصولية المتعارفة وعدم شذوذ المتن وعدم كونه مخالفاً للمشهور المتبني من علماء الامامية وعدم وجود أي تحفظات تجاه المتن نابعة من الحساسية والذوق الاسلامي ، وهذا ما أطلق عليه السيد الشهيد « صحيح أهل البيت »^(٣) .

وأوعز الى الشيخ محمد علي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني بكتابة تفسير للقرآن الكريم مختصر يتنفع به المثقفون وابناء الأمة الاسلامية بشكل يوفر

(١) هذا ما ذكره السيد الشهيد في رسالته لتلميذه السيد كاظم الحائري . راجع ملحق رقم (٣) .

(٢) صدر من موسوعة الإمام المهدي أربعة كتب يقع كل منها في حدود ستمائة أو سبعمائة صفحة الأول تاريخ الغيبة الصغرى وتاريخ الغيبة الكبرى الثاني، والثالث اليوم الموعود والرابع ما بعد الظهور .

(٣) هذا ما ذكره السيد الشهيد للسيد كاظم الحائري في رسالته المشار إليها ملحق رقم (٣) .

مع اختصاره ثقافة قرآنية مناسبة ، وقد شرع المؤلفان المشار إليهما في الكتابة وقد عبر^(١) السيد الشهيد (قد ه) عن سروره وفرحه بذلك بيد ان السيد الشهيد(قده) لم تتح الفرصة له ان يطلع على هذا التفسير الجديد .

كما أشار الشهيد الصدر (قد ه) الى الشيخ حسين الراضي^(٢) بتحقيق كتاب المراجعات^(٣) فتصدى الشيخ الراضي لذلك ، ويبدو ان الشهيد (قد ه) لم يطلع على ذلك بل أنجز الشيخ الراضي تحقيق الكتاب بعد استشهاد الصدر (قده) وتم طبعه في ايران .

ومن أروع مظاهر اهتمام الامام الصدر (قده) في حركة العلم وتطويره ان تلميذه السيد كاظم الحائري كان قد شرع بتدقيق الرسالة العملية التي كتبها السيد الشهيد « الفتاوى الواضحة » والتي ترجمت للغة الفارسية فبعث اليه الامام الصدر (قد ه) ان الأهم في مقام التزام ان ينصرف عن تدقيق الترجمة الى موضوع أهم وهو بحث الأراضي في الشريعة الاسلامية وقد أشار السيد الصدر الى ضرورة هذا البحث ومدى أهميته^(٤) .

وهذا يدل على مدى صدق الشهيد (قد ه) وتنازله عن ذاته بحيث يؤجل العمل في ترجمة فتاواه الى الفارسية مع ان ترجمتها وانتشارها باللغة الفارسية سيوسع من رقعة واقليم مرجعيته بحيث تتجاوز البلاد العربية بشكل واسع .

ولم يول السيد الشهيد اهتمامه على مستوى البحث فقط وانما كان يولي المناهج اهتماماً أكبر فكان بقدر ما يشير الى بعض البحوث لتقديم النظرية والفكرة الاسلامية كان يؤكد على ضرورة صياغة هذه البحوث وكتابتها على ضوء المناهج العلمية الحديثة ولذلك حينما أوعز السيد (قد ه) الى السيد الحائري الكتابة في احكام الأراضي في الشريعة الاسلامية كتب له « . . وقد ذكرت للسيد علي أكبر^(٥)

(١) وذلك في الرسالة التي بعثها السيد الشهيد للسيد الحائري .

(٢) وهذا ما أشار إليه الشيخ الراضي في كتاب المراجعات المطبوع في ايران بتحقيقه .

(٣) المراجعات : للسيد عبد الحسين شرف الدين وهو من أهم ما كتب في إمامة علي(ع) ومسائل الخلاف بين الإمامية والعامية .

(٤) راجع الرسالة . ملحق رقم (٣) .

(٥) السيد علي أكبر من تلامذة الشهيد الصدر وهو شقيق السيد الحائري .

حين حدثني عن احكام الأراضي ان من المستحسن ان يطلع ابو جواد على كتاب الدكتور محمود المظفر في احياء الموات بلحاظ منهجته الحديثة كما ان شيخ الدسمة له كتاب في ملكية الأرض ينبغي ان تطلعوا عليه ، وكلا الكتابين من الكتب الجديدة^(١) .

ومن مظاهر اشراف الشهيد الصدر على حركة التأليف والبحث والتحقيق انه كان يتحف اصحاب الاطروحات بكلمات غالباً ما تكون كتقديم للكتاب فقد لا تتجاوز الصفحة أو اكثر ولكنها تكون احياناً فيما اذا استدعت الضرورة بحثاً يعطي الكتاب رونقه وأهميته وذلك في المقدمة التي كتبها السيد الشهيد لكتاب « تاريخ الشيعة الامامية وأسلافهم » ، لمؤلفه الدكتور عبد الله فياض وقد اتخذت هذه المقدمة عنوان « بحث حول الولاية » ثم قدر لهذه المقدمة ان تفرد ككتاب مستقل لأهميتها وروعيتها والدقة العلمية التي اتسمت بها ، وقد تناول السيد (قد) ظاهرة التشيع وأثبت كونها نتيجة طبيعية للإسلام وليست ظاهرة طارئة كما يدعي البعض وتناول السيد الشهيد بالبحث قضية النص والانتخاب والشورى بشكل لا مثيل له . ولقد أجاد الدكتور علي محمد تقي وهو في معرض الحديث عن اعجابه بهذا البحث بقوله : « . . . و يحس المطالع للكتاب ان بحراً قد صب في جرة او ان طائراً سريع الطيران قد اشرف على مدينة كبيرة وشاهدها وغادرها سريعاً^(٢) . . . » .

ومن ذلك ايضاً المقدمة التي كتبها السيد الشهيد (قد ه) لموسوعة الامام المهدي للسيد محمد الصدر فانها ايضاً قدر لها ان تستقل عن الكتاب وتطبع تحت عنوان « بحث حول المهدي » وهي من أروع ما كتب عن الامام المهدي .

ومن المناسب جداً ان انقل ما سجله الدكتور حامد حفني داود من اعجاب حول هذا البحث ، اذ يستعرض رأي اهل السنة في كون الامام المهدي سيولد آخر الزمان وحين تشتد الخطوب وتبلغ القلوب الحناجر ، ورأي الامامية التي تؤكد كونه (ع) مولوداً ولا يزال حياً فيقول : « ولعل العقيدة التي أخذ بها الامامية أدل

(١) راجع ملحق رقم (٣) .

(٢) الحوار الفكري السياسي « مع الشهيد الصدر محققاً » للسيد النوري العدد (٣٠ - ٣١) ص ١٢٧ .

في هذا المقام على خارقة المهدي وأعمق في الدلالة على كرامته ومنزلته في هذه الأمة^(١) .

ثم يسجل اعجابه وتقديره بمحاولة السيد الشهيد فيقول : « والعلامة محمد باقر الصدر حين نظر الى هذه الخارقة من وجهها الثاني انما يريد ان ينظر اليها من جميع أبعادها الجوهرية والشكلية الدالة على جلاله صاحبها » .

ولما كان هذا الأمر من الأمور المتعلقة بالقضايا الروحية العقيدية فان الأخذ في البرهنة عليه يعتبر من أشق الأمور حتى على الراسخين في العلم .

وأعني بكلمة البرهنة في هذا الصدد « البرهنة العلمية » التي تقنع المفكرين المعاصرين ولا سيما الواقعيين والتجريبيين والبراهمانيين وسائر المنظرين تحت لواء الفلسفة المادية .

وقد استطاع سيادته بمهارة العالم الأصيل الذي جمع الله له بين الاستعداد والأداة : واعني بالاستعداد الملكة الفطرية المعنية على الغوص على تحليل القضايا الدينية وأعني بالأداء جمعه بين أشد المنقول والمعقول من العلوم الشرعية والعلوم الكونية في صورة موسوعية نادرة المثال .

أقول استطاع بفضل ما وهب من استعداد وما اكتسب من أدوات العلم ان يبحث هذه الخارقة في صورة علمية تشبه تماماً ما يفعله العالم الطبيعي او الكيميائي في العمل ليقنع الخصوم والمفكرين بتجربته .

واني أشد على يديه مهتئاً بهذا النجاح العظيم الذي أحرزه في تفسير هذه الخارقة المهدوية حين اوضح للباحثين المنطقيين مراتب التصديق ووازن بمهارة العالم الراسخ بين الامكان الواقعي ، والامكان العلمي والامكان المنطقي ، وذلك حين تعرض للمدى العمر الذي بلغه الامام المهدي من لدن القرن الثالث الهجري الى هذا العصر وأوضح ان هذا التصور لئن كان مما ينكره الواقع فانه من الناحية الفلسفية يعتبر جائز الوقوع ، ولئن كان يأبى العلم هذا التصور لهذه الحياة - الممتدة نحو الألف والثلاثمائة عام - الا انه ليس من المستحيل علمياً ان تكون هناك حالات شاذة تتغلب فيها الخلايا الحية على عوامل الهدم والفناء .

(١) نظرات في الكتب الخالدة ص ٧٤ .

أقول : وقد دلت تجارب علماء الأحياء وما يقومون بأجرائه على بعض الحيوانات من اطفالة أعمار بعضها ما يدل على ان الفروق التي ذهب اليها العلامة الصدر فروق علمية وممكنة الوقوع في نظر العلم .

وقبل ان اختتم كلمتي لا أستطيع ان اكتب ثنائي على ما دبجه يراع السيد الصدر في الدفاع عن خارقة الامام المهدي ذلك الدفاع المنهجي العلمي الذي صاغه في الصورة العلمية التي تلائم روح الفكر المعاصر ، في الوقت الذي لم اكن اتصور ان احداً من علماء الاسلام سيحاول تصوير هذه الخوارق العلمية التي عاجلت فيها بنفسى منذ عشرين عاماً معجزة الاسراء والمعراج في صورة علمية قريبة الشبه من هذا الاتجاه الذي سلكه هذا العالم الجليل فشجعني على ما حاولت بالأمر القريب وكم للعلامة محمد باقر الصدر من أياد بيضاء على البحث العلمي شريعياً كان أو انسانياً^(١) .

وقد يرمى الامام الشهيد (قده) كثيراً من المشاريع في حقل التأليف والتحقيق ويعبر عن اعتزازه الكبير بهذه المشاريع لأنها تسد الفاقة التي يعاني منها ابناء الأمة الاسلامية على الصعيد الثقافي ، ويبدو هذا واضحاً في الكلمات التي تصدرت بعض هذه الكتب بقلم السيد الشهيد (قده) (فحينما كتب عبد الغني شكر الشمري كتابه « هكذا نبدأ » في الفلسفة كمرحلة تمهيدية لدراسة الفلسفة يبارك الشهيد (قده) هذا الانجاز ويؤكد اهميته فيقول : « . . . ولا شك في أن هذا الكتاب سد فراغاً كنا احوج ما نكون الى سده وهو الفراغ الذي كان المبتدئون وتلامذة المدارس يشكون منه إذ قلما يجدون ما يتفق مع مستواهم من البحث الفلسفي الميسر في الاطار الاسلامي . واني اذ أهنيء العزيز الفاضل الالمعي عبد الغني شكر على نجاحه وتوفيقه في هذه الدراسة الجلييلة اتمنى له مواصلة بحوثه ودراساته والنمو المتواصل في هذا الخط^(٢) »

ومن ذلك ما كتبه في مقدمته لكتاب « مختصر مجمع البيان في تفسير القرآن » للشيخ محمد باقر الناصري فانه بارك له هذا العمل واعتبره يملاً فراغاً تعاني منه

(١) نظرات في الكتب الخالدة للدكتور حامد حفي ص ٧٥ ، ص ٧٦ .

(٢) من مقدمة السيد الشهيد لكتاب هكذا نبدأ .

المكتبة الاسلامية ويلبي حاجة ملحة لتوفير فهم قرآني لأوسع نطاق من المتعلمين والمثقفين^(١).

ويسجل الشهيد (قد ه) اعتزازه بمحاولة الشيخ جعفر السبحاني - احد علماء ايران - في تفسير القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً ويشيد بالانجاز الذي حققه^(٢). ولم يقتصر السيد الشهيد (قد ه) في رعايته لمشاريع البحث والتحقيق في مجال الفكر بل تعدى (قد ه) ليشمل بعنايته الشعر الاسلامي ويؤكد ضرورة توظيفه لخدمة الرسالة واضفاء طابع الالتزام والرسالية في هذا الشعر . ومن مظاهر هذه الرعاية ما كتبه مقدمة لـ « ملحمة اهل البيت » الشعرية للشاعر المرحوم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي الذي ترجم مناقب اهل البيت وفضائلهم وحياتهم وتأريخهم في الشعر وصدر في عدة اجزاء .

جاء في مقدمة السيد الشهيد للملحمة اهل البيت : « وبعد فقد أطلعني جناب العلامة الجليل الشاعر الامعي الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ادام الله تأييده وتسديده على جزء من ملحمة الشعرية الرائعة التي نظم فيها اصول الدين وشيئاً مهماً من أسس العقيدة الاسلامية وقسطاً من المعالم العامة للشريعة الاسلامية الغراء كما نظم حياة الرسول الأعظم الشريفة بما حفلت به من آيات باهرات وأمجاد وكرامات وسيرة اهل البيت (ع) واضواء من حياتهم وعلومهم وموفور حكمتهم وعطائهم الفكري والروحي فوجدت الملحمة فريدة في بابها ملأت فراغاً لم يكن قد ملئ حتى الآن في تراثنا الفكري والادبي ، وقد استطاع الاستاذ المبدع الذي وضع هذه الملحمة ان يمزج فيها بين جلال العقيدة وقوة البرهان ونصاعة الاستدلال ونزاهة الغرض ودقة التصوير من ناحية وبين قوة الابداع وزخم الشعور وروعة الشعر وجمال التصوير من ناحية أخرى . . »^(٣)

وعندما يقوم السيد مرتضى الرضوي بافتتاح جناح خاص لكتب الامامية في دار الكتب المصرية ليتوفر لعلماء الاسلام في كل مكان الاطلاع على مصنفات

(١) من مقدمته لكتاب مختصر مجتمع البيان بخط يده (ره).

(٢) من رسالة للشهيد (ره) نبعتها للشيخ سبحاني نشرت في كتابه «معالم محكمة الإسلامية في القرآن».

(٣) راجع مقدمة «ملحمة اهل البيت» ج ١.

الامامية في الفقه والتفسير والاصول
ارسال رسالة^(١) للسيد الرضوي يشد
سروره ودعمه لهذه الخطوة من أجل
الامامي الذي غاب عن كثير من ابناء

(١) راجع ملحق (٤) مصدرها كتاب «م
ص ٢٥٦.

والعقيدة و . . . فان السيد الشهيد يبادر الى
على عضده ويبارك له مشروعه ويعلن له عن
تعريف الأمة الاسلامية بمكنوزات المذهب
الأمة الاسلامية بل علمائها .

مع رجال الفكر في القاهرة للسيد مرتضى الرضوي

**الامام الشهيد الصدر
ودوره في جامعة النجف الكبرى**



جامعة النجف الأشرف : (١)

في النصف الأول من القرن الخامس اثناء اقامة الشيخ الطوسي^(٢) في بغداد كانت الأوضاع قد تشنجت الى درجة كبيرة بين الطوائف المتخاصمة في بغداد ومن أهمها ما كان يجري بين الشيعة والسنة وكذلك بين من يؤيد حكم آل بويه وانصار الخلافة العباسية ، وقد تعاظم الصراع واشتد الخطر ليشمل الشيخ الطوسي بعد ان تعرض الى اكثر من اعتداء فقرر مغادرة بغداد الى النجف الأشرف حيث مرقد الامام علي (ع) .

وكان حلول الشيخ الطوسي النجف واتخاذها محلاً لاقامته حدثاً تاريخياً عظيماً فقد شرع الشيخ الطوسي ببناء مدرسته العلمية وتفجير الحركة العلمية فيها ومن ذلك اليوم تأسست جامعة النجف الأشرف على يد الشيخ الطوسي وان زعم البعض وجوداً علمياً للنجف قبل رحلة الشيخ الطوسي أو اسبق من ذلك باعتبارها امتداداً لمدرسة الكوفة ، فان هذه الدعوى وهذا الرأي لا يستند الى الدعم التاريخي والاثبات العلمي .

(١) الحديث عن النجف يكون في مرحلتين الأولى في مدرستها العلمية وهذا ما يناسب الفصل الذي عقدناه لحياة الشهيد الصدر (ره) العلمية . والثانية في المرجعية والذي سنتناوله تفصيلاً في الفصل الثالث . وقد إعتدنا في بحث المرحلة الأولى على بحث «الدراسة وتاريخها في النجف» للسيد محمد بحر العلوم في «موسوعة العتبات المقدسة» ج ٢ من قسم النجف راجع ص ٤٢ ، ص ٧٩ .

(٢) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ولد عام ٣٨٥ هـ وتوفي عام ٤٦٠ هـ ودفن في النجف الأشرف ويعتبر الشيخ الطوسي من أعظم علماء الإمامية وقد كان متبحراً في مختلف ميادين العلم، صنف في علم الكلام والفقه والأصول والرجال والتفسير والتاريخ والأدعية وعلم الحديث .

وقد عاشت مدرسة النجف الأشرف على عهد الشيخ الطوسي ازدهاراً عظيماً بمحافلها وحلقات الدرس العلمية وكان مجلس بحث الشيخ يضحج بالبحث والمناظرة ويمتلىء بوجوه اكابر العلماء من الشيعة والسنة .

وقد استمرت مدرسة النجف في شموخها طيلة اثني عشر عاماً على يد مؤسسها الشيخ الطوسي ثم آذنت بالافول شيئاً فشيئاً بعد وفاة الشيخ الطوسي عام «٤٦٠» هـ .

وخلف الشيخ ابو علي نجل الشيخ الطوسي أباه في احياء حركة العلم وتحمل اعباء المسؤولية في ادارة شؤون الجامعة العلمية لما يتمتع به من قابليات تؤهله لهذه الزعامة بين أقرانه من العلماء ، وشاركه في احياء حركة العلم عدد كبير من العلماء من تلامذة ابيه الشيخ الطوسي ، بيد ان حركة العلم على عهد الشيخ ابي علي لم تكن كحركته على عهد أبيه فقد سادها الركود لينتقل العلم الى حاضرة اخرى من حواضر العراق حيث الحلة على يد ابن أديس الحلي احد أبرز علماء الامامية في عصره ، ولكن انتقال العلم الى الحلة لا يعني خلو النجف من حركة علمية وانما اصبحت قاحلة من اعلام الفضلاء . فثمة حركة علمية بقيت فيها فقد شيدت عدة مدارس علمية في هذه الفترة وبنى السلطان محمد خدابنده أو ابنه سعيد مدرسة في القرن الثامن والثانية بناها المقداد السيوري في القرن التاسع بينما بنى الشيخ ملا عبد الله مدرسته في القرن العاشر .

وان تشييد هذه المدارس دليل على وجود حركة علمية ما ، فلو لم يكن ثمة حركة علمية لما كان هناك مبرر لبناء هذه المدارس .

كما تحدثت كتب الرجال عن وجود طبقة من الاعلام في النجف في هذه الفترة . ولم تبق النجف على تلك الحالة فقد عادت الحياة العلمية اليها بعد ضمور الحركة العلمية في الحلة وكانت عودة الحياة العلمية الى النجف على يد المقدس الأردبيلي^(١) وكان السبب في عودة الحركة العلمية الى النجف يعود الى توفر العامل

(١) المقدس المولى أحمد الأردبيلي نسبة إلى أردبيل من بلاد فارس أحد أبرز العلماء عرف بتبحره بالفقه وأشتهر بالزهد والورع والتقوى وله مصنفات جليلة منها مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان . توفي سنة ٩٩٣ هـ ودفن في النجف الأشرف .

الأمني والمعاشي فقد بني سور النجف الذي أعد لتقليل أثر الأعراب التخريبي وهجماتهم ضد النجف كما تحسنت الظروف المعيشية وذلك بعد ان توفرت المياه فقد حفرت عدة انهر منها نهر التاجية بأمر من صاحب عطاء الملك بن محمد الجويني ونهر الشاه الذي حفر بأمر من الشاه اسماعيل الأول حين زيارته للنجف ونهر الطهماسبية الذي أمر بحفره الشاه طهماسب الصفوي بينما حفر الشاه عباس نهر المكزية حين وفوده لزيارة ضريح الامام علي (ع) .
وكان هذا كافياً في اعادة الحياة الى النجف .

ولكن السبب الرئيسي في عودة الحياة العلمية هذه هو العوامل السياسية فقد عمدت السلطة الجلالية والايلخانية الى دعم الحركة العلمية في النجف ، كما بزغ نجوم بعض العلماء ممن يشار اليهم بالبنان ومن تتوجه نحوهم الأنظار .
ولم يقدر لهذه الحركة الجديدة الاستمرار فقد انتقلت الى كربلاء بسبب تدهور الحياة المعيشية وهجوم المشعثن على النجف وما لحق على أثر ذلك من تدمير وإشاعة للرعب والخوف كما انتقل الشيخ أحمد بن مهدي الحلي زعيم الحركة العلمية في عصره الى كربلاء .

ثم عادت مدرسة النجف للظهور على مسرح الصدارة وزعامة العالم الاسلامي علي يد أحد أبرز فقهاء الأمامية السيد مهدي بحر العلوم^(١) .
وقد ازدهرت مدرسة النجف على عهده ازدهاراً كبيراً لضخامة الانجازات التي قدمتها هذه الشخصية العلمية العظيمة ولعل في مقدمتها تنظيمه هيكل الزعامة الدينية في النجف فقد ركز الشيخ جعفر كاشف الغطاء^(٢) للتقليد والفتوى

(١) السيد مهدي بن السيد مرتضى ينسب إلى الحسن بن علي ثم ولد في كربلاء سنة (١١٥٥) هـ وتلمذ على الشيخ يوسف البحراني والوحيد البهبهاني والفتوي العاملي وقد برع السيد بحر العلوم بالفقه والأصول والرجال والأدب ولقبه أحد علماء خراسان بحر العلوم وما زال لقباً لذريته وقد تخرج على يده عشرات الفقهاء أمثال الشيخ جعفر كاشف الغطاء والسيد محمد جواد العاملي والسيد محسن الأعرجي والسيد محمد المجاهد .

(٢) الشيخ جعفر بن خضر بن يحيى المالكي الجناحي ينسب الى بني مالك والجناحية من قرى الحلة ولقب ذريته بآل كاشف الغطاء نسبة إلى الشيخ جعفر الذي صنف في الفقه . كتابه «كشف الغطاء» من أهم الكتب الفقهية وكانت ولادة الشيخ في النجف في حدود سنة ١١٥٤ هـ ، وتوفي سنة ١٢٢٧ هـ ويعد الشيخ جعفر من أكابر الفقهاء وخلف السيد بحر العلوم في زعامة مدرسة النجف وفي التقليد .

حتى قيل انه اجاز لأهله وذويه الرجوع في التقليد للشيخ كاشف الغطاء تمشياً مع هذا التنظيم ، كما عين الشيخ حسين نجف^(١) للامامة والمحراب فكان يقيم الجماعة في الجامع الهندي ويؤمه الناس على اختلاف طبقاتهم بارشاد من السيد بحر العلوم .

أما القضاء والخصومات فقد خص لها الشيخ شريف محيي الدين^(٢) فكان يرشد اليه في ذلك علماً منه بمهارته في القضاء وتبته في الدين وسعة صدره لتلقي الدعاوى والخصومات .

وقد اضطلع السيد بحر العلوم بأعباء التدريس والزعامة الكبرى وإدارة شؤونها العامة والخاصة والإشراف على سير الحركة العلمية في مدرسة النجف . وكانت هذه النهضة الجديدة على يد السيد بحر العلوم تمثل الدور الثالث لمدرسة النجف الأشرف وقد امتد هذا الدور لفترة طويلة الى ان هوجمت من قبل حكم العمالة والجهل والتخلف .

فقد استمر هذا التطور على عهد الشيخ الأنصاري ثم^(٣) ازدهر على يد الملا كاظم الخراساني^(٤)

(١) الشيخ حسين بن محمد بن الحاج نجف علي التبريزي ولد سنة ١١٥٩ هـ وأصله من تبريز وهو من تلامذة السيد مهدي بحر العلوم وتوفي سنة ١٢٥١ هـ ودفن في النجف وتسمى ذريته آل نجف .

(٢) الشيخ محمد بن يوسف بن جعفر من آل أبي جامع من الأسر العاملة التي هاجرت إلى النجف الأشرف وكان زميلاً للسيد بحر العلوم وكاشف الغطاء فقد هاجر معها إلى كربلاء وشاركها الحضور لدى الوحيد البهبهاني وكانت وفاته سنة (١٢٠٥ هـ) .

(٣) مرتضى بن محمد أمين الدزفولي الأنصاري شيخ مشايخ الإمامية ولد في دزفول سنة ١٢١٤ هـ وتوفي سنة ١٢٨١ هـ في النجف هاجر إلى العراق وانتهت اليه الزعامة بعد وفاة الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر وقد صنف الشيخ كتابي المكاسب في الفقه والرسائل في الأصول وهما من أشهر الكتب الدراسية .

(٤) الملا محمد كاظم الخراساني ولد في إيران وتعلم على علمائها ثم هاجر إلى النجف الأشرف وحضر عند الشيخ الأنصاري وقد تولى الزعامة الدينية بعد وفاة السيد المجدد ويقال إن تلامذته بلغوا الألف تلميذ من أكابر العلماء وقد صنف الخراساني في كتابه «الكفاية في الأصول» .

ومن خلفه الميرزا النائيني^(١)، والشيخ محمد حسين الأصفهاني^(٢) والشيخ العراقي^(٣)، ثم السيد ابو الحسن الاصفهاني وأعقبه السيد محسن الحكيم ومن عاصره من أساطين الفقه، وانتهت بالسيد الخوئي والسيد الشهيد الصدر.

ان الفترة الزمنية المديدة التي عاشتها مدرسة النجف بازدهارها جعلتها تتزعم العالم الاسلامي بعراقتها وأصالتها وعظمة وجلالة علمائها، فكانت وليدة الجهود المضنية التي ساهم في بذلها المئات من أساطين العلم وأكابر العلماء من أجل احياء حركتها العلمية ودعم مسيرة العلم، فشددت الرحال اليها عُرُج على معاهدها بغية الحضور لدى علمائها والاستنارة والتزود من فيض علومهم.

وما زالت النجف تزدحم بالمدارس الدينية كمدرسة المقداد السيوري واليزدي والمدرسة الغروية ومدرسة الصدر والمعتمد والشيخ مهدي آل كاشف الغطاء والقوام والايرواني والقزويني والهندي والبادكوبي والشرياني والميرزا حسين الخليلي الصغيرة والكبيرة ومدرسة الآخوند الكبرى والوسطى والصغرى ومدرسة النجاري وكاظم اليزدي البروجردي والحكيم والمدرسة السليمية والشيرية والجامعة الدينية و... بالإضافة الى جانب الحلقات الدراسية التي كانت تعقد في المساجد.

معالم جامعة^(٤) النجف الأشرف :

لمدرسة النجف الأشرف معالم متميزة وخصوصيات فريدة تفتقر الى بحث مستقل لاستعراض جوانب العظمة فيها والمظاهر السلبية معاً.

(١) الميرزا محمد حسين النائيني ولد سنة ١٢٧٣هـ في بلدة نائين من مدن إيران وهاجر إلى النجف وحضر بحث السيد المجدد الشيرازي وانتقل معه إلى سامراء ثم عاد إلى النجف ولازم الملا كاظم الخراساني وبعد وفاة أستاذ الخراساني تولى الزعامة الدينية، وكانت وفاته سنة ١٣٥٥هـ ويعد النائيني من أشهر علماء الأصول.

(٢) وهو أحد أبرز العلماء في النجف الأشرف وقد اشتهر بنظرياته الأصولية التي تلقاها العلماء بالبحث والتحقيق.

(٣) وهو من أشهر العلماء في عصره وقد لمع اسمه في ميدان أصول الفقه صاحب مدرسة أصولية متميزة عاصر النائيني وكان نداً له، وكانت آراؤه وما تزال محل إهتمام العلماء ويتناولونها بالبحث والتحقيق وكانت وفاته سنة ١٣٦١هـ عن عمر تجاوز الثمانين.

(٤) يطلق عليها الحوزة وهو مصطلح فارسي يراد به هذه الجامعة العلمية بمدارسها ومحافلها العلمية.

ولست بصدد البحث عن هذه الجوانب فان له محلاً آخر وهو يفتقر الى الدقة والاستقراء والتأني واستنطاق الأجواء التي عاشتها هذه المدرسة العظيمة ، ولكني سأذكر باختصار وبايجاز بعض المعالم التي طبعت هذه المدرسة - وهي ظاهرة للعيان - لأ مهد للحديث عن دور السيد الشهيد (قد ه) في هذه الجامعة الكبرى وموقعة القيادي فيها وما قدمه من انجازات عظيمة ومكاسب مهمة رغم قصر الفترة الزمنية التي تصدى السيد الشهيد (قد ه) فيها لتولي هذه الزعامة والاشراف القيادي .

من المعالم المتميزة لهذه المدرسة أنها تتع أسلوب الدقة في الدراسة والبحث والتحقيق بشكل لا مثيل له في جامعات العالم ، ولذلك جاءت الدراسات والنتائج التي توصلت اليها هذه المدرسة في مختلف ميادين العلم بدرجة من المثانة والاحكام والسبك منقطعة النظير ، ومن أجل ذلك يقضي العلماء والطلاب أعمارهم في تحصيل العلم وغالباً ما يكون الدافع لذلك هو الكشف عن الحقيقة والوصول الى النتائج الصحيحة دون ان ينتظر الباحث نيل الشهادات المتعارفة - في الدراسات الأكاديمية - سوى درجة الاجتهاد التي تؤهله لاستنباط الأحكام الشرعية وهي ما يمنحه أكابر العلماء لتلامذتهم بعد التأكد من أهليتهم لذلك وبعد ان يقضي هؤلاء التلامذة أعمارهم في طلب العلم وتحصيله وقد لا ينال ذلك الكثير من هؤلاء بالرغم من انقضاء عشرات السنين على دراستهم لعدم توفر أهلية هذه الدرجة .

وتبدو آثار القدم واضحة على هذه المدرسة العظيمة في اسلوب الدراسة والمناهج والتنظيم والتفكير والكتابة ، وغالباً ما يرفض رجالها كل جديد دون مناقشة ، ويشعرون ازاءه بالضيق والخرج ، فانهم باستصحابهم القديم في غنى عن الجديد وعن مشاكله ، يجد دعاة التجديد في مدرسة النجف مقاومة شديدة جداً تتجاوز الاستهزاء والاتهام والتشنيع ، فلم يقدر النجاح لدعاة التجديد سوى البعض منهم من أكابر العلماء ممن يتمتع بالحزم والجرأة والثبات وعدم المبالاة تجاه الطراز القديم ، ومكتتهم ظروفهم العائلية والاجتماعية من المضي في متابعة مشاريعهم الاصلاحية . وكانت أولى عمليات الاصلاح والتغيير في طابع مدرسة النجف ما قام به الشيخ محمد رضا المظفر وصحبه من العلماء الواعين وذلك عندما

تصدي لتأسيس مدارس « منتدى النشر » سنة « ١٣٥٤ هـ » ثم أقدم على تأسيس كلية الفقه سنة « ١٣٥٧ هـ » بعد صبر طويل على المعاناة .

وكانت أهوة كبيرة بين المحافظين - اذا صح التعبير - وبين المجددين فالمحافظين يرفضون كل جديد دون ان يقدموا على دراسة معطياته وامكانيات الاستفادة منه ، والمجددون يصرون على التجديد واستبدال كل ما هو قديم . وكان لكل من الفريقين حجته - وهم صادقون جميعاً في خدمة هذه المدرسة - بيد ان الأجواء لا تسمح لهم بالجلوس على طاولة واحدة للمناقشة والمفاوضة من أجل الوصول الى الحلول السليمة لأن الواقع كان لا يسمح بمثل ذلك .

ومن المناسب ان أنقل بعض الكلمات لأحد العلماء المجددين السيد محمد تقي الحكيم وهو يتحدث عن الصراع وذلك في الستينات اذ يقول : « واذا قدر لهذا الصراع ان يعرّى من وجهه العاطفي فان دارسي هذه الفترة يجدون في وجهات النظر على اختلافها ما يقربها نسبياً من الحق .

فالقائلون بضرورة الابقاء على اسلوب وكتب ومناهج الدراسة في هذا البلد كانوا يرون في طابع الحرية الذي يسود في انظمتها، سواء في اختيار الطالب لاستاذة أم الكتاب الذي يدرسه ما ينمي ملكته ويقوي من شخصيته العلمية وكانوا يعززون الى هذا النظام ما عرف به طلابها من حرية فكرية في ميادين المناقشة والجدال مع قدرة التحرر من جميع مسبقاتهم الفكرية اذا اتضح من خلال المناقشة مجافاتها للحق الذي يهدفون اليه .

وكان أبلغ حججهم على سلامة هذه الاساليب الدراسية : ان عطاء هذا النوع من الدراسة في هذه البلدة المقدسة لا يعدله أي عطاء في أية جامعة منظمة وحسبه أن يكون من عطائه ما تخرج عنها من مئات المجتهدين امثال الشيخ الأنصاري والامام الشيرازي الكبير وغيرهم ممن وصلوا بعمق تجاربهم وصلابة ايمانهم الى أرفع مراكز القيادة في الأمة الاسلامية .

أما الآخرون فكانوا يرون في هذا النوع من الدراسة شيئاً من انعدام المسؤولية وكثرة الادعاء وتطويل المسافات على الطلاب وربما قصر الكثير منهم شوطه على الاستمرار في مواصلة الدراسة للتعقيد السائد في بعض كتبها بالاضافة

الى ما يرون من ضرورة تطعيم معارفها بما جد من ثقافات ومعارف قد تكون لبعضها أكبر العلائق برسالة رجل الدين في هذا العصر . وجاء دور الرواد الأوائل لفكرة هذه المؤسسة بفكرة تمخضت عن دراستهم لواقع هذا الصراع وفحواها هو : الأخذ بأواسط الحلول وذلك بالاحتفاظ بمزايا بل أهم المزايا لتلك الأفكار المتعاكسة والتخلي عن بعض جوانبها الأخرى .

فالدراصة في هذا البلد يجتاز فيها الطلاب عادة مرحلتين طويلتي الأمد - أولهما مرحلة الاعداد التهيؤ وهي مرحلة (دراسة السطوح) وكانت تأخذ من الطالب المجد اذ ذاك اكثر من عشر سنوات تدرّس فيها مقدمات النحو والمنطق والبلاغة والفقه والأصول والفلسفة أحياناً .

وثانيهما مرحلة التخصص بالفقه والأصول وهي : التي تأخذ فيها الدراصة طابع المحاضرة بأدق صورها ويتولاها عادة أكابر العلماء المجتهدين .

وقد لاحظوا ان المرحلة التي تحتاج الى التعليم المنظم هي المرحلة الأولى فحسب لاحتياج الطالب فيها الى تضخيم الشعور بالمسؤولية وتوفير الوقت له بتقصير المسافة الدراسية عليه بالأخذ بقسم من المناهج الحديثة في تيسير الكتاب وتبسيط مفاهيمه وتطويرها ثم اضافة علوم أخرى الى العلوم السائدة في هذه المرحلة اقتضتها طبيعة ماجد من تطورات في هذه العصور وبالأخص ما يتصل بالجوانب العقائدية ليكون الطالب الذي يجتاز مرحلته الأولى بمستوى رسالته الخالدة التي يراد له تأديتها كاملة سواء انتقل الى المرحلة الثانية أو وقف عند حدود المرحلة الأولى .

أما المرحلة الأخرى - أعني مرحلة التخصص - فقد بلغت النجف على يد مراجعها العظام بفضل ايمانهم بفتح أبواب الاجتهاد المطلق أقصى ما يمكن أن تبلغه دراسة واعية معمقة ومن واجب النجف في رأيهم أن تحافظ على هذا المستوى اسلوباً وفكراً ومضامين اذا أرادت لنفسها الاستمرار بدور الاضطلاع بمثل المسؤولية القيادية لهذه الأمة وعلى أساس من هذه الدعامة الموضوعية لطبيعة الصراع قامت فكرة هؤلاء في تأسيس (مدارس متدى النشر) بمراحلها المختلفة لتأخذ على عاتقها دور الاعداد والتهيؤ لحضور المرحلة الثانية من قبل طلابها وهم مزودون بعلم ومعارف ثلاث ما يحتاج اليه رجل دين في هذا الصعيد .

ثم بدأوا فخططوا لهذه الفكرة ورسوموا لها مراحل نموها وفضلوا - وهم في وسط ذلك الصراع العاطفي - ان يبدأوها صغيرة شأن كل مولود سوي ثم يمدونها بكل ما يملكون من تجارب وحكمة لتنمو نمواً طبيعياً يأخذ واقعه ومكانته من الحياة وأهم ما كان يهمهم أن يؤمن الجميع ان هذه الفكرة انتزعت من واقع هذا البلد المقدس وهي له لا للقائمين عليها ما دام هدف الجميع خدمة الأمة وعقيدتها المقدسة . وكان من الطبيعي ان لا تلتقي عندها جميع الافكار في بداية الأمر ولكن عامل الزمن وطبيعة القيادة المتمثلة في رئيسها الراحل^(١) والأرقام التي قدمها الرادة الأوائل من الجد والاخلاص والتقوى والمثابرة انتزعت هذه من نفوس الجميع ورأسهم أعلام أمتنا وقادة فكرتها الاصلاحية وهكذا تجسد الحلم فكان (كلية للفقه) وستحول بعون الله وتسديده الى جامعة اسلامية في القريب العاجل^(٢) » انتهى .

ولم يقتصر رجال هذه الجامعة في اصفاء طابع القدم والمحافظة عليه على اسلوب الدراسة وحسب ، بل تسرب هذا الطابع ليطلع كل شؤون هذه الجامعة وكل مرافقها ومؤسساتها وهذا ما جعل مدرسة النجف شريحة غير منسجمة وغير متجانسة .

ومن المعالم الاساسية لهذه الجامعة الكبرى هو تعدد الجنسية - اذا صح التعبير - في تكوينها فتجد العلماء والطلاب من جنسيات مختلفة يجمعهم العلم والمثابرة والجد في تحصيله .

ويتألف النسيج الاجتماعي لهذه المدرسة من الايراني والافغاني والهندي والباكستاني والتركي الى جانب الطلاب العرب من لبنان ودول الخليج . وقد يبدو واضحاً قلة العنصر العراقي في هذه الجامعة بالنسبة الى العنصر الاجنبي وهو ما يشكل خطراً كبيراً على واقع هذه الجامعة دون ان يشعر به أحد سوى الامام الشهيد الصدر (قد ه) كما سيأتي بيانه .

(١) يعني الشيخ محمد رضا المظفر (ره) .

(٢) من مقال للسيد محمد تقي الحكيم (المتدى تأريخ وتطور - أضواء على الفكرة) نشر في مجلة

(النجف) الصادرة عن كلية الفقه - العدد الثاني - السنة الثالثة - ذي الحجة ١٣٨٧ هـ

- آذار ١٩٦٨م - ص ٨١ ، ص ٨٤ .

تتأطر مدرسة النجف الاشرف بأطر تقليدية قد تكون احياناً حالات مرضية تستهدف كيان هذه المدرسة وصرحها العظيم ، وفي مقدمة هذه الأطر التقليدية الحالة الأسرية التي شاعت في أزمنة وظروف خاصة هيأت لها ان تنمو وتستفحل فظهر عدد شخصيات علمية في أسرة ما توفر لهذه الأسرة المكانة الاجتماعية والدينية المرموقة فاذا ما وجد من رجال الأسرة من يحمل توجهات فاسدة فانه يسعى لتكريس هذه الحالة للقفز على الآخرين ولتحقيق مآربه المنحرفة .

وثمة عدد كبير من ابناء العلماء ورجال المؤسسات الدينية من أستغل هذه الحالات وأحدث شرخاً كبيراً في الحركة الاسلامية والتوجهات الدينية . وغالباً ما يستعين العلماء والمراجع ببطانة (حاشية) تمثل المؤسسة التنفيذية والجهاز الإداري الذي يتحرك المراجع من خلاله .

وقد يجتمع في هذا الجهاز التنفيذي ثلثة من المرتزقة والمتملقين ويختفي من ورائهم أحياناً كثيرة أبناء الأسرة من أقارب وأرحام هذا المرجع أو ذاك . ولا يخفى ان لهذا الجهاز تأثيراً كبيراً في تصورات المراجع وقراراتهم ومواقفهم لأنهم غالباً ما يظنون صدق هذا الجهاز ويعولون عليه بحسن نية وحملاً لأعمال رجاله على الصحة ، كما أنهم لا يتوقعون من هؤلاء الرجال ما يدفعهم الى الشك في هذا الجهاز ، كما يحاول رجال هذا الجهاز بالحيلولة دون تسرب المعلومات التي لا يرغبون بوصولها الى المراجع والعلماء .

وقد غلب على مدرسة النجف طابع التقوقع والانكفاء على الذات ، وقد ساعد في بلورة هذا الطابع عوامل في مقدمتها : ان مدرسة النجف اقتصرت في اعداد رجالها اعداداً فقهيّاً وأصولياً وما يرتبط بهذين العلمين دون الاهتمام بمبادئ العلم وأبواب المعرفة الأخرى وهذا ولد ضعفاً في طريقة التعامل بين رجال هذه المدرسة وقواعدها الشعبية التي تعيش الحياة الجديدة وتستهوها العلوم والمعارف الحديثة^(١) وتضيق علائق الارتباط بينهما ثم أخذت الهوة تتسع شيئاً فشيئاً نتيجة لعوامل عديدة لا مجال لذكرها ذاتية منها وخارجية أخرى .

(١) إستثمر الخطباء هذه الفرصة فكانوا أقدر من العلماء على مخاطبة القواعد الشعبية . والخطباء هم من لا يواصلون دراسة الفقه والأصول للتخصص كما هو شأن العلماء ويولون المعارف الحديثة والاجتماعية العناية والإهتمام .

دور الشهيد في جامعة النجف :

تناولت وبشكل اجمالي معالم جامعة النجف للتعرف على اسهام الامام الصدر في بناء هذه المدرسة ومحاولة تطويرها ومعالجة مشاكلها والقضاء على الاشكال التقليدية من أجل دفع المسيرة العلمية فيها ودعمها ، واشاعة روح المسؤولية في رجالها . وقبل التعرف على ما للشهيد من أباد بيضاء في هذه المدرسة ، وانجازاته العظيمة لنقي الأضواء - وبإيجاز - على العلاقة المتميزة بين الشهيد وطلابه وتلامذته من أبناء ورجال هذه المدرسة .

لقد كان لمعظم المراجع وأكابر الفقهاء علاقات طيبة مع تلامذتهم ، أما الشهيد الصدر فكانت علاقاته متميزة وهادفة تتعدى أجواء مجالس البحث ومواطن لقاء الاستاذ لتلميذه ، لتفيض على جوانب الحياة الأخرى الاجتماعية والاخلاقية والسياسية ، ويشوبها الحب والود والشوق بعيداً عن العلاقات الموسمية^(١) والروتينية .

فكان الشهيد يعيش مع تلامذته في حضرهم وغيبتهم ، أفراحهم ومأسيتهم في غناهم وحالة اعوازمهم ليعيش همومهم ومعاناتهم ، فلا يغيب عنه أحد الا وافتقده حتى على البعد يزور القريب في بيته^(٢) ويبعث للبعيد^(٣) ما يعبر عن حنانه وعطفه بل لوعة الفراق بينه وبين تلميذه .

أما جامعة النجف ومدرستها والحركة العلمية فيها فقد كانت محل عناية السيد الشهيد واهتمامه يسعى بكل جهده لحمايتها ووقايتها من الاخطار الداخلية والخارجية لتبقى مركز الاشعاع الفكري والمرجع الروحي والقيادة السياسية .

(١) أعني بالعلاقات الموسمية العلاقات التي لا تتعدى حلقات الدرس ومجالس البحث فإذا افترق الأستاذ عن تلميذه والتلميذ عن أستاذه فلم يُعد بإمكان الآخر أن يفكر بالآخر ويعيش همومه .

(٢) قليل من أكابر العلماء من يتفقد تلامذته في دورهم ولعل الشهيد الصدر يعتبر نادرة لا مثيل لها في تاريخ هذه المدرسة .

(٣) سنعرض في قسم الملاحق بعض رسائله لبعض تلامذته .

ان طابع القدم واستصحاب الماضي - كما اسلفنا - يشكل عقبة كبيرة امام حركة مدرسة النجف ولذلك كان الشهيد الصدر يفكر ملياً بهذا الواقع ويلتمس له العلاج الناجع .

فأسلوب الدراسة الكلاسيكي الذي يتمثل في الدراسة الحرة واعطاء الطلاب الحرية في اختيار اساتذهم وأوقات الدراسة والكتب التي يدرسون - له ما يبرره ويسوغ الأخذ به .

أما الاسلوب المنظم للدراسة فهو ضرورة أيضاً في مجتمع جديد فتحت أمامه آفاق جديدة وهو يوفر للطلاب وقتاً أقصر ويفسح لهم المجال واسعاً أمام المعارف الجديدة وأبواب وميادين العلم الحديثة ، ومناهج البحث الاكاديمية التي تفتقر اليها جامعة النجف ضمن اسلوب الدراسة الكلاسيكي .

والسيد الشهيد لا يرفض القديم لقدمه ولا يقبل الجديد لحداثته وجدته ، فلكل منهما مزايا وحسنات ، وان أحدهما ليكمل الآخر ، ولذلك خص السيد الشهيد كلا الاسلوبين بالتأييد ومنحه العناية والاهتمام .

فالمدرسة التي أسسها السيد محسن الحكيم (قد ه) المعروفة بـ « الدورة » والتي نظمت فيها الدراسة ضمن المرحلة الأولى والتي تسمى بـ (السطوح) وهي ما قبل الدراسات العليا - تحت رقابة واشراف هيئة ادارية كانت من مقترحات - السيد الشهيد وهو الذي أقنع السيد الحكيم بضرورة تنظيم الدراسة بهذا الشكل وكان له الدور الكبير في ادارتها وتوجيهها فمعظم أساتذتها هم من تلامذة السيد الشهيد ، وأغلب مناهجها الفكرية والثقافية من كتبه كفلسفتنا واقتصادنا^(١) . فتنظيم الدراسة ومناهجها^(٢) وتوجيه الطلاب والاشراف على تهيئتهم موضع اهتمام بالغ وعناية فائقة لدى السيد الشهيد (قد ه) لضرورة هذا التنظيم والتجديد ، ولكنه لا يعني التكرار لكل ما هو قديم ونبذه .

(١) الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر ، صدر الدين القبانجي ص ٤٢ .

(٢) من مظاهر إيمان السيد الشهيد الصدر بضرورة تنظيم الدراسات الإسلامية مساهمته الفعالة في كلية أصول الدين ببغداد التي أفتتحت سنة (١٩٦٤) وقد شارك في وضع بعض مناهجها الدراسية فكتب مادة (علوم القرآن) للسنة الأولى والثانية ومادة (الاقتصاد الإسلامي) وكتب (المعالم الجديدة في علم الأصول) لتدريسه في الكلية أيضاً .
كما شارك (ره) في المجلة التي كانت تصدر عن هذه الكلية وهي مجلة (رسالة الإسلام) .

أما الأسلوب الكلاسيكي فقد حظي أيضاً بتأييد الامام الشهيد الصدر لتوفر عدة مزايا تعود بالنفع على الحركة العلمية ، فالحرية تفتح الافاق الرحبة أمام الطلاب وتمنحهم القدرة على تفجير طاقاتهم ، ولكن هذا الأسلوب مع توفر هذه المزايا فيه لا بد من تغييره وإزالة الشوائب القديمة والترسبات التي تعيق فاعلية هذا الأسلوب ، بيد ان تغيير هذا الأسلوب ليس تغييراً جذرياً بل يكون بادخال بعض الاصلاحات لترميمه .

لقد عمد السيد الشهيد وضع اطروحة تتناسب مع الدراسات الحديثة وذلك بالرغم من ابقاء الأسلوب الكلاسيكي في الدراسة وتلخيص هذه الأطروحة في قيمة المرجع واشرافه على فعاليات هذه المدرسة والحركة العلمية فيها وتنظيم الدراسة فيها دون الغاء حق الحرية ويكون ذلك عن طريق استقراء للعلماء والأساتذة مع التعرف على قدراتهم وعددهم ، وهذا يوفر للمرجع الاشراف على الدراسة - على الأقل - وتنظيمها فيلجأ الطلاب الى الهيئة التي أوكلت اليها القيام بعملية الاستقراء هذه لتعين لهم الاستاذ المناسب وترشداهم اليه ، كما أنها تعينهم على اختيار المناهج الدراسية التي تعود بمزيد من الفائدة عليهم .

ولم تكن هذه الأطروحة نظرية لا نصيب لها من التطبيق ولاحظ لها من الواقع بل أخذت تتمظهر في عدة مصاديق أبرزها تكليف السيد الشهيد لبعض تلامذته بهذه المهمة وايكال هذه العملية على عواتقهم ، وشاءت الأقدار ان تعيش هذه التجربة زمناً لا بأس به^(١) .

ومن أجل تنظيم الدراسة في جامعة النجف شعر السيد الصدر بضرورة تجديد المناهج الدراسية والكتب التي مضت عليها قرون طويلة ولم تعد تتناسب مع الحركة الفقهية والأصولية والفكرية التي قطعت اشواطاً بعيدة في التطور والتجديد .

هذا بالاضافة الى كونها كنباً لا تتوفر فيها خصائص المناهج الدراسية ولم يهدف واضعوها ومصنفوها جعلها موضع التدريس وانما كانت تمثل نظرياتهم وآرائهم النهائية التي توصلوا الى اكتشافها وصياغتها .

ويعتبر السيد الشهيد عملية وضع المناهج الدراسية الجديدة أضثل مظاهر التغيير في هذه الجامعة الكبرى ولذلك كان يتذمر ويظهر ذلك في مناسبات عديدة اذ يقول :

(١) جريدة الجهاد: العدد/٢٣٣/٤ / شعبان/ ١٤٠٦ هـ ، ١٤ / نيسان/ ١٩٨٦ ص ٦ .

« لا بد لنا أن نتحرر من النزعة الاستصحابية من نزعة التمسك بما كان حرفياً بالنسبة إلى كل أساليب العالم هذه. النزعة التي تبلغ القمة عند بعضنا حتى ان كتاباً دارسياً مثلاً، - أمثل بابطال الامثلة والكلام ما زال للسيد الصدر - اذا أريد تغييره الى كتاب دراسي اخر أفضل منه حينئذ تقف هذه النزعة الاستصحابية في مقابل ذلك .

اذا أريد تغيير كتاب بكتاب آخر في مجال التدريس وهذا أضلل التغيير حينئذ يقال : لا ليس الأمر هكذا ، لا بد من الوقوف ، لا بد من الثبات والاستمرار على نفس الكتاب الذي يدرس فيه الشيخ الأنصاري (قده) أو المحقق القمي (قده).

هذه النزعة الاستصحابية التي تجعلنا دائماً نعيش مع أمة قد مضى وقتها ، مع أمة قد ماتت وأنتهت بظروفها وملابساتها ، لأننا نعيش بأساليب كانت منسجمة مع أمة لم يبق منها أحد .^(١)

وقد توج السيد الشهيد دعوته الى التجديد والتغيير في المناهج الدراسية بكتابته منهج علم الأصول لطلاب ما قبل مرحلة الدراسات العليا (بحث الخارج) وهي المرحلة التي ينبغي تنظيم الدراسة فيها دون مرحلة الدراسات العليا التي ترك أمرها وشأنها للمجتهدين والفقهاء .

والمنهج الجديد في علم الأصول الذي وصفه السيد الشهيد في ثلاث مراحل - والذي مر الكلام عنه تفصيلاً -^(٢) كان بمثابة ثورة جديدة وانقلاباً جذرياً في دراسة هذا العلم وما زال هذا المنهج ينال اعجاب العلماء والطلاب على السواء وقد ترجم الى الفارسية في وقت قريب .

وكان في نية السيد الشهيد (قده) وضع منهج جديد في علم الفقه لمرحلة ما قبل الدراسات العليا ولكنه لم يحقق نيته هذه وحالت الظروف دون ذلك .

ولم تكن عناية السيد الصدر تقتصر على تطوير المناهج الدراسية الملائمة لروح العصر الجديد بل أولى الثقافة الاسلامية والإيديولوجية الفكرية ومدارس

(١) من محاضرة للسيد الشهيد في كتاب «الحنة» ص ٧٨ .

(٢) راجع ص ٨٨ ، ص ٩٤ من هذا البحث .

ومذاهب الفكر الحديث الاهتمام والعناية الفائقة فحبّد لطلاب هذه الجامعة العلمية مزيداً من الاطلاع على ابواب المعرفة المختلفة دون الاكتفاء بعلم الفقه والأصول وما يرتبط بهما وذلك شعوراً منه بضرورة تنمية المجالات لدى علماء وطلاب جامعة النجف لتوفّر لهم القدرة والقابلية على مخاطبة القواعد الشعبية وتوجيهها بطريقة لا يابأها ذوقه ولا تعجز عنها مداركه .

يقول السيد الحائري : « ذات يوم قال استاذنا الشهيد - قدس سره - لصفوة طلابه : إنّ ما تعارف عليه الحوزة من الاقتصار على الفقه والأصول غير صحيح ويجب عليكم أن تتقنوا بمختلف الدراسات الاسلامية ، وأمرهم بمباحثة كتاب « فلسفتنا فيما بينهم . فعقدوا بحثاً في بيتي . . . وفي أول يوم شرعوا في المباحثة وجدنا طارقاً يطرق الباب ففتحت الباب ، وإذا باستاذنا الشهيد فدخل وحضر المجلس وقال : إني إنما حضرت الآن في هذا المجلس لأنني أعتقد أنه لا يوجد الآن مجلس أفضل عند الله من مجلسكم هذا الذي تتباحثون فيه في المعارف الاسلامية فأجبت أن أحضر هذا المجلس الذي هو أفضل المجالس عند الله »^(١) .

وكان السيد الشهيد يوصي تلامذته بمن يشرف على تدريس طلاب المراحل ما قبل الدراسات العليا وهي ما تسمى بمرحلة (السطوح) بإعدادهم فقهياً وفكرياً ورفع مستوياتهم الثقافية .

وكان السيد الشهيد يهدف من كل ذلك توثيق العلاقات وتوطيدها بين جامعة النجف الأشرف وبين قواعدها الشعبية لأنه كان يتقطع المأ للهوة الكبيرة التي أخذت تسع يوماً بعد آخر ، وكان يحذّر العلماء من مخاطر هذه الفجوات وضرورة ردمها وهو يهتف بصريح عباراته ويلقيها في مسامعهم وهو يقول إن هذه الجامعة ما زالت تتعامل مع أجداد هذه الأمة ومع موتاهم ومن أجل ذلك كله ابتعدت هذه الأمة عن مركز التوجيه وأخذت تتخبط تخبطاً عشوائياً هنا وهناك .

وكان من معالم مدرسة النجف - كما أسلفنا - تعدد الجنسية ، فهي تستقبل الوافدين عليها من كل مكان لتسبغ عليهم من فيض عطائها الوافر .

(١) جريدة الجهاد، العدد/ ٢٣٣ / السنة السابقة - ٤/ شعبان/ ١٤٠٦ هـ ص ٦٠

وهذا النسيج الاجتماعي المتعدد له ما يبرّره ، فجامعة النجف مركز الاشعاع على مدى عشرات القرون ولذلك يشدُّ العلماء الرجال إليها للحضور لدى أكابر علمائها وأساطين فقهاءها ، فكل مدارس العلم ومعاهده وجامعاته عيالٌ عليها .

وكانت مدرسة النجف وعلمائها - بوصفهم قادة الأمة - شوكة في عيون الظالمين ، وأملاً في نفوس المستضعفين ، فقد سهر رجالها على مصالح المسلمين و الذود عن حياض الشريعة الاسلامية على مدى قرون ، ولذلك كانت السلطات الحاكمة - على مدى هذه القرون - تحسب لها حسابها وتُحطّط للحدّ من فاعليتها وتعجزها بطرق كيدية متنوعة . وقد استغلت السلطات الحاكمة هذه الظاهرة - وهي تعدد الجنسية - لتمزيق أوصال هذه المدرسة وشرخ عظمتها ، فوجدت في عملية التهجير غايتها وتحقيق مآربها ، وغالباً ما تكون عمليات التهجير إما بدعوى التدخل في الشؤون الداخلية - باعتبار أن معظمهم من الأجانب - أو بعدم منحهم الإقامة والترخيص لهم بذلك في الأراضي لأسباب تضعها السلطات .

وكانت أول تجربة لعمليات التهجير الواسعة إبان الحكم العفلقى في أوائل السبعينات ، وقد اتصفت هذه الحملة بالشراسة المتقطعة النظير فطارد أزلام السلطة العلماء وطلاب هذه المدرسة تحت كل حجر ومدر ، في الشوارع والمساجد ، والمدارس والبيوت .

وكانت هذه العملية أقوى ضربة تتلقاها مدرسة النجف الأشرف عُرضت الحركة العلمية فيها للتدهور لفترةٍ زمنية ليست بالقصيرة .

وكان للسيد الشهيد الصدر موقفٌ إتسم بالشجاعة والجرأة والحكمة - مع ضيق الوقت والحرمان من الأخذ بزمام المبادرة - فشمر عن ساعديه للدفاع عن تراث هذه الجامعة وصرحها الخالد ، وكان السيد الخوئي - زعيم الحوزة العلمية يومذاك - معتلاً يشكو المرض وقد تدهورت صحته وكان من المفترض أن يغادر العراق في تلك الفترة الى لندن رجاء شفاؤه ، ووجد السيد الشهيد الصدر في مغادرة السيد الخوئي خطراً على مستقبل الجامعة وحركة العلم فيها فقد يتذرع المتخاذلون والكسالى بذلك ويمنحهم الفرصة للتراجع أمام السلطات ، ولذلك أسرع السيد الشهيد لزيارة السيد الخوئي في المستشفى وشرح له واقع المدرسة

ومخاطر مغادرته من العراق في هذه الظروف فاقنع السيد الخوئي بفكرة السيد الشهيد وترامى هذا الخبر الى مسامع مئات العلماء ففسخ العديد منهم عزمه على مغادرة النجف^(١) ، وكانت هذه الخطوة حكيمة وموفقة للحيلولة دون تحقيق مآرب السلطات الحاكمة كاملة وعدم تسهيل مهمتها وتشجيعها في المضي على تنفيذ خطتها لعرقله مسيرة الفكر في هذه الجامعة الخالدة .

وما كادت هذه الهجمة الشرسة لتغيب عن خاطر الشهيد الصدر فكان يفكر ملياً وباستمرار لإضاعة الفرصة أمام السلطات الحاكمة في استغلال هذه الظاهرة ، ولذلك عمد رضوان الله عليه الى تشجيع الشباب من أبناء العراق للإنخراط في هذه الجامعة وزيادة نسبة العراقيين بحيث تفوّت الفرصة أمام النظام وتبدو عمليات التهجير ومضايقة العلماء غير العراقيين غير مجدية أو أقل ضرراً على كيان جامعة النجف الأشرف ، فلم يعد بإمكان السلطات مطاردة العلماء العراقيين بحجة التدخل في الشؤون الداخلية أو عدم السماح بالإقامة للأجانب . وهذا بغض النظر عن مدى تأثير العلماء العراقيين في قواعدهم الشعبية في مختلف مناطق العراق بشكل لا يتوفر لغيرهم في التأثير على هذه القواعد . وقد وفق السيد الشهيد رحمه الله في ذلك على قدر كبير لولا مبادرة السلطات لاعتقاله وفرض الإقامة الجبرية عليه ثم إعدامه رحمه الله .

ولم يهدف السيد الشهيد رحمه الله في خطوته الى تعميق الحس القومي فقد عُرف عنه رحمه الله حبه ورعايته لرجال هذه الجامعة على اختلاف جنسياتهم دون ان يفرق بينهم في العطاء والعشرة وحسن السيرة .

ومن الظواهر التي حظيت باهتمام الامام الشهيد الحالة الأسرية وبطانة المراجع وكان يلتمس لها الحلول الناجعة وتطهيرها من النماذج العفنة والشخصيات المشبوهة ، لتستعيد مدرسة النجف الأشرف رفعتها وفعاليتها في صفوف الأمة الاسلامية .

ولم يكن الشهيد رحمه الله يستهدف استبدال بطانة المراجع وإعدام هذا

(١) الجهاد السياسي عند الشهيد الصدر، ص ٧٤ .

الوجود لأن البطانة هذه تمثل الجهاز التنفيذي للمرجع ، ولكنه استهدف تنقية هذا الجهاز وتنظيفه لتدارك مخاطر الانزلاق ومكامن الانحراف ، وذلك بإختيار العناصر الخيرة والنظيفة للقيام بهذه المهمة .

أما الحالة الأسرية فانه كان يرفضها مطلقاً ، ولم يُعرف عنه تكريس هذه الحالة مع انه من أسرة علمية لا تجارها أسرة في العراق بعراقتها وأصالتها وتاريخها وشرف رجالها .

ومن أروع مواقف ومصاديق رفضه لهذه الحالة أنه رحمه الله كان يصلي في الناس بالحسينية الشوشترية فاتفق ذات يوم أنه غاب عن الصلاة لعذر طرأ له فطلب جمع من المؤمنين من السيد محمد الصدر ابن المرحوم السيد محمد صادق الصدر أن يؤم الناس في ذاك اليوم بدلاً عن الأستاذ فاستجاب السيد محمد الصدر لطلب المؤمنين (وهو من حفدة عمّ الشهيد الصدر ومن تلامذته وكان معروفاً بالزهد والورع والتقوى) فصلّى الناس خلفه جماعة ، ثم أطلع الشهيد الصدر على ذلك فبان عليه الأذى ومنع السيد محمد الصدر عن أن يتكرر منه هذا العمل ، وكان السبب في ذلك - رغم علمه بأن حفيد عمّه أهل ومحل لإمامة الجماعة - أنه تعارف لدى قسم من أئمة الجماعة الاستعانة في غيابهم بنائب عنهم يُختار من أقربائهم أو أصحابهم لا لنكتة موضوعية بل لأنه من أقربائه أو أصحابه ، فقد يُحمل ما وقع من صلاة حفيد العمّ في نظر الناس غير المطلعين على حقيقة الأمر على هذا المحمل^(١) .

(١) مقدمة مباحث الأصول ص ٥١ .

الفصل الثالث

حياته الجهادية والسياسية

- * التنظيم في حياة الشهيد الصدر
- * في جماعة العلماء المجاهدين في العراق
- * همومه وآلامه الإسلامية
- * المرجعية في حياة الشهيد الصدر
- * مع الشهيد الصدر قائداً

التنظيم في حياة الشهيد الصدر

لقد فكر علماء الإسلام في إختيار الوسائل الناجعة لتحكيم رسالة الإسلام وشريعته وتعبيد الناس لله تعالى واعلاء كلمته . وكان في مقدمة هذه الوسائل العمل التنظيمي الذي وجده بعض العلماء الصيغة المثلى والوسيلة الأنسب، لكونه أمراً يلائم الفطرة الإنسانية التي تميل بفطرتها إلى تنظيم الحياة والأعمال مع مشروعيته إسلامياً لعدم تعارضه مع غايات وأهداف الشريعة الإسلامية بل لتوفر المصاديق الكثيرة في حياة الأنبياء والأئمة ورجال الثورة في إختيار العمل التنظيمي وإن تفاوتت مصاديقه.

وقد أكّدت المخاطر التي يواجهها الإسلام على مدى قرون طويلة ضرورة العمل التنظيمي ومدى فاعليته بشكل لا تتوفر هذه الفاعلية في غيره من الوسائل . وقد سبق علماء الإسلام غيرهم إلى إكتشاف العمل الحزبي والتنظيمي فقد أسس السيد جمال الدين الأفغاني جمعية (العروة الوثقى) السرية في سنة ١٨٨٣م ولم تكن أوروبا يومذاك قد عرفت العمل الحزبي وكان العمل الحزبي في جمعية العروة الوثقى على درجة من الدقة والتنظيم، ومن مجموعة الأوراق والوثائق والمراسلات التي بقيت لنا من آثار هذا التنظيم نضع يدنا على خبرة في العمل السياسي والتنظيمي بلغت درجة عالية من النضج والعبقرية إذا ما قيست بظروف عصرها ذلك العصر الذي لم تكن مثل هذه القواعد والخبرات قد استقرت فيه بعد بأوروبا^(١).

(١) جمال الدين الأفغاني - الأعمال الكاملة، للدكتور محمد عمارة: ج ١ ص ١٢٩.

فالتنظيم والعمل الحزبي إسلامي المولد وعلمائي النشأة، اختارته العقول العلمائية الواعية في الأمة الإسلامية لتأكدها من مشروعيته إسلامياً ونجاحه عملياً في المعركة المصرية التي تَحَوَّضُهَا الفصائل الإسلامية مع إعدادها وقد توهم من قال: إن التنظيم الحزبي يتناقض مع طبيعة مجتمعاتنا، فإن مجتمعاتنا المسلمة لها تركيبها الخاصة التي تختلف عن تركيبة المجتمعات النصرانية واليهودية والوثنية ولها بُناها القيادية الطبيعية الناتجة عن تمازج العامل الإسلامي مع العامل التكويني على مدى قرون. . . وصيغة التنظيم السياسي الحزبي أو الحركي صيغة غربية وُثنية وافدة، يُراد لها أن تحل محل البنية الطبيعية فتتناقض معها لا محالة وتحدث بذلك فتويات واختلافات داخل الأمة. . . ولذلك نرى إن الأمة تنكمش بحسها الفطري الإسلامي عن الاستجابة لهذه البنية الوافدة وتشعر بحاجز نفسي بينها وبينها^(١) . . .

إن هذا التناقض وعدم الأنسجام مبنيٌّ على كون العمل الحزبي بنية وافدة وصيغة غربية، وهذا ما لا أساس له من الصحة، إذ إن العمل الحزبي كان قد نشأ على أيادٍ خيرة من علماء الإسلام من أمثال السيد جمال الدين الأفغاني الذي أسس جمعية العروة الوثقى السرية في عام ١٨٨٣م. . . وفي ذلك التأريخ لم تكن الحياة التنظيمية قد وصلت بالحركات الثورية والإصلاحية والتنظيمات السياسية والاجتماعية في أوروبا إلى المستوى الراقى والمتقدم الذي بلغته جمعية العروة الوثقى في حياتها التنظيمية الداخلية وأساليبها في الدعوة إلى أهدافها وأفكارها وسبلها في خلق الأوعية التنظيمية التي تستوعب المؤمنين بهذه الأهداف والأفكار. . . فعندما ظهر نشاط جمعية العروة الوثقى السرية في سنة ١٨٨٣م لم تكن قد تكونت بعد الجمعية الفابية، فلقد تكونت سنة ١٨٨٤م - وعلى حين كانت «الجمعية الفابية» تنظيمًا غير منضبط بالمعنى الحزبي والتنظيمي فإن العروة الوثقى قد بلغت في هذا المجال درجة عالية، أما حزب العمال المستقل في إنجلترا، فلقد تأسس بعد ظهور نشاط العروة الوثقى بعشر سنوات أي في سنة ١٨٩٣م، بينما تأسس حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي سنة ١٨٩٦م أي بعد ظهور نشاط العروة الوثقى بثلاث عشرة سنة، ولم تكن له يومئذ نظم حزبية داخلية تحكم إنضباطه ولم يكتسب هذا الحزب نظامه الداخلي الذي يُعدُّ أبرز

(١) طريقة حزب الله في العمل الإسلامي، الشيخ علي الكواري ص ١٥.

إنجازات الحركة الثورية الأوربية في التنظيم إلا في مؤتمره الثاني الذي عقد في يوليو اغسطس سنة ١٩٠٣م^(١).

فكانت جمعية العروة الوثقى البذرة الأولى للعمل التنظيمي في الحركة الإسلامية ثم أخذت الحركة التنظيمية تنشط شيئاً فشيئاً في العالم الإسلامي كله، وكان نصيب العراق وافراً وحظه منها كبيراً فظهرت عدة تنظيمات إسلامية كانت ولادتها على أيدي علمائية.

وتعتبر جمعية النهضة الإسلامية أول عمل حزبي ظهر على الساحة العراقية فقد تأسست في تشرين الثاني ١٩١٧م وهي جمعية إسلامية سرّية، وكان المبادر لتأسيسها السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري^(٢).

وقد اعتمدت الجمعية أسلوباً تنظيمياً دقيقاً إذ شكّلت جناحين الأول سياسي والآخر عسكري وعلى رأس هذين الجناحين عضو إرتباط يشرف عليهما، وتوزع العمل العسكري على عدة فروع في الكوفة وأبي صخير والحيرة والشامية فيما راح الجناح السياسي يدخل إلى أوساط الأمة ليعرّف بأفكار الجمعية^(٣).

وكان للجمعية الدور الكبير في إذكاء نار الثورة ضد الإنجليز وقد نفذ الجناح العسكري فيها عملية قتل الحاكم العسكري الإنجليزي في النجف، وكانت هذه العملية مع جرأتها بمثابة توريط الجمعية بالتصدي قبل فضوح التخطيط وقبل علم الجناح السياسي مما أدّى إلى مبادرة الإنجليز إلى سرعة إكتشاف الجمعية ومطاردة أعضائها بالقتل والتشريد بما فيهم السيد محمد بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري.

وفي الثالث من شهر تموز لعام ١٩١٨م تأسس حزب النجف السري بمبادرة من الشيخ محمد جواد الجزائري والشيخ محمد رضا الشيبسي وضمّ صفوفه عدداً آخر من رجال الدين والمثقفين الإسلاميين وزعماء العشائر^(٤).

(١) جمال الدين الأفغاني ج ١ ص ١١٨.

(٢) راجع تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، عبد الخليم الزهبي ص ١٩٢، ماضي النجف وحاضرها: ٣٤٤/١.

(٣) مجلة الجهاد العدد ٢١ / السنة الثالثة ١٤٠٧ هـ والقاعدة التنظيمية في الثورة بقلم سليم الحسيني ص ٤٧.

(٤) راجع تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ص ١٩٩.

وقد نال حزب النجف السريّ دعم وتأييد المرجعية الممثلة بالشيخ محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين^(١).

وفي أوائل تشرين الثاني من نفس العام تأسست الجمعية الوطنية الإسلامية في مدينة كربلاء وكان يوجهها الإمام الشيرازي وأوكل رئاستها لنجله الشيخ محمد رضا.

وقد ترأس الإمام الشيرازي نفسه جمعية سرّية أخرى اتخذت الاسم ذاته وضمت عدداً آخر من العلماء والمتقنين الإسلاميين، وكان أحد الأعمال المهمة للجمعية فضلاً عن قيامها بالدعاية والتحريض ضد الإنجليز هو إهتمامها بالتوفيق بين رؤساء عشائر الفرات الأوسط وإزالة الخلافات بينهم حيث ساهم ذلك في توسيع نطاق الحركة المعادية للإنجليز^(٢).

ومن الأحزاب والجمعيات الإسلامية الفاعلة - يومذاك - الجمعية الإسلامية العربية وهي سرّية تأسست في الكاظمية وكان يرأسها السيد أبو القاسم الكاشاني، وكانت تطبع المنشورات وتوزعها للتحريض ضد الإنجليز بتوقيع السيد أبي القاسم الكاشاني وسكرتيه الشيخ جواد الزنجاني وقد حاول الإنجليز معرفة أعضائها وعناصرها فبثت الجواسيس فلم تصل إلى مرادها^(٣).

وغير هذه الجمعيات كثير كحزب الاستقلال الذي أسسه السيد محمد الصدر وجمعية الشبيبة الجعفرية و... وكان جلّ هذه الأحزاب والجمعيات موضع تأييد ودعم قائد الثورة الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي، بل أن الإنجليز إذا أرادوا مواجهة الإمام الشيرازي فإن سلطاتهم تعتمد إلى مطاردة رجال هذه الجمعيات لعلمهم بتأييده لهذه الجمعيات من أجل الضغط عليه وتحجيم حركاته، وهذا ما حصل فعلاً للجمعية الإسلامية في كربلاء عندما أقدمت السلطات الإنجليزية على إعتقال أبرز عناصرها فكانت عملية الاعتقال هذه ضربة موجّهة للإمام الشيرازي وقد تصدى «قدس سره» لمواجهتهم وأصرّ على المطالبة

(١) القاعدة التنظيمية في الثورة ص ٤٨ في مصدر سابق.

(٢) تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ص ١٩٩.

(٣) موسوعة العتبات المقدسة - قسم الكاظمين ص ١٥١.

بإطلاق سراح المعتقلين^(١)، وكان موقفه هذا بمثابة تجديد دعمه وتأييده لهذه الجمعيات.

ولا يرى العلماء ومراجع المسلمين ضابطاً في العمل الإسلامي وأساليبه^(٢) سوى التقيد بأحكام الشريعة الإسلامية ويتركون المجال واسعاً أمام الدعوة إلى الله لاختيار وسائلهم التي تتناسب مع المحيط الذي يعملون فيه وإمكانية التأثير.

وعلى هذا الأساس إختار الشهيد الصدر الطابع التنظيمي في العمل الإسلامي، بل لمصادقته الإسلامية وإنسجامه مع طبيعة الرسالة الإسلامية أكثر من أي أسلوب آخر من أساليب العمل.

ولم يكن التنظيم الحزبي يشبه مسألة توزيع كتاب، حيث يطرح فيها السؤال: ما هي أفضل طريقة لتوزيعه وإيصاله إلى أكبر عددٍ من القراء. . . والتنظيم إنما هو طريقة لإيصال أفكار الإسلام إلى أكبر عدد ممكن من المسلمين^(٣). بل إن الأسلوب التنظيمي وليد الفطرة وتبني الأنبياء والأئمة والصالحين وليس عملية فنية محضه وهذا ما أوضحه الشهيد الصدر (قده) إذ يقول: «إن الرسول (ص) لو كان في عصرنا لاستعمل بمقتضى حكمته الأساليب الإعلامية والتبليغية المعاصرة والملائمة، والحق أن أسلوبه صلى الله عليه وآله في الدعوة ما كان عن التنظيم الخلقى ببعيد»^(٤).

وقد كتب الشهيد الصدر (قده) عن مشروعية التنظيم فقال: «وأما مشروعيته فلأن أسلوب الدعوة إلى الإسلام إنما هو الطريق التي يمكن بواسطتها إيصال

(١) القاعدة التنظيمية في الثورة - مرجع سابق ص ٤٩.

(٢) يقول السيد محسن الحكيم «بسم الله الرحمن الرحيم. أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والدعوة إلى الإسلام ليس لها طريقة خاصة فكلما يراه المبلغ أجدي وأنفع يلزمه العمل به» ويقول السيد أبو القاسم الخوئي: «بسمه تعالى شأنه، ليس للدعوة إلى الإسلام أسلوب خاص بل الداعي إذا توفرت فيه شروط الدعوة من العلم والعمل له إن يدعو بأي أسلوب يراه مناسباً ومؤثراً». راجع «من الفقه السياسي في الإسلام، محمد صالح جعفر الظالمي ص ١٥٦.

(٣) «حول الاسم والشكل التنظيمي» أول نشرة كتبها الشهيد الصدر لثقافة الدعوة راجع ملحق رقم

(٦).

الإسلام إلى أكبر عدد من الناس وتربيتهم بثقافة الإسلام تربية مركزة تدفعهم للقيام بما فرض الله عليهم . وحيث ان الشريعة الإسلامية لم تأمر بإتباع أسلوب محدد في التبليغ والتغيير جاز لنا شرعاً إنتهاج أية طريقة نافعة في نشر مفاهيم الإسلام وأحكامه وتغيير المجتمع بها ما دامت طريقة لا تتضمن محرماً من المحرمات الشرعية»^(١).

فالإسلوب التنظيمي ليس بدعة ولا إشكال في عدم حرمة إذ يقول (قده): «وأية حرمة شرعية في أن تشكل الأمة الداعية إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هيئة وجهاز وتكون كياناً موحّداً وفعالية منتجة في الدعوة إلى الله عز وجل»^(٢).

وليس العمل التنظيمي أمراً مباحاً فحسب، بل هو واجب أحياناً فيقول الشهيد الصدر: «إن تجميع الجهود من أجل الإسلام وتنسيقها بحكمة واختيار الطريقة الأفضل لتنظيم ذلك ليس مجرد أمر جائز في عصرنا وحسب، بل هو واجب ما دام تغيير المجتمع وتعبيده لله؛ ومجابهة الكفر المنظم متوقفاً عليه»^(٣). فقد انتشرت الأحزاب اللاإسلامية على اختلاف مذاهبها ودوافعها وغاياتها وتسابقت لتضليل الجنس البشري فكان لزاماً على علماء الإسلام إختيار العمل الحزبي لمواجهة هذه الأحزاب بأساليبها الفاعلة، وصّدق الإمام عبد الحسين شرف الدين حينما قال مقولته الشهيرة: «لا ينتشر الهدى إلا من حيث ينتشر الضلال».

وقد شعرت الأحزاب اللاإسلامية بالضيق والخرج من الأحزاب الإسلامية وهي تدخل ساحات الصراع العنيف لتكشف المذاهب الضالة والإتجاهات الهدامة لتتخذ الجنس البشري من المصير الويل فقطعت خطوات كبيرة وافتتحت أمامها آفاق رحبة للعمل الإسلامي والدعوة لإعلاء كلمة الله .

وكان الشهيد الصدر يرقب عن كثب وبنظرات ثاقبة مسيرة التنظيم وما تدرّه من فائدة واطمأن للنجاح الباهر الذي سيحققه التنظيم الإسلامي فقال ره: «وأما

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) (٣) نفس المراجع السابق .

فائدة التنظيم الإسلامي فقد أثبتت التجربة في مختلف التنظيمات العالمية أن التنظيم هو الأسلوب الناجح في تغيير المجتمع باتجاه الخير أو الشر^(١).

وتكون فائدة التنظيم أكبر فيما إذا كان هو الأسلوب الوحيد الذي لا ند له في ساحة الصراع مع اعداء الإسلام، فيما إذا كانت الأجواء لا تسمح إلا بالعمل السري كما هو واقع العراق فإن الظروف السياسية التي يعيشها الشعب العراقي لا نظير لها في العالم من حيث الارهاب والبطش والفتك الذي لا يسمح إلا بالعمل من وراء حجاب خوفاً من السلطات وبتطشها، وهذا ما أكد ضرورة التنظيم السري في العراق واقتناع الشهيد الصدر (ره) بهذه الصيغة لعلمه الكامل بفشل كل الأساليب سوى العمل الحزبي الذي يتلاءم مع الأجواء ويتناسب معها، وقد إستمر رأيه على ذلك حتى أواخر حياته والتي كسر الشعب العراقي فيها بعض قيوده بجرأة لمواجهة النظام الطاغوتي فإنه (ره) كان يرى فشل الأساليب المكشوفة كالتظاهرات والمسيرات وكان يصرُّ على اختيار أسلوب التنظيم وبناء الخلايا^(٢) التي لا يتصل بعضها ببعض إلا بشكل دقيق وهرمي يسمح للحركة دون قضاء السلطات المبكر عليها وبضربة واحدة.

ومهما اختلف في تسمية الخلايا هذه فبقى هي التنظيم سواء قلنا، حزب، أو منظمة أو حركة أو جمعية فالحقيقة واحدة.

وقد أثبت التنظيم فاعليته في العراق رغم الأجواء الارهابية التي عُدِمَ نظيرها في العالم وحسبك التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع لحزب البعث في العراق الذي أوضح حقيقة الانجازات التي قام بها التنظيم الإسلامي وفاعليته فجاء فيه: «وبرغم أن المرحلة السابقة قد حفلت بالانجازات العظيمة والتقدم الشامل في شتى نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما حفلت ببعض المعارك الضارية الساخنة وبعضها كان من طراز المعارك التاريخية (تأميم النفط) ومع أن الحزب قد استقطب تأييد الجماهير والتفافها حوله . . . ومن بينها أوسع قطاعات الطلبة والشباب الذين آمنوا بمبادئه . .

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) مجلة صوت المجاهدين العدد/٤/ بتاريخ ٥/ رجب/ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤/٤/٧ ص ١٥ في حديث

للسيد باقر المهري.

وعملوا تحت لوائه . . وانضموا الى منظماته الطلابية والشبابية . . برغم كل هذه الحقائق البارزة كانت المرحلة السابقة تفتقر إلى الاستمرارية بخط مضطرب ومتصاعد ضمن مقاييس تضع في إشعاعها كل المتطلعين للامام والباحثين عن ملء الفراغ والبطولة والمجد ضمن مسيرتها وتفاصيل حياتها اليومية والشمولية في العملية الثورية . . وشهدت تلك المرحلة حالات من الركود وكانت توجي وكأن الثورة قد أصبحت مجرد نظام . . ومع ان الحزب كان ينتبه إلى ذلك بين الحين والآخر، كان يوفر مهاميز لدفع العملية الثورية إلى الأمام إلا أن ذلك لم يكن يتم بصورة مستمرة وبأسلوب شمولي يعم العراق كله ويعم كل ميادين الحياة الفكرية والسياسية والتنظيمية، لذلك بقيت في المجتمع الثوري نسبة معينة ولو كانت قليلة من المواطنين ومن الشباب بوجه خاص خارج المسيرة الثورية فلم يعيشوا سخونة هذه المسيرة ولم يتأثروا بها بصورة مباشرة فوقفوا منها موقفاً سلبياً وقد ركزت الأحزاب الدينية السياسية وبخاصة حزب الدعوة على هذه الفئة واصطادتها في فخاخها ووعدت الشباب منهم بالمعارك الساخنة والتحديات الملحمية . ولا بد أن نشير إلى ان أخطاء قد ارتكبت في أساليب تنظيم الشباب والطلبة مما دفع قسماً من هؤلاء إلى الوقوع في شرك حزب الدعوة والحركات الدينية السياسية الأخرى . . وعلينا ان نلاحظ أن نسبة من الشباب الطموح إذا لم يتمكن الحزب من استقطابها وتلبية مطامعها في إطار منزوع يمكن أن تبحث عن طموحات غير مشروعة ومنحرفة في أوساط القوى المعادية»^(١).

إذن! كان اختيار الإمام الشهيد قده للعمل الحزبي - وخاصة في العراق أمراً لا يرغب عنه ولا خيرة فيه فمع مشروعية العمل الحزبي في الإسلام توفرت عناصر أخرى استدعت الحفاظ على المسيرة الإسلامية باختيار هذا الأسلوب دون سواء فبدأ الشهيد الصدر العمل في الوسط الشيعي الذي كان يفتقر إلى هذا الأسلوب .

ولم يكن الشهيد الصدر باختياره للعمل الحزبي والتنظيمي يعمد إلى إلغاء دور المرجعية وقيادة العلماء أو يقلل من فاعلية هذا الدور بل يكمل أحدهم الآخر

(١) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي - في العراق ص ٢٩٥، ص ٢٩٦.

ويقاسمه الهموم ويشاركه العناء في سبيل الله وتحمل المسؤولية الشرعية، ففي الوقت الذي تبنى السيد الشهيد هذا الخط لم يكن يرفض الخط الآخر بل كان يعتبر أن أحد الخطين لا يلغي الآخر وأن التنظيم لا يمكن أن يكون بديلاً عن المرجعية لأن شرعية التنظيم مستمدة من طبيعة القيادة التي يتحرك من خلالها على أساس إسلامي ومن الطبيعي أن المرجعية الرشيدة الواعية المفتحة على ساحة الواقع الإسلامي لا بد وأن يكون هي القيادة الصالحة التي تقود الأمة^(١) والتنظيم بمثابة الجهاز التنفيذي واليد المتحركة للمرجعية والقيادة العلمانية ولذلك أشرف الشهيد الصدر على التنظيم الإسلامي بنفسه.

حزب الدعوة الإسلامية:

ولم تكن النظرية همَّ الشهيد الصدر وهدفه، فانها شوهاء دون عملية إستنزائها في ساحة الواقع ومعركة المصير، فأخذ الشهيد(ره) يفكر في تجسيد هذه النظرية وخلق مصداقها وإستيلاد نتائجها، فبادر في يوم السابع من شهر ربيع الأول عام (١٣٣٧هـ) - الموافق لأواخر عام ١٩٥٧م - تيمناً بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتأسيس حزب الدعوة الإسلامية مع ثلثة من أصحابه البررة فمن شاركه هموم الرسالة.

وقد سبقت عملية التأسيس لقاءات ومباحثات أثرت في تأسيس هذا التنظيم كان منزل الشهيد الصدر أحد منازل النجف التي إحتضنت هذه اللقاءات والمباحثات^(٢) وتم تسمية هذا التنظيم بحزب الدعوة الإسلامية، وقام السيد الشهيد(ره) بدراسة شاملة لدرسات الأحزاب في العالم من أجل وضع أسس الدستور في هذا التنظيم، وعقدت المباحثات تلو المباحثات بمعية الآخرين ممن أسهم في التأسيس وانتهت هذه اللقاءات بوضع الأسس المعروفة التي كتبها بقلمه^(٣).

(١) جريدة الجهاد العدد/٢٢٧/ بتاريخ - ١٤/٢/١٤٠٦هـ في حديث مع السيد محمد حسين فضل الله.

(٢) مجلة الجهاد العدد/١٤/ - بتاريخ جمادي الثاني/١٤٠١هـ في حديث مع الشيخ علي الكوراني ص ٤٢.

(٣) جريدة الجهاد العدد/٢٣٣/ بتاريخ - ٤/شعبان/١٤٠٦هـ في حديث مع السيد محمد حسين فضل الله.

فالتنظيم الإسلامي المعروف بـ «حزب الدعوة الإسلامية قد أسس»^(١) على يد الإمام الشهيد الصدر وكتبت أسسه بقلمه الشريف واستلهمت ثقافته من فكر الشهيد وهمومه من هموم الشهيد وآماله، فأسبغ عليه من روحانيته وأنفاسه الطاهرة وأفاض عليه من صبره ومعاناته وصموده في سبيل الله تعالى.

وقد تبنى الشهيد نفسه الطبيعة السرية لحزب الدعوة وضرورة التكتم على العمل الإسلامي وإخفاء عناصره وعدم الكشف عن أسماء قياداته لئلا يكونوا عرضة للأحكام الجائرة والمطاردة المستمرة من قبل السلطات^(٢)، وهذا ما أكد عليه الإمام السيد محسن الحكيم مرة حينما زاره وفد من حزب الدعوة بتاريخ ٩/ حزيران / ١٩٦٩م ضمّ كلاً من الشهيد أبي عصام دخيل والسيد فخر الدين الشوشتری والسيد حسن شبر وقد حضر اللقاء الشهيد السيد مهدي الحكيم نجل السيد محسن الحكيم، فعرض الوفد على السيد الحكيم استعداد الحزب للقيام بمهمة تحريك القواعد الشعبية وتفعيل الموقف مع حزب البعث الحاكم في العراق.

وقد أجابهم السيد الحكيم (قده) بعد استماعه اقتراحاتهم بنص قوله «لا أريد ذلك ينبغي أن يكون هذا الحزب - يعني حزب الدعوة - مخفياً»^(٣).

ويحدثنا السيد محمود الهاشمي - أحد أبرز تلامذة الشهيد الصدر - عن

(١) راجع حديث السيد كاظم الحائري في جريدة الجهاد بتاريخ ٤/ نيسان/ ١٩٨٣ - لـ (٢٠/ جمادي الثاني/ ١٤٠٣هـ الملحق ص ٣، وحديث الشيخ محمد باقر الناصري ص ٥ نفس المصدر، وراجع مقدمة مباحث الأصول للسيد الحائري ص ٨٨، وحديث الشيخ حسين البشير في جريدة الجهاد العدد/ ١٣١/ بتاريخ ٩/ نيسان/ ١٩٨٤م الموافق لـ (٧/ رجب/ ١٤٠٤هـ، ومقال الكاتب عباس الجنابي في جريدة لواء الصدر العدد/ ١٤/ بتاريخ - ٩/ نيسان/ ١٩٨٤ ص ١٢، وحديث السيد حسن شبر في مجلة الجهاد العدد/ ٢١/ سنة ١٤٠٧هـ، وحديث السيد محمود الهاشمي في جريدة الجهاد العدد/ ٣٢/ تاريخ ١٧/ جمادي الثاني/ ١٤٠٢هـ، وراجع لواء الصدر العدد/ ٢٩٥/ تاريخ ٩/ شعبان/ ١٤٠٧هـ ص ١٠ وغيرها من مئات المصادر.

(٢) من مقال للأستاذ عقيل الموسوي في جريدة الجهاد العدد/ ٢٣٢/ تاريخ ٧/ نيسان/ ١٩٨٦ الموافق ٢٧/ رجب/ ١٤٠٦هـ ص ١١.

(٣) راجع مجلة الجهاد ص ٤٣ العدد/ ١٢/ السنة الأولى/ ربيع أول/ ١٤٠٤هـ.

تلك الفترة وهدف الشهيد الصدر من تأسيس حزب الدعوة وغايته من ذلك، فيقول:

«لقد أسس الشهيد الصدر هذا الحزب على أساس الأصول الفقهية وعلى أصل ولاية الفقيه، ويمكن القول بجرأة: إن هذا الحزب هو أول حزب في تاريخ التشيع تكوّن على أساس ولاية الفقيه وعلى سير خط جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ومن المعلوم أن حزب الدعوة كان موضع غضب القوى الكبرى وعملائها في العراق فقد أصدروا القانون المعروف على أن كل من ينتمي إلى حزب الدعوة أو انتمى أو يتعاون معهم بشكل مباشر أو غير مباشر، فهو محكوم بالإعدام.

لقد كان الشهيد الصدر بمثابة الفقيه والأب الفكري والروحي لهذا الحزب، وكان السيد الشهيد الصدر أحد الذين طرحوا فكرة الحزب إن لم يكن السيد الشهيد المقترح الأساسي لحزب الدعوة، وكان قصد الشهيد من هذا التنظيم إنتشاره بين طبقة المثقفين والطلبة الجامعيين لكي يكونوا عوناً وسنداً سياسياً واجتماعياً لخط المرجعية وولاية الفقيه، وكان الشهيد يحس بأن هذه الفرصة يجب أن تغتنم وإلا - وبسبب عدم وجود تنظيم قوي مبني على أساس ولاية الفقيه في الشباب خصوصاً الجامعيين والمثقفين - يتجهون صوب التنظيمات الأخرى الإسلامية أو النصف إسلامية أو الإسلامية المبنية على غير هذا الخط، لهذا رأى في هذا الأمر ضرورة ملحة وطرح هذا الأمر وبقي يغذي التنظيم غذاء فكرياً وبالتدريج نمت هذه البذرة التي بذرها الشهيد في الواقع بشكل حزب الدعوة الذي تنامي خصوصاً في طبقة الجامعيين والمثقفين وفي تلك الفترة كان أغلب هؤلاء بشكل أو بآخر ذا ارتباط مع هذا الحزب.

إن الكادر المركزي لحزب الدعوة يسير على هداه ويؤمن بلباقتة الفقهية والايديولوجية ويمكن القول بأن (٩٥٪) من الجوانب والمواضيع الفكرية لحزب الدعوة كانت تستلهم من كتابات وافكار الشهيد الصدر»^(١).

(١) صحيفة جمهوري إسلامي - الناطقة باللغة الفارسية - بتاريخ: ١٩/١/١٣٦١ هـ. ش. في حديث مع السيد محمود الهاشمي.

ولقد كان تأثير الشهيد الصدر كبيراً في صفوف العلماء وطلاب جامعة النجف عموماً فكان يدعو المقربين منه من العلماء للإلتحاق والانضمام لحزب الدعوة ويوضح لهم ضرورة إنخراطهم في التنظيم الاسلامي بل وجوبه في وقت يواجه الإسلام أشرس هجمة استعمارية منظمة ضد وجوده وكيانه .

ولوحظ أن جلّ من انخرط في جامعة النجف الأشرف من طلاب العلوم الدينية بعد انطلاقه الدعوة الإسلامية التحق في صفوف حزب الدعوة وحلقاته وكان ذلك بفعل تأثير الشهيد الصدر الشخصي^(١) وفاعليته في دعم مسيرة الحزب، ولذلك واجه الشهيد الصدر حملة منظمة لتوزيع الاتهامات وإشاعة الأكاذيب والأباطيل بحجة حماية جامعة النجف الأشرف . وانها مهددة باخطار عديدة لا تحمد عواقبها، وتحرك هؤلاء الخثالة على المراجع وأكابر العلماء يومذاك من أمثال الإمام السيد محسن الحكيم وآية الله السيد الخوئي لتشويه شخصية السيد الصدر في أذهانهم وخلق الأجواء المناسبة للطعن في شخصية الشهيد الصدر فأوعزوا لبعض مريديهم بهذه المهمة فذهب أحدهم للسيد محسن الحكيم وتباكى أمامه على مستقبل المدرسة العلمية في النجف فغضب السيد الحكيم منه وأظهر له انزعاجه فولى خاسئاً ليعتذر لدى السيد إسماعيل الصدر شقيق السيد الشهيد ويؤكد تبريه من هذه الخثالة^(٢)، بينما ذهب آخر إلى السيد الخوئي ورام الطعن في شخصية السيد الصدر وأنه أسس حزباً إسلامياً فأجابه السيد الخوئي : لو أسس السيد محمد باقر الصدر حزباً فإني أول من أسجل اسمي فيه^(٣) .

وقد اختفى وراء هذه الحملة اعداء الإسلام للوقية بالحركة الإسلامية الواعية، وإعاقة حركتها والحيلولة دون المضي في مسيرتها الصاعدة، وفي مقدمة هؤلاء عصابة البعث في العراق حينما أشارت إلى بعض عملائها للقيام بهذه المهمة الشرسة فشمّر المنافقون سواعدهم لمثل هذه المهمة والقيام بها .

(١) مجلة الجهاد العدد/١٤/ سنة ١٤٠١هـ في حديث مع الشيخ علي الكواري ص ٤٢ .
(٢) (٣) في حديث للشيخ إبراهيم الأنصاري أحد تلامذة الشهيد الصدر في الحفل التأبيني لذكرى استشهاده الإمام الصدر في الحسينية النجفية بقم المقدسة بتاريخ ٩/شعبان/١٤٠٧هـ الموافق لـ ٨/نيسان/١٩٨٧م .

ومن الطريف ما ينقله السيد كاظم الحائري إذ يقول: «وقد حكى لي المرحوم السيد عبد الغني الأردبيلي وهو أحد تلاميذ السيد الشهيد المقربين: أنه حضر مجلساً في إيران وكان سماحة آية الله السيد الموسوي الأردبيلي^(١) حاضراً في ذلك المجلس - والقصة تعود إلى ما قبل إنتصار الثورة الإسلامية في إيران بسنين عديدة - وقد جرى في المجلس حديث عن وضع استاذنا الشهيد (ره)، وكان أحد مناوئي أستاذنا الصدر حاضراً في المجلس فانتقد صدرنا الشهيد بأنه قد أسس حزباً وهو ما لا يليق بشأنه. فأجابه آية الله الموسوي الأردبيلي قائلاً: إني كنت أعرف عن الصدر الكثير من محامده ولكنني لم أكن أعرف أنه بلغ من ذكائه وإتفاته للأمور وعلاجه للأوضاع إلى مستوى أن يؤسس حزباً إسلامياً يعمل في سبيل الإسلام، فهذه نقطة قوة، وليست ضعفاً. فألقم ذلك الرجل حجراً ولم يحر جواباً»^(٢).

ولم تقتصر هذه الحملة العدائية على شخص الإمام الصدر بل طالت كل من له أدنى علاقة معه، وأتهم تلامذته ومريديه بل ومقلديه بالحزبية والانحراف وغير ذلك من الأباطيل لا لذنوب سوى قُرْبهم من الشهيد الصدر.

وكانت هذه الحملة كافية لخلق المبررات لدى السيد الصدر (ره) لفك ارتباطه التنظيمي ليشرف على الحركة التنظيمية من الخارج، وبعد مرور أربع سنوات ونصف أو خمس سنين خرج السيد الشهيد من حزب الدعوة الإسلامية لينهج أسلوباً آخر يُؤمن له الاعتراف على حزب الدعوة مع المحافظة على موقعه العلمي والديني في جامعة النجف الأشرف.

ولم يختلف اثنان في خروج السيد الشهيد من التنظيم وفك علاقته الحزبية بيد أنهم اختلفوا في تفسير هذه الخطوة والأسباب التي دعت لها، مع العلم أن هذه التفسيرات متأخرة الولادة والمنشأ فهي وليدة أجواء الهجرة المتأخرة لجموع غفيرة من الإسلاميين إلى الخارج بعد استشهاد السيد الصدر و انقُت لهم الأجواء

(١) راجع ص ٧٧ في الهامش من هذا البحث.

(٢) جريدة الجهاد العدد/١٨٣ بتاريخ: ١/شعبان/١٤٠٥ - ٢٢/نيسان/١٩٨٥م. في حديث

للسيد الحائري ص ٧.

المساعدة في المهجر للإكثار من عملية فلسفة هذا الحدث وهذه الخطوة.

وأود أن أطمئن أنصار التنظيم أن فك العلاقة التنظيمية بين السيد الصدر وحزب الدعوة لا تُسيء إلى فكرة التنظيم ولا تؤثر على مسيرته ولا تقلل من أهميته مهما اختلفت التفسيرات في فلسفة هذه الخطوة ما دام الجميع يتفق على أن خروج السيد الصدر لم يكن لانحراف حزب الدعوة أو عدم نزاهته أو عدم ضرورة التنظيمات الإسلامية والاستغناء عنها، فلا موجب للأخذ والرد في هذه المسألة وإضاعة الوقت فيها.

ولكنني سأعرض - رغم ذلك كله - الاتجاهات والآراء في ذلك للأمانة التاريخية، وحق البحث الموضوعي.

الاتجاه الأول: ويرى أنصاره أن فك الشهيد الصدر علاقته التنظيمية مع الحزب كان استجابة للضغوط التي وجهت للسيد الصدر والهجمة الشرسة التي قادها أعداء الإسلام لإبعاد السيد الصدر عن حزب الدعوة لإعاقة مسيرة الحزب والقضاء عليه تدريجياً.

ويقوي هذا الاتجاه أن أنصاره هم أقرب إلى الحدث وأكثر إطلاعاً على أسبابه ودواعيه.

يقول الأستاذ صالح الأديب أحد الوجوه الإسلامية البارزة: «في صبيحة يوم من أيام الأشاعات تلك زارني السيد مهدي الحكيم، وحدثني بأن حسين الصافي النجفي - والذي كان في حينه معتمداً في النجف الأشرف وكان معروفاً في الوسط النجفي بأنه من البعثيين وعُيِّن في سنة ١٩٦٣ متصرفاً في لواء الديوانية، واقرنت باسمه الأزواجه الشعبية (مليوصة يا حسين الصافي) وأصبح بعد مجيء البعثيين في ١٩٦٨ وزيراً للعدل - زار المرجع الأعلى السيد الحكيم وأخذ يتحدث عن وجود حزب باسم حزب الدعوة الإسلامية في النجف وعلى رأس هذا الحزب السيد الصدر وولده السيد مهدي الحكيم والسيد محمد باقر الحكيم، وإن هذا الحزب هو امتداد لحزب «الايخوان المسلمون» وأفكارهم سُنِيَّة معادية لخط الشيعة وأهل البيت، ويريد هذا الحزب أن يجعل أبناءنا سُنَّة، ووجود هذا الحزب خطر على الشيعة وعلى النجف والحوزة العلمية.

وأخذ الصافي يكيل التهم والأباطيل ضد هذا الحزب الإسلامي المبارك، ويعد أن أنهى ما في جعبته، قال له السيد الحكيم: هل أنت أحرص من السيد الصدر على النجف والشيعية والحوزة، وردّه ردّاً جميلاً وطرده بهدوء.

وأثناء اللقاء المذكور بالسيد المرجع كان أحد نجلي السيد حاضراً في الغرفة المجاورة فاستدعاه السيد الحكيم وبين له ما كان، وطلب منه أن ينقل الموضوع إلى السيد الصدر ونجّله الثاني وبيّن رأي السيد بأن عليهم أن يعملوا للإسلام بعيداً عن الانتماء الحركي. وفعلاً تم تبليغهما بالأمر.

وبعد تداول الموضوع من قبلهم حرّر السيد الصدر رسالة لإخوانه في الدعوة في اليوم الثاني، وقد قام السيد مهدي بتسليم الرسالة إليّ لأنقلها بدوري إلى المتصدين في العمل الدعوي، وكانت الرسالة على ورق الرسائل ذي اللون الأزرق المتداول في تلك الأيام - أي القطع الكبير - وبصفحتين وبخطه الناعم اللطيف، ووجّه الرسالة إلى اخوته الأعزاء شرح فيها إيمانه العميق بضرورة العمل الإسلامي المنظم وما آلت إليه الأمة الإسلامية نتيجة الأساليب المنظمة لأعداء الإسلام وبأن تغيير هذا الأمر إلى ما يرضاه الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون إلا بالعمل المنظم، ثم ينقل الخبر الذي وصل إليه، وما طلبه السيد المرجع الأعلى، وبين في الرسالة أنه في الليلة الماضية، كان يفكر في الأمر كثيراً وانتابته حالة الاعياء نتيجة هذا الموضوع وذكر بأن قلبه كان يعتصر ألماً حيث كان يفكر بمسألة الإستجابة لطلب السيد الحكيم (ره) من باب طاعة المرجعية.

ثم يواصل الأستاذ الأديب حديثه فيقول: وفعلاً قمت بتسليم الرسالة إلى بعض الأخوة في الدعوة، وبعد الاطلاع عليها طلبوا مني أن أسلمها لآخوانه العاملين في الدعوة من العلماء في النجف الأشرف وكانت هذه القضية في سنة ١٩٦١م^(١).

وكان خروج السيد الشهيد (ره) من التنظيم خلق له متنفساً فصعد حركته العلمية والفكرية وتأهل فيما بعد - شيئاً فشيئاً - للقيادة والتصدي للمرجعية.

(١) جريدة الجهاد العدد/٢٣٢/بتأريخ: ٢٧/رجب/١٤٠٦ ص ١١ وراجع حديث السيد عقيل الموسوي نفس المصدر وحديث الشيخ الكوراني في مجلة الجهاد العدد/١٤/١٤٠١ ص ٤٢. وراجع مقدمة مباحث الأصول للسيد الخائري ص ٨٨.

ولم يكن الشهيد الصدر بعد فكّ علاقته العضوية مع حزب الدعوة بمعزل عنه وعن حركته وأفكاره وانطلاقة فكان (ره) الموجة الأولى والمربي الفكري والروحي الوحيد للحزب منذ خروجه من التنظيم وحتى استشهاده.

والإتجاه الثاني: ويرى أن السيد الصدر (ره) قد طرأ لديه شك فقهي في أصل دلالة آية الشورى على مشروعية قيام الحكومة الإسلامية، ولم يكن يتبنّى فقهاً حينذاك القول بالولاية المطلقة للفقهاء، وبما أنه أسس التنظيم من أجل هذه الغاية وارتبط به للسبب ذاته، شك في أصل جواز بقائه داخل التنظيم مما جعله يترك التنظيم في سنة ١٩٦٠م، لا على أساس أن التنظيم حرام بل على أساس أن مبرر وجوده كفقيه في التنظيم قد انتفى^(١).

وواضح أن في هذا الرأي خلط لا يخفى فهو لا يميز بين أصل إقامة الحكومة الإسلامية وشكل هذه الحكومة، ومن المعلوم أن تعيين شكلها متأخر رتبة عن مسألة إقامتها فالشك في شكل الحكومة لا يستوجب الشك في المسألة الأولى. وواضح أن آية الشورى تنصرف دلالتها إلى مسألة تعيين شكل الحكومة لا مسألة إقامة الحكومة فإن إقامتها أمر ضروري، فشك السيد الصدر في دلالة آية الشورى لا يستوجب الشك في بقائه على رأس التنظيم لأن وجود التنظيم وضرورته لا ترتبط بمسألة تعيين شكل الحكومة بل بمسألة إقامة الحكومة الإسلامية بل يرتبط بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة أحكام الله تعالى.

هذا، مضافاً إلى أن تأسيس حزب الدعوة بناء على دلالة آية الشورى غير واضح، ولو سلّم فإن الشك في دلالة آية الشورى يستوجب الشك في أصل بقاء التنظيم وليس فقط في بقاء السيد الشهيد كفقيه على رأس الحزب والعمل التنظيمي مع أن السيد لم يقدم على مثل ذلك بل انسحب لوحده دون إحداث أي شك في ضرورة بقاء حزب الدعوة.

وقد استمر العمل الحزبي في صفوف الأمة وشرائحها المختلفة وشعرت الحكومة العقلية بهذا التصعيد وفوجئت باقتحام الدعوة ميدان الصراع الفكري

(١) لواء الصدر العدد/١٤٤/ بتاريخ ٩/ نيسان/ ١٩٨٤م ص ١٢.

ونجاحها وتعاطف المثقفين والشباب وعلماء الدين معها وتزايد التجاوب معها، فبادرت إلى مطاردة العلماء والمثقفين من كوادر حزب الدعوة الإسلامية وألقت بمئاتٍ منهم في السجون وأوكار التعذيب وكان حصيلة هذه المطاردة والملاحقة صدور حكم الإعدام بقبضة الهدى الشهداء الخمسة السيد عماد الدين التبريزي والسيد عز الدين القبانجي والأستاذ حسين جلوخان والأستاذ نوري طعمة وعلى رأسهم الشيخ عارف البصري^(١) وذلك في عام ١٩٧٤ م بينما أودع آخرون السجن والحبس المؤبد.

وسبق ذلك اعتقال الشهيد الكبير أبي عصام دخيل وتعذيبه ثم إلقائه في حوض التيزاب وذلك في عام ١٩٧١ م.

وكانت هذه الهجمة مدروسة وقد خطط لها بشكل جيد لتطال أبرز العلماء والمفكرين وكانت الدعوة قد ضربت جذورها في داخل جامعة النجف ومدرستها العلمية خاصة في صفوف طلبة السيد الشهيد (رة) فـشعر السيد الصدر بعظم الخطورة التي ستواجهها مدرسة النجف العلمية وكان قد بذل كل ما في وسعه لخلق علماء واعين يؤمّل فيهم قيادة المجتمع وبناءه إسلامياً، وليس غريباً أن تهاجم السلطة مدرسة النجف - وهذا ما حصل فعلاً - بحجة وجود تنظيم سياسي في صفوف الطلبة والعلماء، ولذلك بادر في عام ١٩٧٤ م إلى إصدار حكمه بفصل التنظيم عن الحوزة وإبعاد الطلبة عن الحزب.

(١) ولد الشيخ عارف البصري عام ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٧ م وواصل حياته الدراسية في البصرة، وفي عام ١٩٦٠ هاجر إلى النجف الأشرف وانخرط في طلاب كلية الفقه وفي نفس الفترة كان يحضر أبحاث بعض العلماء في الفقه والأصول وفي عام ١٩٦٤ اختاره السيد محسن الحكيم وكيلاً له في بغداد فصار من أبرز علماء بغداد وأنشطهم مما سبب القلق والخوف للسلطات الحاكمة واثناء وجوده في بغداد انضم إلى جامعة بغداد وحصل على شهادة الماجستير في الشريعة الإسلامية وعين أستاذاً في كلية أصول الدين ببغداد.

وفي عام ١٩٧٢ اعتقل إثر تزايد نشاطه السياسي ليطلق سراحه بعد ذلك ثم اعتقل في عام ١٩٧٤ م مع صحبه الدعاء وحكم عليه بالإعدام ونفذ في يوم ١٩٧٤/١٢/٥ في سجن أبي غريب وقد ضرب وصحبه الأمثال الرائعة في الصمود والتحدي واستقبال الشهادة بصدرٍ إيماني رحب.

ولا يختلف اثنان في هذا الحكم ولكنهم اختلفوا في أسبابه ودواعيه وهو ما سنتعرض له في هذه الصفحات .

وقد سبق للسيد الصدر في عام ١٩٧٣م أن تصدى لرسم الخطوط الرئيسية في مسألة إشترك طلاب الحوزة في التنظيم وانخراطهم في صفوفه فأوضح (ره) أن اثنين منها خطان ثابتان : الأول : ويتمثل في ضرورة الفصل بين جهاز المرجعية الصالحة والعمل الحزبي ويتمثل الثاني : في عدم البأس بإشترك الطلاب غير المرتبطين بجهاز المرجعية .

أما الخط الثالث فهو خط متحرك وقد سمح على أساسه بانخراط العلماء المرتبطين بجهاز المرجعية في صفوف الحزب إذا كان ذلك ضرورياً لتوقف العمل الحزبي على وجودهم ويؤدي إنسحابهم إلى إرباك العمل .

يقول السيد الخائري بعد ذكر هذه الخطوط التي أوضحها السيد الصدر أنه «حينما اعتقلت السلطة الكافرة في العراق ثلة من العلماء الاعلام وثلة من المؤمنين الكرام وكان بضمنهم الشهداء الخمسة : الشيخ عارف وصحبه، وكان بضمنهم ايضاً السيد الهاشمي وكنت أنا وقتئذٍ - والكلام ما زال للسيد الخائري - في إيران وأفرجت السلطة بعد ذلك عن جماعة منهم السيد الهاشمي وبقي جماعة آخرون في الاحتجاز أصدر الاستاذ الشهيد رحمه الله كلمته المعروفة التي ذكر فيها فصل الحوزة العلمية كاملة عن العمل الحزبي وكان هذا بتاريخ (١٠/شعبان/١٣٩٤هـ) . وكتبت بعدئذٍ رسالة إلى أستاذنا الشهيد أستفسره فيها عما هو المقصود الواقعي عن هذه الكلمة فذكرت له : أن الاحتمالات عندي أربعة :

أولاً : أن يكون المقصود بهذه الكلمة لحاظ مصلحة في أصل ذكرها ونشرها كتنقية (وعلى حد تعبير علماء الاصول المصلحة في الجعل) .

ثانياً : أن يكون المقصود بهذه الكلمة أولئك العلماء والطلاب المرتبطين بمرجعيتكم وإن اقتضت المصلحة ابرازها على شكل العموم .

ثالثاً : أن يكون المقصود بهذه الكلمة فصل طلاب الحوزة العلمية في العراق عن العمل الحزبي درءاً للخطر البعثي عنهم الذي يؤدي إلى إبادةهم .

رابعاً: أن يكون المقصود فصل جميع الحوزات العلمية في كل زمان ومكان عن العمل الحزبي الإسلامي (وعلى حد تعبير الأصوليين تكون القضية حقيقية وليست خارجية). وعلى الاحتمال الأخير يكون تعلقي على هذه الكلمة: «أن هذا الأجراء سيؤدي في طول الخط إلى انحراف الحركة الإسلامية الحزبية عن مسار الإسلام الصحيح نتيجة لابتعادها في أجوائهم الحزبية عن العلماء الاعلام.

فكتب لي رضوان الله عليه في الجواب: «إني قصدت المعنى الأول والثاني والثالث دون الرابع»^(١).

فالحكم الذي أصدره السيد الصدر كان من أجل الحفاظ^(٢) على الحوزة وكيانها خاصة الثلة التي أشرف على تربيتها وتوجيهها خشية أن تتعرض للإعدام والملاحقة فتتهاوى كل الآمال، ولذلك لا يمكن قراءة نص الحكم^(٣) الذي أصدره السيد (ره) لمعرفة مراده لأنه لا بد أن يكون بصيغة تظمّن السلطة من خلال جدية السيد الصدر في إبعاد الحوزة عن الحزب ولذلك صاغه السيد الصدر بلغة توجي للسلطات أنه مراده الأول والأخير.

وقد أبلغ السيد الصدر الدعوة بالأسباب التي دعتة إلى اتخاذ هذا القرار وبعث السيد عبد الكريم القزويني وكلفه السفر إلى الحج ليلتقي الشيخ محمد مهدي الأصفى ويبلغه هناك أن هذا الرأي ليس ضد الدعوة بل بداعي حفظ البقية الباقية منهم^(٤).

ولكن هذا الحكم لم يستمر، فما إن اندلعت الثورة الإسلامية في إيران وانتصرت الإرادة الإسلامية على الحكم الجائر حتى بعث السيد الصدر على أحد

(١) مقدمة مباحث الأصول ص ١٠٠.

(٢) راجع حديث الشيخ حسين البشير في جريدة الجهاد العدد/١٣١/بتاريخ ٧-٢/رجب/١٤٠٤هـ، وحديث الشيخ الناصري في جريدة الجهاد العدد/٢٣٢/بتاريخ ٢٧-٢٧/رجب/١٤٠٦هـ، ومقال الأستاذ علي الأديب في مجلة الجهاد العدد/٥/تاريخ ٢٩/رجب/١٤٠٣هـ.

(٣) راجع جريدة نواء الصدر العدد/١٤٤/السنة الثانية بتاريخ ٩/نيسان/١٩٨٤م ص ١٢.

(٤) راجع مجلة الجهاد العدد/١٢/بتاريخ ١/ربيع أول/١٤٠٤هـ ص ٤٦.

الوجوه البارزة آتتد لحزب الدعوة الإسلامية وقال له فيما قال: إن كلمتي التي أصدرتها حول انفصال الحوزة عن العمل الحزبي قد انتهت أمدها^(١). ولذلك بادر الكثير من العلماء إلى إعادة العلاقة التنظيمية التي كانت تربطهم بحزب الدعوة.

ومن الجدير بالذكر أن السيد الصدر في إصدار حكمه بخصوص فصل الحوزة عن التنظيم كان ناظراً إلى تلك الفترة الخطرة التي مرت بها الحوزة والتنظيم معاً، وإنه (ره) لم يكن يولي بعد ذلك الأهمية لحكمه، وما يؤيد ذلك أن جلّ وكلائه في مختلف مناطق العراق كانوا اعضاء في حزب الدعوة قُدر عددهم ثمانين وكيلاً كان ستة عشر وكيلاً منهم في بغداد وحدها^(٢) وهذا يؤكد عملياً أن السبب الذي دعا السيد الصدر لإصدار هذا الحكم ليس إلا عملاً تكتيكياً لمراوغة السلطات والحفاظ على الحوزة العلمية والدعوة ايضاً.

أما عن تأييد السيد الصدر لحزب الدعوة فإنه مع كونه أول من بذر هذه البذرة وشارك في بنائها فإنه كان (ره) يساهم مساهمة فعالة في دعم حركة التنظيم في المجتمع خاصة في صفوف العلماء و صفوف المثقفين.

ومن الطريف ما ينقله السيد عبد الرحيم الشوكي إذ يقول: «لقد حدث لفظ كثير بشأن العمل الحزبي ومكان الشيخ عارف البصري رحمه الله من التنظيم، وكنت ذات يوم في الحضرة الشريفة لأمر المؤمنين علي عليه السلام فرأيت السيد الصدر (ره) جالساً وهو يقرأ الزيارة فدنوت منه وجلست إلى جانبه حتى فرغ من قراءته بادرته بالسؤال عن العمل مع الشيخ عارف البصري، فإذا به يجيبني: الشيخ عارف البصري أخونا، الشيخ عارف البصري أخونا، الشيخ عارف البصري أخونا، إعمل معه»^(٣).

فكان السيد الصدر (ره) الأب الذي يرعى حركة الدعوة ومسيرتها الفكرية والسياسية ودعمها ولم يعرف عنه في أية فترة أنه اعتزلها أو قلل من دعمه لها وفي

(١) مقدمة مباحث الأصول للسيد كاظم الخايري ص ١٠٠ نقلاً عن السيد محمود الهاشمي الذي نقل الخير.

(٢) راجع مجلة الجهاد العدد/١٢/ بتاريخ ١/ربيع أول/١٤٠٤ هـ ص ٤٠.

(٣) نقلاً عن السيد الشوكي في حديث له بتاريخ ٨/شعبان/١٤٠٧ هـ في طهران.

الفترة الأخيرة التي سبقت استشهاده أشيع على لسان السيد الصدر أنه يرى تحجيم العمل الإسلامي فكتب له أحد وكلائه وأحد الوجوه الحزبية آنذاك رسالة لمعرفة مدى صدق هذه الأخبار فكتب له بطريقة مبهمـة «سماحة آية الله السيد الصدر دام ظله: أفنونا مأجورين، هناك إشاعة بأنكم تنهون عن إقامة صلاة الجمعة فما هو رأيكم؟» فأجابه السيد الصدر «بسمه تعالى: لا صحة لهذه الإشاعة التي وردت عنا، وأحكام صلاة الجمعة موجودة في باب الصلاة فراجع».

وأرفق مع الرسالة مبلغاً قدره (١٠٣٥) ديناراً^(١).

وكان (ره) يوصي بالدعوة ويحث على التعاون معها وهذا ما نقله عنه الشيخ حسين البشيرى. فإنه قال: «إني تشرفت بزيارة السيد الصدر خلال فترة اعتصامه فذكر لي: إن حزب الدعوة لا يمكنه أن يتحمل عبء الكفاح المسلح لوحده وعلى الجماهير أن تتعاون معه وعليكم أن تدعوهم لذلك»^(٢).

وكان حزب الدعوة محلّ عناية السيد الصدر ويأمل فيه أملاً كبيراً، وهذا ما تمّ فعلاً فقد أصبح الحزب وقتئذٍ القوة الضاربة للمرجعية وكانت عملية البيعة لقيادة السيد الصدر والوفود التي أخذت تترى على السيد من تخطيط حزب الدعوة الإسلامية^(٣) وقد انفق السيد الصدر مع حزب الدعوة على تصعيد الموقف ضد السلطة الحاكمة في العراق وهذا ما حصل أيضاً فبعد أن اعتقل السيد الصدر خرجت التظاهرات في مختلف مناطق العراق مستنكرة هذه العملية الجبّانة ولم تكن هذه التظاهرات أمراً ارتجالياً كما يصوّره البعض بل كانت من تخطيط مسبق بين السيد الصدر وحزب الدعوة الإسلامية^(٤).

وكان أروع موقف من مواقف السيد الصدر ودعّمه لحزب الدعوة رفضه لمطالب السلطة الحاكمة فقد عرضت عليه مطالب أربعة لقاء الأفراح عنه.

١ - الافناء بجواز الانتهاء لحزب البعث.

(١) راجع جريدة الجهاد العدد/٢٣٢/ بتاريخ ٢٧/ رجب/ ١٤٠٦ هـ ص ١٠.

(٢) راجع جريدة الجهاد العدد/١٣١/ بتاريخ ٧/ رجب/ ١٤٠٤ هـ ص ٧.

(٣) صوت العراق/ العدد/ ٧٦/ بتاريخ: ٨/ شعبان/ ١٤٠٨ هـ من حديث للسيد حسين الصدر.

(٤) الجهاد السياسي للسيد الصدر، ص ١٣٧ السيد صدر الدين القبّانجي.

٢ - الافتاء بحرمة الانتفاء لحزب الدعوة الإسلامية .

٣ - عدم دعم الثورة الإسلامية في إيران .

فلم يستجب السيد الصدر لواحدة من هذه المطالب رغم أن السلطات الحاكمة كانت قد أصدرت قرار حكم الإعدام الذي لا مثيل له في تاريخ العالم فأصر السيد على تحريم الانتفاء لحزب البعث وعدم تحريم الانتفاء لحزب الدعوة الإسلامية وإدامة تأييده للثورة الإسلامية في إيران .

وموقفه من عدم تحريم الانتفاء لحزب الدعوة الإسلامية دليل على مدى عناية السيد الصدر بهذا التنظيم ، وقد نقل عنه السيد محمود الهاشمي انه قال : أوصيكم بالدعوة خيراً فإنها أمل الأمة^(١) .

ومن الغريب جداً أن يعتمد بعض الكتاب الى تأويل كلام السيد الصدر فيقول ان السيد الصدر قال أوصيكم بشباب الدعوة الإسلامية وأبنائها خيراً فأنهم أمل الأمة^(٢) . ولا أدري ما المبرر الذي دعاه لمثل هذا التأويل وما المقصود منه .^(٣)

(١) لواء الصدر العدد ١٤٤ بتاريخ ٩ نيسان ١٩٨٤ .

(٢) لواء الصدر العدد ١٤٤ بتاريخ ٩ نيسان ١٩٨٤ من مقال لكاتبه عباس الجنابي ص ١٢ .

(٣) راجع كتابات الشهيد الصدر التنظيمية في الملاحق .

الباب الثاني

الشهيد الصدر في جماعة العلماء

في عام ١٩٥٨م وأثناء المذ الشيوعي الأحمر^(١) الذي غزا العراق بعد انقلاب عبد الكريم قاسم تأسست جماعة العلماء في النجف الأشرف، وكان تأسيسها وليد الحاجة الملحة التي شعر بها العلماء لعدم وجود حركة علمائية تواجه الخطر الذي يهدد الكيان الاسلامي الذي كان مفاجئاً ولم تستعد له النجف لمواجهة ومقاومته، فبادر العلماء الاعلام - من المستويات العالية من أهل الفضل ممن يعدّ من الطبقة الثانية في المستوى العلمي أي بعد طبقة المراجع وأكابر الفقهاء - إلى تجميع الطاقات وبناء كتلة علمائية فضمت عشرات العلماء والمفكرين، وحظيت بدعم وتأييد المراجع وفي مقدمتهم السيد محسن الحكيم.

(١) الحزب الشيوعي العراقي تم تأسيسه تحت إطار تنظيمي أطلق عليه اسم «لجنة مكافحة الاستعمار» في ٣١/آذار/١٩٣٤ وانتخب «عاصم فليح» سكرتيراً عاماً لهم وفي شهر تموز من عام ١٩٣٥ اتخذت اللجنة المركزية قراراً بإعلان اسم الحزب الشيوعي العراقي بدلاً من لجنة مكافحة الاستعمار وقد صعد الحزب الشيوعي عمله في العراق بعد إنقلاب الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ إثر إعلان بدء العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وقادة الانقلاب الجديد وقد فسح لهم عبد الكريم قاسم العمل علانية فدخلت العناصر الشيوعية الدوائر الرسمية ذات المستوى السياسي والإعلامي والعسكري ونال العديد من الكوادر الشيوعية قرب عبد الكريم قاسم واعتمد عليهم في تدبير سياسة العراق فاستبشر الشيوعيون بالنصر وإمكان استلام السلطة في العراق فاعلنوا الحرب على المقدسات الدينية والعلماء وما زال العراق يحفظ بذاكرته الوحشية والارهاب الشيوعي، وكان عبد الكريم قاسم قد شعر بالخطر من جراء تأييده لهم بيد إن الظروف لم تسمح له بضربهم لأنه كان على خلاف مع جمال عبد الناصر فلم يبق من اعوانه سوى الحزب الشيوعي بعد أن سحبت الأحزاب القومية والوحدوية تأييدها لعبد الكريم قاسم.

وفي الاحتفال الكبير الذي أقيم في المسجد الهندي بالنجف الأشرف وفي مولد سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام أعلن الشيخ حسن الجواهري البيان الأول لجماعة العلماء^(١).

والحقيقة أن جماعة العلماء هذه لم تكن على درجة من التنظيم والتنسيق وإنما هي تجمع علمائي يفتقر إلى الإدارة والهيئات واللجان والأنظمة الداخلية والعامل الأول الذي ساعد في إنجاح عمل جماعة العلماء ودفع مسيرتها هو وجود بعض الأشخاص الواعين من العلماء الشباب كان في مقدمتهم الإمام الشهيد الصدر الذي لم يتجاوز عمره حينذاك السادسة والعشرين الذي يُعدُّ الجندي المجهول في هذه الجماعة حين وقف وراء كل أعمالها الجهادية ومواقفها الإسلامية الرائعة.

أما الوجوه البارزة التي ضمت جماعة العلماء فهم^(٢):
الشيخ مرتضى آل ياسين: وهو عميد جماعة العلماء وأبرز وجوهها على الإطلاق وقد كان على درجة من الوعي والشعور بالمسؤولية، وبذل كل ما في وسعه من أجل حماية هذه الجماعة والدفاع عنها.
وقد مرت ترجمته في الفصل الأول^(٣).

الشيخ حسين الهمداني: هو الشيخ حسين بن الشيخ علي رضا الهمداني النجفي، ولد في همدان من محافظات إيران سنة (١٣٠٣هـ) ونشأ على أبيه فدرس مقدمات العلوم هناك ثم هاجر إلى النجف الأشرف فأتى دراسة السطوح في الحوزة العلمية على لفيف من الأفاضل وقرأ على الحجة أبي تراب الخونساري وحضر قليلاً من أبحاث الشيخ ضياء الدين العراقي ثم لازم الميرزا محمد حسين النائيني والسيد أبا الحسن الاصفهاني حتى صار من أفاضل العلماء ومشاهير الفقهاء وعرف بالزهد والورع والتقوى، وكان لوجوده في جماعة العلماء الأثر الكبير باعتباره من الوجوه العلمائية الكبيرة والمعروفة بالزهد والورع^(٤).

(١) جريدة الجهاد ص ١٣ العدد/٣٣٦/ بتاريخ ١/رمضان/١٤٠٨هـ.

(٢) لم نقصد من ذكرهم الحصر وإنما نذكر العدد المناسب الذي يعطي الصورة الواضحة عن هذه الجماعة.

(٣) أنظر ص ٢٣ من هذا البحث.

(٤) طبقات اعلام الشيعة في القرن الرابع عشر: ٦٦٢/٢ للطهراني.

الشيخ خضر الدجيلي: الشيخ خضر بن الشيخ عباس الدجيلي النجفي من العلماء الاجلاء وأكابر الفقهاء، ولد في حدود سنة (١٣٠٣هـ) ونشأ على حب الفضيلة فقرأ المبادئ والمقدمات، ودرس السطوح على لفيف من أهل الفضل والعلم ثم حضر بحث الشيخ علي الجواهري وبحث الشيخ ضياء الدين العراقي، وصار من مشاهير الفقهاء ممن يشار إليهم بالبنان وعرف بالأوساط العلمية فتخرج على يديه جملة من العلماء والفضلاء في النجف وترك أثراً جليلاً من مصنفاته في الفقه والأصول^(١)، وقد انضم الشيخ الدجيلي إلى جماعة العلماء منذ الأيام الأولى لتأسيسها فكان من الوجوه البارزة في هذه الجماعة.

السيد باقر الشخص الاحسائي: هو السيد باقر بن السيد علي الإحسائي المعروف بالشخص من العلماء الأفاضل ولد في القارة من قرى الإحساء في الجزيرة العربية سنة (١٣١٦هـ) وترعرع فيها ونمى ثم أتى به إلى النجف الأشرف سنة (١٣٢١هـ) فقرأ المقدمات والسطوح على بعض الأفاضل من العلماء ثم حضر أبحاث أكابر العلماء من أمثال الميرزا محمد حسين النائيني والشيخ محمد حسين الاصفهاني والشيخ محمد رضا آل ياسين ثم أصبح من علماء النجف المعروفين^(٢).

توفي في شهر رمضان سنة (١٣٨١هـ) وهو في مقدمة العلماء الذين انضموا إلى جماعة العلماء.

السيد محمد تقي آل بحر العلوم: السيد محمد تقي بن السيد حسين من أحفاد السيد مهدي الطباطبائي المعروف ببحر العلوم، وهو من المدرسين آنذاك في الحوزة من أعلام الفقهاء في النجف ولد سنة (١٣١٨هـ) في النجف وأخذ المقدمات والسطوح على بعض الفضلاء ثم لازم أبحاث أكابر الفقهاء من أمثال الميرزا محمد حسين النائيني والسيد أبي الحسن الاصفهاني والشيخ محمد رضا آل ياسين، وقد أشتهر السيد محمد تقي بالتدريس فكان محط رحال العلماء^(٣).

(١) طبقات اعلام الشيعة: ٦٩٩/٢، ماضي النجف وحاضرها: ٢٧٦/٢.

(٢) نقباء البشر: ٢١٣/١، معارف الرجال: ٢٠٠/٢.

(٣) نقباء البشر: ٢٥٠/١.

الشيخ حسن الجواهري : الشيخ حسن بن الشيخ محمد يتسبب إلى الفقيه الكبير الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، ولد في النجف سنة (١٣٢٠هـ) ونشأ على أبيه وتربى على يديه وقرأ المقدمات على بعض الأفاضل في الحوزة وقد أتمجه إلى الأدب وبرع فيه واشتهر بالكتابة والقصص مع شاعرية فيأضة وبديهة سريعة وله آثار منها ديوان شعره «الأنغام» و«حياة أبي فراس» وقد نشرت له كثير من القصائد والمقالات الأدبية في بعض المجلات كمجلة (العرفان) ومجلة (الاعتدال)^(١).

وكان الشيخ الجواهري من أعضاء جماعة العلماء البارزين سواء في التأسيس أو فيما بعد التأسيس.

الشيخ محمد رضا المظفر: ولد الشيخ المظفر في مدينة النجف في الخامس من شهر شعبان سنة (١٣٢٢هـ) وتوفي والده وهو صغير لم يتجاوز عمره الستة أشهر فكفله أخواه وتلمذ عليهما ثم حضر عند أفاضل الحوزة وواصل دراساته العليا فحضر أبحاث الميرزا محمد حسين النائيني والشيخ محمد حسين الأصفهاني وآغا ضياء الدين العراقي والشيخ محمد حسن المظفر شقيق المترجم له. ثم حصل على درجة الاجتهاد وأجازه كل من أخيه المظفر والشيخ محمد حسين الأصفهاني والسيد عبد الهادي الشيرازي.

وقد برع الشيخ المظفر إلى جانب براعته في الفقه والأصول في الشعر والعلوم الرياضية العالية والمنطق والعلوم الطبيعية.

وقد ترك المظفر مصنفات جليلة منها: «أصول الفقه، والمنطق، وحاشية على المكاسب والسقيفة وفلسفة ابن سينا، وأحلام اليقظة في ترجمة الحكيم ملاً صدرها وغيرها من المصنفات الجليلة.

وكان الشيخ المظفر في جملة العلماء الواعين فكان أحد اثنين أو ثلاثة ممن يتصدى للأمور السياسية من أمثال الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والشيخ عبد الكريم الجزائري.

(١) نقيب البشر: ٤٣٤/١.

وكان متطلعاً لإصلاح شؤون الجامعة العلمية في النجف فتصدى عام (١٣٥٤) إلى تأسيس مدارس (متدى النشر) التي هي بمثابة الدراسة ما قبل الدراسات العالية في الحوزة ثم أسس (كلية الفقه) عام (١٣٥٧هـ).
ويعدّ الشيخ المظفر من أبرز رجالات جماعة العلماء لما يتمتع به من وعي سياسي وحكمة وواقعية^(١).

الشيخ محمد طاهر آل راضي : محمد طاهر عبد الله بن الشيخ راضي النجفي ، ولد سنة (١٣٢٢هـ) في النجف الأشرف وأخذ علومه من مقدمات وسطوح عن علماء النجف أمثال الشيخ قاسم محيي الدين والشيخ محمد طه والشيخ نصر الله الحويزي والشيخ أبي الحسن المشكيني وغيرهم ، ثم انصرف للدراسات العليا فحضر أبحاث أكابر الفقهاء ومراجع الدين أمثال الميرزا النائيني والشيخ محمد حسين الأصفهاني وضياء الدين العراقي والشيخ محمد رضا آل ياسين وغيرهم من العلماء .

وقد حضر أبحاث الفلسفة على جملة من أشهر علماء الفلسفة كالشيخ محمد تقي الأملي والشيخ صدرى البادكوبي والسيد ميرزا حسن البجنردى^(٢).

وكان الشيخ محمد طاهر آل راضي هو الآخر من أعيان جماعة العلماء البارزين .

السيد موسى بحر العلوم : هو السيد موسى بن السيد جعفر بن السيد محمد - صاحب بلغة الفقيه - من العلماء الفضلاء وأجلة الأدباء ، ولد في النجف جمادى الثانية من عام (١٣٢٧هـ) ونشأ بها وتوفي والده في عام واحد وعمره إذ ذاك سبع سنوات فكفله بن عمته السيد علي بحر العلوم وعنى بتوجيهه وتربيته فانخرط في صفوف الجامعة الدينية وحضر لدى العلماء أثناء دراسته للمقدمات والسطوح ثم واصل أبحاثه لدى آغا ضياء الدين العراقي والشيخ حسين الحلبي والسيد الخوئي وغيرهم من أساطين الفقه والأصول^(٣).

(١) نقباء البشر: ٧٢٢/٢، معارف الرجال: ٢٤٧/٢، موسوعة العتبات المقدسة (مدارس النجف القديمة والحديثة) ص ١٨٤، ماضي النجف وحاضرها: ٣٦٠/٣.

(٢) معارف الرجال: ٣١٢/١، ماضي النجف وحاضرها: ٣٠٣/٢.

(٣) شعراء الغري: ٥٢٢/١١.

وقد ساهم السيد بحر العلوم في هيئة جمعية رابطة الأدباء وساهم في تأسيس جمعية منتدى النشر وهو من أعضاء جماعة العلماء أيضاً.

الشيخ محمد جواد آل راضي : الشيخ جواد بن الشيخ عبد الرضا من أفاضل العلماء وأجلة الأدباء ولد في النجف عام (١٣٢٩هـ) ونشأ بها على أبيه وأخذ عن بعض الفضلاء مقدمات العلوم والسطوح ثم حضر على فريق من أكابر الفقهاء منهم السيد محسن الحكيم والسيد الخوئي والشيخ حسين الحلي والسيد حسن البجنردي^(١).

وضمت جماعة العلماء وجودات علمائية أخرى أمثال محمد تقي الايرواني والسيد إسماعيل الصدر والشيخ محمد طه الكرمي والسيد مرتضى الخلخالي وغيرهم من أفاضل العلماء، وقد ترجمنا لبعض دون آخر لنعين الباحثين على البحث عن هذه الجماعة وتأريخها ورجالها وليس بالأمكان ترجمة معظم علماء الجماعة في هذا الفصل لأنه لا يمثل إلا دراسة مختصرة عن تأريخ جماعة العلماء ووضع الخطوط الرئيسة لعملها وإنجازاتها.

ومن الطريف جداً أن أعداء الإسلام خلقوا وجوداً مقابل جماعة العلماء أطلقوا عليه اسم (جماعة رجال الدين الأحرار) ولقب كل من اعضائها بـ «آية الله» وقد ضمَّ الشيخ علي كاشف الغطاء العميل المخضرم الذي إذا دخل مجلساً انفض جمهوره والشيخ عبد الكريم الماشطة «المُرشد الديني للحزب الشيوعي العراقي» والشيخ مجيد زاير دهام الذي حضر جنازة ذات يوم فانفض المشيعون فحمل عليه أقارب المتوفى وصفعه أحدهم على مشهد من الناس وسقطت عمامته فاعتزل في بيته ليموت هماً بعد ثلاثة أيام.

وكان الشيخ عبد الكريم الماشطة وراء حملة التشكيك بجماعة العلماء فقد أصدرت جماعة العلماء في النجف مناشير حملت أرقام واحد واثنين فبادر عبد الكريم الماشطة وبايعاز من أسياده إلى تشويه جماعة العلماء فأصدر من مقره في الحلة منشوراً زعم أن جماعة العلماء هذه لا تحظى بدعم وتأييد العلماء ومراجع

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٣٠٢/٢، شعراء الغري: ٤٥٦/٧.

الدين، فسعى علماء جماعة العلماء إلى كشف حقيقة عبد الكريم الماشطة وتكذيب مزاعمه فبادر الشيخ مرتضى آل ياسين إلى جمع تأييد المراجع وكان في مقدمتهم السيد محسن الحكيم والسيد عبد الهادي الشيرازي والسيد محمود الشاهرودي والسيد الخوئي والسيد مهدي الشيرازي والسيد عبد الله الشيرازي والشيخ عبد الكريم الجزائري وغيرهم^(١) ولم يتخلف عن ذلك سوى واحد منهم إلتف حوله ذوو الاتجاهات المنحرفة فاعتذر للشيخ مرتضى آل ياسين عن كتابة الدعم والتأييد وأظهر إنه لا يجب أن يدنس ثيابه ولما توفي خرج في تشييعه الشيوعيون وفاء لموقفه.

مجلة الأضواء:

لقد كان السيد الشهيد الصدر(ره)العنصر الفعال الذي دفع بجماعة العلماء إلى الامام لتخوض المعركة الفكرية والسياسية مع أعداء الإسلام، وكان في مقدمة ما أنجزته جماعة العلماء صدور مجلة ناطقة باسم هذه الجماعة وتمثل أفكارها ومتبنياتها حملت اسم الأضواء وكان صدور أول عدد لها في الخامس عشر من ذي الحجة عام تسع وسبعون، وثلاثمائة، وألف الموافق للعاشر من حزيران عام (١٩٦٠م) وصدرت تحمل عنوان الأضواء كنشرة إسلامية وإنما سميت نشرة لأنها غير مجازة، وكانت نشرة نصف شهرية.

ولقد كان السيد الشهيد(ره)وثلة من أصحابه العلماء الواعين المشرفين على صدور هذه المجلة وما تنشره من أفكار فكانت كلمة جماعة العلماء تحت عنوان «رسالتنا» بقلم الشهيد الصدر بينما كان السيد محمد حسين فضل الله يكتب «كلمتنا»، وكان الشهيد الصدر مهتماً للغاية باستمرار صدور هذه المجلة باعتباره عملاً ضخماً له الأثر الكبير في بناء المجتمع الإسلامي وساهم في نشر الثقافة الإسلامية بشكل لا يقوى أي كتاب على القيام بهذه المهمة مهما قُدِّر له من نجاح.

ولقد صرَّح السيد الشهيد(ره)باعتقاده هذا في رسالة بعثها لأحد العلماء في العراق وهو في لبنان يتحدث فيها عن الدور الحقيقي لمجلة الأضواء جاء فيها:

(١) راجع ملحق رقم ٧.

« إن هذه الأداة التي تغزو في هذا النطاق - الواسع - ناهيك عن أثرها في داخل العراق لجديرة بالاهتمام مهما كانت ضعيفة الآن. فليقال لمقام سيدنا السيد الحكيم دام ظله: افترضوا أن كتاباً إسلامياً يطبع على نفقتكم في كل سنة وأن فائدة الأضواء أكثر من الكتب بكثير. وليقال له: «إن نور الأضواء نفذ حتى إلى القرى التي استطاعت أن تصل إليها في لبنان»^(١).

وقد وعى أعداء الإسلام الدور الكبير الذي تلعبه مجلة الأضواء وما تقدمه للمجتمع من غذاء فكري وثقافي أصيل فراموا الطعن فيه والقضاء عليه فاستغلوا بعض الثغرات الموجودة في التشكيلة التي تتألف منها جماعة العلماء ومن ذلك أن جُلَّ من كان يكتب في مجلة الأضواء هو من أنصار السيد الصدر ولم يكن الصدر يومها عضواً رسمياً في جماعة العلماء لصغر سنه إذ كان السيد إسماعيل الصدر أصغر العلماء في هذه الجماعة ولكن وجود الشيخ مرتضى آل ياسين سمح للسيد الصدر أن يقوم بمهام جماعة العلماء العظيمة وفي مقدمتها إصدار مجلة الأضواء ولم تكن اللجنة المشرفة على إصدار المجلة تعرض ما يكتب على الجماعة للاشراف المباشر خشية إبداء بعض الملاحظات من قبل شيوخ الجماعة الذي من شأنه أن يمس الصيغ الجديدة التي كانوا يقدمونها للأفكار الإسلامية التي كانت تمد التيار الإسلامي الواعي بالوقود والعطاء^(٢).

ومن أجل ذلك حاول أعداء جماعة العلماء أن يشككوا فيما يصدر من أفكار في مجلة الأضواء وإنها مجردة من الدعم ولا تمثل سوى أفكار السيد الصدر وصحبه الشباب وأنها لا تمثل رأي شيوخ الجماعة وكبار العلماء فيها.

ومن جملة الأحداث التي ساهمت في خلق هذه المشكلة هو اعتراف الشاه المقبور في إيران بإسرائيل اعترافاً واقعياً وعلى أثر ذلك أرسل الشيخ محمود شلتوت رئيس الجامع الأزهر يومذاك رسالة للسيد الحكيم طلب منه استنكار ذلك والضغط على الشاه لسحب اعترافه بإسرائيل وقام السيد فعلاً بالضغط على الشاه وأرسل إلى السيد محمد البهبهاني أحد المقربين من الشاه ولكنه كان محل احترام في ذاته أن يحاول الضغط على الشاه وفي

(١) الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر ص ٣٤.

(٢) الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر ص ٢٠.

الأثناء قامت مجلة الأضواء بنشر رسالة الشيخ شلتوت ورسالة السيد الحكيم وعلّقت على ذلك بشكل مثير مما أثار الانقسام في صفوف علماء النجف إلى فريقين مع الأضواء وضد الأضواء، ويبدو أن انقسامهم كان نتيجة العلاقات الخفية للسافاك الإيراني بحيث استطاع اقناع بعض العلماء بخسارة الموقف ضد الشاه وكان موقف السيد الحكيم حازماً وقوياً لدعم جماعة العلماء ومجلتها الأضواء وقد كتب الشهيد الصدر لأحد تلامذته سنة (١٣٨٠هـ) شرح له واقع المعركة التي خاضتها مجلة الأضواء فيقول (ره): «... أما واقع الأضواء فهو واقع المجلة المجاهدة في سبيل الله، غير أن حملة على ما اسمع شتّها جملة من الطلبة ومن يسمّى بأهل العلم أو يحسب عليهم وهي حملة مخيفة، وقد أدت على ما قيل الى تشويه سمعة الأضواء في نظر بعض أكابر الحوزة حتى كان جملة ممن يسميهم الأخوندي «مُقدّسين» أو وجهاء لا يتورعون عن إلصاق أشنع التهم بالأضواء وكلّ من يكتب فيها، ولا أدري ما هو مصير هذه الحملة؟ بل بالأحرى ما هو مصير هذه الحوزة التي تعيش هذا الوضع»^(١).

وكتب أيضاً: «... لقد كانت بعدك أنباء وهنبئة وكلام وضجيج وحملات متعددة جُنّدت كلها ضد صاحبك وبغية تحطيمه... إبتدأت تلك الحملات في أوساط الجماعة التوجيهية المشرفة على الأضواء أو بالأحرى لدى بعضهم ومن يدور في فلکهم فأخذوا يتكلمون ويتقدون ثم تضاعفت الحملة وإذا بجماعة تنبري من أمثال (حسين الصافي) ولا أدري ما إذا كانت هناك علاقة سببية وارتباط بين الحملتين أو لا؟ تنبري هذه الجماعة فتذكر عني وعن جماعة ممن تعرفهم شيئاً كثيراً من التُّهم من الأمور العجيبة...»^(٢).

وكتب (ره): كما أن هناك زحمة من الاشكالات والاعتراضات لدى جملة من الناس أو الأخوندية في النجف على النشرة وخاصة (رسالتنا) باعتبار أنها كيف

(١) الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر ص ٥٠.

(٢) مقدمة مباحث الأصول ص ٧٤، ص ٧٥.

تنسب إلى جماعة العلماء مع انها لم توضع من قبلهم ولم يطلعوا عليها سلفاً وأن في هذا هدراً لكرامة العلماء، هذا في الوقت الذي يقول الأخ... إن الكلمة في بغداد متفقة على أن رسالتنا كتابة تجديد وابتكار تختص بمستواها الخاص عن بقية الأضواء»

وكتب أيضاً: «لا أستطيع أن أذكر تفصيلات الأسماء في جماعة العلماء وحملتها على الأضواء... ولكن اكتفي بالقول بأن بعض الجماعة كان نشيطاً في زيارة أعضاء جماعة العلماء لإثارتهم على الأضواء وعلى رسالتنا حتى لقد قيل إن الشيخ الهمداني الطيب القول قد شوهت فكرته عن الموضوع... وهذا الذي حصل بالنسبة للشيخ الهمداني حصل بالنسبة إلى جملة من الطلبة مع الاختلاف في بعض الجهات»^(١).

أما موقف عميد الجماعة الشيخ مرتضى آل ياسين فكان ثابتاً فواصل دعمه وتأييده للخط الثوري والواعي في جماعة العلماء المتمثل في شخص السيد الصدر وصحبه من العلماء الواعين.

كتب السيد الشهيد أيضاً لتلميذه هذا يشرح له موقف الشيخ آل ياسين فيقول: «فانني أجيبك على سؤالك فيما يخص موقف الخال فإن الشيخ الخال كان في الكاظمية بعيداً عن الأحداث نسبياً ولم يطلع إلا على سطحها الظاهري، وهو ماضٍ في تأييده للأضواء ومساندته لها، وقد طلب... أن يكتب إلى بعض جماعة العلماء لتطبيب خاطرهم وجلب رضاهم عن الأضواء، فكتب إلى... وأخبره بأن الأضواء لم تكن تصدر إلا بعد مراقبته وإشرافه وأنها تناط الآن ب... كما أخبره بأن كاتب (رسالتنا) سوف ينقطع عن الكتابة...»^(٢).

وفعلاً فقد انقطع السيد الشهيد عن الكتابة في الأضواء في العدد السادس من مجلة الأضواء ليدع المجلة تسير وتخطو خطاها.

(١) مقدمة مباحث الأصول ص ٥٧.

(٢) ن. م ص ٧٥.

* لقد اعتمدنا في كتابة بعض فصول قصة جماعة العلماء على المعلومات التي أدلى بها لنا الشيخ محمد باقر الناصري يوم الأحد بتاريخ ٦/ محرم/ ١٤٠٨ هـ.

والحقيقة أن جماعة العلماء كانت خليطاً غير متجانس في الوعي والإدراك
والاهتمام فنشأ الاختلاف تبعاً لذلك وقدّر للجندي المجهول أن ينسحب ويهدوء
كما دخل إليها بهدوء.

هموم الشهيد والأمة الإسلامية

لقد كان همّ الشهيد الصدر (قده) كبيراً تعدى إقليم العراق وتجاوز حدود الطائفة الشيعية فعاش لأبناء الأمة الإسلامية يفكر في محنتهم وآلامهم جميعاً ويتمنى لهم الخلاص ونيل الحرية وكسر قيود الذل والصغار.

لم يكن إقليمي التفكير يوماً ما، بل كان يُروّض نفسه للتفكير في شعوب البلاد الإسلامية كتفكيره بشعب العراق.

كان يقول رحمه الله: «أنا حينها مرّ بالعراق المدّ الأحمر الشيوعي، كنت ألف مرة ومرة أمتحن نفسي بأوجه إلى نفسي هذا السؤال: إني أشعر الآن بالألم شديداً!! لأن العراق مهدّد بخطر الشيوعية لكن هل إني سوف أشعر بنفس هذا الألم وبنفس هذه الدرجة لو أن هذا الخطر وجّه إلى إيران بدلاً من العراق، لو وجّه إلى باكستان بدلاً من العراق وإيران، لو وجّه إلى أي بلد آخر من بلاد المسلمين الكبرى بدلاً عن هذه البلاد؟

هل سوف أشعر بنفس الألم أو لا أشعر بنفس الألم؟ أوجّه هذا السؤال إلى نفسي حتى أمتحن نفسي لأرى أن هذا الألم الذي أعيشه لأجل تغلغل الشيوعية في العراق هل هو لأجل خير سوف ينقطع عني؟! أو لمقام شخصي سوف يتهدم؟! أو لكيان سوف يضيع؟! لأن مصالح الشخصية مرتبطة بالإسلام إلى حدّ ما.

فهل إن ألمي لأجل أن هذه المصالح الشخصية أصبحت في خطر؟! إذا كان هكذا.. إذن فسوف يكون ألمي للشيوعية في العراق أشد من ألمي للشيوعية في إيران.. أو أشد من ألمي للشيوعية في باكستان.

وأما إذا كان ألمي لله تعالى، إذا كان ألمي لأني أريد أن يُعبد الله في الأرض وأريد أن لا يخرج الناس من دين الله أفواجاً. فحينئذٍ أرتفع عن حدود العراق وإيران وباكستان، سوف أعيش لمصالح الإسلام، سوف أفاعل مع الأخطار التي تهدد الإسلام بدرجة واحدة دون فرق بين العراق وإيران وباكستان وبين أرجاء العالم الإسلامي الأخرى!!^(١) .

نعم! إن حياة الشهيد الصدر كانت أسمى من التفكير الاقليمي أو الطائفي، فلقد جند كل ما في وسعه للتفكير في شؤون المسلمين وهمومهم والامهم وأماهم معاً. وقد أنشأ في بيته ضمن العشرة الأخيرة من سني عمره المبارك مجلساً اسبوعياً كان يضم عينة طلابه وكان يتداول معهم البحث في مختلف الأمور الاجتماعية والقضايا الأساسية، وكان يطرح في هذه الجلسات الكثير من مشاكل المسلمين في شتى أرجاء العالم. وكان يبرز لمن يحضر هذه الجلسات مدى تبني الشهيد لتلبية حاجات المسلمين وفي كل مكان من البلاد الإسلامية وغيرها وتفكيره الدائب في كل ما ينفع الإسلام والمسلمين وتخطيطه الحكيم للحوزات العلمية ولملء الشواغر العلمية في كل بلد يوجد فيه تجمع إسلامي ولإرشاد العاملين ضد الكفر والطاغوت في جميع البلدان وتنشيط الحيوية في المسلمين جميعاً.^(٢)

— فلسطين كانت الجرح الدامي في قلب كل مسلم واعٍ يتطلع إلى إنقاذ هذه التراب المقدسة من براثن الغزاة، ولكن ما الحيلة والصمت مطبق ويتجاهر الحُكّام بعمالتهم دون حياء، بل يعاقب المسلم إذا ما نفوه بكلمة بشأن فلسطين.

هذه التراب المقدسة كانت عيون الإمام الشهيد الصدر ترمق إليها بأسى وألم ويستنكر الصمت والخنوع الذي خيم على المسلمين فكتب رضوان الله عليه: «... واليوم وهذه حالة المسلمين في تفرقهم وتشتتهم وتوزع عقولهم، وقلوبهم، تقوم في قلب العالم الإسلامي في فلسطين جماعات من الناس لا يجمع بينها وطن ولا لغة، ولا ثقافة ولا عادات، ولا تقاليد. شراذمٌ تجمعت من قارات الدنيا كلها تريد أن

(١) من محاضرة للسيد الشهيد، انظر «المحنة» ص ٤٩.

(٢) مقدمة مباحث الأصول ص ٨٩.

تبنى لنفسها وجوداً مستقلاً... هؤلاء اليهود وهم ماضون في تجربتهم هذه مصرّون عليها.

هذه التجربة تضع المسلمين وجهاً لوجه أمام قضية وجودهم كمسلمين ومضيزهم كمسلمين»^(١).

هذا ما كتبه في مجلة الأضواء في فترة زمنية خيم على المسلمين كابوس الجهل والتهرّب من المسؤولية الشرعية.

وعندما يتعرض المسجد الأقصى للمحاولات الصهيونية الرامية إلى النيل من المسجد وقد تمثلت هذه المحاولات في عدة أعمال منها إحراق المسجد، فإن السيد الصدر (ره) حثّ السيد محسن الحكيم على إصدار بيان بهذا الشأن إلى كافة المسلمين لاستنكار هذا العمل الجبان وتحريض المسلمين للضغط على الحكومات الخائنة، وتم ذلك فعلاً وقام الشهيد الصدر بزيارة لبنان وإيصال البيان إلى اسماع العالم وإلى مؤتمر رؤساء الدول الإسلامية. وقد كتب رضوان الله عليه لأحد أصدقائه وهو متفائل بنجاح عمله:

«أكتب إليكم هذه السطور، وقد شعرت بالرغم من الآلام التي لا تطاق بشيء من الارتياح لإيصال بيان سيدنا الأعظم عن حريق المسجد الأقصى. وقد كنت أفكر في إرسال رسول لهذا الغرض»^(٢).

كل هذا كان والسيد الصدر في عنفوان الشباب. فهل سكنت الثورة في نفسه؟ وهل يش من إنقاذ فلسطين أو التحرق عليها؟

كلا! فحين أقدم السادات المقبور على خطواته الخيانية وزيارته لتل أبيب ومحادثاته مع زعماء الصهاينة والتي تمخضت عنها إتفاقيات كامب ديفيد عام (١٣٩٩هـ) بعث السيد الشهيد ببرقية استنكار عاجلة للسادات حذّره من مغبة المضي في هذه المحاولات واخبره بفداحة الجرم الذي اقترفه بحق المسلمين وأنذره بعاقبته التي ينالها على أيدي أبناء المسلمين لقاء جريمته بحقهم وبحق مقدساتهم^(٣).

(١) الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر ص ٤٧.

(٢) الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر ص ٣٥.

(٣) جريدة الجهاد العدد ١٨١/ بتاريخ ١٧/ رجب/ ١٤٠٥ - ٨/ نيسان/ ١٩٨٥م.

ولعلّ الشهيد الصدر الوحيد الذي أصدر مثل هذا البيان وقد تسترت عليه السلطات الحاكمة في العراق رغم تظاهرها بالعداء لأنور السادات ومحاولاته التي تكشف فيما بعد خطوط الارتباط الوثيقة بينهم وبين السادات .

— وفي زيارته للبنان^(١) والتي قدمها للقيام بعدة أعمال إسلامية، لاحظ الشهيد الصدر(ره) انخفاض الوعي الإسلامي وتدني الثقافة الإسلامية بين صفوف أبناء الشعب اللبناني المسلم واقتحام الثقافة الغربية بحيث سيطرت على مفاهيمهم وتصوراتهم، فلم يترك الشهيد الصدر(ره) هذه الحالة دون علاجها وبالقدر الذي تسمح به الظروف، فراح يبحث مع علماء لبنان عن العلاج السريع والناجع للقضاء على هذه الحالة، وكان الشهيد الصدر قد كتب لأحد أصدقائه يشرح له هذه الحالة ويصفها له فيقول :

«دأبت منذ دخلت لبنان على تكرار مفاهيمنا عن الإسلام التي تبدو هنا غريبة كلّ الغرابة وتباحثت في تلك المفاهيم مع عدة من الأشخاص كالشيخ محمد جواد مغنية، وكان مقصودي من ذلك بث شيء من الوعي — إلى درجة ما — في بعض الأذهان»^(٢).

— أفغانستان الإسلامية ومحنة الشعب الأفغاني المسلم، كانت من هموم الشهيد الصدر والأمه فكان يتحرق ألماً ويقطر قلبه الطاهر دماً وهو يسمع أنباء الغزو العسكري لأفغانستان من قبل القوات السوفيتية الغازية فكان(ره) يوصي العلماء ويؤكد لهم على ضرورة دعم الموقف الإسلامي في أفغانستان لشحذهم المجاهدين الأفغان، ومن أجل ذلك وجّه بيانه للشعب الأفغاني^(٣) يحثه على مواصلة الجهاد ويناشد المسلمين على تقديم العون لهذا الشعب المظلوم الذي يفتقر إلى لقمة العيش فكيف يؤمن السلاح لجهاد العدو.

وقد ترك الشهيد الصدر أنفاسه على الساحة الأفغانية فكثير من علمائها هم من تلامذة الشهيد(ره) وقد ترك آثاره على العمل السياسي فيها أيضاً فعدد من

(١) لم يغادر الشهيد العراق إلا للبنان في زيارته هذه وذهابه لحج بيت الله الحرام .

(٢) الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر ص ٨٣ .

(٣) راجع ملحق رقم ٩ .

المنظمات والأحزاب الإسلامية تتبنى أفكاره كحركة الدعوة التي أعلن عن تأسيسها عام ١٩٧٩م وأكثر مؤسسيها من تلامذة الشهيد الصدر ولها علاقة وثيقة بالحركة الإسلامية في العراق^(١).

— محنة الأكراد في شمال العراق^(٢) كانت محل عناية الشهيد الصدر(ره) فعندما شنت السلطة البعثية الغاشمة حربها ضد المسلمين الأكراد في عام «٦٩ — ٧٠» جمع السيد الشهيد خيرة تلاميذه متحدثاً عن مشاكل وأوضاع الأمة تطرق إلى هذه الحرب الظالمة وطلب من هؤلاء التلاميذ أن يتحسسوا الآلام والمحن التي يعيشها شعبنا الكردي المسلم ومن المعروف أن السيد الشهيد امتنع عن إعطاء فتوى في مقاتلة الأخوة الأكراد حيث طلب إليه البعثيون ذلك، كما أنه حرّم على كل ضابط أو جندي المشاركة الفعلية بشكل وآخر بهذه الحرب وأكد على ضرورة التخلص من هذا المأزق الشرعي^(٣).

وقد أراد السيد الشهيد أن يعبر الشعب العراقي وكل مسلم عن رفضه إسلامياً لهذه الحرب وذلك في محاضرة له عن المحنة إذ يقول:

«مثلاً هناك محنة يعيشها العراق منذ سنين وسنين، محنة صراع مسلح بين أخوين مسلمين في الشمال، بين بعض الأكراد وبعض العرب، هذه المحنة يعيشها العراق.

قد يكون شعور بعض الناس إزاء هذه المحنة أن هذه المحنة كلّفته ولده، كلّفته أخاه، كلّفته صديقه، لأنه أخذ أخوه أو أخذ صديقه إلى المعركة فقتل، قد يعيش هذه المحنة على هذا المستوى ويشعر بها بهذه الدرجة، وهذا هو الشعور الشخصي المحدود بالمحنة، وموقفه إزاء هذا الشعور أن يهرّب أخاه، أن يهرّب أباه، أن يتهرّب من واجبات القانون حتى لا ينخرط في مأساة من هذا القبيل ولا يرى له واجباً من وراء ذلك.

(١) الخارطة السياسية لأفغانستان ص ٦٠ مجلة الجهاد العدد/٥/ رجب (٢٩/ رجب/ ١٤٠٣هـ).

(٢) وقد كان للسيد محسن الحكيم موقفاً مشرفاً تجاه قتال الأكراد لا ينسأه الأكراد أبداً.

(٣) الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية في العراق ص ٤٨.

وأخرى يتعمق هذا الشعور أكثر فأكثر فيكون شعوره ازاء المحنة شعوراً إقليمياً على أساس أن أبناء البلد الواحد يتصارعون ويتنازعون فيما بينهم، وهذا الشعور والأنفعال الإقليمي تجاه المشكلة يؤدي إلى إتخاذ موقف أوسع من الموقف الأول، إلى موقف يفكر فيه بأنه كيف يعيد الصفاء والسلام إلى أبناء البلد الواحد.

وقد يكون شعوره أعمق من هذا وذاك، قد يشعر بازاء المحنة أن هذه المحنة هي نتاج عدم تطبيق شريعة الله تعالى على هؤلاء المسلمين أن عدم تطبيق شريعة الله عليهم هو الذي أدّى إلى تعميق التناقض بين الأخ وأخيه حتى ولدت مشكلة بين هذا وذاك وتصارع الكردي والعربي.

حينئذ هذا الشعور سوف يولّد موقفاً يختلف عن الشعور السابق الإقليمي أو الشعور الأسبق الشخصي، سوف يجعله هذا الشعور يحمل همّ الشريعة ويصل إلى السبب الحقيقي لهذا التوتر^(١).

يرى السيد الشهيد أن محنة الشعب الكردي تكمن في عدم تطبيق أحكام الله تعالى وعدم تحكيم الشريعة الإسلامية التي لو خُلّيَ بينها وبين الواقع لحقت هذه الدماء لأنها تلغي الفوارق العرقية والقومية لتؤمّن حقوق العربي والكردي معاً.

— الثورة الإسلامية في إيران من أعظم الأحداث في الزمن المعاصر وهو بحق معجزة القرن العشرين ولم يتصور أحد أن شيخاً بهذه السن ينجح في قيادة الشعب المسلم ليسقط أكبر صرح شاهنشاهي وأكبر وكر للاستكبار العالمي في المنطقة الإسلامية.

ولم تكن الثورة الإسلامية حدثاً مفاجئاً — وإن كان هو كذلك من ناحيته — بل كانت للثورة جذور بعيدة في تاريخ إيران ولم تكن قيادة الإمام الخميني أمراً طارئاً في يوميات هذه الثورة وإنما عاش آلام أمته وقاد شعبه زمناً طويلاً زاد على الثمانية عشر عاماً.

(١) أنظر المحنة ص ٢٦، ص ٢٨.

ولست الآن بصدد كتابة فصول هذه الثورة وإنما بصدد موقف الإمام الشهيد الصدر منها ومن قيادتها.

إن موقف النجف الأشرف من الثورة في إيران وقائدها الإمام الخميني اتسم بالتناقض وعدم الوعي الحقيقي لهدف هذه الثورة وقائدها فقد وقف علماء النجف إلى جانبها في بداية أحداثها وهي فترة مطالبة الإمام بالغاء القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية وأصدروا عدة بيانات تندد بهذه القوانين وأرسلوا الرسائل تلو الرسائل للشاه المقبور مستنكرين ذلك، غير أنهم ما لبثوا أن تراجعوا وكان مهمتهم انتهت خاصة بعد نفي الإمام الخميني إلى تركيا ثم إلى العراق.

موقف الشهيد الصدر (ره) كان ثابتاً منذ البداية حتى استشهاده رضوان الله عليه فقبل انتصار الثورة الإسلامية بثمانية عشرة سنة أعلن الشهيد الصدر عن إكباره بقيادة الإمام الحكيمه فكتب رسالة لأحد أصدقائه: «... وأما بالنسبة إلى إيران فلا يزال الوضع كما كان والسيد الخميني مبعّد في تركيا من قبل عملاء أميركا في إيران وقد استطاع السيد الخميني في هذه المرة أن يقطع لسان الشاه الذي كان يتهم المعارضة باستمرار بالرجعية والتأخر، لأن خوض معركة ضد إمتيازات جديدة للأمريكان المستعمرين لا يمكن لإنسان في العالم أن يصفها بالرجعية والتأخر...»

وقد بالغ السيد الشهيد في نصرة الثورة الإسلامية وتهيئة الأجواء لتسجيل مواقف التأييد وكان يتحدث لجلسائه دوماً عن قيادة الإمام الخميني الحكيمه وقدراته الهائلة في تحريك الجماهير الإيرانية المسلمة.

وشاءت الأقدار أن ينفي الإمام الخميني إلى تركيا لتبدأ هجرة الانتصار فيمكث في تركيا فترة ليست بالقصيرة ليقرر الهجرة إلى العراق حيث النجف الأشرف وشعر الكثير من العلماء بالخرج والضيق تجاه الهجرة هذه، بينما شمر الشهيد الصدر عن ساعديه وقرّر استقبال الإمام الخميني بشكل يتناسب مع شخصيته كعالم بارز ومرجع كبير مضافاً إلى شخصيته القيادية، وتابع جهوده

واتصالاته المكثفة وبشكل منظم وتم إنجاح الاستقبال في بغداد وكربلاء والنجف وكان استقبالاً حافلاً وكبيراً في ذلك الوقت.

ولما حلَّ الإمام الخميني في النجف بدأ في إتصالاته مع المراجع في النجف للضغط على الشاه المقيور ودعم الثورة الإسلامية في إيران وقد اتضح له الفتور في تأييدهم وكأن الغاية كانت في شخص الإمام الخميني وقد سلم من المخاطر.

ولقاؤه مع السيد الحكيم (ره) تكشف عن واقع النجف يومذاك وموقف المرجعية مع أن السيد الحكيم يمثل الخط الثوري والواعي بالنسبة لغيره من المراجع ورغم كل هذا فإن موقفه لم يكن بالمستوى المطلوب.

في زيارته للسيد الحكيم يُحذِّد الإمام الخميني له زيارة إيران للأطلاع على الأحداث من قرب وبجلاء. ثم يقول: إننا نحمل عمل السيد البروجدي على الصحة في موقفه تجاه الشاه وكذلك أنتم لعدم وصول الأخبار إليكم.

السيد الحكيم: ما هو أثر هذه الزيارة؟

الإمام: إن هناك أثراً قطعاً، لأن في إتحاد العلماء الأثر الكبير.

السيد الحكيم: إذا كان ذلك بطريق عقلائي فهو أمر جيد.

الإمام: نعم! هو المطلوب وإلا فالتحرك غير العقلاني ليس مورد بحثنا.

السيد الحكيم: إن الناس لا يتبعونا، إنهم يكذبون.

الإمام: كيف يكذبون وقد تحملوا ما تحملوا من سجن، ونهب للأموال.

السيد الحكيم: إنهم يتبعون شهواتهم وأغراضهم المادية.

الإمام: إني عندما كنت في تركيا حدثوني أن أربعين من علماء أهل السنة في عهد أتاتورك قاموا ضده فحاصروهم الجيش وقتلوا جميعاً، أما نحن علماء الشيعة فلا أنا ولا أنت ولا غيرنا خرج من رأسه دم. أنا أخجل لذلك!

السيد الحكيم: ما هو أثر قتلنا؟

الإمام: إن من آثار قتلنا هو أن يثبت التاريخ أن جملة من علماء الشيعة عندما أراد الشاه القضاء على الدين قاموا ضده وقتلوا دون الدين.

السيد الحكيم : وما هي فائدة التأريخ ؟

الإمام : وما فائدة ثورة الإمام الحسين ؟

السيد الحكيم : لماذا لم يقيم الإمام الحسن ؟

الإمام : قام الإمام الحسن أول الأمر ، ولم يقيم معه أحداً ! أما أنت فمعك مقلدين في جميع البلدان الإسلامية .

السيد الحكيم : لا يقوم أحد معي .

الإمام : إذا قمت فأنا أول من يتبعك .

فيضحك السيد الحكيم ويصمت !^(١)

ولست بصدد التعليق على هذه المحاوراة وإنما بصدد أن أثبت الفتور في موقف النجف تجاه الإمام وثورته وموقف السيد الحكيم مع وعيه وحيويته تنبئك عن حقيقة الآخرين .

أما موقف السيد الشهيد فقد كان ثابتاً واعياً للموقف وللأهداف التي ترمقها القيادة الإيرانية المتمثلة بالإمام والتي يهدف إلى تحقيقها وإن الأحداث تلك ليست عاصفة في فنجان أو مجرد نزوة أو . . . وإنما هي ثورة يُراد لها أن تقلب النظام الفاسد لتستعويض عنه حكومة الإسلام وهذا ما لم تدركه النجف وقيادة النجف .

ففي النجف مَنْ كان يسخر من الإمام ويعجب من آماله ومنهم من يرى أن وجوده في النجف خطر على الجامعة الدينية في النجف وقسمٌ من هؤلاء كان على مقربة من السيد الحكيم ، ولا شك أنهم حاولوا على الأقل إلقاء الحجب وإسدال الستائر بين السيد الحكيم وحقيقة الثورة وقائدها .

ولم يكن السيد الشهيد (ره) في تأييده للإمام الخميني وثورته بوسعه أن يخلق الأجواء التي تغير موقف النجف لأنه لم يكن يومئذٍ مرجعاً له من القدرة ما للمراجع الآخرين .

(١) نهضت إمام خميني ، باللغة الفارسية ص ١٥١ ج ٢ .

وقد استمر السيد الشهيد في تأييده للثورة الإسلامية وقائدها وكان على اتصال دائم به، وقد استثمر السيد الشهيد كل وسيلة لدعم الإمام وقد تصدى للمرجعية فكان يرسل أجلة تلامذته كالسيد محمود الهاشمي والسيد محمد الصدر لحضور بحث الإمام بل إنه أوصى بتوزيع ونشر الكراسات للدروس التي يلقيها الإمام الخميني في ولاية الفقيه^(١) وهذا ما لا يقدم عليه فاضل من فضلاء الحوزة فكيف بمرجع من قبيل الشهيد الصدر.

وكان الشهيد الصدر يبادر إلى كسر الحصار النفسي الذي ضرب على السيد الإمام بحيث يخشى الناس زيارته خوفاً من بطش السلطات، فعندما استشهد السيد مصطفى نجل الإمام الخميني بادر السيد الشهيد إلى تعطيل درسه وزيارة الإمام ومواساته وأقام مجلساً تأبينياً على روح السيد مصطفى مضافاً لحضوره الدائم في مجلس السيد الإمام التأبيني على روح نجله.

وأروع موقف له حين رفض الإمام الخميني شروط السلطة العميلة التي أرادت فرضها عليه في مقابل البقاء في العراق قرر سماحته مغادرة العراق إلى الكويت وتم سفره في ساعة مبكرة صباحاً وحين علم السيد الشهيد بقرار الإمام القائد قرر (ره) زيارة الإمام رغم ما يترتب على ذلك من آثار وحساسيات أمنية من ناحية السلطة العميلة حيث كانت قوات الأمن قد طوّقت منزل السيد الإمام والشارع والأزقة المؤدية إليه، وقرر السيد الشهيد الذهاب إلى منزل الإمام وكان قد تحدث قبل ذهابه بضرورة زيارة الإمام لأنه بمثابة تأييد ومساندة للإمام في هذا الطرف وقد ذهب السيد الشهيد فعلاً وزاره في بيته ومكث عنده مدة من الزمن، وهو المرجع الوحيد الذي وقف هذا الموقف المشرف في وقت عزّ فيه من يجرؤ على التقرب من الزقاق الذي يقع فيه منزل الإمام فضلاً عن الدخول فيه^(٢).

وكانت زيارة السيد الشهيد للإمام الخميني مورد السؤال والتحقيق من قبل السلطات يوم اعتقاله (ره) وسأل عن سبب التحدي الذي أبداه في ذلك.

وغادر الإمام الخميني العراق ليستقر في فرنسا فكان السيد الشهيد (ره) قد

(١) جريدة الجهاد العدد/٣٢/ بتاريخ ١٧/٢/١٤٠٢ هـ في حديث للسيد محمود الهاشمي.
مقدمة الباحث ص ١١٤.

صعد تأييده أكثر فأكثر وقد بدت علائم النصر تظهر فأرسل للإمام الخميني رسالة مفتوحة^(١) حيا فيها بطولة الشعب الإيراني وقيادته الحكيمة.

وكان (ره) يرقب الأحداث عن كثب فما إن هرب الشاه من إيران حتى بدئ للسيد الشهيد أن يشير على الإمام الخميني الإسراع في العودة إلى إيران للفراغ السياسي الذي تركه الشاه خشية أن يفكر الاستكبار العالمي في ملء هذا الفراغ ولعلّ الشهيد الصدر أول من أشار بذلك على الإمام^(٢).

وظل السيد الشهيد (ره) ثابتاً في موقفه فما أن انتصرت الثورة الإسلامية في إيران حتى أعلن عن سقوط الصرح الشاهنشاهي وذلك في مجلس بحثه وأعلن تعطيل الدرس لهذه المناسبة العظيمة ثم بعث الإمام الخميني رسالة تأييد وتبريك بانتصار الثورة الإسلامية إذ لم يجرؤ أحد قبله على ذلك.

وقد عبر الشعب العراقي عن ابتهاجه فخرجت التظاهرات بهذه المناسبة فرقت الأولى بسلام بينما جابه نظام البعث الثانية والتي انطلقت من مسجد الخضراء بالضرب والملاحقة والاعتقال، وكان الشهيد الصدر الوحيد الذي طالب السلطة باطلاق سراحهم وأذعنت السلطات لطلبه وهذا ما لم يجرؤ عليه أحد.

أما العون الفكري فإنه كان أحد فعاليات الشهيد الصدر في دعم هذه الثورة فبعث باقتراحاته بشأن وضع الدستور إلى الإمام الخميني بيد مبعوث له وقد تمثلت هذه الاقتراحات في البحوث التي طبعت فيما بعد باسم «لمحة فقهية عن دستور الدولة الإسلامية في إيران أو الإسلام يقود الحياة في خمس حلقات».

وظل رحمه الله عيناً ساهرة على مستقبل الثورة خشية المآمرات التي تحاطب ضدها وكان في جملتها مشكلة العرب في إيران فبادر إلى مناشدة العرب^(٣) هنا لأجل توعيتهم وخوفاً من أن تنطلي عليهم ألا عيب الاستكبار العالمي.

(١) راجع ملحق رقم ٨.

(٢) استشهاد الإمام محمد باقر الصدر من منظور حضاري ص ٣٥، العلاقة التاريخية: الثورة ص ٤٣ للسيد الشهيد بالإمام.

(٣) راجع ملحق رقم ١٠.

وكذلك الحرب التي شنها صدام المجرم ضد الجمهورية الإسلامية فإن الإمام الصدر شعر بها وترامت إلى أسماعه أخبار الإعداد لها فأخبر أحد تلامذته قائلاً: «بلغ المؤمنين عني حرمة محاربة راية الخميني»^(١).

وقبل أن أختم حديثي عن مواقف الشهيد - التي قدر لنا العثور عليها - من الثورة الإسلامية وقائدها أشير الى جنائية أحد مؤرخي الثورة الإسلامية من الكتاب الإيرانيين الذي يقول في كتابه «كان حزب الدعوة يضمّر الحقد للإمام الخميني فجدّد قواه من أجل الدعاية لمرجعية السيد الخوئي واعتبروه المرجع الأعلم وكان لإعلامهم الأثر الكبير في البلدان الإسلامية مثل باكستان واطند وافغانستان ولبنان ودول الخليج وكان السيد محمد باقر الصدر وراء هذه الحملة الذي أفقّى بأعلمية السيد الخوئي وأنه أعلم من في الأرض»^(٢).

ولا يهمني الطعن بحزب الدعوة - وإن كان ذلك باطلاً للمواقف المشهودة للدعوة من الإمام - بقدر ما يهمني الطعن بالسيد الصدر فحسبك ما ذكرته من مواقفه الجريئة التي لا يقدم عليها فاضل في الحوزة فضلاً عن مرجع. مضافاً إلى أن القضية ليست أكثر من مسألة تقليد. مع العلم أن الكاتب ذكر نفسه أن السيد موسى الصدر سئل عن الأعلم فذكر أن الأعلم على الترتيب هم: السيد الخوئي، السيد شريعتمداري، السيد محمد باقر الصدر، الإمام الخميني.

ولا أدري لماذا اتهم الدعوة وقصد من وراء ذلك الطعن بالشهيد الصدر ولم يتهم السيد موسى الصدر.

نعم! «تلك شنشنة أعرفها من أخزم».

- وهموم الشهيد الصدر كبيرة جداً ووسعت الأم المسلمين فظهرت آثارها في البلاد الإسلامية رغم الفواصل البعيدة فتونس البلد الإفريقي الذي يبعد عن العراق آلاف الكيلو مترات وجل أهله من أهل السنة تهتدي الحركة الإسلامية بفكر الشهيد الصدر وتستنير بفيض ونمير علمه وحسبك أن حركة الاتجاه الإسلامي

(١) الجهاد/العدد/٢٨٣/بتاريخ ٧/شعبان/١٤٠٧هـ.

(٢) نهضت إمام خميني ج ٢/٥٦٧ - ٥٦٨.

في تونس التي أعلن عنها في حزيران عام ١٩٨١م وزعت كتابين فقط ككتب
أساسية معتمدة من الحركة وهما كتاب «اقتصادنا» وكتاب «فلسفتنا»^(١).

وفي مصر أجرت مجلة المجلة الصادرة بلندن للشؤون الإسلامية
تحقيقاً عن واقع الحركة الإسلامية في مصر فذكرت المجلة أن مصادر
الفكر الرئيسية للحركة الإسلامية هم حسن البنا وسيد قطب ومحمد باقر
الصدر^(٢).
والحقيقة أن هموم الشهيد الصدر وآثار فكره ونشاطه بحاجة إلى تحقيق
وبحث شامل مستقل.

(١) الجهاد العدد ٣١/ بتاريخ ١٠/ج/١٤٠٢هـ نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتية.

(٢) ن، م.

الباب الرابع

المرجعية في حياة الشهيد الصدر

المرجعية هو التعبير الديني للقيادة السياسية في أوساط الشيعة الإمامية فالمرجع هو القائد السياسي وخليفة الإمام المنصوب ونائبه وكان ذلك بعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام بناءً على التوقيع الشريف الصادر عنه «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا . . .» .

وكان للمرجعية الدور الكبير في الدفاع عن الإسلام والذود عن حياضه مما حدى بالاستكبار العالمي وأعداء الإسلام الكيد لجهاز المرجعية والتقليل من شأنه وتحديد فاعليته، ووقفه عابرة وفاحصة في آن واحد تظهر عظمة هذا المنصب الجليل والدور الكبير والمسؤولية الضخمة الملقاة على عاتق هذا الجهاز، وتجلت بطولة المراجع - جزاهم الله خيراً - في أدوار مختلفة وأزمان متعاقبة .

- ففضية التنبك التي وقعت في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي ما زال صداها عالياً سَوياً حين أقدم الإمام السيد المجدد الشيرازي على إصدار فتواه الشهيرة بتحريم استعمال التبغ والتي كان نصّها: «بسم الله الرحمن الرحيم، استعمال التنبك والتتن حرام بأي نحو كان، ومن إستعمله كمن حارب الإمام عجل الله فرجه. التوقيع محمد حسن حسيني الشيرازي»^(١). وكان السبب في إصدار هذه الفتوى ان حكومة الشاه في إيران ناصر الدين منحت لإحدى الحكومات الإحتكارية الإنجليزية إمتيازاً بزراعة التبغ الإيراني وبيعه وتصديره لمدة خمسين عاماً فتصدى علماء إيران لهذه المحاولات فلم تغن فاستغاثوا بالسيد المجدد

(١) تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، الرهيمي: ص ١٢٨.

الشيرازي فكتب اليه أن يذعن لمطالب الشعب فأبى فأصدر هذه الفتوى المدوية .
ولم تكن قضية التبغ المظهر الوحيد لعظمة السيد الشيرازي فإنه كان قد رفض استقبال شاه إيران ناصر الدين عند مدخل النجف أوزيارته في محل إقامته واكتفى السيد بملاقاته في الحضرة العلوية وكانت هذه الخطوة بمثابة الخط من هبة الشاه وإيحاء الشيرازي له بدعم المؤسسة الدينية المعارضة التي بدأت تنمو في إيران منذ عام ١٨٢٦م^(١).

ومن مواقفه المشرفة وتمسكه بوحدة المسلمين الشيعة والسنة مما فوّت الفرصة مراراً على الإنجليز في العراق^(٢).

— والحركة الدستورية كانت من وحي تخطيط المرجعية في النجف الأشرف التي تمثلت في الشيخ محمد كاظم الخراساني شيخ الأصوليين ويدعمه الشيخ عبد الله المازندراني واضطر الشاه إلى الموافقة على الدستور سنة ١٩٠٦م . وكانت النجف مركز القيادة لحركة ثورية في إقليم إيران والتي اسقطت الشاه محمد علي ونصبت أحمد شاه بدلاً عنه ، وهذا يدل على الفاعلية التي لا مثيل لها في تأريخ العالم السياسي التي تتمتع بها المرجعية وموقعها القيادي .

— أما المقاومة الشعبية ضد إحتلال الإنجليز للعراق فكانت هي أيضاً وليدة التبنّي المرجعي ، فما إن هبطت القوات البريطانية أرض العراق حتى أعلنت الثورة في مختلف المناطق العراقية وتوجه علماء النجف الأشرف إلى ساحات المعركة أمثال المرجع الشيخ شيخ الشريعة والسيد مصطفى الكاشاني وبعث السيد كاظم اليزدي المرجع الأعلى وقتئذٍ نجله السيد محمد اليزدي ، وفي سامراء افتى الشيخ محمد تقي الشيرازي بوجوب القتال وأرسل نجله الشيخ محمد رضا للانضمام إلى المقاتلين .

وقد استطاعت المرجعية تعبئة الأمة رغم قلة السلاح وضعف الإمكانيات والقدرات العسكرية فبلغ عدد المقاتلين ثمانية عشر ألف^(٣) مضافاً إلى الاحتياطي الكبير من المجاهدين .

(١) تأريخ الحركة الإسلامية في العراق ص ١٢٧ .

(٢) تأريخ الحركة الإسلامية في العراق ص ١٢٨ ، ثورة الخامس عشر من شعبان ص ٥٩ .

(٣) أنظر تأريخ الحركة الإسلامية في العراق ص ١٧٢ .

وبذل المجاهدون ما بوسعهم للدفاع عن أرض العراق والحيلولة دون احتلاله من قبل الجيوش البريطانية ولكن قدراتهم الضعيفة جعلت المعركة غير متكافئة واستطاعت الجيوش الغازية دخول العراق، وبدأت المعركة ترتدي زياً سياسياً بعيداً عن السلاح وذلك منذ عام ١٩١٧م - ١٩٢٠م التي انتهت فيها الثورة العراقية الكبرى بقيادة الشيخ محمد تقي الشيرازي قائد الثورة.

وقد وقعت عدة مجاهبات متفرقة هنا وهناك في مختلف المدن العراقية غير انها كانت تواجه بالعنف والقتل والتشريد والنفي .

وكان في مقدمة الحوادث التاريخية المواجهة السياسية لعملية الاستفتاء في أواخر عام ١٩١٨ وأوائل عام ١٩١٩م والتي انتهت بثورة العشرين، وكانت الحكومة البريطانية في العراق استعدت في عام ١٩١٨م لعملية استفتاء في ضمن ثلاثة اسئلة وهي^(١).

١- هل ترغبون بحكومة عربية مستقلة تحت الوصاية الإنجليزية تمتد نفوذها من أعالي شمال الموصل إلى الخليج الفارسي؟

٢- هل ترغبون في أن يرأس هذه الحكومة أمير عربي؟

٣- من يكون ذلك الأمير الذي تختارونه؟

وقد ظهر الشيخ محمد تقي الشيرازي في عملية الاستفتاء هذه بعد أن انتقل من سامراء مقر إقامته إلى كربلاء وبعد تخلي السيد كاظم اليزدي عن القيادة وسأله في ذلك عدة علماء من أمثال الشيخ «شيخ الشريعة» والشيخ عبد الكريم الجزائري، وأصدر الشيخ الشيرازي فتواه الشهيرة وحكمه بشأن الانتخابات والاستفتاء والتي كان نصها «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطة على المسلمين»^(٢).

وقد أدت هذه الفتوى إلى حملة استقالات أخذت في التزايد بمرور الوقت،

(١) تاريخ الحركة الإسلامية: ص ٢٠١.

(٢) ن، م: ص ٢٠٤.

وبروز الدور القيادي أكثر فأكثر للشيخ محمد تقي الشيرازي وانقياد الشعب العراقي لقيادته.

وكان الشيرازي يومئذ أعظم شخصية دينية سياسية عرفها العراق، وتمثلت سياسته في عدة إنجازات وخطوات كان في مقدمتها:

(١) وحدة الموقف العلمائي بعد غياب السيد اليزدي وتوحيد المرجعية في شخصه.

(٢) طرح مسألة استقلال العراق على مستويات مختلفة العربية منها والدولية وأرسل الرسائل بذلك الشأن.

(٣) اتباع الشيخ الشيرازي أسلوب المقاومة الحادة مع الإنجليز.

(٤) قضى الشيخ الشيرازي على الصراعات والنزاعات التي كانت تعيق حركة المقاومة الإسلامية وجمع صفوف المسلمين ووحد كلمتهم وأيد الجهود الوحدوية في بغداد.

(٥) إعلان الثورة بعد استنفاد جميع الوسائل السلمية والسياسية.

— وحدثت إثر هذا الإعلان ثورة العشرين في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠م وخرج الشعب العراقي في ما يزيد على (١٣٠) ألف مقاتل ودعمت بـ (١٩٠) ألف مقاتل احتياطي^(١).

وفوجيء الشعب العراقي برحيل الشيخ الشيرازي إلى الرفيق الأعلى فخلفه الشيخ فتح الله الأصفهاني الشهير بشيخ الشريعة الذي إهتدى بسيرة سلفه الشيخ الشيرازي واستمر في إدامة الثورة وقيادتها بصلابة وجراءة.

— وفي عام (١٩٢٢م) كان للمرجعية المتمثلة بالسيد أبي الحسن الأصفهاني موقف آخر إتسم بالصرامة والوعي الإسلامي وهو ما يسمى بمشكلة انتخابات المجلس التأسيسي والتي أفرزت حوادث أخرى في مقدمتها نفى السيد الأصفهاني في عام ١٩٢٣م بعد إبعاد الشيخ الخالصي. وكان كل من السيد

(١) تاريخ الحركة الإسلامية ص ٢٢٢.

الأصفهاني^(١) والشيخ الخالصي حكم بمقاطعة انتخابات المجلس التأسيسي . وكان نص فتوى السيد الأصفهاني : «إلى اخواننا المسلمين . . . إن هذه الانتخابات تميمت الأمة الإسلامية فمن انتخب بعد علم بحرمة الانتخاب حُرمت عليه زوجته وزيارته ولا يجوز رد السلام عليه ولا يدخل حمام المسلمين»^(٢).

إن هذه المواقف البطولية الرائعة كانت من وحي التفكير المرجعي وتخطيط المرجعية إلا إن هذه الحركة سرعان ما انتكست في التعهد الذي وقع عليه السيد أبو الحسن الأصفهاني والميرزا النائيني وغيرهم بعدم التدخل في الشؤون السياسية لقاء عودتهم إلى العراق ، فعاد كل من السيد الأصفهاني والنائيني باستثناء الشيخ الخالصي الذي رفض التعهد بذلك .

والحقيقة إن هذا التعهد لم يكن شرعياً ليلتزم به السيد الأصفهاني وصحبه بيد أنهم التزموا به خشية النفي مرة أخرى بحجة نقضه ، وقد نقضه السيد الأصفهاني في عدة مناسبات ، ولكن هذه الحالة تسربت في أوساط العلماء وطبعت سلوكهم شيئاً فشيئاً وانصرف العلماء عن البحث في الشؤون السياسية ، غير أن التأريخ العلمائي شهد خروجاً على هذه القاعدة على يد بعض أكابر العلماء من أمثال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والسيد محسن الحكيم ، وانهار هذا المبدأ على يد الإمام الخميني في ثورته الكبرى ، فيكون عمر هذه القاعدة ما يزيد على الخمسين عاماً شكلت منعطفاً خطراً في تأريخ المرجعية هياً الله من أنقذها منه بالجهود المتظافرة التي بذلها المراجع الواعون طيلة هذه الفترة^(٣).

الشهيد الصدر يؤرخ للعمل المرجعي :

كان الشهيد يتأمل في تأريخ المرجعية وأدوارها التاريخية وخصائص كل دور عن الأدوار الأخرى ومنجزات ومكاسب كل من هذه الأدوار وعطاء المرجعية خلالها ، وكان كل ذلك من أجل معرفة طبيعة هذا الجهاز وإمكان تطويره وإصلاحه

(١) ن ، م ص ٢٦٠ .

(٢) ما ذكرناه يمثل وقفات وقبسات المرجعية كتمهيد للبحث ولنا بصدد ان نعرض تأريخ المرجعية السياسي .

فيقول الشهيد الصدر مؤرخاً للعمل المرجعي : « هذه الخوزة العلمية لها تأريخها الطويل الذي مرّ بعدة مراحل :

(١) مرحلة الاتصال الفردي : وقد كان فيها هذا الكيان يعبر عن اتصالات فردية بين علماء مجتهدين وقواعد شعبية في بلاد أولئك العلماء المجتهدين ، يُستفتى العالم فيفتي . وكان الارتباط يقوم بشكل فردي ومباشرين الناس وبين العالم المفتي . وهذه المرحلة هي المرحلة الأولى التي عاشها أصحاب الأئمة عليهم السلام واستمرت هذه المرحلة إلى أيام العلامة الحلي ، إذ كان الوضع العام لهذا الكيان إلى أيام العلامة الحليّ رضوان الله عليه هو وضع علماء مجتهدين يوجد كل منهم في مكان ويرتبط به شعبه يستفتونه فيفتي ثم بعد هذا دخل مرحلة أخرى .

(٢) مرحلة الجهاز المرجعي : وقد دخلها - بحسب ما أفهم من سير الأحداث - على يد الشهيد الأول رضوان الله عليه هذا الذي قدّم دمه في سبيل نقل هذا الكيان من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية فعلى عهده رضوان الله عليه أصبح هذا الكيان عبارة عن أجهزة من الوكلاء وعلماء الأطراف يرتبطون بالمرجع ويتصلون بالقواعد الشعبية ، يعني أن هذا الوضع الموجود للمرجعية فعلاً - أنا لا أعرف تطبيقاً أسبق من الناحية التاريخية له من تطبيق الشهيد الأول رضوان الله عليه قام بهذا التطبيق في لبنان وسوريا وعين الوكلاء وفرض جباية الزكاة والخمس على القواعد الشعبية . وبذلك أنشأ كياناً دينياً قوياً للشيعنة مترابطاً لأول مرة في تأريخ العلماء وكان انشاؤه لهذا الكيان هو من أهم الأسباب التي أدت إلى مقتله رضوان الله عليه في قضية لا مجال الآن للتوسع فيها .

(٣) مرحلة التمركز والاستقطاب : واستمرت هذه المرحلة (مرحلة المرجعية مع الجهاز) إلى أن دخلت المرجعية (المرحلة الثالثة) على يد الشيخ كاشف الغطاء ومعاصريه من العلماء وهي مرحلة التمركز والاستقطاب لأن المرجعية في المرحلة الثانية بالرغم من أنها كانت ذات أجهزة لكنها لم تكن متمركزة بنحو مستقطب للعالم الشيعي كلّ . وفي عهد الشيخ كاشف الغطاء وعن طريق علاقات وارتباطات واسعة بين العراق وإيران أمكن وضع بذرة للاستقطاب والتمركز ونشأت المرجعية المركزية التي تستقطب أنظار العالم الإسلامي وكان لهذا الانشاء

ولهذا التطوير تضحياته الكبيرة وجهوده التي لاجمال الآن أيضاً للتوسع في حديث عنها .
وفي هذه المرحلة الثالثة مرّت على هذه المرجعية فترة طويلة من الزمن في عهد الحكم العثماني قبل عصر الاستعمار .

(٤) مرحلة القيادة : ثم حينما دخل المسلمون عصر الاستعمار وُجِدَ نوع من التحول والتطور في هذا الكيان لأن هذا الكيان الذي كان قد أصبح مركزياً يستقطب أنظار العالم الشيعي بدأ يتسلم زمام القيادة ، بدأ يدخل الصراع مع الكافر المستعمر ويتبنّى مصالح المسلمين ويدافع عنهم ، وهكذا دخل هذا الكيان مرحلة أخرى هي مرحلة (القيادة) زيادة على استقطابه وتمركزه وذلك من حوالي خمسين أو ستين عاماً منذ أحداث دخول النفوذ الاستعماري إلى هذه المنطقة في العراق وإيران ولبنان وغيرها من أنحاء العالم الشيعي . غاية الأمر ان هذه القيادة كانت تتذبذب بين مدّ وجزر ، بين ظهور وخفاء حسب الظروف والملابسات التي تُمنّى بها خلال عملها . . .»^(١) .

إنّ ما يقدّمه السيد الصدر من رسم الخطوط الرئيسية للعمل المرجعي ليس عملاً ترفيهاً وإنما يمثل دراسة لوضع المرجعية في أدوارها المختلفة لاختيار المناسب للدور المعاصر والعهد الجديد ، وهذا ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى

الشهيد الصدر في ظل المرجعية :

لقد أراد السيد الصدر للمرجعية أن تبسط نفوذها على قلوب القواعد الشعبية بمختلف شرائحها دون أن تستثني أحداً ليتم للمرجعية الجوّ المناسب والظرف الملائم لسريان قراراتها دون أن تتخلف يوماً ما ، وقد استظل السيد الصدر — مع جلاله قدره وقدراته وقابلياته العظيمة — بمرجعية غيره من الفقهاء قبل وبعد مرجعيته ولم يُرد وراء ذلك غير وجه الله تعالى ومرضاته ، وهذا ما لا تجد مصداقاً له غير شهيدنا العظيم ، ولذلك عمل كل ما بوسعه لدعم المرجعية واحترامها وعدم التناول عليها حتى لو اختلف معها بالرأي وإسلوب العمل بل لو تجاوز كل ذلك ، وهذا ما وعته جماهيره ومحبيه وأنصاره بل اعداؤه وخصومه أيضاً .

(١) من محاضرة للسيد الشهيد ، أنظر كتاب «المنحة» ص ٤١ — ص ٤٥ .

ففي مرجعية السيد محسن الحكيم وجد السيد الصدر في شخص الحكيم ما يؤهله لهذا المنصب فراح يدعم مرجعيته وهو يومذاك من أبرز اساتذة جامعة النجف فقيه مجتهد يُشار إليه بالبنان ولم يكن رضوان الله عليه ممن تتلمذ على السيد الحكيم أو من بطانته الخاصة ليدعمه عن مصلحة شخصية أو حالة نفسية من قبل تلميذ تجاه أستاذه، وإنما بالغ في دعم مرجعية السيد الحكيم لأنها كانت الأليق بالتصدي والأجدر على الأخذ بزمام الأمور.

وكان رضوان الله عليه يتألم من تشتت الكلمة وتعدد الكيانات المرجعية فإنه لمّا سافر إلى لبنان لاحظ ان مرجعية السيد الحكيم في سوريا تتعرض للتصدع بسبب وجود بعض الشخصيات وحاول السيد الصدر أن يحول دون افشاء هذه الحالة وهذا ما كتبه لبعض اصدقائه «... وسمعا هناك... ما يفتت الأكباد من وضع الشيعة في الشام بسبب تصرفات... نكسة الكيان الشيعي هناك وتفتته وتشتت كلمة الطائفة وبالتالي نكسة كيان سيدنا دام ظله هناك بسبب ألوان من التصرف التي أجد من الوظيفة الشرعية لزوم التحقيق بشأنها وإيصال خبرها إلى السيد الحكيم لئلا يضيع الكيان الشيعي بعد جهود مئات السنين في الحفاظ عليه ورص صفوفه وقد طلبت من:.. أن يكتب للسيد يتحدث بذلك وظهر لي انه ينوي الكتابة»^(١).

ولما حصلت المواجهة بين السيد الحكيم والحكم البعثي في العراق عام ١٩٦٩م دعت الجماهير في الصحن الحيدري الشريف باسم السيد الحكيم لإعلان التأييد لسماحته وفضح النظام العراقي واحتشدت القواعد الشعبية وكانت فكرة هذا الاجتماع من وحي تخطيط السيد الصدر إذ اقتنع السيد الحكيم بذلك بل ان كلمة السيد الحكيم والتي قرأها نيابة عنه نجله الشهيد السيد مهدي كانت بقلم الشهيد الصدر.

وقد خاطر السيد بحياته حينما سافر إلى لبنان لأجل حملة إعلامية للدفاع عن النجف والمرجعية المتمثلة بالسيد الحكيم، وقام رضوان الله عليه بعملية ضخمة وجريئة بنفس الوقت وفي فترة زمنية قصيرة.

(١) الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر ص ٣٧.

ومن الوثائق التي تخص هذه الحملة رسالته التي بعث بها من لبنان إلى بعض أصدقائه شارحاً طبيعة عمله وما تم إنجازه إذ يقول في بعض فقراتها.

«أكتب اليكم هذه السطور بعد اسبوعين كاملين من دخول لبنان وأودّ أن أعطيك صورة عن الموقف في حدود رؤيتي له وأشعر بأن وجود صورة لك عن الموقف شيء مفيد على خط العمل.

لا أدري كيف أصنف الحديث: أتصور اني أبدأ بما تم من عمل ثم أتحدث لك عن الموقف بشكل عام ثم عن المشاكل والمكاسب.

أمّا ما تم من عمل فهو كما يلي:

أولاً: خطاب استنكار وقّع عليه حوالي أربعين عالماً.

ثانياً: ملصقة جدارية ألصقت في كثير من المواضع في بيروت تطالب بانقاذ النجف.

ثالثاً: برقيات طيّرها أبو صديري - السيد موسى الصدر - إلى جميع رؤساء وملوك الدول العربية والإسلامية باسم المجلس الشيعي الأعلى يشرح فيها لهم المأساة ويستنجد بهم وقد جاءه الجواب حتى الآن من جمال عبد الناصر وفيصل والأرياني الرئيس اليمني . . وقد أرسل أبو صديري برقية إلى الشيخ محمد الشريعة وتلقّى منه رسالة وبرقية يقول في الرسالة إن الشعب الباكستاني رئيساً وعلماً شيعياً وسنة كلهم هزتهم المأساة التي اعتبرها الجميع ضربة للإسلام.

كما ينقل أن المودودي وجملة من السياسين السنة قاموا باستنكار الموضوع وأعلنوا تأييدهم المطلق للنجف»^(١)

وكان سفر السيد الشهيد إلى لبنان والحملة الإعلامية التي قادها ضد الحكم العفلق في العراق بمثابة إعلان الحرب ضدهم وكان متوقفاً اعتقال السيد الصدر أو مطاردته فيها لوعاد من العراق وهذا ما كان يخشاه السيد الحكيم نفسه ولكن السيد الصدر أصر على العودة وكان يتوقع ذلك ويستعد لمواجهة فسلم كل

(١) الجهاد السياسي للشهيد الصدر ص ٣٩.

ما لديه في العودة لرفيقه خشية إعتقاله، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث^(١). ومن المؤكد أن الحكم العفلقى وضع هذه السفارة في القائمة التي أعدها لمتابعة ورصد تحرك السيد الصدر والتخطيط لعملية القضاء عليه والتخلص منه ولكنهم تركوا ذلك لعامل الزمن ريثما يسمح بمثل هذه العملية.

وكان الشهيد الصدر جريئاً في الدفاع عن المرجعية إلى حدّ التضحية لأنها مصلحة الإسلام ومستقبل الأمة الإسلامية التي تسمو على كل مصلحة شخصية وهذا ما حصل فعلاً في مراحل حياته كلّها منه مع السيد الحكيم ومنه مع غيره ولعلّه مع مرجعية السيد الحكيم أوضح من حيث توفر المصاديق لدينا فإنه عندما إتهمت السلطات البعثية نجل السيد الحكيم الشهيد السيد مهدي بالتجسس وداهمت سلطات الأمن دار السيد الحكيم لاعتقال نجله كانت العملية مقصودة ومنظمة لأجل هدر كرامة المرجعية والتطاول عليها ولذلك سارع السيد الشهيد إلى زيارة السيد الحكيم في داره دون أن يعبأ بالحصار الأمني والنفسي - جدار خوف - وحاول معالجة هذا الشرخ الكبير فكان يرى إصدار بيانات لاستنكار هذا العمل وتوقيع العلماء عليه حتى لو أدى إلى القتل^(٢).

وكان يرى رضوان الله عليه ضرورة الطاعة والانقياد للمرجعية حتى لو كان يختلف معها في وجهات النظر وهذا ما حصل فعلاً في عملية انسحابه من حزب الدعوة الإسلامية بناء على طلب السيد الحكيم^(٣).

ومن أجل ذلك كله كان السيد الصدر رضوان الله عليه لا يتجاوز المرجعية في قراراته، فإنه لو اقتنع بعمل أو أسلوب ما وفائدته ونجاحه فإنه لا يبت فيه دون معرفة رأي المرجعية أو قبول مرجع واحد على الأقل وهذا ما كان منه ليس فقط في مرحلة ما قبل مرجعيته بل في مرحلة تصديده للمرجعية أيضاً.

وقد نقل السيد كاظم الحائري عنه في فترة التفسير واعتقال العلماء إذ يقول:

(١) ن، م ص ٤١.

(٢) جريدة الجهاد العدد/١٨١/بتاريخ ١٧/رجب/١٤٠٥ هـ ص ٨

(٣) راجع الفصل الثالث من البحث والتنظيم في حياة الشهيد الصدر، ص ٢٣٠.

«حدثني الأستاذ (ره) ذات يوم فقال إنني أتصور ان الأمة مبتلاة اليوم بالمرض الذي كانت مبتلاة به في زمن الحسين عليه السلام وهو مرض فقدان الإرادة، فالأمة تعرف حزب البعث والرجال الحاكمين في العراق ولا شك في فسقهم وفجورهم وطغيانهم وكفرهم وظلمهم للعباد ولكنها فقدت قوة الإرادة التي يجب أن تصلح وتجاهد في سبيل الله إلى أن تسقط هذه الزمرة الكافرة عن منصب الحكم وترفع كابوس هذا الظلم عن نفسها، وعلينا أن نعالج هذا المرض كي تدب حياة الإرادة في عروق هذه الأمة الميتة وذلك بما عالج به الإمام الحسين عليه السلام مرض فقدان الإرادة في نفوس الأمة وقتئذٍ وهو التضحية الكبيرة التي هز بها المشاعر وأعاد بها الحياة إلى الأمة إلى أن انتهى الأمر بهذا السبب إلى سقوط دولة بني أمية فعلينا أن نضحي بنفوسنا في سبيل الله ونبذل دماءنا بكل سخاء في سبيل نصرة الدين الحنيف، والخطبة التي أرى - والكلام للسيد الصدر - تطبيقها اليوم هي أن أجمع ثلة من طلابي ومن صفوة أصحابي الذين يؤمنون بما أقول ويستعدون للفداء ونذهب جميعاً إلى الصحن الشريف متحالفين فيما بيننا على أن لا نخرج من الصحن أحياء وأنا أقوم خطيباً فيما بينهم ضد الحكم القائم ويدعمني الثلة الطيبة المنتفة من حولي ونثور بوجه الظلم والطغيان فسيجابهنا جمع من الزمرة الطاغية ونحن نعارضهم (ولعله قال: ونحمل السلاح^(١)) إلى أن يضطروا إلى قتلنا جميعاً في الصحن الشريف وسأستثني ثلة من أصحابي عن الاشتراك في هذه المعركة كي يبقوا أحياء من بعدي ويستثمروا الجوّ الذي سيحصل نتيجة لهذه التضحية والفداء.

قال - رحمه الله - إن هذا العمل مشروط في رأيي بشرطين:

الشرط الأول: أن يوجد في الحوزة العلمية مستوى من التقبل من هذا القبيل أما لو أطبقت الحوزة العلمية على بطلان هذا العمل كونه عملاً جنونياً أو مخالفاً لتقية واجبة فسوف يفقد هذا العمل أثره في نفوس الأمة ولا يؤتي ثماره المطلوبة.

والشرط الثاني: أن يوافق أحد المراجع الكبار مسبقاً على هذا العمل كي

(١) ما بين القوسين أي التردد للسيد الحائري.

يكتسب العمل في ذهن الأمة الشرعية الكاملة. فلا بد من الفحص عن مدى تواجد هذين الشرطين.

أما عن الشرط الأول فصمّم الأستاذ(ره) على أن يبعث رسولاً إلى أحد علماء الحوزة العلمية ليعرض عليه هذه الفكرة ويستفسره عن مدى صحتها وبهذا الأسلوب سيعرف رأي عالم من العلماء كنموذج لرأي يتواجد في الحوزة العلمية وقد اختار(ره) بهذا الصدد إرسال - سماحة - الشيخ محمد مهدي الأصفى - حفظه الله - إلى أحد العلماء وأرسله بالفعل إلى أحدهم كي يعرض الفكرة عليه ويعرف رأيه ثم عاد الشيخ إلى بيت أستاذنا الشهيد وأخبر الأستاذ بأنه ذهب إلى ذاك العالم ولكنه لم يعرض عليه الفكرة وكان السبب في ذلك أنه حينما دخل المجلس رأى أن هذا الشخص مع الملتفين حوله قد سادهم جوّ من الرعب والإنهيار الكامل نتيجة قيام الحكومة البعثية بتفسير طلبة الحوزة العلمية ولا توجد أرضية لعرض مثل هذه الفكرة عليه إطلاقاً.

وأما عن الشرط الثاني فرأى أستاذنا الشهيد(ره) أن المرجع الوحيد الذي يرتقب بشأنه أن يوافق على فكرة من هذا القبيل هو الإمام الخميني دام ظله - الذي كان يعيش وقتئذٍ في النجف الأشرف فلا يصح أن يكون هذا العمل من دون استشارته فذهب هو وضوان الله عليه إلى بيت السيد الإمام وعرض عليه فكرته مستفسراً عن مدى صحتها فبدا على وجه الإمام التألم وأجاب على السؤال بكلمة : (لا أدري).

يقول السيد الحائري : وكانت هذه الكلمة تعني أن السيد الإمام كان يحتمل أن تكون الخسارة التي ستوجه إلى الأمة من جرّاء فقد هذا الوجود العظيم أكبر مما قد يترتب على هذا العمل من فائدة. وبهذا وذاك تبين أن الشرطين مفقودان فعُد أستاذنا الشهيد(ره) عن فكرته وكان تأريخ هذه القصة بمحدود سنة (١٣٩٠هـ) أو (١٣٩١هـ)^(١). انتهى.

كان هذا قبل ظهور مرجعيته أو بعد ذلك وقبل انتشارها. أمّا بعد تصديده

(١) مقدمة الباحث: ص ٤٩، ص ٥١.

للمرجعية فانه كان أحرص على تحقيق الوحدة والوفاق دون اثاره الشقاق فكان رضوان الله عليه لا يقدم على عمل إلا بعد معرفة موافقة غيره من المراجع أو بشكل لا يثير حفيظتهم ولا ينتقص من شأنهم ومنزلتهم، وإجلاله للسيد الخوئي يكاد يكون منقطع النظر، وقد رأيت رضوان الله عليه في نهاية شهر رمضان لعام من الأعوام السالفة وقد قدمت جموع المؤمنين تستنطقه بشأن رؤية هلال شوال وانقضاء شهر رمضان فأبى أن يحكم برؤية الهلال - رغم أنها كانت ثابتة عنده - وأوصى بالذهاب لمنزل السيد الخوئي لاستعلام ذلك وهذا أمر ليس بدرجة من الأهمية ولكنه رضوان الله عليه كان يهدف إلى رص الصفوف وتوحيد الكلمة ما أمكن.

وأكثر من ذلك فانه رضوان الله عليه لا يبعث وكيلاً أو ممثلاً له في منطقة ما من مناطق العراق أو خارجه إلا بعد إطلاع السيد الخوئي ومنح هذا الوكيل إجازة السيد الخوئي مضافاً لوكاله السيد الشهيد نفسه وكان يحرص أشد الحرص على احترام وكلاء السيد الخوئي - رغم المؤاخذات على بعضهم - تكريماً لشخص السيد الخوئي وصوناً لهيبته وإجلالاً لمقامه، وهنا عشرات القصص التي لا يليق ذكر بعضها أو لضيق المجال.

إن اخلاقية الشهيد الصدر هذه كانت هادفة إلى خلق الأجواء الممهدة لاصلاح الحوزة وإدخال التجديد في بنائها وهيكلها وإدارتها دون إثارة الغوغاء، وقد وجد أكثر من مبرر لتطوير العمل المرجعي وتحديثه وتجديده بشكل يتناسب والمرحلة الحاسمة التي تمر بها الرسالة الإسلامية وما يهددها من أخطار داخلية وخارجية، وكان رضوان الله عليه دائماً يهتف في أسماعهم بضرورة الاسراع في إنجاز هذه الخطوة وكان يقول: «الشهيد الأول رضوان الله عليه قبل قرون وقرون، فكر في تنظيم شؤون الدين والمرجعية بشكل من الأشكال كما قلنا ونقل الكيان الديني من مرحلة إلى مرحلة. لكن أليس بالإمكان أن يفكر مئات العلماء الذين جاؤوا بعد الشهيد الأول إلى الآن ومئات العلماء الموجودون فعلاً ومئات العلماء الذين سوف يخلفون هؤلاء العلماء بعد ذلك؟ أليس بالإمكان أن يفكر هؤلاء المئات من العلماء في تطوير أساليب الشهيد الأول؟ في تحسينها، في تنقيتها، في تطويرها؟ أليس بالإمكان هذا؟ فكر الشهيد الأول في أن يضع قواعد لهذه المرجعية لكن هذه القواعد هي هي؟

لا بد أن تبقى بحدودها التي كانت في أيام الممالك؟ تلك الحدود التي كانت في أيام الممالك في سوريا تصدق على ما هو موجود اليوم في العالم مع تغيير العالم؟ وليس العالم اليوم عالم الممالك.

فإذا كنا نؤمن بأن الأساليب تتغير وإن كانت النظرية ثابتة إذن فلا بد لنا أن نفتح باباً للتفكير في هذه الأساليب كما نفكر في النظريات الفقهية والنظريات الأصولية، كما نفكر في الترتب وفي بحث اجتماع الأمر والنهي، كما نفكر في أن العصر العنبي هل هو محكوم عليه بالحرمة والنجاسة أو غير محكوم عليه بالحرمة والنجاسة. كذلك لا بد وأن نفكر إلى جانب ذلك بأساليب العمل.

هذا هو جزء من وظيفتنا، لأننا ندرس العلم للعمل ولا ندرس العلم لكي نجمده في رؤوسنا «نحن ورثة الأنبياء» بحسب زعمنا، والأنبياء عاملون قبل أن يكونوا علماء، هم علماء لكي يكونوا عاملين، وليسوا عاملين من دون عمل. فإذا كنا نحن ورثة الأنبياء فيجب أن نفكر في أننا عاملون لكي نعمل لا أننا عاملون لكي نعلم، فإذا كنا عاملين لكي نعمل فلا بد وأن نجعل جزءاً من وظيفتنا أن نطرح على أنفسنا، أن نطرح على أساتذتنا، أن نطرح على زملائنا، أن نطرح في كل مكان هذه الأسئلة: ما هو العمل؟ كيف نعمل؟ ما هي أساليب العمل؟

كيف يمكن تجديد أساليب العمل بالشكل الذي ينسجم مع الأمة اليوم؟ نحن نتعامل مع عالم اليوم لا مع عصر الممالك. إذن كيف نتعامل مع عالم اليوم؟

هذه أسئلة قد يكون جوابها صعباً في بداية الأمر لأنه ليس هناك مطالعات وترويض فكري على الجواب عليها. وقد تجد أن الجواب على مسألة أصولية أسهل، لأن هذا الإنسان الذي نسأله قد درس الأصول عشرين سنة، وأما مثل هذه الأسئلة فحيث أنها نفسها أيضاً مسألة دقيقة ومرتبطة بمدى خبرة الإنسان وتجاربه وإطلاعاته على ظروف العالم، لهذا قد يجد الصعوبة في الجواب على هذه الأسئلة لكن هذه الأسئلة لا بد من تذليلها بالبحث والتفكير ومواصلة البحث والتفكير. إذن فلا بد وأن نجعل جزءاً من وظيفتنا أن نفكر دائماً في أنه كيف نغير

أساليب العمل كيف ننسجم مع وضعنا وبيئتنا؟

لماذا تعيش الحوزة العلمية في هذا البلد مئات السنين ثم بعد هذا يظهر إفلاسها في نفس هذا البلد الذي تعيش فيه؟! وإذا بأبناء هذا البلد أو ببعض أبناء هذا البلد يظهرون بمظهر الاعداء والحاquدين والحاسدين والمتربصين بهذه الحوزة!!

ألا تفكرون في أن هذه هي جريمتنا قبل أن تكون جريمتهم؟ في أن هذه هي مسؤوليتنا قبل أن تكون مسؤوليتهم؟ لأننا لم نتعامل معهم، نحن تعاملنا مع أجدادهم ولم نتعامل معهم! فهذه الأجيال التي تحقد علينا وتربص بنا اليوم، تشعر بأننا نتعامل مع الموق، لا نتعامل مع الأحياء! ولهذا يحقدون علينا، ولهذا يتربصون بنا، لأننا لم نقدّم لهم شيئاً لأننا لم نتفاعل معهم...»^(١).

وكلّ ذلك دعا الشهيد الصدر(ره) إلى التفكير في إصلاح الحوزة وتغييرها وكان من أهم أطروحاته المرجعية الموضوعية: المرجعية ذات الأجهزة الإدارية والمنظمة لا المرجعية الذاتية التي تعني تعدد المراجع والقرارات الفردية التي تؤثر فيها في معظم الأحيان أهواء الحاشية والبطانة وجلّهم من أصحاب البطالة والمتقاعسين والطفيليين.

المرجعية الذاتية:

لعلّ المرجعية الذاتية هي التعبير الطبيعي في المراحل الأولى لتعاظم العمل المرجعي ونضخم دوره في قيادة الأمة فبعد ظهور المرجعية بشكلها المتمركز والقيادي كانت مرجعية ذاتية تتسم بالقرارات ذات الطابع الذاتي وانعدام الأجهزة والإدارة والتنظيم ولكن هذا الشكل من أشكال المرجعية لم يكن ضرورة شرعية لا يمكن الخروج عليها ولا يجوز التمرد عليها وهذا ما دعا الواعين من أكابر الفقهاء إلى دراسة وضع المرجعية ومعرفة وتشخيص المخاطر التي تعيق حركتها لاختيار ما يتناسب ودورها في المجتمع ومسؤولياتها الإسلامية الكبيرة.

ولعلّ أوضح المخاطر التي تهدد مسيرة هذا الكيان هو:

(١) محاضرات الشهيد الصدر «المحنة» ص ٨٠ - ص ٨٤.

— لقد فرضت المرجعية الذاتية وإنعدام التنظيم حالة تعدد المراجع وظهور عدد كبير من الفقهاء يتصدون للقيادة وهذا يؤدي بدوره إلى خلق حالة تعدد القرارات تبعاً لذلك فتجد أن المواقف والقرارات الصادرة عن مراكز هذه القيادات متباينة ومتناقضة في أحيان كثيرة، ويبدو أن هذه الحالة في مقدمة المخاطر التي تؤثر سلباً في حركة المرجعية وقيادتها للمجتمع فلم يكن موقف علماء النجف واحداً من حركة المشروطة في إيران وإنما كان هناك تياران سمي أحدهما بالمشروطة وهو الجناح المؤيد للمبادئ الدستورية وسمي الآخر بالمستبدة وقد كان يتزعم هذين التيارين كل من الملا كاظم الخراساني على رأس المشروطة بينما يتزعم اليزدي المستبدة وقد سبب هذا النزاع الكثير من المشاكل وخاصة من العوام والمندسين^(١). بل أن تعددية القرارات وعدم الانضباط وتفرق الكلمة كان يؤدي إلى استباحة الدماء أحياناً كما حدث للشهيد الشيخ نوري فضل الله.

ومن المظاهر البارزة موقف المرجعية في العراق من ترشيح الملك فيصل ملكاً للعراق فمثل السيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ محمد حسين النائيني موقف الرفض بينما مثل الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية وآخرون موقف القبول^(٢).

وهناك عشرات بل مئات المظاهر التي أودت بالحركة الإسلامية إلى مصير الفشل نتيجة تناقض القرارات والمواقف لعل من آخرها ما حدث في مرجعية الشهيد الصدر^(٣) فإنه اتخذ قراراً بشأن تحريم الانتماء لحزب البعث في العراق فلم يكن موقف المراجع الآخرين الصمت والسكوت بل تمثل في الردّ حتى قال أحدهم في معرض رده على سؤال ورده بشأن صحة ما نقل عنه في قضية تحريم الانتماء فأجاب أنه لم يحرم الانتماء للحزب الشيوعي فكيف يحرم الانتماء لحزب البعث.

وبالطبع كان لهذا الموقف الأثر الكبير في النقض على فتوى الشهيد الصدر وهذا الموقف هو الذي أرغم السيد الصدر في أواخر أيامه إلى مقاطعة هذه

(١) تاريخ الحركة الإسلامية في العراق: ١٤٨.

(٢) تاريخ الحركة الإسلامية: ٢٤٢.

الوجودات العلمائية بعد تيقنه بفشل كل المساعي التي بذلها (رض) لاقناعهم على توحيد المواقف والقرارات .

— من مظاهر المرجعية الذاتية وانعدام التنظيم تسرّب العناصر المشبوهة والمنحرفة إلى حواشي المراجع والاختفاء خلف كثير من قرارات المرجعية التي غالباً ما يصوغها وينتجها البطالون والمتقاعدون وأحياناً المشبوهون أيضاً . وهذا المظهر كان موضع اهتمام أكابر الفقهاء ففكروا في ضرورة التخلص من هذه الطفيليات وكان همّ السيد الشهيد كبيراً في هذا المجال والسيد الإمام الخميني في خطابه وكتبه وطالب العلماء بتحديد مواقفهم بشأن هذه المظاهر وكذلك المفكرون وعلماء الأمة أمثال الشهيد الشيخ مرتضى المطهري في كثير من كتاباته ومحاضراته .

وتسرب هذه العناصر من شأنه أن يؤثر على كثير من قرارات المرجعية لأن انطباعات المرجع وتصوراتهِ إنعكاس لما تُمليه هذه العناصر عليه من صور وحكايات وتصورات ولعبت الحواشي الدور الكبير في إدارة شؤون المرجعية وهناك الصور المخزية التي نترفع عن ذكرها لانحطاط هذه العناصر وما تقوم به من أدوار .

وطبيعي أن تؤثر هذه الجماعات في قرارات المرجع لأنها الجهاز التنفيذي والاستشاري الذي يعتمد عليه وغالباً ما تكذب هذه الجماعات على المرجع دون أن يعي ذلك لوثوقه بهم وعدم الشك في تدينهم لأنهم من أصحاب الدهاء والمكر والخديعة ممن تمرّس عمليات النفاق والتلون .

ولست بصدد ذكر ما يؤيد قولنا، فهناك العشرات بل المئات من المصاديق والصور .

السيد محسن الحكيم — رحمة الله عليه — عندما تصدّى للمدّ الأحمر وأصدر فتواه الشهيرة « بكفر والحاد الشيوعية » التي خسرت الشيوعية بسببها كثيراً من مواقعها في العراق ، وقف إلى جانبه معظم المراجع والفقهاء وأصدروا فتاوى التأييد للسيد الحكيم وتكفير الشيوعية باستثناء مَنْ حاولت الحواشي إغراءه لتقنعه

ان المسألة شخصية يراد منها فقط وفقط دعم مرجعية السيد الحكيم فاقتنع بذلك وامتنع عن إصدار فتوى بذلك .

وغالباً ما يكون لبعض هذه العناصر إرتباطات مشبوهة مع الحكام بطريق خفي لعل بعضه ليس أكثر من إرتباط عائلي أو صداقة قديمة أو علاقة مخبراتية أحياناً أخرى وهذا ما شهدته النجف وشعر به الكثيرون وكان هذه الفئات دورها — كما ذكرنا — في إثارة الشبهات ضد السيد الصدر وجماعته في الأضواء في قضية التنديد بالشاه عندما اعترف بإسرائيل .

ومن ذلك الرسالة^(١) التي بعثها السيد الحكيم للإمام الخميني حينما كان في إيران إبّان التصعيد الثوري في المراحل الأولى للثورة الإسلامية إذ طلب من السيد الإمام والعلماء في إيران أن يهاجروا وبصورة جماعية إلى العراق وكانت هذه الرسالة من تدبير السافاك الإيراني بتوسط عملائه ممن يعمل داخل الحوزة بحيث استطاع هؤلاء اقناع السيد الحكيم دون أن يعلم حقيقة الأمر، وكان قد طلب من الإمام الخميني في إيران من قبل هيئة شكلت من رئيس شرطة قم ورئيس السافاك والحاكم العسكري فيها وذهبت إلى الإمام فرفض استقبالها وكان الغرض من ذلك إبلاغه رسالة الشاه التي سلمت إلى السيد شر يعتمداري لينقلها بدوره إلى الإمام وكان مضمون الرسالة «ستصلكم برقية من آية الله الحكيم تدعوكم إلى الهجرة إلى النجف فإذا شئتم أن تهاجروا فإن الحكومة ستوفر لكم وسائل السفر، أما إذا أردتم أن تثيروا الصخب والفوضى بسبب هذه البرقية فإننا سنبعث بعناصر الكوماندوس للهجوم على بيوتكم في كل مكان وذبحكم وهتك أعراضكم ونهب أموالكم وإن هذه الرسالة الملكية المباركة جدّية ولا تعني مجرد التهديد»^(٢).

ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد تنفرد هذه الجماعات في صياغة المواقف والقرارات المرجعية دون أي إطلاع مسبق من المراجع ومن ذلك موقف النجف من ثورة الإمام الخميني فإن بعض مواقف المراجع كانت مرتجلة وليدة التفكير وتخطيط هذه الجماعات ففي الأيام الأولى للثورة في إيران اعتقل الإمام الخميني

(١) راجع ملحق رقم ١٢ .

(٢) الثورة والقائد: مهدي الحسيني: ص ٨٠ — ص ٨١ .

وأشيع هناك ما يشير إلى إقدام الشاه على إصدار حكم الإعدام بشأنه فبادر علماء النجف إلى دراسة الردّ على ذلك والحيولة دون إقدام الشاه على هذه الخطوة وكان من المقرر أن يجتمع المراجع ليتدبروا الأمر ويتخذوا الخطوات الكفيلة بمنع الشاه وتم التمهيد لهذا الاجتماع وقام بعض أفاضل العلماء بذلك وتم إبلاغ المراجع وزيارتهم لغرض اجتماعهم وذهب بعض أفاضل العلماء إلى منزل أحد المراجع فخرج إليهم نجله الكبير وابلغهم أن الوالد يقضي قبيلولة للراحة فاشاروا عليه بايقاظه لحراجه الموقف الذي يستدعي الاسراع فيه حرصاً على مستقبل الثورة وخشية من أقدام الشاه بشكل جنوني على نزوته فلم يجبه نجله فألحوا عليه فقال لهم : إذا أعدم الخميني فإنه سيقم مجلس الترحيم على روحه .

وهذه المواقف والقرارات اللامسؤولة تدل على نفوذ هذه الجماعات وتؤكد ضرورة القضاء على هذه الحثالات المنحرفة .

— عدم الانضباط مكن هذه الجماعات لتقرير مصير المرجعية والتخطيط ليس لحاضرها فحسب بل لمستقبلها أيضاً وقد ساعد على ذلك الادّعاء وعدم النظام في أوساط العلماء فيكتفي أحد العلماء أن يجمع حوله ثلة من هذه الجماعات ليرتقي منصب المرجعية ويوكل لهذه الجماعات التبشير لشخصه والدعاية لمرجعيته وقد يكون هذا صعباً ولكنه ممكن التحقيق وقد تمكن البعض من تحقيق ذلك بالرغم من عدم أهليته ووجود كثرة العلماء الصالحين ممن تتوفر فيهم الأهلية والكفاءة .

أحدهم دفع أخاه ليشهرّ بالسيد الصدر وينتقص منه ويكيل ألوان التهم والأكاذيب المخجلة ويحول دون إقبال العلماء بحضور بحث الشهيد وعوتب أحد الفقهاء لكونه يوصي العلماء والطلبة بحضور بحث الشهيد الصدر . بل إن هذا — المذكور — لم يكف بما أسنده لأخيه فتبرع ليصف الشهيد بأنه « وهابي » إثر صدور كتابه القيم « بحث حول الولاية » وحاول التشكيك ببعض عبارات ذلك الكتاب .

وحينما يخشى من وفاة السيد الخوئي وانتقال المرجعية — كاملة — للسيد الشهيد لعدم وجود المنافس ومنّ يضاهيه في ذلك المقام تسعى بعض الجماعات

لندارك الموقف قبل أن تُهدّد مصالحهم من قبل الشهيد - لما يعلمون من حزمه ووعيه وإرادته وإخلاصه - فعمدت هذه الجماعات إلى ترشيح إحدى الشخصيات - بالرغم من عدم مضاهاته للسيد الصدر - ودفع الكثير من الطلبة بأساليب مختلفة لحضور بحثه والتبشير له ليحل محل السيد الخوئي لوقدر القدر.

ولكن شاءت الأقدار أن ينتقل الشهيد الصدر إلى جوار ربه مضرجاً بدمائه الزكية خالداً كريماً وتنتقل هذه الشخصية إلى جوار ربه قبل رحيل السيد الخوئي .

وكي لا يُساء بمقام مراجعنا العظام أقول: إن كل ذلك إنما يجري في الخفاء وخلف الكواليس، ولو علمت المرجعية بذلك لما غفرت لهم هذه الجرائم ولا يقال إن المرجعية تعلم - ولو إجمالاً - بذلك، لأن هذه الجماعات تظهر للمراجع الالتزام والخلق الإسلامي لتوحي للمرجع بنظافتهم ونزاهتهم.

- إن هذه المظاهر التي مُنيت بها المرجعية الذاتية دعته إلى عدم الثقة في نفسها ويبدو ذلك واضحاً في حركة المرجعية وجهادها فإنها غالباً ما تنصرف إلى شؤونها الخاصة بعد كل ثورة وانتفاضة دون إكمال المسيرة كما حصل في ثورة العشرين بالعراق وثورة التنبك وحركة الدستور في إيران^(١).

ولعل السبب في ذلك يعود إلى قناعة المرجعية بما تعانيه من إفتقار للكوادر التي تعينها في مواصلة المسيرة وإكمالها.

وكل ذلك يدعو إلى التعويض عن هذه الخسائر وذلك بإعدام هذه المظاهر - ولو جزئياً - والقضاء عليها، وهذا ما دعا الشهيد الصدر لإعلان «المرجعية الموضوعية».

المرجعية الموضوعية:

لقد بحث السيد (ره) طيلة عدة أسابيع أطروحة «المرجعية الموضوعية» - على حد تعبيره - ثم أمر السيد الحائري أحد تلامذته بكتابة هذه البحوث فامتثل السيد الحائري أمره فقام بكتابتها ثم قدمها للسيد الشهيد فقام هورضوان الله عليه

(١) أنظر «الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري للشهيد مطهري: ص ٩٣.

بدوره بإعادة صياغتها وكتابتها. ولذلك سيكفيها عناء البحث والمشقة. وكانت
أطروحاته بقلمه الشريف^(١).

(١) مقدمة مباحث الأصول: ص ٩١ راجع ملحق رقم (١٠)

مع

الشهيد الصدر قائداً

- * طبيعة الحكم البعثي الحاكم في العراق .
- * الشهيد الصدر مفجر الثورة الاسلامية في العراق

طبيعة الحكم البعثي الحاكم في العراق: (١)

لقد عرف عن حزب البعث الحاكم في العراق أنه صنيعة الصليبية الحاقدة وعميلها المعروف، ميشيل عفلق^(٢)، وكان وصول هذه الحفنة إلى السلطة بقطار أمريكي ولم يتجاوز - يومئذ - عناصر الحزب عدّ الأصابع، بل إن أبطال الانقلاب كانوا غرباء عن الحزب ومن عناصر الحكم العارفي، ومن شارك من عناصر الحزب في هذا الانقلاب من لا سابقة قديمة له في الحزب وكان معظمهم حديث العهد في إرتباطه بالحزب، وهذا ما أثار الشكوك حول من تولى القيادة في العراق من أمثال البكر وصادم حسين.

فبالإنقلاب تم على يد المقدم عبد الرزاق النايف رئيس الاستخبارات

(١) لم أقصد من هذا البحث سوى إلقاء نظرة سريعة على طبيعة النظام للتعرف على الشجاعة والجرأة والاقدام في شخصية الإمام الصدر الذي يقرر بحزم مجابهة أعنى نظام دموي عرفته البشرية في الزمن المعاصر.

(٢) ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث رجل مسيحي ذو ارتباط مع الصليبية العالمية والمنظمة الماسونية وقد أكمل دراساته في فرنسا متلمداً على المشرق الفرنسي ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون أفريقيا والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر الأب ما سينيون الذي وصف تلميذه عفلق بأنه أنبغ وأعز تلميذ في حياته.

ولما رجع ميشيل من فرنسا أسس حزبه في دمشق وكان جُلّ اعضاء القيادة من النصاري سوى جلال السيد ثم دمج حزبه «حزب البعث العربي» مع «الحزب العربي الاشتراكي» لأكرم الحوراني فصار حزب البعث العربي الاشتراكي.

وقد هرب عفلق من سوريا بعد تغير الحكم فيها بعد الحركة التصحيحية ضد ميشيل عفلق في حزب البعث في سوريا فالتقى رحله في العراق وبدأت فصول محنة الشعب العراقي.

العسكرية في نظام عارف، والعميد عبد الرحمن الداود رئيس الحرس الجمهوري والرائد سعدون غيدان قائد كتيبة دبابات ملحقة بالحرس الجمهوري، وقام هو بدوره بإدخال بعض عناصر حزب البعث كأحمد حسن البكر وحرдан التكريتي وغيرهم.

واستسلم عبد الرحمن عارف دون أية مقاومة ووضع في طائرة خاصة ليلتحق بزوجه المريضة في إنجلترا، واقتسم الإنقلابيون التركة ووافق حزب البعث على مفضض على إعطاء الناييف منصب رئيس الوزراء الذي كان من المقرر أن يجمع البكر منصب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء في شخصه، بينما أعطي الداود منصب وزير الدفاع وقنع بمنصب رئيس الأركان الذي عُهد به إلى حردان التكريتي مع قيادة القوة الجوية، وأسندت وزارة الداخلية إلى صالح مهدي عماش فصارت للحزب السلطة على الشرطة والأمن الداخلي.

وسارع حزب البعث إلى التخلص من مشاركيهم في صفقة المضاربة هذه بعد أن احتذبوا سعدون غيدان قائد الحرس الجمهوري وحمادي شهاب قائد كتيبة المدرعات العاشرة التي كانت أقرب الوحدات إلى العاصمة بغداد. وتم ذلك في يوم الثلاثين من تموز وسهل ذلك غياب الداود في مهمة رسمية بالأردن واندفعت دبابات الكتيبة العاشرة إلى داخل بغداد وعزل الناييف عن رئاسة الوزراء ليهنأ البعثيون في حكم العراق.

وفي الوقت الذي انصرف فيه قادة الانقلاب الجديد لإعادة الأمور إلى مجاريها راح عبد الخالق السامرائي في محاورة الشيوعيين لكسب ودّهم وإرضائهم في عملية إشراكهم في السلطة، وبينما كان حردان التكريتي مشغولاً باستدعاء المطربات للاحتفال بالانتصار، والبكر في عملية للمّة للعناصر العسكرية سارع القائد المجهول صدام حسين العضو البعثي الجديد في عملية بناء مكتب العلاقات العامة واختيار العناصر الكفوءة في هذا المجال أصحاب القدرة على الاغتيال والبطش، وقد ساعدته تجربته الخاصة في مثل هذه العملية فاختار لها قتلة مرموقين من صحبه عرفوا في منطقة الفضل وراغبة خاتون وباب الشيخ^(١) من أمثال:

(١) عرفت هذه المناطق بالشباب المتهتك والماجن والاشقياء والمتكعبين من الفاشلين في حياتهم الدارسية والعائلية وفي مقدمتهم صدام حسين.

محمد فاضل، ناظم كزار، جبار كردي، كامل أبو المعلاك، علي رضا، علي عبيدي، سعدون فياض، سعدون شاكر، سمير الشيعلي، فلاح ميرزا، حسن المطيري، كريم الشيعلي، عبد الوهاب كريم، غانم عبد الجليل، محيي الشمري، طه الجبوري، ياسين الجبوري، حبيب جاسم، علي حسين عجم، نوري حمادي، حمودي العزاوي، محمد العزاوي، وليد الخشالي، و... وعشرات من هؤلاء القتلة والسفاحين.

ويعرف الشعب العراقي الدور الذي لعبته هذه الحفنة في الوصول إلى الحكم والقضاء على أعوان وأنصار أحمد حسن البكر في عمليات «أبوطبر» التي قادها ناظم كزار والذي تمت تصفيته من قبل نفس هذا المكتب بعد انتهاء مهمته وسرعان ما قفز صدام حسين إلى السلطة ليكون نائباً لرئيس الجمهورية ومنذ ذلك اليوم تم عزل البكر - وإن ظل رئيساً للجمهورية ظاهرياً - وبدأ شخص صدام حسين للظهور حتى تم عزل البكر نهائياً عام «١٩٧٩م» في مسرحية ضحك لها الشعب العراقي ضحك الشكلى واستيقن من مصيره الذي سيلفاه والمستقبل المحزن الذي خبأته الأيام له، ليعيش الشعب العراقي البائس حياة الحرمان والظلم والاضطهاد والهمجية والوحشية التي لا يقوى المواطن العراقي عن التعبير عنها والحديث عن فصول المآسي والآلام فيها، ويحتشئ أن يُتهم بالمغالاة والمبالغة وهو لا يروي إلا اليسير اليسير.

ولست في مقام البحث عن تأريخ العراق السياسي في عهد الحكم البعثي والحكم الصدامي خاصة وإنما بصدد وضع الخطوط الرئيسية التي تكشف معالم هذا النظام ومظاهره الجاهلية وصورته الوحشية القاتلة وإن كان من الضروري جداً أن يتصدى الكتاب السياسيون ورجال الصحافة بما يتهاهم من وثائق وأرقام لتعرية هذا النظام والكشف عن جاهليته وتخلفه.

مظاهر النظام:

— الدكتاتورية التي قلّ نظيرها في العالم، فقد فاق هذا النظام بدكتاتوريته الدكتاتوريات القائمة في مختلف أنحاء العالم، فكلمة واحدة — ناهيك عن التعبير السياسي والآراء السياسية والفكرية — تؤدي بصاحبها إلى زنانات التعذيب

والطوامير الرهيبة، ليعثر عليه أهله فيما بعد في الأكياس مقطعة أمام باب داره. ولا ينسى الشعب العراقي نفرة السلطان وقصر النهاية وسجن أبي غريب، والفضيلية وعشرات بل المئات من أماكن التعذيب في مديريات الأمن التي انتشرت في المدن الكبيرة والصغيرة بل القرى والارياف أيضاً.

ولم يكتف النظام الجائر في إفشاء هذه الحالة بل عمد إلى تقنينها أيضاً فصدرت عشرات بل مئات المواد القانونية والأنظمة العسكرية والمدنية لتكرس الدكتاتورية وتضفي المشروعية عليها. ولعل في مقدمة هذه المواد القرار الصادر بحق من تعاون بشكل مباشر أو غير مباشر انضم أو لم ينضم إلى حزب الدعوة الإسلامية والذي نص القرار فيه على حكم الإعدام دون تفريق بين حالة وحالة بل كان هذا القرار رجعيّاً أيضاً ليشمل الحالات التي سبقت صدور هذا القرار والتي لم تكن محكمة به قبل صدوره.

ومن ذلك القرار الصادر بتاريخ ١٩٨٦/١١/٤ م والذي يقضي بتعديل المادة (٢٢٥) من قانون العقوبات لعام ١٩٦٩ م فنص هذا القرار^(١) على الحكم بالسجن المؤبد ومصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة على من أهان رئيس الجمهورية أو من يقوم مقامه أو حزب البعث أو المجلس الوطني وترفع إلى عقوبة الإعدام إذا كانت الإهانة سافرة وبقصد إثارة الرأي العام ضد السلطة.

أما المحاكم فلا أثر لها في العراق في ما يسمى بـ «الجرائم السياسية» وهي أن تمت فلا تعدو عن كونها صورية وسريّة لا حقيقة لها، وتمثل ما يسمى بـ «محكمة الثورة» محاكم القرن الرابع عشر ومحاكم التفتيش، ولهذه المحكمة تأريخها الأسود التي طالما سخرت من القانون والحقوق الإنسانية، وحسبك أن القاضي في هذه المحكمة أحد أقذر أزلام السلطة وأجهلهم وأقذرهم وأكثرهم تخلفاً وهو المدعو «مسلم الجبوري» بل إن إعدام السيد الصدر الذي يعدّ من أبرز العلماء والسياسيين المعارضين لم يعلن عنه رسمياً ولا شبه رسمي. ومن الطريف جداً أن محكمة الثورة هذه أعلنت لأول مرة علناً حكم الإعدام بحق ثمانية من أبناء النجف الأشرف في انتفاضة صفر لعام ١٩٧٦ م والحكم بالسجن المؤبد بحق

(١) الوقائع العراقية العدد/٣١٢٤.

خمسة عشر آخرين واسندت رئاسة هذه المحكمة إلى عضوين بارزين من أعضاء قيادة الثورة بيد انهما رفضا ذلك فتم عزلهما والانتقام منهما إلا أن الأحكام صدرت باسمهما وان المحكمة عقدت برئاستهما، وهذا ما لا نظير له في العالم إطلاقاً.

— ومن المظاهر البارزة في هذا النظام عداؤه للإسلام والمسلمين، وهو أمر طبيعي لأن الحزب الحاكم في العراق ربيب الصليبية والماسونية ووليد تخطيطهما بقيادة الحزب صليبية الهوية مسيحية الدين، بميشيل عفلق الأمين العام للحزب، وشبلي العيسمي مساعد الأمين وناصيف عواد مسؤول المكتب الطلابي وطارق عزيز مسؤول مكتب الإعلام في الحزب وهو وزير الخارجية ونائب رئيس الوزراء.

وقد اهتم الحزب بالنشاطات التبشيرية والحركة الصليبية في العراق ورعاية حركتهم الإعلامية والثقافية فأجيز لهم حرية نشر وبعث تراثهم طبقاً لقانون الحقوق الثقافية لعام ١٩٧٢م الذي منح للنصارى لا لسواهم فنص على حق إصدار المجلات في الوقت الذي منعت فيه كل المجلات والجرائد الإسلامية وسمح أيضاً بالانتماء للأحزاب المسيحية ومنها: حزب الانقاذ الآشوري، وحزب النسر الثوري، ومنظمة فدائي آشور، والحزب المرمي السري^(١).

وهذا ما اعترفت به الحكومة الأمريكية في تقريرها الذي قدمته إلى الكونغرس عن العراق سنة ١٩٨٤م الذي جاء في بعض فقراته: «... وفي العراق حوالي - ٥٠ ألف - مسيحي يمثلون ٤٪ من السكان وقانوناً يتمتع هؤلاء المسيحيون بحرية العبادة في كنائسهم والتي تتلقى بعض العون من الدولة، إلا أنهم لا يتمتعون بحرية التجمع خارج أماكن عبادتهم، وهناك عدد من الأديرة وبعض الكنائس الجديدة والتي تبنى الآن. وقد فرضت الحكومة عام ١٩٨٠م^(٢) موضوعاً جبرياً في المدارس للدراسات القرآنية يتلقاه الجميع بما فيهم غير المسلمين إلا أن الحكومة قد سحبت هذا التشريع بعد أن اعترضت عليه مجاميع المسيحيين ومجاميع الزوار الأمريكيين والعرب بعنف شديد وتعتبر فئة الكلدانيين من أغنى فئات المسيحيين وأكثرهم ثقافة ويحيى من

(١) انظر، مجلة الجهاد العدد/٨/ شوال/١٤٠٣هـ - السنة الأولى.

(٢) لقد أظهرت الحكومة البعثية إلى اهتمام بالاسلام في خلال الحرب وعنايتها بالشريعة الاسلامية لمقاصد سياسية لا غير.

بين الكلدانيين نائب رئيس الوزراء و وزير الخارجية طارق عزيز، كما يشغل الكلدانيون مناصب حكومية متوسطة، بينما يشغل المسيحيون السريان المناصب من الدرجة النظامية في الحكومة، ويتعاقب الأرمن في تأدية الأعمال الخاصة ويعرف عن الأشوريين المسيحيين أنهم فقراء نوعاً ما، وأفقر من الفئات المسيحية الأخرى وأقلهم ثقافة ذلك لأنهم وصلوا من الريف إلى المدن حديثاً نسبياً. وقد أعطى قانون ١٩٨١م وزارة الأوقاف والشؤون الدينية سلطة إصدار قوانين وأنظمة للعمل بها في أماكن العبادة، كما أن لهذه الوزارة حق تعيين رجال الدين وتحديد الكتب والمناهج الدينية كما أن لها الحق في الاشتراك في المجالس والاجتماعات الدينية، وقد نتج عن هذا القانون قلق بين القادة الدينيين في العراق والولايات المتحدة بسبب ما لهذه السلطة من قدرة على تمكين الحكومة وسيطرتها على المسائل الدينية. ويعتقد بعض المسيحيين العراقيين بأن القصد من هذا القانون تمكين الحكومة من الشيعة، ولأن لم يجر تطبيق هذا القانون على المذاهب المسيحية^(١).

وقد عبر النظام البعثي عن عدائه للإسلام وحرصه على محاربة الإسلاميين والحيلولة دون انتشار الوعي الإسلامي ومحاولته القضاء على الإسلام وفرض العزلة عليه في زوايا لا تضر ولا تنفع حتى يتم القضاء على جميع المظاهر الإسلامية وفي ضمنها الشعائر والمظاهر الرمزية أيضاً.

وفي إحدى مؤتمرات الحزب عبر عن قلقه المتزايد تجاه الإسلام وحركته الصاعدة كان منها ما ورد في التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع لحزب البعث الذي ورد في بعض فقراته:

«كما قلنا إن الظاهرة الدينية - السياسية - ليست جديدة في أقطار الوطن العربي... وفي بلدان المنطقة منذ زمن طويل... وكان العراق من بين بعض الأقطار التي شهدت نشوء أحزاب وحركات وتيارات دينية - سياسية وعلى أساس طائفي طبعاً أسوة بما حصل في الأقطار الأخرى مع خصوصيات وتعقيدات خاصة تندرج تحت حساب تأثير صلة الجوار مع تركيا في عهد الدولة العثمانية من ناحية، وإيران من ناحية أخرى، وتناوب هاتين الدولتين على السيطرة واحتلال العراق

(١) جريدة التيار الجديد العدد/٢٢/ السنة الأولى بتاريخ ٣/كانون الأول/١٩٨٤م.

طيلة ثمانية قرون تقريباً تحت ستار من الدين والطائفية.

وبرغم أن هذه الأحزاب والحركات والتيارات قد وقفت ضد الشيوعية واصطدمت بالشيوعيين وبصورة خاصة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وانتشار المد الشيوعي الارهابي إلى أن الخصم الأساسي الذي استهدفته هذه الأحزاب والحركات والتيارات كان دائماً الحركة القومية العربية وطليعتها الباسلة حزب البعث العربي الاشتراكي.

وبرغم قدم نشاط هذه الأحزاب والحركات والتيارات وبرغم كل التثبيات والافتراءات التي اطلقتها لسنوات عديدة ضد فكر الحزب وتجربته الثورية فإنها بقيت تمثل قلة من الأفراد معزولة عن الجماهير وحتى عن الجماهير المتدنية وأغلب الأوساط الدينية^(١).

وفي مواجهات عديدة، عادية وساخنة بينها وبين الحزب والثورة كان يبدو الفرق شاسعاً بين مدى تأثيرها وبين جماهيرية الحزب والثورة الساحقة. غير أن هذه الأحزاب والحركات والتيارات لم تنته في مرحلة الثورة وبرغم عزلتها المشار إليها والضربات التي وجهت إليها عندما كانت تلجأ إلى النشاطات التخريبية السافرة، استمرت هذه الظاهرة.

وكان من بين أنشط هذه المجموعات في هذه المرحلة حزب يدعى «حزب الدعوة» ذو صبغة طائفية معروفة وذو اتجاهات مشبوهة صارت معروفة تفصيلياً لأغلب أوساط الشعب، ولكن هذا الحزب وغيره من الحركات والتيارات الدينية لم يصل في أي وقت من الأوقات إلى مستوى يمكن أن يشكل تهديداً جدياً للحزب والثورة ولكن بعد الثورة الإيرانية تغيرت الأمور!!^(٢).

ومن أجل القضاء على الإسلام والظاهرة الدينية — على حد تعبير الحزب — بادر النظام إلى إعلان الحرب ضد إيران ومباغتتها والاندفاع في الأراضي الإيرانية لإسقاط النظام الإسلامي لأن الحزب آمن أن الظاهرة الدينية لن تسقط ولن تنتهي

(١) يدعي الحزب ذلك إعلامياً ليظهر بمظهر المنتصر.

(٢) كتاب التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي ص ٢٩١.

ما لم يتم إسقاط النظام الإسلامي في إيران وذلك ما صرّح به الحزب في تقريره إذ ورد في بعض فقراته :

«... إن الظاهرة الدينية - السياسية لن تنتهي وستبقى تحتفظ بنسبة معينة من القوة مع استمرار النظام الإيراني الحالي، ومع أن فشل التجربة الدينية السياسية في إيران وافتضاح حقائق النظام الإيراني وتفككه قد ساعد في إضعاف هذه الظاهرة إلا أنها لن تصاب بنكسة قاضية إلا مع سقوط هذه التجربة التي ستقسم ظهر الظاهرة الدينية - السياسية ليس في العراق وحده وإنما في كل بلدان المنطقة، فإن هذه الظاهرة لن تختفي تماماً عن المسرح السياسي والاجتماعي»^(١).

وقد عرف النظام البعثي بمعاداته للإسلام والدين منذ تسلمه السلطة، ففي الأعوام الأولى من حكمهم بادروا إلى التخطيط المنظم من أجل القضاء على المرجعية في النجف والتعرض للسيد محسن الحكيم رضوان الله عليه ومحاصرته والتضييق عليه واتهام نجله الشهيد السيد مهدي الحكيم بالجناسوسية للخط من كرامته وبالتالي القضاء على المرجعية.

وقاموا بحملة شرسة ضد علماء الدين وأبعدوا المثات بل الآلاف منهم خارج العراق بينما طاردت آخرين وأودعتهم السجون، وكان أول نظام سنّ حكم الإعدام بحق العلماء حزب البعث وعصابته فصدرت أحكام الإعدام بحق الشهيد الشيخ عبد العزيز البدري أحد أبرز علماء أهل السنة في بغداد وبحق العلماء من قيادي حزب الدعوة: الشيخ عارف البصري ورفيقه وتواصلت حملات الإعدام ضد العلماء بشكل سافر وجماعي لا نظير له كان أكثرها جرأة على الإسلام والعلم والقانون إعدام الإمام الشهيد الصدر رضوان الله عليه ولا زالت العمليات التصفية جارية كل يوم بحق من يتهم بالتدين ويعرف عنه الالتزام بأحكام الإسلام، بل إن السلطات الحاكمة في العراق لم تجد بداً من القضاء حتى على الشعائر والمظاهر الدينية فعمدت في السبعينات إلى منع إقامة الشعائر الحسينية التي تعود الناس إقامتها في شهر محرم وصفر احتفاءً بذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام، فطاردت الآلاف من الرجال والنساء، الشيوخ والكهول، الشباب

(١) ن، م: ص ٢٦٦.

والصبيان، ومن أشهر ما وقع انتفاضة العشرين من صفر التي وقعت بين النجف وكربلاء عندما قرر الشعب الإعلان عن تدمره واستنكاره للقوانين الجائرة بحق الإسلام وشعائره فجابهت السلطات الجماهير بالدبابات والطائرات - وهذا ما لم يحدث في العالم - وتمخضت عن هذه الانتفاضة صدور حكم الإعدام الصوري والسري في أقبية السجون بحق ثمانية من أبناء النجف والسجن المؤبد بحق آخرين.

ولا أبالغ إذا قلت أن ما يجري بحق الدين في العراق أسوء بكثير مما كان يجري في محاكم التفتيش بعد سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس.

- ومن مظاهر جاهلية هذا النظام استخفافه بالعلم واستهائته بالعلماء فخطط هذا النظام لأكبر حملة - لم يعرف العالم لها مثيلاً - لمطاردة العلماء وملاحقتهم وايداعهم السجون وتعليقهم على المشائق وتعذيبهم في أقبية السجون المظلمة وتشريد آخرين، فلم يسلم منه أساتذة الجامعات وعلماء الدين، وحسبك أعدام أكبر شخصية علمية - الشهيد الصدر - عرفها العراق بل العالم الإسلامي كله وشهد بفضلها الأصدقاء والأعداء.

ويكفي القارئ وثيقتان تمثلان أرقى أسلوب عرفه البعث في العراق وذلك باقالة جماعات وجماعات من العلماء واعقائهم من مراكزهم العلمية لتستدعيهم مراكز الأمن والاستخبارات فيما بعد لتتزل بهم القصاص البعثي^(١).

- وانعدام القانون مظهر آخر من مظاهر جاهلية هذا النظام ووحشيته وأوضح مفردات هذا المظهر أن العقوبة في القانون البعثي في العراق ليست شخصية^(٢) بل تشمل أقارب الجاني - إذا كانت هناك جناية - وهذا ما يذكرنا بشرائع القرون السالفة التي تنال زوج الجاني وأولاده وأقاربه، فكل من سعت السلطات في العراق لاعتقاله بتهمة المعارضة تشمل العقوبة هذه أقاربه ليدفعوا

(١) راجع ملحق رقم ١٢.

(٢) العقوبة شخصية بمعنى أنها لا تنال إلا شخص الجاني وهذا ما نصت عليه جميع القوانين الجزائية في العالم بل نصت عليه الدساتير أيضاً ومنها الدستور العراقي المؤقت المعلن في ١٦ تموز ١٩٧٠م وذلك في المادة (٢١) الفقرة (أ).

ثمن ما اقترفه قريتهم من إثم من وجهة النظر البعثية

وقد أقدمت السلطات على إعدام سبعة عشر شخصاً من أقارب السيد محمد باقر الحكيم لكونه معارضاً للنظام العراقي مع أن الشعب العراقي كله يعرف عدم تدخل أقاربه بالسياسة بل إن بعضهم لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره .

أما الشعب الكردي في شمال العراق فإنه يدفع الثمن باهظاً لوجود معارضة كردية مسلحة - تدافع عن نفسها - وأفراد الجيش العراقي الذي ساقه النظام العراقي في السبعينات لقتال أخوته الأكراد يعرفون المجازر الوحشية وسياسية الأرض المحروقة وتدمير القرى الكردية والإعدامات الجماعية التي لا تستثني المرأة والطفل والشيخ . وليس بعيداً القصف الكيميائي الذي طال الشمال العراقي ليشرد الآلاف من أبناء الشعب الكردي إلى إيران وتركيا، ومجزرة حلبجة الدامية راح ضحيتها (٢٠) ألف مواطن وشوّهت الآلاف وشردت الآخرين .

- ويكاد الفرار من الارهاب البعثي في العراق يكون مستحيلاً وازلام النظام وعصابات الاغتيال تجوب العالم توزع الموت بالمجان، والعالم كله يعرف براعة النظام العراقي في هذا المجال ونجاحه الباهر .

ونظرة سريعة على عناصر السلك الدبلوماسي العراقي تؤكد هذه الحقيقة فالسفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي من أصحاب السوابق الإجرامية والمتمرسين في عمليات الاغتيال والقتل والتعذيب .

وهذه عينة^(١) من سفراء العراق :

(١) نبيل نجم التكريتي: مضمّد في إحدى مستوصفات بعقوبة، خريج ابتدائية سفير العراق في جنيف ومدير العلاقات الخارجية ثم أصبح رئيس التشرّيفات .

(٢) إسماعيل حمودي التكريتي: مضيّف في الخطوط الجوية العراقية شغل منصب سفير العراق في عدد من الدول .

(١) أنظروا النيار الجديد: العدد/٢٢ بتاريخ ٣/كانون أول/١٩٨٤م .

(٣) عبد الحسين مسلم: سفير العراق السابق في بيروت معلم في إحدى قرى المحمودية.

(٤) صاحب حسين السماوي: كاتب استعلامات في وزارة المالية سفير في ديوان الخارجية.

(٥) نوري ياسين التكريتي: السفير السابق في فرنسا، معلم ابتدائية في تكريت.

(٦) ياسين علوان الجبوري: سفير العراق بمسقط، عضو هيئة تحقيقية في المخابرات العامة ومدير إدارة سابق فيها.

(٧) صباح الحوراني: سفير العراق في طرابلس وعمان، كاتب في محطة وقود.

(٨) فاضل صليفيج: قائم بأعمال في الولايات المتحدة، شرطي مخبرات، أعيد إلى المخابرات بعد توليه القائم بالأعمال.

(٩) عبد الجبار غني الدوري: سفير العراق في الكويت، عامل فني في السلك وهو من العناصر المخابراتية البارعة بالإجرام في العراق.

(١٠) أنور عبد الرزاق سفير العراق في مدريد.

ولم تكن السفارات الأوكار الوحيدة للعمل الارهابي خارج العراق بل هناك الكثير من المؤسسات التجارية والثقافية وتحت واجهات عديدة تمارس الارهاب وتوزع الموت، من هذه المؤسسات الإتحاد الوطني لطلبة العراق وهو مؤسسة جاسوسية ارهابية داخل العراق وخارجه^(١).

أما عمليات التصفية الجسدية خارج العراق فإنها شملت العشرات من أبناء الشعب العراقي من علماء وسياسيين ومجاهدين وابرياء نذكر بعض هؤلاء ممن توفر لنا ذكره:

— الدكتور توفيق رشدي، استاذ جامعي اغتيل في اليمن ١٩٧٩، وقد

(١) أنظر جرائم صدام ص ٣٧. راجع ملحق رقم ١٢.

القت الحكومة اليمنية . القبض على القتلة من أعضاء السفارة العراقية وحدث يومئذٍ توتر في العلاقات الدبلوماسية بين العراق واليمن .

— الحاج سهل محمد السلطان اغتيل في دبي عام ١٩٨١م ، على يد المدعو عبد الحسين حميد عطية والذي يحمل جواز سفر دبلوماسي عراقي باسم حيدر محمد علي .
— في بيروت اغتيل المجاهد محمد صالح الحسيني ١٩٧٩م .

— اغتيال عادل وصفي عام ١٩٧٩ في بيروت يعمل في صفوف منظمة التحرير الفلسطينية .

— اغتيال تحسين الشيعلي عام ١٩٨٠م وهو صحفي — في بيروت .

— اغتيال الطالب أسعد منصور في بيروت ١٩٨٠م .

— اغتيال هاشم عبود الساعدي عام ١٩٨١م في بيروت — وهو صحفي .

— إختطاف عبد الجبار عبد الله وتفجير جسده في بيروت عام ١٩٧٩ .

— اغتيال علي بدر الدين كان أحد عملاء النظام العراقي ، قيل انه فر من العراق إلى بلده لبنان إثر استشهاد السيد الصدر وكان هو حلقة الربط بين النظام والسيد الصدر في المفاوضات .

— اغتيال الدكتور أياد حبش (أبو محمد) في إيطاليا . استاذ جامعي .

— اغتيال العلامة السيد مهدي الحكيم في الخرطوم عام ١٩٨٨م وقد كشفت السلطات السودانية عن تورط السفارة العراقية في عملية الإغتيال ثم فرّ القتلة إلى العراق .

— اغتيال طالبين عراقيين سامي محمد مهدي ونعمة مهدي محمد في الباكستان في ١٤/٣/ ١٩٨٧ وتشويه جسديهما .

— اغتيال الدكتور جاسم المشهداني في الكويت عام ١٩٨١ على مشهد من الناس ، وثم قبل ذلك اغتيال حردان التكريتي الذي اختلف مع صدام فخرج إلى الجزائر فدبرت له السفارة العراقية في الكويت عملية اغتياله بعد استدراجه إلى الكويت ، وكذلك اختطاف العلامة السيد عبد المنعم الشوكي وإرساله إلى العراق في صندوق بتواطؤ مع النظام الكويتي .

– في يوغسلافيا اختطف الطالب نشأت فرج ثم قتله بالسكين في احد شوارع صوفيا .

– في الولايات المتحدة تم اغتيال سالم يوروس عام ١٩٧٧م وسالم حميد عقراوي عام ١٩٨٠م وكوركيس سلمان عام ١٩٨٠م ونابليون يشي عام ١٩٨٣ رئيس تحرير جريدة المشرق .

– في فرنسا تم اغتيال عز الدين قلف عام ١٩٧٨م وهو عضو منظمة التحرير الفلسطينية وكذلك عدنان حماد عام ١٩٧٨ وهو الآخر عضو المنظمة .

– في بريطانيا اغتيل سعيد حمادي عام ١٩٧٨ عضو منظمة التحرير الفلسطينية واغتيل عبد الرزاق النايف بطل الانقلاب في السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨م

– اغتيال السيد عارف الحسيني في الباكستان عام ١٩٨٨م .

– اغتيال السيد حسن الشيرازي في بيروت عام ١٩٨٠م .

– قتل ضابط شرطة فرنسي من قبل سكرتير أول السفارة عام ١٩٧٨م .

– محاولة تفجير قاعدة المؤتمر السنوي للطلبة الأكراد في المانيا عام ١٩٨٠ وتم على اثرها طرد اثنين من أعضاء السفارة العراقية لاشتراكهم في الحادث .

– محاولة اغتيال الزعيم الكردي مسعود البرزاني عام ١٩٧٩ .

– محاولة اغتيال عبد الحليم خدام في الامارات المتحدة .

– محاولة اغتيال وزير الخارجية الإيراني في الكويت ١٩٧٩م .

وهناك العشرات التي يعجز القلم عن ذكرها ويأبى البحث استقصاءها لضيق المجال عن ذكرها وهي بحاجة إلى كتاب مستقل .

نعم! هذه هي حقيقة العصابة الحاكمة في العراق وحقاً ما قالته الصحفية المصرية صافيناز كاظم التي عاشت في العراق إذ تقول: «وكنت أسير من بغداد أكاد أشم الدم وأحس مذاقه حقيقة في حلقي وأنا أبلع ريقى». يوميات بغداد: ص ٢٥ .

الشهيد الصدر مفجر الثورة الإسلامية في العراق

لقد عرفت السلطة الحاكمة في العراق المتمثلة بالنظام البعثي منذ تسلمها شؤون القيادة السياسية ان السيد محمد باقر الصدر عدوها الرئيس ولا بد من القضاء عليه أو شل حركته - على الأقل - ريثما نحين الفرصة الملائمة لتصفيته والتخلص منه، لأنه وراء كل تحرك إسلامي، في جماعة العلماء، في حزب الدعوة الإسلامية، في دعم المرجعية، في البناء الفكري الإسلامي، والثقافة الرسالية، والوعي السياسي. بل في تحريض الجماهير على النظام وإشاعة الروح البطولية وإذكاء الحماسة القتالية.

وفي نظر النظام الفاشي يعتبر السيد الصدر أول من اجتراً على السلطة وأكثر في ذلك دون خوف ووجل حتى مع المسؤولين، فلم يكن يعرف الدبلوماسية السياسية في حديثه معهم، وهذا ما سبب حرجاً للنظام وبدأ يحسب للشهيد الصدر حسابه.

ففي عام ١٩٧٢م بعثت السلطة - زيد حيدر - عضو القيادة القومية لحزب البعث لزيارة السيد الصدر وكان برفقته عبد الرزاق الحبوبي وتكلم السيد الشهيد بجملة من الملاحظات على الدولة بالقدر الذي تسمح به الظروف يومذاك وقد حضر المجلس ثلة من طلاب الشهيد الصدر وأصحابه وقد دخل السيد الصدر الغرفة وكان فيها زيد حيدر بينما كان عبد الرزاق الحبوبي يتظاهر بالصلاة فيها ثم دخل خجلاً ليوحي للسيد الصدر بشدة حيائه من تأخير الصلاة إلى وقت العصر،

ثم دار الحديث بينهما فتحدث السيد الصدر عن دور الحوزة العلمية وقيادة العلماء ودورهم في المجتمع وفي تحريك الأمة وبدأ في سرد الحوادث التاريخية وقيادة العلماء في ثورة العشرين مثلاً ومواقف العلماء من الاستعمار وذكر السيد عبد الحسين شرف الدين ودوره في مقاومة الاستعمار الفرنسي في لبنان. ثم تحدث عن قدرة العلماء في تحريك الجماهير ضد الأنظمة وأوحى لهم بقدرته على ذلك فذكر لهم رضوان الله عليه أن الكثير من أبناء الأمة يسألونه عن مسألة الالتزام بالدوام في دوائر ومؤسسات الدولة وجواز الأضرار بمؤسسات النظام ودوائره، وعن حلية سرقة أموال الدولة ثم قال: إن الافتاء بجواز ذلك سيؤثر على الدولة ويربكها» وبذلك يريد السيد الصدر أن يوحي للنظام انه قادر على محاربته حتى بأيسر الوسائل وعبر الكلام والافتاء فقط.

ثم تحدث السيد الصدر عن بعض الأعمال العدوانية المقصودة ضد الأحكام والمشاعر الإسلامية وأعراف المسلمين. ثم قال: إن الدولة لو أرادت أن تعرف آراء الشعب ونظرياته يجب أن تراجع العلماء فإنهم معدن أسرار الأمة وعطّ ثقتها ولسانها. وعند ذلك بادرا الحبوبى إلى القول: انظروا إلى هذا الرجل — يشير إلى السيد الصدر — كيف يتكلم بكلام لطيف فلنجعله عالماً للبعثيين. فأجابه السيد الصدر: أنا عالم المسلمين ولست عالم البعثيين^(١).

ومن الكلام الذي تحدث به زيد حيدر انه استفسر من السيد الصدر قائلاً: لماذا لا تزور القيادة؟ فأجابه السيد الصدر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فنعم العلماء ونعم الملوك وإذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فبئس العلماء وبئس الملوك.

وزاره محافظ كربلاء في داره — وكانت النجف تابعة إدارياً لمحافظة كربلاء — فبادره السيد الصدر بغضب شديد قائلاً: هل أنتم مسلمون؟ مع الإسلام أنتم أم تريدون القضاء على الإسلام؟ فما هذا الفساد وهذه الشرذمة من قوات الأمن التي

(١) مقدمة مباحث الأصول، انظر ص ٥٣ بتصرف.

تنتشر في الصحن الشريف. فاعتذر له المحافظ ثم تبادر السلطة لاعتقال السيد الصدر^(١).

ولذلك وجدت السلطات الدكتاتورية في السيد الصدر قائداً موقفاً في تحريك الجماهير فبادرت أكثر من مرة إلى اعتقاله والتضييق عليه، وكانت أولى محاولات الاعتقال في ١ رجب ١٣٩٢ هـ المصادف بـ ٨/١٢/١٩٧٢ م.

يقول السيد الحائري في حديثه عن اعتقال السيد الصدر يومذاك: «اعتقل في سنة ١٣٩٢ هـ وكان ذلك - في الظن الغالب - في رجب أو في أواخر جمادي الثانية. والقصة كما يلي: ذكر - رضوان الله عليه - ذات يوم أنه بلغني خبر يقول: إن البعثيين سيعتقلونني في هذه الليلة، وفي صبيحة تلك الليلة عرفنا أنه لم يقع شيء من هذا القبيل.

وفي الليلة الثانية ابتلي - صدفة - بالتسمم أو ما يشبهه مما كان يحتمل اداؤه إلى الموت، فطلب إيصاله إلى المستشفى، وكنت أنا - والكلام للسيد الحائري - والمرحوم السيد عبد الغني - رحمه الله - بخدمته، ولا أذكر ما إذا كان شخص آخر معنا أو لا؟ فأخذناه إلى مستشفى النجف، وبعد فترة من الزمن جاءت زوجته أم جعفر، وأخته بنت الهدى إلى المستشفى لعيادته ثم رجعتا إلى البيت ورجعت أنا إلى بيتي وبقي معه في المستشفى المرحوم السيد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله، وأطلعنا بعد ذلك على أن الأمن العراقي طوّق في تلك الليلة بيت الأستاذ واقتحم البيت لغرض اعتقاله فقال لهم الخادم - وكان خادمه وقتئذ محمد علي الأفغاني -: إن السيد غير موجود ولا أعلم أين ذهب السيد فبدأوا بضرب الخادم ليعترف لهم عن مكان السيد، إلا أنه أبى وأصرّ على إنكاره رغم علمه بمكان السيد. وجاءت أخته - بنت الهدى - وقالت لهم: إن السيد مريض وقد انتقل إلى مستشفى النجف، فانتقل الأمن إلى مستشفى النجف وطوّقوا المستشفى وطالبوا المشرفين على المستشفى بتسليم السيد. فقالوا لهم: إن السيد مريض وحالته خطيرة، وإذا أردتم نقله فنحن لا نتحمل مسؤولية ذلك إذا مات بأيديكم.

وأخيراً وقع الاتفاق على أن ينقل السيد تحت إشراف الأمن إلى مستشفى

(١) جريدة الشهادة العدد/٢٠٢/ السنة الخامسة بتاريخ ٨/شعبان/١٤٠٧ هـ ص ٢.

الكوفة على أن يكون معه المرحوم السيد عبد الغني الأردبيلي بعنوان مرافق المريض .

وهكذا كان فقد نقلوا السيد الأستاذ إلى مستشفى الكوفة ووضعوه في ردهة المعتقلين، وعند الصباح ذهب السيد محمد الغروي إلى مستشفى الكوفة كي يطلع على حال الأستاذ فالتقى بالمرحوم السيد عبد الغني الأردبيلي فقال له : إن الأمن قد وضعوا قيد الحديد على يده الكريمة، فأخبرني السيد الغروي بذلك فذهبت - أنا - إلى بيت السيد الإمام الخميني - دام ظله - حيث كان وقتئذٍ في النجف الأشرف وتشرفت بلقائه وحكيت له، القصة ثم أكثرت في صبيحة ذلك اليوم مراجعة الناس على الخصوص طلاب العلوم الدينية والعلماء العظام أمثال المرحوم آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين والمرحوم الحجة السيد محمد صادق الصدر إلى مستشفى الكوفة يطالبون بلقاء السيد، والجلالوزة يمنعونهم عن ذلك، ودخل البعض على السيد رغماً على منع الجلالوزة، وكاد أن يستفحل الاضطراب في وضع الناس فخشيت الحكومة من نتائج الأمر فرفعت القيد من يد السيد وبعد فترة وجيزة أطلقت سراح السيد الأستاذ ووضع في القسم العادي (غير ردهة المعتقلين) في مستشفى الكوفة وبعد ذلك رجع إلى مستشفى النجف، وبعد أن تحسنت حالته الصحية رجع إلى البيت وكثرت زيارة الناس والوفود إليه . واستمر الأمر بهذا الوضع إلى أيام - وفاة الإمام موسى الكاظم - حيث أقام السيد الشهيد في بيته مأتماً للإمام الكاظم عليه السلام كعادته في كل سنة وكان المجلس يغص بأهله وكان الخطيب في ذلك الحفل السيد جواد بشير .

وكان يقول الأستاذ - رحمه الله - : إن هذا الاعتقال قد أثر في انشداد الأمة إلينا أكثر من ذي قبل وتساعد تعاطفها معنا^(١) .

وفي ١٩٧٧/١/٢٢ في شهر صفر ١٣٩٧ هـ وفي أحداث إنتفاضة صفر^(٢) أعتقل السيد الصدر وكان السيد الصدر يتابع أحداث الانتفاضة وهو يستبشر

(١) مقدمة مباحث الأصول : ص ١٠٥ - ص ١٠٧ .

(٢) انتفاضة صفر من الأحداث العظيمة في تاريخ الشعب العراقي وقد انتفضت الجموع الغفيرة ضد

النصر وتحطيم الخوف من النظام. وقد أحس النظام بدعم السيد الصدر لهذه الانتفاضة فقرر اعتقاله، ففي الساعة التاسعة صباحاً جاء أحد ضباط الأمن المجرمين إلى دار السيد الشهيد تمهيداً لمجيء مدير أمن النجف المجرم (أبوسعد) وحين اجتمع هذا الأخير بالسيد الشهيد قال له: إن السيد عزة الدوري - وكان وزير الداخلية سابقاً - يود لقاءك في بغداد.

ذهب السيد الشهيد - رحمه الله - إلى بغداد معتقلاً وهناك التقى مدير الأمن ليلبغه رسالة حقد من القيادة العقلية وسيل من كلمات التهديد والوعيد بألوان من الانتقام، وفي هذه المرة عذَّب السيد الشهيد وضرب وبقيت آثاره عليه بعد الافراج عنه حتى أنه كان لا يقوى على صعود السلم إلا بصعوبة كان يخفيها. وكان يقول: كنت أحرص على كتمان ذلك كي لا يؤدي إلى إهيار أو خوف البعض ممن لم يوطن نفسه على الصمود والثبات.

ثم أعلمته السلطة بموقفها منه إذ قال له مدير الأمن العام: «إننا نعلم أنك وراء هذه الأعمال العدوانية ونعلم أنك قدّمت لهم الأموال لكننا نعرف كيف ننتقم منك في الوقت المناسب. ولولا انشغالنا بالقضاء على هؤلاء المشاغبين لنفدنا الإعدام الآن ولكن سترى بعد حين مصيرك»^(١).

وفي السنوات الأخيرة صعد السيد الصدر من نشاطه في صفوف أبناء الأمة الإسلامية خصوصاً الشباب المثقف والجامعي وانتشر وكلاؤه في معظم المناطق بالشكل الذي تسمح به الظروف الداخلية لشؤون المرجعية وهذا ما سبب القلق المتزايد للنظام تجاه السيد الصدر وكثفت من عمليات المراقبة لداره والمربطين به. وقامت بعمليات اعتقال واسعة شملت الآلاف من أبناء الشعب العراقي واختنق العراق بالارهاب اللامتناهي وطاردت السلطات كل من عرف عنه التدوين

النظام وهي في طريقها من النجف إلى كربلاء لتجديد العهد مع سيد الشهداء الحسين بن علي (ع) واعتقل في الانتفاضة الآلاف وصدرت أحكام الإعدام بحق ثمانية وحكم المؤبد بخمسة عشر آخرين بينما أفرج عن الباقي.

(١) مقدمة الباحث: ص ١٠٩.

وارغمت أبناء الشعب العراقي على الانتفاء لحزب البعث. وعندها بادر السيد الصدر لردّ كيدهم وكسر شوكة النظام فأفتى بحرمة الانتفاء لحزب البعث. ولذلك طاردوا كل من أبى عن الانتفاء بحجة أنه من المقلدين للسيد الصدر.

وقد سئل السيد الصدر في التحقيق معه عن هذه الفتوى وما الذي دعاه إلى ذلك فأجاب ساخراً منهم «إنها فتواكم التي أمرتم بها بفصل الدين عن السياسة حيث قلتم لا نسمح للحاكم أن يتدخل في شؤون العالم ولا نسمح للعالم أن يتدخل في شؤون الحاكم لذلك فقد أفتيت بأن قلت للمسلمين لا تنتموا إلى سياسة أولئك وحكمهم ولم أسمح لا تباع الإسلام بأن ينتموا إلى أتباع الحاكم الجائر الظالم من أمثالكم^(١).

أما الأحداث الأخيرة والتي أدت إلى اعتقاله ثم الإقامة الجبرية عليه فلإن الحدث الرئيس الذي أوجع الموقف هو برقية الإمام الخميني للسيد الصدر والتي طالبه فيها بالإقامة في النجف والتراجع عن نية الخروج من العراق وهذا هو نصها.

«سماحة حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد محمد باقر الصدر دامت بركاته: علمنا أن سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب بعض الحوادث. إنني لا أرى من الصالح مغادرتكم مدينة النجف الأشرف مركز العلوم الإسلامية وإنني قلق من هذا الأمر، أمل أن شاء الله إزالة قلق سماحتكم والسلام عليكم ورحمته وبركاته».

روح الله الموسوي الخميني

وهذه البرقية لم تصل للسيد الشهيد الصدر بل سمعها نفسه رضوان الله عليه من إذاعة طهران - باللغة العربية - بعد تسجيلها وإطلاع السيد الشهيد على مضمونها وقد تأثر السيد الشهيد (ره) لذلك وانزعج من الأمر لأنه لم يكن ينوي الخروج من العراق وهو الذي عاهد الشعب العراقي على مشاركتهم الآمال والآلام

(١) الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية في العراق: ص ٦٦.

وكان يقول كيف علم الإمام الخميني بذلك^(١)؟

وحقيقة الأمر هي : ان أحد الأشخاص المقربين من السيد الإمام الخميني ذهب لزيارة الإمام فسأله الإمام عن أوضاع العراق وخاصة أوضاع السيد الصدر رضوان الله عليه فأجابه إن أوضاع العراق مضطربة ويعزم السيد الصدر على مغادرة العراق فتعجب السيد الإمام لذلك فأشار هذا الشخص على الإمام أن يكتب للسيد الصدر رسالة بذلك .

هذه الفرصة استثمرها السيد الصدر - وقد حسب النظام حسابه لها - ولذلك بعث رسالة للسيد الإمام الخميني رداً على رسالته عبر فيها عن ارتياح الشعب العراقي سروره بانتصار الثورة الإسلامية في العراق وسقوط الحكم الملكي الجائر .

وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الإمام المجاهد السيد روح الله الخميني دام ظله تلقيت برفيتكم الكريمة التي جسدت أبوتكم ورعايتكم الروحية للنجف الأشرف الذي لا يزال منذ فارقكم يعيش انتصاراتكم العظيمة ، وإني استمد من توجيهكم^(٢) الشريف نفحة روحية ، كما أشعر بعمق المسؤولية في الحفاظ على الكيان العلمي للنجف الأشرف وأود أن أعبر لكم بهذه المناسبة عن تحيات الملايين من المسلمين والمؤمنين في عراقنا العزيز الذي وجد في نور الإسلام الذي أشرق من جديد على يدكم ضوءاً هادياً للعالم كله ، وطاقة روحية لضرب المستعمر الكافر والاستعمار الأمريكي خاصة ، ولتحرير العالم من كل أشكاله الاجرامية وفي مقدمتها جريمة اغتصاب أرضنا المقدسة فلسطين ونسأل المولى سبحانه وتعالى أن يمتعنا بدوام وجودكم الغالي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد باقر الصدر

النجف الأشرف

٥/ رجب/ ١٣٩٩ هـ - المصادف ١/ ٦/ ١٩٧٩

(١) أنظر تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ص ١٢٣ ، سيد عامر الحلو .

(٢) هذا من أعلى درجات التفاني والإخلاص ونسيان الذات الذي لا يقدم عليه فاضل من علماء الدين فضلاً عن أبرز مراجع الدين .

وكانت هذه الرسالة قد تم نقلها عن طريق الهاتف .

وكان أحد قيادي حزب الدعوة أشار على السيد الصدر استثمار هذه البرقية في تعبئة الأمة ومجديد البيعة له وقيادته فاقتنع السيد الصدر بذلك وقام حزب الدعوة بتنظيم الوفود المبايعة التي أخذت تترى من كل صوب إلى النجف الأشرف لتبايع السيد الصدر وتعلن عن دعمها لقيادته الحكيمة ومرجعيته الرشيدة .

— في النجف الأشرف تمثلت البيعة في احياء عدة مساجد مهجورة وتم افتتاحها من قبل ممثلي ووكلاء السيد الصدر رضوان الله عليه وكان من بين هذه المساجد مسجد كميل الذي عين السيد الصدر فيه الشهيد السيد عبد الجبار الموسوي إماماً . وقد أربع هذا المسجد السلطة واقلقها فهاجمته عدة مرات كان آخرها عصر يوم انتفاضة رجب .

— وفد مدينة الثورة: من المدينة البائية التي تقع إلى جنب العاصمة بغداد، من مدينة الثورة، وفي يوم جمعة تم تأجير السيارات لنقل الوفد — بشيوخه وشبابه — بقلوب مطمئنة ودون علم أصحاب السيارات وتوزعت السيارات في أنحاء المدينة لتنتقل حيث مرقد أمير المؤمنين علي عليه السلام وحيث حفيده القائد الإمام الصدر .

وانطلقت السيارات وبدون علم السلطات الظالمة ليتجمع أفراد الوفد في النجف في الجامع الهندي ثم لتنتقل منه حيث منزل الإمام الصدر ذي الصدر الرحب والقلب المتدفق بالحنان والعطف والحب، وهي تردد شعارات الولاء وإعلان البيعة والعهد الاستعداد على التضحية في سبيل الله واستقبلهم الإمام الصدر في داره ليوقف أحد رجال الوفد يخاطب السيد الصدر قائلاً: «أيها الصدر الكريم لن نقول لك كما قال أصحاب موسى إذهب أنت وربك فقاتلا فانا هاهنا قاعدون فوالله نحن جنود أمناء رهن اشارتكم» فبسم السيد الصدر قائلاً: أنتم أخوتي وابنائي ولن أبرح مكاني حتى أجاهد معكم حتى النفس الأخير .

— مدينة كربلاء مدينة الدم، مدينة سيد الشهداء الحسين عليه السلام هي الأخرى بادر ابنائها إلى بيعة الإمام الصدر فتحركت قافلة المبايعين يوم الثلاثاء في العاشر من شهر رجب ١٣٩٩ هـ متوجهة إلى النجف الأشرف متحدية السلطة

الكافرة معلنة عن عدم خوفها وعدم مبالاتها بالارهاب واستعدادها للتضحية في سبيل رسالة الله بقيادة الإمام الصدر . وقد وصل الوفد مدينة النجف الأشرف والجموع تهتف بحياة الشهيد الصدر وقد تقدم علماء المدينة وكبارها ووجهائها ومن خلفهم شباب الأمة وقلبها النابض وأعلن المبايعون عن ولائهم وبيعتهم فرحب الإمام الصدر بقدمهم وقال : «أرحب بكم يا ابنائي وأخوتي وعشيرتي إني أشم فيكم رائحة تراب كربلاء» حتى أجهد الحاضرون بالبكاء وختم الشهيد الصدر كلمته بقوله : أضمكم إلى قلبي . . . يا أبناء مدينة الحسين . . مدينة حوت تلك الدماء الطاهرة التي أراد السلطان أن يستميلها بالمال والجاه فأبت لأنها رأت مسألة الحق أكبر من ذلك . دماء من؟؟ إنها دماء أقدس إنسان على وجه الأرض . . إني أغبطكم يا ابنائي على مجاورتكم لقبر ريحانة رسول الله ، فالإنسان حينما يمسك تفاحة يبقى شذاها في يده ، فكيف وأنتم أقرب الناس إلى قبر الحسين بن فاطمة ! إني أشم منكم رائحة الحسين ، كربلاء صغيرة بحجمها إلا أنها كبيرة بعطائها . . فحدودها العقائدية كبيرة تمتد مع حدود الإنسان الرسالي . ما من إنسان تكلم عن الإنسانية إلا وكانت كربلاء في ضميره ، وأعاهدكم أحبي اني سأحذوا حذو جدي الحسين» .

— وفد مدينة العمارة : رغم بعد هذه المدينة عن النجف الأشرف ، فإنها تحمى النجف الأشرف روحياً ودون أية فاصلة فقد عاشت المحنة وعلنت عن تأييدها لقيادة الإمام الصدر وشهرت هويتها الإسلامية وحبها العميق للمرجع الكبير وانها تفديه . ولم يكن التأييد هذا والتعبير عنه في ظل حكومة صدام نزهة أو عرضاً سينمائياً يستمتع به ، بل كان التأييد ولو بحرف كافياً لصعود المشائق واستقبال السياط اللاذعة والتعذيب الوحشي الذي لم تشهده البشرية في القرون الوسطى .

وكان قدوم وفد هذه المدينة يوم الجمعة في الثالث عشر من رجب ، وعرف وفد العمارة بأنه من أكبر الوفود وأكثرها حشداً فضاق بها الزقاق المؤدي إلى منزل الشهيد الصدر المتواضع دون أن يضيق بهم صدر الشهيد الصدر فكان رحباً واسعاً ضمهم في كنفه وشملهم بعطفه ووده . وأعلن علماء هذه المدينة للسيد

الصدر بيعة هذه الحشود فشكر السيد الصدر مساعيهم وهو يردد قوله «أنتم أهلي وأنتم عشيرتي».

— محافظة ديا لي هي الأخرى كانت تتطلع نحو مركز قائدها الإمام الصدر فتجمعت همم أبنائها في المسير إليه واتفقت على الميعاد فانطلقت القافلة في السابع من شهر رجب فاجتمعت الحشود في الصحن الشريف فدوى بالتهليل وارتفعت الأصوات تشد بحماس فتوجه الموكب من باب الطوسي ماراً بامتداد شارع زين العابدين عليه السلام ثم اتجه صوب سوق العمارة، وعندما دخل الوفد السوق الذي يؤدي إلى منزل الصدر خرج الناس من محلاتهم يحيون الوفد فلاذ جلاوزة النظام ورجال الأمن والاستخبارات في الزوايا والفروع المؤدية إلى السوق وقد أخذ الخوف والرعب بمجامع قلوبهم.

وعندما وصل الوفد إلى منزل السيد الصدر استقبله رضوان الله عليه بحفاوة فأخذ كبار الوفد يعلنون الوفد واحداً بعد آخر حتى قام أحدهم فخطب السيد الصدر:

سر في جهادك ما استطعت موفقاً
حدان في يدك العقيدة والتقى

فتحدث الشهيد الصدر في المبايعين فقال في بعض حديثه: «لا غربة أن يكون هذا الموقف من أبناء هذه المحافظة فهم أبناء الإسلام وحماة رسالته».

— قضاء الرفاعي من أقضية محافظة ذي قار ويبعد عن الناصرية حوالي (٩٠) كلم وحديث العهد مع مرجعية السيد الصدر رضوان الله عليه فقد أرسل لها السيد الصدر في السنوات الأخيرة قبيل فرض الإقامة الجبرية عليه أحد وكلائه البارزين ومن خيرة المجاهدين فتوجه أبناء هذه المدينة بقلوب واهة تجاه سيدهم وقائدهم الإمام الصدر ولما تصاعدت الأحداث في العراق توافدت الجماهير من كل مكان نحو الإمام الصدر لمبايعته كانت هذه المدينة من بين المدن العراقية التي عاهدت السيد الصدر على البذل والعطاء والتضحية في سبيل الله تعالى، وقد اجتمع كبار هذه المدينة ووجهاؤها وبنائها للمسير إلى النجف وانطلق موكبهم حيث المركز والقيادة الحقبة وتم ذلك فعلاً وضمهم السيد الصدر بين جوانحه وكان

السيد الصدر يولي اهتمامه الكبير وعنايته الفائقة في عشائر هذه المدينة فأخذ يسأل عن قبائلها الواحدة بعد الأخرى ويتحدث عن الماضي المشرق والمواقف البطولية والتأريخ المجيد لهذه العشائر ثم حملهم تحياته لآبناء هذه المدينة فرجع الوفد يتحدث الجماهير هناك عن مشاهداته وانطباعاته وينقل لهم تحيات السيد الصدر رضوان الله عليه .

وكانت هذه الزيارة سرّية ولم تكن السلطات على علم بها ولكنها سرعان ما ترامت أخبارها إلى مسامعها لتطارّد كل من أشتبّه به من عناصر الوفد وتحاسب المسؤولين على غفلتهم وعدم إخبارهم عن مسير هذا الوفد .

— جديدة الشط مدينة تقع على نهر دجلة أقرب إلى بغداد منها إلى بعقوبة وتقابل منطقة الطارمية شمال بغداد وتضم ثلاث قرى هي «جماعة — أما حسن — البوعبدي» وتعتبر هذه المنطقة من المناطق المنسيّة وقد شملها السيد الصدر برعايته وأرسل لها أحد وكلائه فتمت أواصر هذه المدينة مع المرجعية وتضاعد العمل الإسلامي فيها وقد ارتبك أزلام النظام لذلك وأقلقهم مستقبل هذه المدينة الصغيرة .

وكانت هذه المدينة قد سارعت لإعلان بيعتها لقيادة الإمام الصدر وتوجه رجال هذه المدينة شيوخاً وشباباً وألقت هذه الجموع برحليها في النجف حيث مسجد الجواهري لتخرج منه إلى منزل السيد الصدر وهي تهتف «يا فقيه العصريا سيدنا، يا أبا جعفر يا قائدنا، نحن جند لك دوماً أمناء، وستبقى عبقياً رائداً» .

ولشدة الزحام وكثرة الوفود وضيق الزقاق دخل ممثلو هذا الوفد لينقلوا للسيد الصدر بيعة هذه المدينة واستعداد أبنائها لتحمل المسؤولية . ثم يعود الوفد ليطارد من قبل أزلام الأمن والاستخبارات فقد تم إيقاف السيارات في عودتها وتسجيل أسماء عناصر الوفد وذلك لإرهاب الأمة وإرهابها .

— حيي السلام : من أحياء بغداد الكبيرة وكان الشهيد الشيخ عبد الجبار البصري وكيلاً للمرجعية هناك وهذا ما جعل من هذه المنطقة منبراً للإسلام لما عرف به الشيخ الشهيد من علمٍ وورع وبطولة وصمود وثبات، فكانت المنطقة نظير أي منطقة في العراق في تفاعلها مع الأحداث وتجاوبها مع نداء القيادة

ورفضها للظلم وانتفاضتها ضد الحكم البعثي الجائر في العراق ولذلك نظم الشيخ البصري وشباب هذه المدينة عملية البيعة وتم تهيئة لوازم السفر حيث منزل الإمام الصدر فانطلقت القوافل في يوم الثلاثاء في العاشر من شهر رجب لتستقر في مسجد الشيخ الطوسي في النجف ثم تسير في مسيرة حاشدة تجاه منزل السيد الصدر بتحدٍ وإصرار وهي تهتف: «الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله» «عاش عاش، عاش الصدر، الإسلام دوماً منتصر» «بالروح بالدم نفديك يا إمام».

وقد استقبلهم السيد الصدر رضوان الله عليه وهو يشدّ على أيدي الشباب الرسالي معبراً عن اعتزازه وحبّه.

هذا ما وفقنا لذكره^(١) وقد فاتنا الكثير منها فثمة وفود أخرى كوفد قضاء النعمانية بقيادة الشهيد آية الله السيد قاسم شبر، ووفد البيّاع في بغداد وفي مقدمتهم الشهيد الشيخ قاسم ضيف، ووفد الكاظمية من بغداد يتقدمهم الشيخ النمدي ووفد الكوت في مقدمتهم الشيخ عفيف النابلسي ووفد مدينة العزيزية مع الشهيد السيد عز الدين الخطيب، وفد البصرة مع السيد عصام شبر، ووفد الناصرية، وكركوك، والسليمانية والسماوة.^(٢)

ثم أن السيد الصدر بادر إلى إيقاف هذه الوفود وذلك لأن الآلاف من المؤمنين استطاعوا أن يعبروا عن موقف الشعب العراقي من المرجعية ورفضها للحكم الجائر، ولحرص السيد الصدر على عدم كشف كافة الأوساط الموالية والمؤمنة بالمرجعية إذ أن سلطات الارهاب كانت تراقب الوفود بدقة وتقتفي آثارها لتطارده المبايعين في الوقت المناسب^(٣).

ثم ان السلطة قامت بحملة شرسة ضد أبناء الشعب العراقي وعمدت إلى اعتقال الآلاف خصوصاً من الشباب الجامعي بحجة انتمائهم لحزب الدعوة الذي صدر بحق أعضائه المتعاطفين معه حكم الإعدام وذلك تمهيداً لعملية اعتقال

(١) اعتمدنا على مجلة الجهاد العدد/١٦/ السنة الثانية/١٤٠٤ هـ.

(٢) انظر مقدمة مباحث الأصول ص ١١٨.

(٣) مقدمة المباحث ص ١١٩ بنصرف.

السيد الصدر ثم اعلنت الطوارئ ونزلت قوات الأمن والاستخبارات بشكل لا مثيل له على مدى القرون التي عاشها العراق . وقد شعر السيد الصدر وكل المؤمنين فتم الاتفاق مع حزب الدعوة على تنظيم التظاهرات فيها لو حدث اعتقال السيد الصدر .

وهذا ما تم فعلاً وعمّت التظاهرات ارجاء العراق المختلفة رغم المحاولات الكبيرة التي بذلتها السلطات لتحجيم عمل الدعوة واعتقال كل من أشتب به من عناصرها أو المتعاطفين معها .

إعتقال السيد الصدر :

وفي يوم الاثنين المصادف ١٦/ رجب/ ١٣٩٩ هـ بدأت قوات الأمن تكشف من دورياتها ومراقبتها لمنزل السيد الصدر والأزقة القريبة منه ثم منعت المارة من التجول في الزقاق تمهيداً لاعتقال السيد الصدر .

وفي صباح الثلاثاء ١٣/ ٦/ ١٩٧٩ م المصادف بـ ١٧ رجب والناس نيام جاء المجرم مدير أمن النجف وطلب اللقاء بالسيد الشهيد وقال له : إن السادة المسؤولين يريدون الاجتماع بكم في بغداد فأجابه السيد الشهيد بانفعال شديد وقال له : إن كنت تحمل أمراً باعتقالي فنعم أذهب ، وإن كانت مجرد زيارة فلا !!

وأضاف السيد قائلاً : إنكم كمنتم الأفواه وصادتم الحريات وخنقتم الشعب ، تريدون شعباً ميتاً يعيش بلا إرادة ولا كرامة ، وحين يعبر شعبنا عن رأيه أو يتخذ موقفاً من قضية ما ، حين تأتي الألوف لتعبر عن ولائها للمرجعية والإسلام لا تحترمون شعباً ، ولا ديناً ، ولا قياً ، بل تلجأون إلى القوة لتكموا الأفواه وتصادروا الحريات وتسحقوا كرامة الشعب . أين الحرية التي تدعونها؟

وظل السيد الشهيد يصرخ في وجه الظالم وكانت مفاجئة عظيمة أذهلته وجعلته يلوذ بالصمت ولم يرد ولو بحرف واحد .

ثم قال السيد الصدر هياً لنذهب إلى حيث تريد^(١) .

(١) مقدمة الباحث : ص ١٢٦ بتصرف .

خرج السيد الصدر وكانت قرات الأمن أكثر من مائتي شخص وكلهم مدججون بالسلاح والذخيرة. فوفقت أخته الشهيدة تصيح في وجوههم وتسخر منهم وتقول: علامَ هذه الحشود؟ إنكم تخافون منه. لماذا تأتون والناس نيام؟

وتسرب الخبر إلى مسامع تلامذته ومحبيه من أبناء الشعب العراقي فبادر المجاهدون إلى تجميع الأمة لرفض واستنكار هذه الجريمة وكان للسيد علي أكبر الحائري أحد تلامذته الدور الفعال في التظاهر، وكان أحد العلماء قد عمد إلى إخبار الطلبة وتبليغهم في مدرسة اليزدي وكتابة المنشورات والبيانات المنددة بتلك الجريمة بينما أقترح أحد أعضاء حزب الدعوة مسجد الجديدة وأعلن في مكبر الصوت نبأ اعتقال السيد الصدر^(١) وتمت الترتيبات من أجل خروج التظاهرة وكان الموعد الساعة العاشرة صباحاً في الصحن الشريف.

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء في السابع عشر من شهر رجب بدأت فصول انتفاضة رجب البطولية، واجتمع المؤمنون فشرع السيد علي أكبر الحائري بقراءة الدعاء المعروف «بدعاء الفرج» وإنما اختير ذلك لأنه يتضمن اسم الإمام المهدي مما يسمح بالقيام ثم تنطلق التظاهرة. وقد تم ذلك فعلاً وانطلقت الحشود وهي تردد الشعارات: «الله أكبر.. الله أكبر، نصر من الله وفتح قريب.. عاش عاش، عاش الصدر.. وكانت التظاهرة تضم العدد الكبير من النساء المؤمنات بيد إهن تخلفن عن اللحاق لسرعة حركة المظاهرة وافتحام الأمن للمظاهرة، وقد خرجت التظاهرة من الصحن الشريف باتجاه شارع الإمام الصادق عليه السلام وحاولت قوات الأمن تفريقها فلم تستطع وقد حرفت التظاهرة سيرها باتجاه السوق الكبير لكثرة قوات الأمن التي واجهتها لتعود للحرم الشريف مرة أخرى ثم اضطرت التظاهرة للعودة إلى شارع الإمام الصادق لتتفرق بعد أن فتح الجلاوزة عليها النار وهاجمتها قوات الأمن بالضرب والاعتقال.

وقد كانت المعركة جريئة في تاريخ العراق السياسي المعاصر للصلابة التي أبداه المتظاهرون والصمود الرائع فسقط بعض منهم واعتقل آخرون. ثم بدأت عمليات الاعتقال العشوائية التي طالت الآلاف من أبناء الشعب العراقي.

(١) مجلة الجهاد العدد/١٦/ بتاريخ رجب/١٤٠٤ هـ ص ١١٧.

وفي مدينة الثورة الباسلة خرجت تظاهرة عارمة عصر يوم الثلاثاء وانطلقت من مسجد الإمام الباقر عليه السلام وهي تردد الشعارات المنذدة بالسلطة الحاكمة «عاش الخميني والصدر، الإسلام دوماً منتصر» فقام رجال الأمن والاستخبارات بقطع الطريق عليها واطلقت النار صوب التظاهرة وسقط الشهداء والجرحى مما اضطر التظاهرة لمهاجمة الجلاوزة ومطاردتهم وحدثت يومها أروع الأمثلة وكانت تظاهرة مدينة الثورة من أكثر التظاهرات المنذدة باعتقال السيد الصدر ببسالة وجراً وحار رجال الأمن في كيفية تفريقها والقضاء عليها^(١).

وفي مدينة السماوة خرجت تظاهرة عارمة يتقدمها الشهيد العلامة الشيخ مهدي السماوي وأخذت تردد الشعارات المنذدة بالسلطة وتستنكر عملية اعتقال السيد الصدر وقام الشهيد الدكتور محمود شاکر فألقى في الجماهير خطاباً حماسياً طالب فيه السلطات بالافراج عن السيد الصدر فاصطدمت الجماهير مع رجال الأمن لتنتهي التظاهرة بمقتل بعض جلاوزة النظام واعتقال المئات من المتظاهرين^(٢).

وفي مدينة ديالى انطلقت تظاهرة كبيرة من حسينية «علييات» ضمت المئات من ابناء مدينة الخالص ونزلوا إلى شوارع المدينة وهم مغتسلون بغسل الشهادة فواجهتهم سيارات الأمن والاستخبارات فحطموا زجاجها بالحجارة ودخلوا سوق المدينة لتنضم إليهم جموع غفيرة وهي تندد بعملية اعتقال السيد الصدر.

أما في مدينة جديدة الشط فقد وقع اشتباك واسع بين الجماهير وبين أزام السلطة وقد تمكن المتظاهرون من قتل أكثر من واحد من رموز البعثيين في المدينة وطردها اعضاء منظمة حزب البعث.

وهذا ما حصل أيضاً في مدينة «جيزان الجول» التي فرّ منها البعثيون وأزلام السلطة إلى مدينة الخالص^(٣).

وفي ناحية الفهود التابعة لمحافظة ذي قار خرجت تظاهرة كبيرة تستنكر اعتقال السيد الصدر وتنذر السلطة وتحذرها من الاستمرار في الاجرام بحق العلماء

(١) و (٢) و (٣): جريدة الجهاد العدد/٨٤/ بتاريخ ١٨/ رجب/ ١٤٠٣هـ

وابناء الشعب العراقي وقد تقدم هذه التظاهرة الشهيد الشيخ محمد علي الجابري وقد اشتبك ابناء المدينة مع جلاوزة النظام مما أدى إلى اعتقال العدد الكبير من ابناءها^(١).

وفي بغداد انتشر خبر اعتقال السيد الصدر فأخذت الحشود تتوافد من مناطق بغداد من حي السلام والحرية وعلي الصالح والأسكان والوشاش والعطفية وهي تتجه صوب مدينة الكاظمية حيث مرقد الإمام الكاظم والإمام الجواد عليهما السلام.

وقد انطلقت التظاهرة من الصحن الشريف وبعد انتهاء صلاة المغرب والعشاء إذ قام أربعة من الشباب الرسالي يعلنون بدء التظاهرة وهم يهتفون: «الله أكبر.. الله أكبر.. عاش عاش، عاش الصدر، الإسلام دوماً منتصر.. بالروح بالدم نفديك يا إمام».

وسارت التظاهرة لتخرج من الصحن الشريف وهي تجوب الشوارع لتواجه الرصاص من فوهات الأسلحة النارية فسقط العشرات بينما اعتقل الآلاف من ابناء العاصمة بغداد^(٢).

وكان يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر رجب ملحمة من ملاحم الشعب العراقي أثبت لنظام صدام جرأته التي ورث عن الآباء والأجداد في ملاحم ثورة العشرين وغيرها من انتفاضات الشعب العراقي.

وفي خارج العراق إتسعت عمليات الاستنكار والتنديد كان من بينها الاحتجاج الذي نظم له في تظاهرة كبيرة خرجت في دمشق العاصمة السورية إذ وقف المتظاهرون ولمدة نصف ساعة أمام السفارة العراقية ووزع المتظاهرون البيانات المنددة باعتقال السيد الصدر في داخل حرم السفارة^(٣).

وفي لبنان استنكر مجلس قيادة حركة أمل اعتقال السيد الصدر وطالب

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) مجلة الجهاد العدد ١٦ / شهر رجب / ١٤٠٤ هـ.

(٣) الحوار السياسي العدد ٢٨ - ٢٩ ص ٨٠.

باطلاق سراحه فوراً بينما أضربت أفضاحية الجنوبية من العاصمة بيروت لمدة ساعتين وذلك في (١٠/٤/١٩٨٠م) واقفلت المدارس والمتاجر في برج البراجنة والغيري وحي السلم والشيخ والأوزاعي وطافت الأحياء سيارات تحمل مكبرات الصوت كانت تدعو إلى الاضراب والافراج عن السيد الصدر. ^(١)

السلطات العراقية لم تنجح في محاولاتها هذه للانتقام من السيد الصدر فأذعنت لمطالب الجماهير العراقية والمسلمين في أنحاء العالم فأطلقت سراحه في نفس اليوم بعد الظهر يعود السيد الصدر إلى النجف الأشرف شامخ الرأس وقد نقل عنه انه كان يقول عندما سمع بتضحيات الشعب العراقي : بأبي أنتم وأمي . . بأبي أنتم وأمي .

(١) نفس المصدر السابق.



الفصل الرابع

رحلة الشهيد الصدر إلى عالم الشهادة

* قصة الحصار

* استشهاد السيد الصدر واصداء استشهاد

* رفيقة الدرب «الشهيدة بنت الهدى»



قصة الحصار

عاد السيد الصدر إلى النجف الأشرف وقد فشلت السلطة في القضاء عليه والتخلص منه، لتفرض عليه الإقامة الجبرية وتمنع الاتصال به.

وهذه الأيام التي عاشها الشهيد الصدر في منزله لما يزيد على الثمانية أشهر مفتقرة إلى البحث والتحقيق لسرية الاتصال مع السيد الصدر وكيفيته والصعوبات التي تعترض هذا الاتصال.

إنها قصة مستقلة سيكشف الزمن عنها يوماً ما.

أما قصتنا هذه فهي قصة الحصار^(١) الذي ضربه أزام السلطة على دار السيد الصدر، قصة المأساة واللوعة، إنها قصة الحصار القديم الذي فرض على جده الإمام الحسين عليه السلام.

نعم! لقد كان السيد الصدر يوصي أفراد عائلته بالتكتم على ما لاقته من محن ومأسٍ ليزيدهم الله الثواب الجزيل.

نقلت إحدى المؤمنات عن الشهيدة بنت الهدى - بعد الإفراج المؤقت عنهم قبيل استشهادهم - أنها تقول: «إن ما لاقيناه في أيام الحجز من زمرة البعث الكافر لا يعلمه إلا الله. إن السيد أوصانا بكتمان ما حدث ونشتكي إلى الله ممن ظلمنا».

وكانت تقول رضوان الله عليها: «كنت أظن في فترة الحجز أننا قد انقطعنا

(١) اعتمدنا في كتابة هذه الفصول على «بطلة النجف» للكاتبة أم فرقان ص ٦٧، ص ٧٢.

عن العالم وكأننا وحدنا في مكان مقفر، ولكن حينما يصل صوت بوق السيارة إلى مسامعي كنت آنس بهذا الصوت لأنني أشعر حينها أننا لسنا منعزلين عن الأحياء، وإن هنالك أناساً ما زالوا قريبين منا. . . وقبل قرأت بيتاً من الشعر معناه: إن الشاعر يقول: إنه لو حدثه يأنس بصوت الذئب فعجبت وقلت: وأنى للإنسان أن يأنس بعواء الذئب وهذا ما حدث لي فعلاً فاني كنت آنس بصوت بوق السيارة لأنه يحسني باننا ما زلنا نعيش وسط الناس ولسنا منعزلين عن المجتمع».

وكانت الشهيدة تخرج بعض الأحيان إلى الزقاق بحجة إخراج النفايات من البيت تنظر الزقاق عليها تجد أحداً من الأجرة ماراً، ولكنها دائماً تجد الزقاق خالٍ من المارة إلا من زمرة الجلاوزة المحدقة بالبيت ليل نهار.

وكانت الشهيدة بنت الهدى تردد:

عتبتنا غطّاها التراب لثلا يسزورنا الأحاب

وكان اطفال الشهيد الصدر يتطلعون صباح كل يوم إلى الباب بلهفة على أمل وصول أحد الأشخاص المكلف بنقل الغذاء إلى بيت الإمام الصدر خشية عدم وصوله.

وكانت نزهة الأطفال الوحيدة هي الصعود إلى سطح الدار والنظر إلى الفضاء الواسع وخصوصاً في الليالي المظلمة.

أما الإمام الصدر رضوان الله عليه فكان يحدث ابنائه حينما يسألونه عن سبب حجزهم فيذكر لهم الأحاديث الطوال عن معاناة رسول الله صلى الله عليه وآله والحصار الذي فرضته قريش عليه وأصحابه في شعب أبي طالب.

وظل القلق يساور صدام وحزنه والحثالة الحاكمة في بغداد فلم يكتف بذلك فقرر الإفراج عنه ورفع الإقامة الجبرية لإسبوع، وفي ١٩٨٠/٤/٥ تم استدعاؤه إلى بغداد وينفذ صدام حكم الإعدام المجنون في الامام القائد ليحفر قبره بيده وذلك في الثامن أو التاسع من شهر نيسان ١٩٨٠م مع أخته الفاضلة الشهيدة بنت الهدى دون محاكمة ولو بصورة ودون تعليق رسمي أو شبه رسمي ثم تعود جنازتهما ليضجع الشهيد الصدر وأخته الطاهرة ويبقى العراق بعده يعاني الآلام والمحن.

الشهيدة العالمة بنت الهدى

الشهيدة العلوية العالمة الفاضلة آمنة بنت السيد حيدر الصدر أخت الشهيد الإمام الصدر لأمه وأبيه ورفيقته في رحلته إلى عالم الشهادة والشهيرة بـ (بنت الهدى). ولدت الشهيدة بنت الهدى سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٦ م^(١) وقيل سنة ١٩٣٧ هـ ١٣٥٧ هـ^(٢) وقيل سنة ١٩٣٨ - ١٣٥٨ هـ^(٣).

وقد توفي والدها السيد حيدر وهي لم تتجاوز السنة الأولى من عمرها^(٤) فيكون الأنسب من الأقوال الثلاثة أنها ولدت سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٦ لأن وفاة السيد حيدر الصدر كانت سنة ١٣٥٦ هـ^(٥).

ولما توفي والدها كفلها أخوالها شأنها شأن أخوانها السيد إسماعيل والشهيد رحمهما الله، ثم كفلها السيد إسماعيل واختارت الحياة مع أخيها السيد محمد باقر وعاشت معه في صباها وشبابها وكهولتها واستشهدت معه ودفنت إلى جنبه.

وكانت على علاقة أخوية مع أخيها السيد الشهيد تكاد تكون متميزة ولعلها هي المانع الرئيس من زواجها واختيارها القرب من السيد الشهيد والعيش معه. ونشأت العلوية بنت الهدى على حب العلم فكانت تواظب على القراءة

(١) مقدمة الباحث/ ٣٠.

(٢) الشهيدة بنت الهدى عذراء العقيدة والمبدأ/ ٢٤.

(٣) بطللة النجف/ ١٦.

(٤) نفس المصدر السابق/ ١٦.

(٥) أنظر ص ١٣ من البحث الفصل الأول.

والمطالعة ورغم فقر عائلتها فإنها كانت تعتمد إلى توفير بعض المال لشراء الكتب وقد صادف أن إحدى صديقاتها تفعل مثل فعلها فانفقت الشهيدة بنت الهدى على أن تشتري كلا منها كتاباً غير الكتاب الذي تشتريه الأخرى فإذا انتهين من قراءة كل واحدة لكتابها أعارته الأخرى^(١).

وقد نقلت والدتها أنها كانت تهتم بالقراءة والتركيز فيها. ومنذ صغرها كانت تميل إلى الانفراد بغرفة خاصة من البيت طلباً للهدوء. ليست هي إنعزالية — كانت اجتماعية الطبع — لكنها لا ترى الاجتماعية يجب أن تهدر الوقت وتبدد الزمن في حلقات أحاديث مفرغة. إنها تميل إلى الانفراد للتأمل بهدوء. تنعزل دوغماً انطواء بل لتوفر على نفسها وشخصيتها تعدها تهيؤاً للعطاء^(٢).

وكان جلّ تتلمذها على أخيها السيد الشهيد. ونقل عنها أنها وفي إحدى الجلسات مع السيد وبين يديه كتاب فلسفتنا محاولاً شرحه وبيان بعض غوامضه قالت له: سيدنا أين أنا منكم. إن الفلسفة معقدة وأنتم أهل لها. فأجابها السيد قائلاً: لا يهم أنت أقدر مني. ! فقالت: وكيف؟ فقال: أنت تكتبين الشعر، وأنا مع حبي للشعر وتذوقي له. وقد رتي على صياغة الأسلوب البلاغي حاولت فلم استطع أن أنظم بيتاً واحداً. إنها موهبة فأنت أقدر مني في هذا المجال. إذن تعادلنا^(٣).

وقد بزغ نجم الشهيدة بنت الهدى في العلم والأدب وصار لها شأن كبير فعهدت إليه عدة مسؤوليات فكانت أهلاً لذلك وأشرفت على المدارس الدينية للبنات التي أسست في النجف الأشرف والكاظمية إلا أنها استقالت عن عملها إثر الحملة الشرسة التي أقدمت عليها حكومة البعث والتي أدت بموجبها إلى إلغاء هذه المدارس وتحويلها إلى مدارس رسمية غير إسلامية وانصرفت فيما بعد إلى مجال تدريس الأحكام الإسلامية والفكر الإسلامي ومجالس في تفسير القرآن الكريم فتخرج من مجلسها العديد من النساء المسلمات الملتزمات. بل إن الوعي

(١) أنظر: بطلّة النجف/ ١٧.

(٢) عذراء العقيدة والمبدأ/ ٢٥.

(٣) بطلّة النجف/ ٤٢ بتصرف.

الإسلامي لدى النساء مدين لخدمات العلوية واهتماماتها

أما كتاباتها فإن تجربتها قديمة في هذا المجال خاصة في مجلة «الأضواء» التي تصدرها جماعة العلماء ثم انها انصرفت إلى كتابة القصص الإسلامية فصدر لها العديد من القصص مضافاً إلى الكتب الأخرى. وكان انصرافها إلى الأسلوب الأدبي بإشارة من أخيها السيد الصدر رضوان الله عليه^(١).

جهادها:

لقد شعرت السلطات الظالمة في العراق بموقع الشهيدة بنت الهدى من حركة الإسلام في العراق بقيادة السيد الشهيد وتخطيطه للعمل الإسلامي فكانت تفكر في التخلص منها بيد أن ذلك متأخر رتبة على محاولة القضاء على السيد الشهيد، وعندما أقدمت الحكومة الظالمة على اعتقال السيد الشهيد في السابع عشر من رجب خرجت الشهيدة بنت الهدى إلى الشارع والصحن الشريف في النجف الأشرف تخبر بنبا اعتقال السيد الصدر وهذا ما أكدّ للسلطات الظالمة ضرورة التخلص منها، كما إنها رضوان الله عليها كانت تواجه قوات الأمن ورجال السلطة في كل مرة يستهدفون بها السيد الصدر، فلما اعتقل السيد الصدر الاعتقال الأخير الذي استشهد فيه وذلك في التاسع عشر من جمادي الأول عاود المجرم (أبو سعد) مدير الأمن في النجف ومعاونه (أبو شياء) من اليوم الثاني أي في العشرين من جمادي الأول لاعتقال الشهيدة بنت الهدى بحجة ان السيد الصدر قد طلبها وانها ستعود عاجلاً فتعلقت بها العلوية أم جعفر زوجة الشهيد الصدر وأبت أن يأخذوها لوحدها وأصررت على أن تصطحبها بيد أن الشهيدة عاتبت العلوية أم جعفر قائلة: أخية، وكيف تأتين معي. ومن يبقى للأطفال والدي الكبيرة المنكوبة... ابق هنا وسأذهب برعاية الله تعالى^(٢).

رحلتها هذه من النجف إلى بغداد كانت بمثابة الرحلة إلى عالم الشهادة مع أخيها الشهيد الصدر رضوان الله عليهما.

(١) الحوار الفكري السياسي العدد (٣٠ - ٣١) ص ١١٧ (مع الشهيد الصدر محققاً)

(٢) بطة النجف/ ٩٥ بتصرف.

مؤلفات الشهيدة بنت الهدى :

- صراع من واقع الحياة .
- الخالة الضائعة .
- الفضيلة تنتصر .
- ذكريات على تلال مكة .
- المرأة مع النبي .
- كلمة ودعوة .
- ليتني كنت أعلم .
- امرأتان ورجل .
- لقاء في المستشفى .
- الباحثة عن الحقيقة .
- بطولة المرأة المسلمة .
- مقالات عديدة نشرت لها في أعداد مجلة الأضواء .

مختارات من شعرها :

قسماً وإن ملء الطريق	بما يعيق السير قدما
قسماً وإن جهد الزمان	لكي يشبّط فيّ عزما
أو حاول الدهر الخوون	بأن يريش إليّ سهما
وتفاعلت شتى الظروف	تكيل آلاماً وهما
فترأيت سحب الهموم	بأفق فكري فادلها
لن أنثني عما أروم	وإن غدت قدمي تدمي
كلا، ولن أدع الجهاد	فعايتي أعلى وأسمى

* * *

ومن شعرها :

أنا كنت أعلم أن درب الحق بالأشواك حافل

خال من الريحان ينشر عطره بين الجداول
لكنني أقدمت أقفوا السير في خطو الأوائل
فلطما كان المجاهد مفرداً بين الجحافل
ولطما نصرَ الإله جنوده وهم القلائل
فالحق يخلد في الوجود وكل ما يعدوه زائل
سأظل أشدوا باسم إسلامي وأنكرُ كلَّ باطل

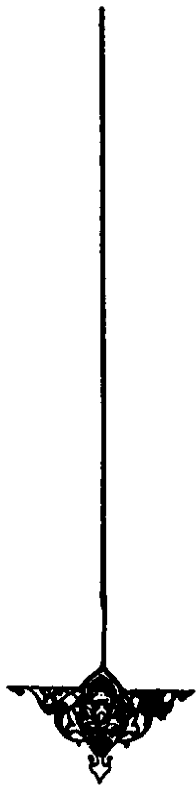
ولها أيضاً:

«رجعية» إن قيل عنك فلا تبالي واصمدي
قولي : أنا بنت الرسالة من هداها أهتدي
لم يثنني خجلي عن العليا ولم يغفل يدي
كلا، ولا هذا الحجاب يعيقني عن مقصدي
فغدً لنا، أختاه، فامضي في طريقك واصعدي
الحق يا أختاه يعلو فوق كيد المعتدي

* * *

ولها أيضاً:

بيد العفاف أصول عز حجابي وبعضمتي اسمو على اترابي
وبفكرةٍ وقادةٍ وقريحةٍ نقادةٍ قد كملت أدابي
ما عاقني خجلي عن العليا ولا سدل الخمار بلمتي ونقابي



الملاحق

كتابات الشهيد الصدر

السياسية والحركية

* الأسس الإسلامية

* حول الاسم والشكل التنظيمي

لحزب الدعوة الإسلامية

* كيف تكون الدعوة إلى الإسلام

الأسس الإسلامية

(بقلم الشهيد السيد الصدر رضوان الله عليه صدر بتاريخ ١٣٨١ ، وهذه الصيغة جرى عليها تعديل ، كما توجد لهذه الأسس تكملة وشرح لبعضها بقلم الشهيد السعيد)

من اين لك هذا الكلام ... المصدر لا يزال يذكر

الأساس رقم ١

الاسلام

الاسلام في اللغة هو الاستسلام والانصياع وبهذا المعنى كان صفة للدين الالهي بشكل عام في قوله تعالى ﴿ ان الدين عند الله الاسلام ﴾ وآيات اخرى . اما المعنى الاصطلاحي للاسلام هو (العقيدة والشرعة اللتان جاء بهما من عند الله تعالى الرسول الأعظم محمد بن عبد الله (ص)) وهذا المعنى هو المقصود من الاسلام في قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » ونقصد بالعقيدة (مجموعة المفاهيم التي جاء بها الرسول (ص) التي تعرفنا خالق العالم وخلقه وماضي الحياة ومستقبلها ودور الانسان فيها ومسؤوليته امام الله وقد سميت هذه المفاهيم عقيدة لانها معلومات جازمة يعقد عليها القلب .

ونقصد بالشرعة (مجموعة القوانين والأنظمة التي جاء بها الرسول (ص) التي تعالج الحياة البشرية كافة الفكرية منها والروحية والاجتماعية بمختلف الوانها من اقتصادية وسياسية وغيرها .

فالاسلام اذاً مبدأ كامل لأنه يتكون من عقيدة كاملة في الكون ينبثق عنها نظام اجتماعي شامل لأوجه الحياة وفيه بأسس واهم حاجتين للبشرية وهما القاعدة الفكرية والنظام الاجتماعي .

الاساس رقم ٢/

المسلم

المسلم على قسمين :

مسلم واقعي وهو من استسلم عن ايمان ويقين بالله واليوم الآخر ورسالة النبي (ص) ويعبر عنه في القرآن الكريم كثيراً بالمؤمن وعن مقابله بالكافر .
ومسلم ظاهري هو كل من شهد الشهادتين ولم يظهر منه إنكار لضروري من ضروريات الدين ويعتبر كل من اعلن الشهادتين في عرف الدولة مسلماً مساوياً في الحقوق والواجبات لسائر المسلمين .

والدليل الشرعي على ذلك :

أولاً : - سيرة النبي (ص) والمسلمين مع من كان يسلم تحت ضغط التهديد بالقتل ، فانه كان يقبل اسلامه بمجرد اعلانه الشهادتين .

ثانياً : - سيرة النبي (ص) مع اشخاص على نفاقهم بشهادة القرآن الكريم .

ثالثاً : - نصوص السنة المصروفة بأن احكام الاسلام تدور مدار اعلان الشهادتين .

وعلى ذلك فالدولة الاسلامية تساوي في الحقوق والواجبات بين جميع المشتركين في اعلان الشهادتين في احكام الاسلام العامة : الطهارة - جواز التزويج - دخول المساجد - ونحو ذلك . وان كان لا يجوز لها ان تسند الى من تخشى نفاقه ورياءه شيئاً من الوظائف والمهام التي يشكل اسنادها خطراً على

الاسلام كما يجوز لها ان تضعه في رقابة وتحد تصرفاته طبقاً لمقتضيات المصلحة
الاسلامية العليا .

كما ينبغي ان يعلم ان المرتد عن الاسلام سواء كان ملئاً او فطرياً اذا تاب
واناب فان الدولة تقبل اسلامه واقعاً وظاهراً وتعامله كبقية المسلمين وذلك استناداً
الى رأي فقهي تتبناه الدعوة^(١) .

(١) يعني حزب الدعوة الاسلامية حيث كتبت هذه الاسس كمواد تثقيفيه لعناصره .

الأساس رقم ٢

الوطن الاسلامي

الوطن الاسلامي هو ما يسكنه المسلمون من اقطار العالم .
يجب ان نميز بين استحقاق الدولة الاسلامية للارض وبين صفة الوطن الاسلامي التي يصح ان نصف بها الأرض . ان استحقاق الدولة الاسلامية للارض نوعان : النوع الأول : الاستحقاق السياسي هو ما تستحق الدولة الاسلامية من الارض باعتبارها الادارة السياسية العليا للاسلام اي باعتبارها المسؤولة عن الكيان والموظفة الشرعية على تطبيقه ونشره وحمايته ودائرة هذا الاستحقاق ليست محدودة بحدوده لان الكيان السياسي للدولة الاسلامية قائم على مبدأ فكري عام لا تختلف في حسابه الأراضي والبلاد . ولذلك كان الاسلام المتمثل في الدولة الاسلامية صاحب الحق الشرعي في الأرض كلها .

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ .

فيحق للدولة الاسلامية اخضاع جميع اراضي العالم لها سياسياً غير ان طريقة استعمال هذا الحق وشكل تنفيذه يختلف باختلاف طبيعة الاشخاص المستوطنين للارض من حيث كونهم مسلمين او ذميين او كفاراً غير ذميين الخ . . . وتشرع ذلك الاحكام الشرعية المتعلقة بسياسة الدولة الخارجية .

النوع الثاني : الاستحقاق المالكى وهو ما تستحق الحكومة الاسلامية من الأرض باعتبارها الممثل الأعلى للامة الاسلامية والوكيل الشرعي عنها في حقوقها واملاكها ودائرة هذا الاستحقاق هي الارض الخراجية فانها املاك عامة للامة المسلمة وتقوم بولايتها او وكالتها عنها بتولي شؤونها طبقاً لمصالح الامة وتشرح ذلك الاحكام الشرعية المتعلقة بأملاك الامة العامة . ومن الواضح أن صفة الوطن

الاسلامي تختلف بطبيعتها عن صفة الاستحقاق السياسي والمالكي فان استحقاق الدولة السياسية للارض هو بسبب تحمل الحكومة حماية المبدأ مما جعل لها الحق في تنفيذ ارادة الاسلام في الأرض طبقاً لتشريعاته والاستحقاق المالكي سببه املاك الامة مما جعل لها الحق في تنفيذ ارادة الامة طبقاً لمصالحها وهذا الاستحقاق بنوعيه حكم شرعي لا بد في استنباطه وتحديد دائرته من الدولة الشرعية .

اما تحديد الأرض التي يصح وصفها بالوطن الاسلامي فهو ليس حكماً شرعياً فيكون المرجع فيه العرف السليم الذي يقضي من تعريف الوطن الاسلامي بأنه « كل ما يسكنه المسلمون في اقطار الأرض »

الأساس رقم ٤

«الدولة الإسلامية»

الدولة ككل على ثلاثة انواع :

النوع الأول : الدولة القائمة على قاعدة فكرية مضادة للاسلام كالدولة الشيوعية والدولة الديمقراطية الرأسمالية فان القاعدة الفكرية الرئيسية للدولة الشيوعية تناقض الاسلام تماماً ، وكذلك القاعدة الفكرية الرئيسية للدولة الديمقراطية الرأسمالية فانها وإن لم تمس الحياة والكون بصورة محددة الا انها تناقض نظرة الاسلام الى المجتمع وتنظيم الحياة ، فهي ايضاً قائمة على قاعدة فكرية مضادة للاسلام .

وهذه الدولة دولة كافرة لأنها لا تقوم على القاعدة الفكرية للاسلام وهي بسبب تبنيها لقاعدة فكرية مناقضة للاسلام تعد كل امكاناتها للتبشير بتلك القاعدة ومحاربة كل ما يناقضها بما في ذلك الاسلام بعقيدته وافكاره وتشريع . وحكم الاسلام في حق هذه الدولة انه يجب على المسلمين ان يقضوا عليها وان يتخذوا الاسلام من خطرهما اذا تمكنوا من ذلك بمختلف الطرق والأساليب التبشيرية والجهادية لأن الاسلام في هذه الدولة حتى بصفة عقيدة موضع للهجوم وموضع للخطر فتكون الحالة معها حالة جهاد لحماية بيضة الاسلام ، غير ان وجوب جهاد هذا العدو لا يعني بطبيعة الحال القيام باعمال تعرض العاملين للخطر دون نتيجة ايجابية .

النوع الثاني : الدولة التي لا تملك لنفسها قاعدة فكرية معينة كما هو شأن الحكومات القائمة على اساس ارادة حاكم وهواه أو المسخرة لارادة امة اخرى ومصالحها . وهذه الدولة دولة كافرة وليست دولة اسلامية وان كان الحاكم فيها والمحكومون مسلمين جميعاً لان الصفة الاسلامية للدولة لا تتبع من اعتناق الاشخاص الحاكمين للاسلام وانما تنشأ من اعتناق نفس الدولة كجهاز حكم الاسلام ، ومعنى اعتناق الدولة للاسلام ارتكازها على القاعدة الاسلامية واستمدادها من الاسلام تشريعها ونظريتها للحياة والمجتمع ، فكل دولة لا تكون كذلك فهي ليست اسلامية ولما كان الكفر هو النقيض الوحيد للاسلام صح ان نعتبر كل دولة غير اسلامية دولة كافرة وكل حكم غير اسلامي حكماً كافراً ، لأن الحكم حكمان : حكم الاسلام وحكم الكفر والجاهلية ، فما لم يكن الحكم اسلامياً مرتكزاً على القاعدة الاسلامية فهو حكم الكفر والجاهلية وان كان الحاكم مسلماً متعبداً بعبادات الاسلام ففي الحديث الشريف ان الحكم حكمان حكم الله عز وجل وحكم الجاهلية فمن أخطأ حكم الله فقد حكم بحكم الجاهلية ، والاسلام في هذه الدولة وان كان لا يجابه منها حرباً مركزة على عقيدته وافكاره الا انه حيث اقصى عن قاعدته الرئيسية اصبح يفقد ضمان الدولة بكل وجه من الوجوه واصبح وجوده خطر . والحكم الشرعي في حق هذه الدولة انها ليست دولة شرعية ويجب على المسلمين هدمها وابدالها بدولة اسلامية ، وكذلك فان وجوب ابدالها لا يعني القيام بأعمال تعرض العاملين للخطر دون احتمال نتيجة ايجابية ، كما ان الطرق التي تستعمل في سبيل هدمها وابدالها تقدر من حيث درجة العنف والقوة طبقاً لمدى الخطر الذي يتهدد الاسلام منها وطبقاً لامكانيات العاملين واحتمال عود جهادهم بنتيجة على الاسلام .

النوع الثالث : الدولة الاسلامية وهي الدولة التي تقوم على اساس الاسلام وتستمد منه تشريعاتها بمعنى انها تعتمد الاسلام مصدرها التشريعي وتعتمد المفاهيم الاسلامية منظارها الذي تنظر به الى الكون والحياة والمجتمع والدولة الاسلامية هي على ثلاثة انحاء :

النحو الأول : ان تكون جميع التشريعات التي تقوم بها الدولة مستمدة من القاعدة الفكرية بحيث ان سير الدولة التشريعي والتنفيذي يكون منسجماً ومتفقاً

مع متطلبات الاسلام واحكامه وبصورة مضمونه دون اي قصور او تقصير وهذا
اغما يأتي فيما اذا كانت السلطة الحاكمة معصومة من الخطأ والهوى كالسلطة الحاكمة
ايام النبي (ص) وامير المؤمنين (ع) . وحكم الاسلام بحق الدولة من هذا
النوع انه يجب اطاعتها ولا يجوز التخلف عن اوامرها وقراراتها التي تصدرها
بصفتها سلطة حاكمة بحال من الأحوال .

النحو الثاني : ان تكون بعض التشريعات والتنفيذات متعارضة مع
الاسلام تعارضاً ناشئاً من عدم اطلاع السلطة الحاكمة الشرعي او طبيعة الموقف
وحكم الاسلام بحق الدولة من هذا النوع .

١ - انه يجب على المسلمين ان يشرح للدولة ما تجهله من احكام الاسلام اداء
لوجوب تعليم احكام الاسلام لمن يجهلها خاصة السلطة الحاكمة .

٢ - كما يجب على المسلمين اطاعة هذه السلطة في كل الحقوق والمجالات
التي تشملها صلاحياتها الشرعية .

٣ - واذا اصررت السلطة الحاكمة على وجهة نظرها الخاطئة من حسن نية ولم
يمكن لمن يختلف معها في وجهة نظرها ان يثبت لها رأيه فان كانت القضية من
القضايا التي يجب فيها توحيد الرأي كالجهاد والضرائب وأمثالها وجب على المخالف
اطاعة امر الدولة وان كان معتقداً خطأها وان لم تكن القضية مما يجب فيه توحيد
الرأي كان للمخالف ان يطبق في مجاله الخاص اجتهاده المخالف لاجتهاد الدولة .

النحو الثالث : ان تشد الحكومة في تصرفاتها التشريعية او التنفيذية فتخالف
القاعدة الاسلامية الأساسية عن عمد مستندة في ذلك الى هوى خاص أو رأي
مرتجل وحكم الاسلام وفي هذه الدولة :

١ - ان يجب على المسلمين عزل السلطة الحاكمة واستبدالها بغيرها لأن
العدالة من شروط الحكم في الاسلام وهي تزول بانحراف الحاكم المقصود عن
الاسلام فتصبح سلطته غير شرعية ويشترط في ذلك ان يتوصل المسلمون الى عزل
السلطة الحاكمة بغير الحرب الداخلية .

٢ - وإذا لم يتمكن المسلمون من عزل الجهاز الحاكم وجب عليهم رده عن
المعصية طبقاً لاحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشريعة المقدسة .

٣ - واذا استمرت السلطة المنحرفة في الحكم فان سلطتها تكون غير شرعية

ولا يجب على المسلمين اطاعة اوامرها وقراراتها فيما يجب فيه اطاعة ولي الأمر الا في الحدود التي تتوقف عليها مصلحة الاسلام العليا كما اذا داهم الدولة خطر مهدد وغزو كافر فيجب في هذه الحالة ان يقف المسلمون الى صفها - بالرغم من انحرافها - وتنفيذ اوامرها المتعلقة بتخليص الاسلام والأمة من الغزو والخطر .

والدولة في كل هذه الانحاء الثلاثة هي دولة اسلامية لقيامها فكراً على اساس الاسلام وارتكاز كيانها على القاعدة الاسلامية ، وبمجرد حدوث تناقض بين القاعدة التي تقوم عليها وبعض معالم الحكم ومظاهره لا يخرجها عن كونها دولة اسلامية ، كما هو الشأن في كل دولة تقوم على قاعدة فكرية فانها تحمل صفة تلك القاعدة وان حصلت بعض التناقضات في جهاز الحكم . ويترتب على الدولة الاسلامية في كل هذه الحالات بعض الاحكام الفقهية كسقوط الزكاة من ذمة من تجب عليهم اذا اخذته الدولة منهم كما نصت على ذلك احكام الشريعة المقدسة .

الأساس رقم ٥/

الدولة الاسلامية دولة فكرية

لما كانت الدولة هي المظهر الأعلى للوحدة السياسية التي توجد بين جماعة من الناس فلا بد ان تكون وحدتها انعكاساً لوحدة عامة قائمة بين الجماعة وهذه الوحدة العامة بين الناس تنعكس في الوحدة السياسية تارة تكون وحدة عاطفية واخرى وحدة فكرية . فالوحدة العاطفية هي العاطفة الواحدة التي بحسبها ويشارك فيها جماعة من الناس بسبب من الاسباب كاشتراكهم في اقليم متميز بحدوده الجغرافية او اشتراكهم في قومية متميزة بلغة أو دم او تاريخ معين .

واما الوحدة الفكرية فهي عبارة عن ايمان جماعة من الناس بفكرة واحدة تجاه الحياة يقيمون على أساسها وحدتهم السياسية ، وهذه الوحدة هي الوحدة الطبيعية والجديرة بأن ينشأ على أساسها كيان سياسي موحد متمثل من دولة بعكس الوحدة العاطفية لأن العاطفة لما كانت لا تعني بطبيعتها الموقف السياسي للأمة ولا نظرتها العملية نحو الحياة فبالتالي لا يمكن ان توحد للأمة حكماً ونظاماً لأن الحكم والنظام انما يوحد الفكر ولذا كان الفكر هو القاعدة الطبيعية للحكم وكانت الوحدة الفكرية هي الوحدة الصالحة لتعليل الوحدة السياسية المتمثلة في الدولة تعليلاً علمياً . على ضوء ذلك نستطيع ان نقسم الدولة بصورة غالبية الى ثلاثة اقسام :

١- الدولة الاقليمية : وهي التي تعكس في وحدتها السياسية الوحدة الاقليمية .

٢- الدولة القومية : وهي التي تستمد وحدتها السياسية من القومية الموحدة .

٣ - الدولة الفكرية : وهي التي تركز في وحدتها السياسية على وحدة فكرية معينة .

والدولة الاسلامية من القسم الثالث ومن طبيعة الدولة الفكرية انها تحمل رسالة فكرية ولا تعترف لنفسها بحدود الا حدود ذلك الفكر ، وبذلك تصبح قابلة لتحقيق رسالتها في اوسع مدى انساني ممكن ، وكذلك الدولة الاسلامية فانها دولة ذات رسالة فكرية التي هي الاسلام ، والاسلام دعوة انسانية عامة بعث بها النبي (ص) الى الانسانية كافة في مختلف العصور والبقاع بقطع النظر عن الخصائص القومية والاقليمية وغيرها كما يدل على ذلك قوله تعالى :

﴿ وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾
وقوله تعالى ﴿ قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحى الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ﴾ .
مع آيات ونصوص اخرى لا تدع مجالاً للشك بان الاسلام رسالة عالمية لا اقليمية ولا قومية .

الاساس رقم ٦/

شكل الحكم في الاسلام

تعريف الحكم في الاسلام :

الحكم في الدولة الاسلامية هو (رعاية شؤون الأمة طبقاً للشريعة الاسلامية) ولذلك يطلق على الحاكم كثيراً اسم الراعي وعلى المحكومين اسم الرعية كما في الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ولا بد لكي تكتسب الرعاية صفة الشرعية ان يتوفر فيها امران :

الأول : تنفيذ رعاية شؤون الأمة بالفعل وتطبيق أحكام الرعاية في الاسلام عليها .

الثاني : ان تكون الرعاية نفسها متفقة مع نظام الحكم وشكل الرعاية في الاسلام فلا يكفي لأن تكتسب الرعاية الصفة الشرعية ان تقوم فعلاً بتطبيق الدستور والقوانين الاسلامية في ادارة شؤون الأمة من جهاد واقتصاد وعلاقات سياسية بل لا بد أن يراعى تطبيق الدستور والقوانين الاسلامية في الرعاية نفسها لأن رعاية شؤون الأمة من شؤون الأمة ايضاً فيجب أن تكون بالشكل الذي حدده لها الاسلام .

المهام التي تتطلبها الدولة الاسلامية

تتطلب الدولة الاسلامية عدة مهام هي :

أولاً : بيان الاحكام وهي القوانين التي جاءت بها الشريعة الاسلامية المقدسة بصيغها المحددة الثابتة .

ثانياً : وضع التعاليم وهي التفصيلات القانونية التي تنطبق فيها احكام الشريعة على ضوء الظروف ، ويتكون من مجموع هذه التعاليم النظام السائد لفترة معينة تطول وتقصّر تبعاً للظروف والملابسات .

ثالثاً : تطبيق احكام الشريعة - الدستور - والتعاليم المستنبطة منها القوانين على الأمة .

رابعاً : القضاء في الخصومات الواقعة بين افراد الرعية او بين الراعي والرعية على ضوء الاحكام والتعاليم

للحكم الاسلامي شكلان :

الأول : الشكل الالهي : وهو يعني حكم الفرد المعصوم الذي يستمد صلاحياته من الله مباشرة ويمارس الحكم بتعيين الهي خاص دون دخل لاختيار الناس وآرائهم . وهذا الشكل من الحكم ثابت في الاسلام دون شك وباجماع المسلمين فمن المتفق عليه لدى المسلمين كافة ان حاكمية رسول الله (ص) كانت من هذا الشكل كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ وغير ذلك من

النصوص ولم تكن البيعة التي يأخذها الرسول (ص) من المسلمين تعني ان الرسول يستمد صلاحياته للحكم منها ولا المشورة المأمور بها في قوله تعالى ﴿ وشاورهم في الأمر فاذا عزمتم فتوكل على الله ﴾ تعني ان حاكميته مقيدة برأي الأمة ومستمدة منها لأن الله تعالى لم يوجب عليه الأخذ بما يشار عليه وانما علق الأمر عزمة خاصة .

وعلى هذا فوجود الشكل الالهي للحكم في الاسلام لا شك فيه ولا نزاع بين المسلمين وانما النزاع في تحديد الاشخاص الذين ثبت لهم الحق في ممارسة الحكم بهذا الشكل وهل ثبت بعده (ص) لأحد ام لا ، فيذهب السنة الى انحصار هذا الشكل من الحكم برسول الله (ص) ويذهب الشيعة الى ان هذا الشكل من الحكم ثبت بعد الرسول (ص) للأئمة الاثني عشر المنصوص عليهم بصورة خاصة .

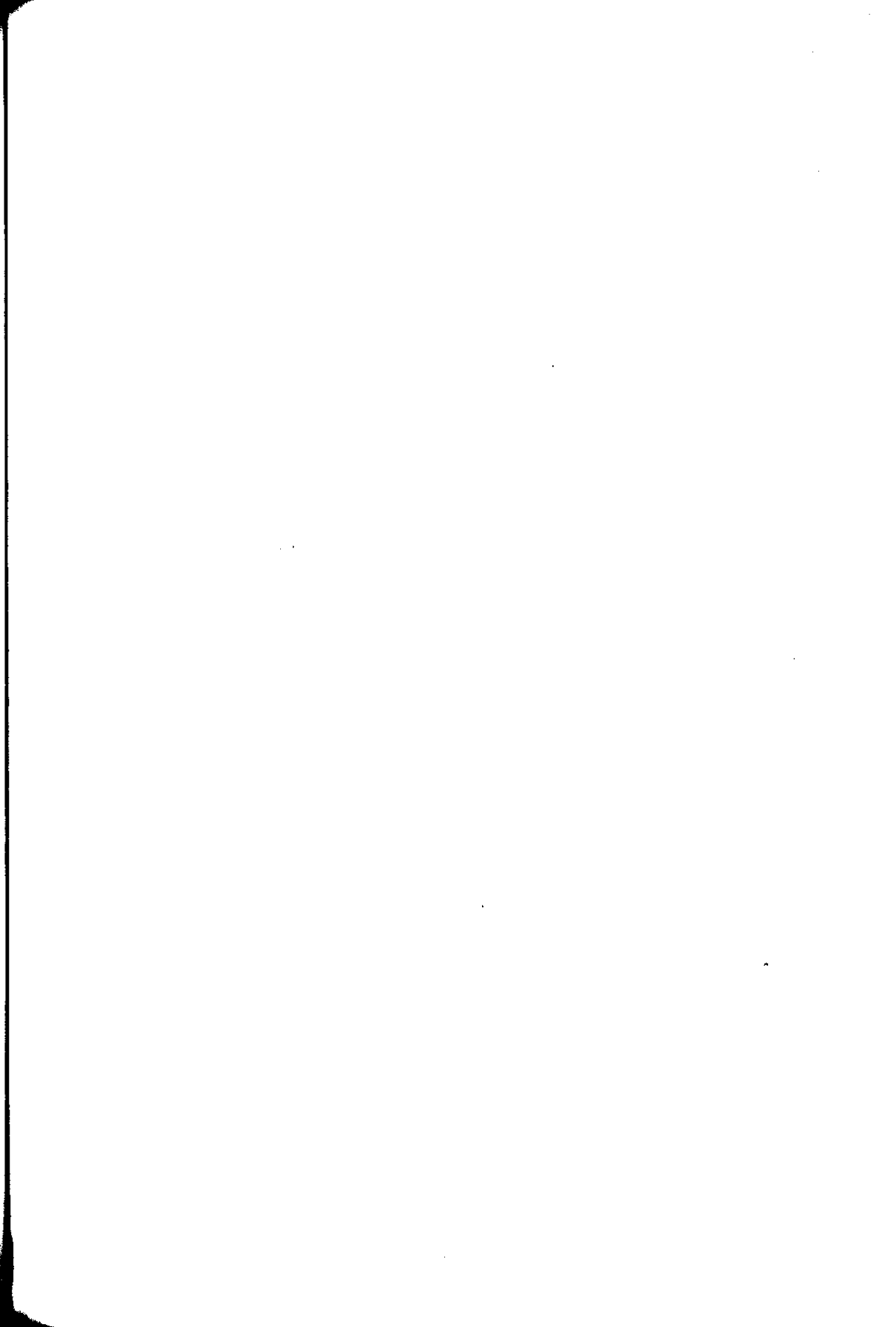
والضمان الأساسي في الشكل الالهي من الحكم هو العصمة من الهوى والخطأ التي تشكل الضمان الحتمي لاستقامة الحكم ونزاهته .

وبملاحظة المهام الأربع التي يتطلبها الحكم في الاسلام يتضح ان صلاحيات الحاكم المعصوم تشمل المهمة الأولى بوصفه مبلغاً للشرعية الى الأمة كما تشمل المهمة الثانية والثالثة بوصفه حاكماً كما تشمل المهمة الرابعة للقضاء بوصفه قاضياً اعلى فهو يمارس صلاحيات القيام بالمهام الأربع بوصفه مبلغاً وحاكماً ورئيساً اعلى للقضاء بينما يختلف الأمر في الحاكم غير المعصوم كما سنرى .

الثاني : الحكم الشورى او حكم الأمة :

والمصدر التشريعي لهذا الشكل من الحكم قوله تعالى ﴿ وامرهم شورى بينهم ﴾ فان هذه الآية الكريمة الواردة في سياق صفات المؤمنين التي تستحق المدح والثناء تدل على ارتضاء طريقة الشورى وكونها طريقة صحيحة حينما لا يوجد نص من قبل الله ورسوله وأما حيث يوجد النص فلا مجال لاعتبار الأمر شورى لأنه سبحانه يقول ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم ﴾ فالامر انما يجوز ان يكون شورى بينهم فيما اذا لم يقض النص الشرعي بقضاء معين ، ومن الواضح ان مسألة شكل الحكم في الوقت الحاضر لم تعالج في نص خاص على مذهبي الشيعة والسنة معاً .

وبكلمة اخرى ان الشورى في عصر الغيبة شكل جائز من الحكم فيصح
للأمة اقامة حكومة تمارس صلاحيتها في تطبيق الأحكام الشرعية ووضع وتنفيذ
التعاليم المستمدة منها ، وتختار لتلك الحكومة الحدود التي تكون أكثر اتفاقاً مع
مصلحة الاسلام ومصلحة الأمة ، وعلى هذا الأساس فإن أي شكل شورى من
الحكم يعتبر شكلاً صحيحاً ما دام ضمن الحدود الشرعية وانما قيدنا الكيفية التي
تمارس بها الأمة حق الحكم بأن تكون ضمن الحدود الشرعية لأنه لا يجوز لها ان
تختار الكيفية التي تتعارض مع شيء من الأحكام الشرعية كأن تسلم زمام الأمر الى
فاسق او فاسق لأن الاسلام نهى عن الركون الى فاسق بالاخذ بقوله في مجال
الشهادة فضلاً عن مجال الحكم ورعاية شؤون الأمة - فلا بد للأمة حين تختار كيفية
الحكم الجهاز الذي يباشر الحكم ان تراعي الحدود الشرعية .



الاساس رقم / ٢ /

تطبيق الشكل الشوري للحكم في

ظروف الأمة الحاضرة

عرفنا أن الشكل الشوري للحكم شكل صحيح في أساسه في ظروف عدم وجود الشكل الالهي المتقدم وعدم وجود النص الشرعي على كيفية معينة لممارسة الحكم .

ولا بد ان نعرف الشروط لممارسة الأمة اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم وهي الشروط الثلاثة التالية .

١ - ان يكون اختيار شكل الحكم واختيار الجهاز الحاكم ضمن الحدود الشرعية الاسلامية وغير متعارض مع شيء من احكام الاسلام الثابتة .

٢ - ان يكون اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم اكثر اتفاقاً مع مصلحة الاسلام التي تعني الوضع الأفضل للاسلام باعتباره دعوة عالمية وقاعدة للدولة .

٣ - ان يكون اختيار الحكم والجهاز الحاكم اكثر اتفاقاً مع مصلحة المسلمين بوصفهم امة لها جانبها الرسالي والمادي .

ومن الواضح ان ممارسة اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم بهذه الشروط تنوقف على وعي الأمة للاسلام من جهة ووعيتها للظروف الحياتية والدولية من جهة اخرى فإذا تم للامة بشكل عام مثل هذا الوعي فان باستطاعتها ان تختار شكل الحكم وان تنتخب الجهاز الكفؤ لرعاية شؤونها ويتساوى حينئذ في ممارسة

هذا الحق كل المكلفين بأحكام الاسلام من الأمة ممن بلغ السن الشرعية من المسلمين والمسلمات .

اما اذا لم تكن هذه الشروط متوفرة في الأمة لعدم وجود الوعي العام للاسلام وبالتالي عدم معرفة الحدود الشرعية التي يجب ان تراعى في اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم بما يتفق مع مصلحة الاسلام والأمة فانه لا بد للدعوة بوصفها طليعة الأمة الواعية لحدود الاسلام ومصلحته الواعية لظروف الأمة ومصلحتها ان تقيم في الأمة شكلاً للحكم الاسلامي وتختار جهازاً حاكماً حتى يجيء الظرف المناسب لاستفتاء الأمة لاختيار شكل الحكم^(١) .

(١) كان من رأي الشهيد الصدر ان الحاكمية في الأمة الاسلامية للشورى ثم انه عدل عن ذلك الى القول بولاية الفقيه المطلقة فهذه الافكار التي تشتمل عليها هذه الأسس كانت بناءً على رأيه بولاية الشورى - إذا صح التعبير - وانما نقلناها هنا لأنها تمثل أفكاره لفترة من الزمن وللأمانة التاريخية .

الاساس رقم /٨/

الفرق بين احكام الشريعة والتعاليم

احكام الشريعة الاسلامية المقدسة هي الاحكام الثابتة التي بنيت في الشريعة بدليل من الأدلة الأربعة الكتاب والسنة والاجماع والعقل . فلا يجوز في هذه الاحكام اي تعديل او تغيير لأنها ذات صيغة محددة وشاملة لجميع الظروف والاحوال فلا بد من تطبيقها دون تصرف . ولنضرب بذلك مثلاً بالزام الأمة الاسلامية باعداد ما تستطيع من القوة من مواجهة الاعداء للاسلام فهو حكم شرعي نصت عليه الشريعة في بعض ادلتها كما في قوله تعالى ﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ولذلك فهو حكم ثابت شامل لجميع الظروف والأحوال .

اما التعاليم والقوانين فهي انظمة الدولة التفصيلية والتي تقتضيها الدستورية لظروف من الظروف ولذا فهي قوانين متطورة تختلف باختلاف ظروف الدولة ومنشأ التطور فيها انها لم ترد في الشريعة مباشرة وبنصوص محددة وانما تستنبط من أحكام الشريعة على ضوء الظروف والأحوال التي هي عرضة للتغير والتبدل ويدخل في الأحكام الشرعية كل حكم دل عليه الدليل الشرعي بصفته المعينة كحكم وجوب الصلاة والزكاة والخمس الحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكافة التفاصيل المحددة التي جاءت بها الشريعة المقدسة ومثال التعليم الزام المسلمين القادرين بالتدريب على القتال فان هذا الحكم ليس حكماً شرعياً ثابتاً في كل الاحوال ولم يدل عليه دليل من الأدلة الأربعة بهذه الصفة المعينة ولذا لم يوجد الزام بالتدريب ايام الرسول (ص) الا قليلاً حيث كانت وسائل الحرب بسيطة ومتداولة والحاجة

اليها والتدريب عليها يكاد يكون عاماً . واما في الظروف الحاضرة فقد اصبح التدريب اسباب القوى التي يجب رصدها واعدادها فهو لذلك تعليم تقتضيه طبيعة الحكم الدستوري الذي هو وجوب اعداد القوة القتالية . وهكذا يدخل في التعاليم كل احكام القوانين التي تقتضيها طبيعة الاحكام الشرعية كقانون الشرطة وقانون الاستيراد والتصدير وقوانين التعليم والتخصص وقانون العمل وامثالها مما تقضي به طبيعة الاحكام الشرعية في ظرف من الظروف . وعلى ضوء ما سبق نعرف ان اصلاح « الدستور الاسلامي » حين يطلق على الشريعة المقدسة هو اوسع من المصطلح المتعارف للدستور لأنه يشمل كافة احكام الشريعة الخالدة حيث تعتبر بمجموعها احكام دستورية ، كما ان وصف التعاليم والقوانين بالاحكام الشرعية هو وصف صحيح وان كانت احكاماً ظرفية لانها تكتسب الصفة الشرعية ووجوب التنفيذ شرعاً من الاحكام الشرعية التي اقتضتها ولان الجهاز الحاكم العادل قد تبنّاها من اجل رعاية شؤون الأمة والحفاظ على مصلحتها ومصلحة الاسلام العليا . كما نعرف ان المرونة التشريعية التي تجعل احكام الاسلام صالحة لجميع الازمان ليس معناها ان الاسلام قد سكت عن الجوانب المتطورة من حياة الانسان وفسح مجال للتطور ان يشرع من عنده وانما معناها ان الاسلام اعطى من تلك الجوانب الخطوط العريضة الثابتة بحيث ان التطورات المدنية للانسان لا توجب تغير هذه الخطوط وتبديها وانما تؤثر في القوانين والتعاليم التي تباشر تنظيم الحياة في ظروف تقصر او تطول .

الاساس رقم /٩/

مهمة بيان احكام الشريعة وتعيين القضاة ليستا من مهام الحكم

عرفنا ان قيام الدولة الاسلامية يتطلب مهاماً اربعاً وهي :

- ١ - بيان احكام الشريعة « الدستور » .
 - ٢ - وضع التعاليم « القوانين التي تقتضيها طبيعة احكام الشريعة في ضوء الظروف الراهنة » .
 - ٣ - تنفيذ احكام الشريعة والقوانين .
 - ٤ - القضاء في الخصومات .
- وهذه المهام وان كانت لازمة للدولة غير انها ليست جميعاً من شؤون رعاية الأمة حتى تدخل في صلاحيات الحكومة بوصفها حكومة .
- فقد عرفنا ان بيان المعصوم عليه السلام لاحكام الشريعة لم يكن منه بوصفه حاكماً بل بوصفه مبلغاً مأموراً بالتبليغ وكذلك قضاءه بين الناس وتنظيمه لجهاز القضاء وعزل من لا يرى صلاحيته من القضاة كان بوصفه قاضياً اعلى . وفي الشكل الشوري للحكم الشكل الذي تقيمه الامة في غياب المعصوم (ع) لا تملك الحكومة الحق في حصر ممارسة بيان احكام الشريعة وتبليغها كما لا تملك الحق في حصر ممارسة القضاء في الخصومات كما لا يملك احد من الحكومة او غيرها حق القاضي الأعلى الذي يستطيع عزل القضاة وتعيينهم .

والشكل الذي تؤدي به هاتان المهمتان كما يلي :

١ - مهمة بيان الاحكام الشرعية هي من حق وواجب كل من يتوفر من الناحية العلمية على درجة الاجتهاد ومن ناحية السلوك والصفات على درجة العدالة فالمجتهد العادل فقط من حقه ان يبين الاحكام الشرعية في ضوء الادلة الأربعة ويسمى بيانه للحكم الشرعي على هذا الاساس « افتاء » فان كان لا يوجد في الأمة الا مجتهد عادل واحد وكان هو الذي وقع عليه اختيار الأمة واسندت اليه مهمة الحكم فقد اجتمعت عليه مهمة الحكم ومهمة الافتاء معاً وان تعدد المجتهدون العدول فان لم يختلفوا في نتائج استنباطهم فلا مشكلة وان كان بينهم اختلاف في بيان الاحكام الشرعية وجب ان ينظر الى طبيعة الحكم المختلف فيه فان كان حكماً يلزم على الدولة ان تتبنى فيه اجتهاداً معيناً وتجعله الاجتهاد السائد في المجتمع الاسلامي كالاحكام التي تتصل بمجالات السياسة والاقتصاد والجهاد فان على الحاكم اما ان يكون مجتهداً او يختار اجتهاداً من تلك الاجتهادات ويتبناه لأن هذا الانتخاب والتبني لاجتهاد معين داخل في رعاية شؤون الأمة ومن الواجبات الشرعية على الحاكم، غير ان تبني الدولة لاجتهاد معين لا يعني منع المجتهدين المخالفين لذلك الاجتهاد من استنباطهم أو ابداء ارائهم وانما يعني اختصاص ذلك الاجتهاد المختار بالعمل والتنفيذ .

اما اذا كان الحكم الذي اختلفت فيه وجهات نظر المجتهدين من الاحكام التي لا يجب على الدولة توحيد الاجتهاد فيها عملياً ولا يضر بكيان الأمة والمجتمع اختلاف الأفراد في سلوكهم طبقاً لاختلاف المجتهدين في ارائهم فلا يجوز للدولة والحالة هذه ان تتبنى اجتهاداً معيناً بل توكل كل مسلم الى رأي مقلده الخاص او رأيه ان كان مجتهداً .

٢ - القضاء وتعيين القضاة :

القضاء في نظر الاسلام لون خاص من الحكم لأنه رعاية لشؤون الأمة لدى وقوع المخاصمة ولكن السائد في لسان الشريعة هو التعبير عنه بالقضاء وعمن يباشره بالقاضي لا بالحكم والحاكم ، غير ان حق القضاء لا يثبت للحاكم بمجرد كونه حاكماً بل يثبت لمن نصت عليه الشريعة نصاً خاصاً كالقضاة الذين كان يعينهم المعصوم (ع) في زمانه أو نصاً عاماً كما هو الحال في المجتهد العادل بصورة عامة . فكل مجتهد عادل يتمتع بحق ممارسة القضاء .

ويستمد القاضي في المجتمع الاسلامي هذا الحق من نصوص الشريعة التي دلت على جعل هذا الحق لكل مجتهد عادل وليس من جهاز الحكم .
ومما يتصل بذلك :

١ - لا يجوز للدولة ان تمنح حق القضاء لغير المجتهد العادل الذي ثبت له هذا الحق في الاسلام كما لا يجوز لها ان تمنع مجتهداً من ممارسة هذا الحق بل يجب عليها امضاء قضائه وتنفيذه .

ب - يجب على الدولة توفير المجتهدين العدول لممارسة القضاء بالدرجة التي تسد احتياج الأمة في قضاياها وخصوماتها لأن ذلك يندرج ضمن الرعاية الواجبة لشؤون الأمة .

ج - اذا تعدد المجتهدون العدول ووقع الاختلاف في اقصيتهم فلذلك صورتان احدهما : ان يكون مرد الاختلاف بينهم الى الاختلاف في استنباط الأحكام الشرعية .

والصورة الثانية : ان يكون الاختلاف بسبب التطبيق فان كان اختلاف الأقضية بسبب اختلاف الاجتهاد وكانت مصلحة الأمة تتطلب اقامة القضاء على حكم شرعي معين كان على الحاكم ان يتبنى اجتهاداً معيناً ويفرض على جميع المجتهدين العدول ان يقضوا على اساس ذلك الاجتهاد فمن كان منهم مصوباً لذلك الاجتهاد قضى طبقاً لرأيه ومن كان منهم مخالفاً قضى بالوكالة عن المجتهد الذي يرتضي نفس الاجتهاد التبنّي للدولة وهذا التبنّي يكون واجباً على الحاكم لأنه من شؤون الرعاية الواجبة للأمة اما إذا كان اختلاف الأقضية لا يضر بنظام المجتمع واستقراره فيجب ان يعطى لكل مجتهد حرية القضاء طبقاً لاجتهاده .

وان كان اختلاف الأقضية بسبب اختلاف المجتهدين في تطبيق الحكم الشرعي مع وحدة الرأي فيه اساساً ، كما اذا كان هذا القاضي يرى شهادة زيد وعمرو بينة شرعية ولا يراها القاضي الآخر بينة لاعتقاده بنفسهما فان هذا الاختلاف لا يولد مشكلة تستوجب تدخل الحكومة فيجب ان يسمح لكل منهما بممارسة حقه في القضاء وان يباشر القضاء حسب رأيه واذا قضيا في مسألة واحدة بقضاءين تنفذ الحكومة القضاء الأسبق زماناً منهما .

وتفصيل الكلام في بحوث القضاء في الفقه .

«كيف تكون الدعوة إلى الاسلام»

يواجهنا قبل كل شيء السؤال عن الطابع الذي يجب ان تتخذه الدعوة الاسلامية وهل هو الطابع الاصلاحى ؟ او الطابع الانقلابى ؟ ومن الضرورى ان نحدد الجواب فى ضوء الظروف التى يعيشها الاسلام ومدى وجوده فى واقع الأمة الاسلامية . فالاسلام اذا كان هو القاعدة الرئيسة التى يبنى عليها نظام الحياة فان على الدعوة الاسلامية ان تتخذ الطابع الاصلاحى ، وقد كان الاسلام حتى الطرف الذى انتهى بنهاية الحرب العالمية الأولى هو القاعدة الرئيسة التى يبنى عليها كيان الأمة كلها ، وكانت العقيدة الاسلامية هي القاعدة الفكرية للأمة والقاعدة الدستورية . والقاعدة للدولة والاساس العام المختلف الوان الأنشطة الفردية والجماعية والسياسية . غير ان اعتبار الاسلام هو القاعدة من قبل الأمة بما فيها السلطة لم يكن يعنى عدم وجود الانحراف وعدم وقوع المخالفة والتحرير والاحتياط عليها فقد كان يختلف مدى الثبات على هذه القاعدة باختلاف مدى وعي الأمة للإسلام ومدى اخلاص الحكام ، ومن الواضح ان ظرفاً للإسلام كهذا كان يتطلب بسبب ظهور الضعف والخلل الكبير فى كيان الأمة والدولة قيام دعوات ذات طابع اصلاحى لا انقلابى كما قامت بالفعل عدة دعوات اصلاحية استهدفت الحفاظ على القاعدة الاسلامية للدولة او اصلاح الجوانب التى لا تنسجم مع هذه القاعدة .

تحديات الواقع

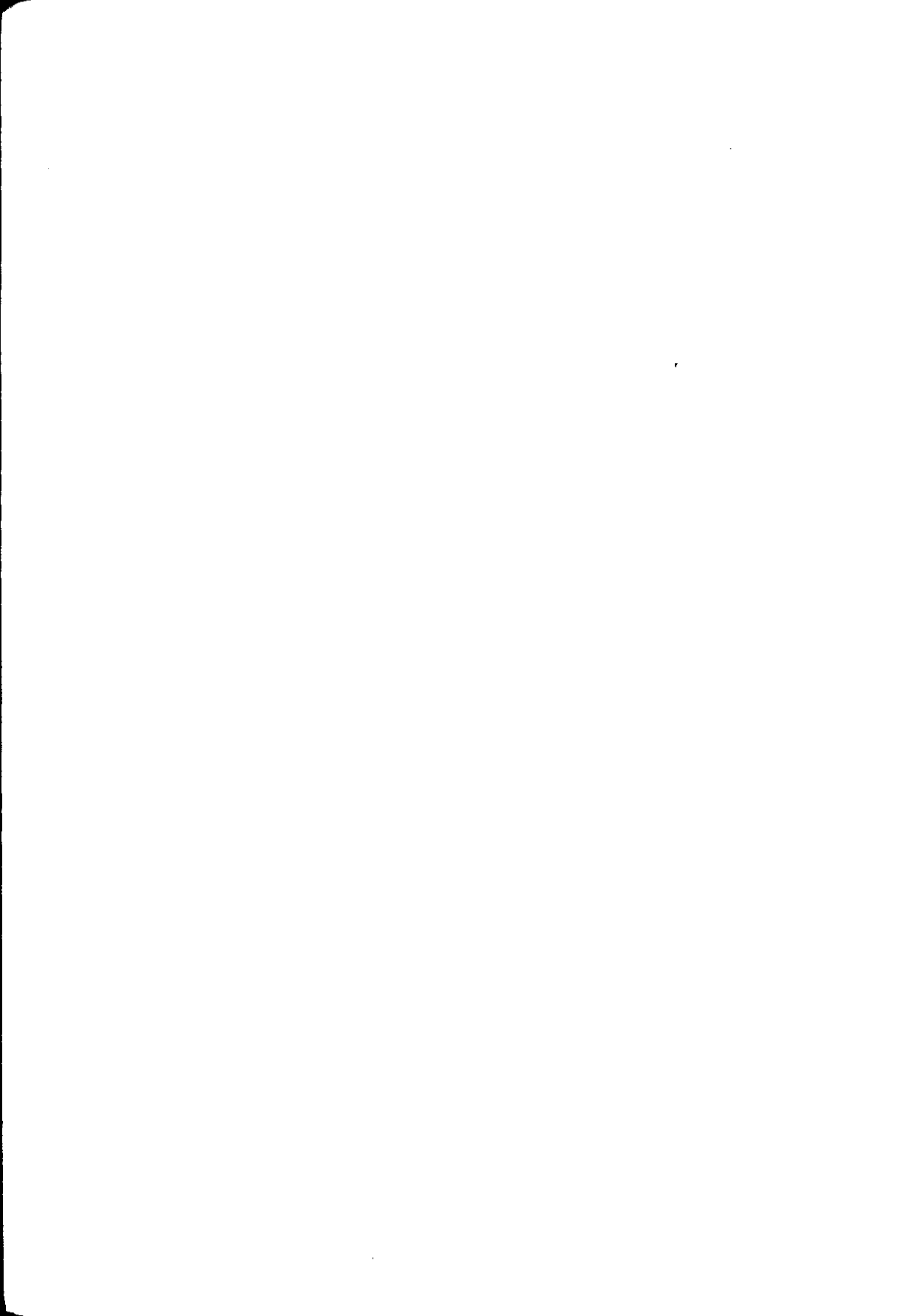
واما حيث يفقد الاسلام مركزه من القاعدة الاساسية ويستبدل بغيره من القواعد المعادية او اللاقاعدة فان الدعوة الاسلامية فى هذه الحالة يجب ان تكون انقلابية ، وهذا هو الواقع الذى تعيشه الأمة منذ نهاية الحرب الأولى ، اذ قوض

المستعمرون الدولة الاسلامية ودخلوا بلاد المسلمين وتقاسموها فيما بينهم ، وما ان تمت عملية الاستعباد هذه للعالم الاسلامي حتماً تم بذلك انقلاب كلي في حياة الأمة فاقصيت العقيدة الاسلامية من موقفها من القاعدة الرئيسية لكيان الأمة ووضعت الأمة في أطر فكرية وسياسية غريبة عن عقيدتها من الديمقراطية الرأسمالية في كثير من المناطق الاسلامية ومن الاشتراكية في البلاد التي تخضع لحكم روسية . ان الواقع الذي لا شك فيه هو ان استبدال انظمة الحكم والمجتمع بأنظمة اخرى لا يعنى مجرد تغيير قانون بقانون ولا يعبر عن حادث طارىء في كيان الأمة ، بل هو يعبر عن استبدال جميع الافكار والمفاهيم الاساسية عن الحياة والكون التي ترتكز الأنظمة السابقة للحكم والمجتمع عليها بالافكار والمفاهيم التي تقوم عليها الأنظمة الجديدة . وعلى هذا فقد كان الثمن الذي دفعته الأمة للمستعمرين غالياً وغالياً جداً . فقد كلفها ذلك التنازل عن رسالتها في الحياة وسر اصلتها في المجال الفكري والدولي معاً وكلفها التبعية والخضوع لأعدائها الظالمين وكتب عليها ان تستجدي افكارها ومفاهيمها من ابناء اعدائها الصليبيين القدامى : ان قضية الاسلام في مثل هذه الظروف ليست قضية اصلاح بل قضية انقلاب ، والدعوات الاصلاحية التي قامت بانشاء المدارس الدينية تارة واصدار الكتب والمجلات الاسلامية تارة اخرى ، وتأسيس لجان للوعظ والارشاد مرة ثالثة ونحو ذلك من الوان الخدمة ، ان هذه الدعوات وان قدمت للاسلام خدمات جلى تذكر فتشكر ، ولكنها لا تعدو جميعاً أن تكون اعمالاً جانبية وليست من صميم المعترك ، فان المعركة الرئيسية التي يخوضها الاسلام اليوم مع اعدائه انما تستهدف قبل كل شيء استرداد القاعدة للاسلام وجعل العقيدة الاسلامية في موضعها الرئيسي من حياة الأمة والقضاء على الواقع الفاسد والكيان القائم برمته وليست المدارس في مناهجها الدراسية ولا الصحف والمجلات بافكارها ومفاهيمها ولا المحطات ببثها وبرامجها الا ادوات بيد السلطة الحاكمة ونتائجها تتمحض عن قواعد المجتمع الذي تنشأ فيه ، فلا يمكن ان يضمن تطويرها تطويراً اسلامياً الا اذا امتدت الدعوة الى الاسباب الرئيسية التي تمون تلك الاحداث بطابعها وسياستها واهدافها .

ما هي حقيقة الأمر : الأمر - ايها الاخوة - ليس امر شبيبة تفسدها المدارس ولا امر جماعة تحتاج الى وعظ وتوجيه ولا امر بيئة يجب أن تهذب وتنظف من الدعارة والفساد ، بل امر امة يجب ان تقام على اساس الاسلام لتسعد في الدنيا والآخرة وتقبض على المفتاح الذي يفتح لها بركات الأرض والسماء ﴿ ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ .

ولهذا فان دعوتنا الى الاسلام دعوة انقلابية لانقاذ الامة من واقعها الفاسد ، ممثلة بذلك لأمر الله تعالى .

﴿ يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم. تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم . ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك هو الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين . . . ﴾



«حول الاسم والشكل التنظيمي»^(١)

«لحزب الدعوة الإسلامية

إنَّ إسم الدعوة الإسلامية هو الاسم الطبيعي لعملنا، والتعبير الشرعي عن واجبنا في دعوة الناس إلى الإسلام، ولا مانع أن نعبر عن أنفسنا بالحزب والحركة والتنظيم، فنحن حزب الله، وأنصار الله، وأنصار الإسلام ونحن حركة في المجتمع وتنظيم في العمل، وفي كل الحالات نحن دعاة إلى الإسلام، وعملنا دعوة إلى الإسلام.

والشكل التنظيمي الذي اخترناه في دعوتنا هو تطوير للشكل الشائع في التنظيمات المعاصرة مع ملاحظة ما تقتضيه مصلحة الدعوة إلى الإسلام. وسبب اختيارنا له يعود إلى مشروعيته أولاً، وفائدته ثانياً.

أما مشروعيته فلأن أسلوب الدعوة إلى الإسلام إنما هو الطريق الذي يمكن بواسطتها إيصال الإسلام إلى أكبر عدد من الناس وتربيتهم بثقافة الإسلام تربية مركزة تدفعهم للقيام بما فرض الله عليهم. وحيث أن الشريعة الإسلامية لم تأمر باتباع أسلوب محدد في التبليغ والتغيير جاز لنا شرعاً انتهاز أية طريقة نافعة في

(١) ثقافة الدعوة الإسلامية.

نشر مفاهيم الإسلام وأحكامه وتغيير المجتمع بها ما دامت طريقة لا تتضمن محرماً من المحرمات الشرعية. وأية حرمة شرعية في أن تتشكل الأمة الداعية إلى الخير الأمرة بالمعروف والناهية عن المنكر في هيئة وجهاز وتكون كيئناً موحداً وفعالية منتجة في الدعوة إلى الله عز وجل.

إن الرسول القائد صلى الله عليه وآله لو كان في عصرنا لا ستعمل بمقتضى حكمته الأساليب الإعلامية والتبليغية المعاصرة والملائمة. والحق أن أسلوبه صلى الله عليه وآله في الدعوة ما كان عن التنظيم الحلقي بعيد.

إن تجميع الجهود من أجل الإسلام وتنسيقها بحكمة واختيار الطريقة الأفضل لتنظيم ذلك ليس مجرد أمر جائز في عصرنا وحسب. بل هو واجب ما دام تغيير المجتمع وتعبيده لله ومجابهة الكفر المنظم متوقفاً عليه.

وأما فائدة التنظيم الإسلامي فقد أثبتت التجربة في مختلف التنظيمات العالمية أن التنظيم هو الأسلوب الناجع في تغيير المجتمع باتجاه الخير أو الشر. نعم إن هناك فرقاً بين العمل التنظيمي للإسلام وبين العمل التنظيمي لأي مبدأ آخر، وهذا الفرق ينبع من طبيعة الإسلام وطبيعة المبادئ الأخرى.

إن الروحية العامة للتنظيم الإسلامي تختلف اختلافاً جوهرياً عن الروحية العامة للتنظيمات الأخرى، فالعاملون في التنظيم الإسلامي يعملون لرسالة الله وليس لرسالة الإنسان ويطيعون أحكام الله ولا يطيعون بشراً، ويأخذون جزاءهم من الله وليس من البشر والتنظيم غير الإسلامي تسلسل فيه الأفضلية حسب الرتبة في التنظيم، وتصدر فيه الأوامر حسب الرتبة أيضاً. أما الأفضلية في التنظيم الإسلامي فهي الأفضلية عند الله، فلا يستطيع ذو رتبة أعلى في التنظيم أن يعتقد في نفسه أنه أفضل عند الله ممن هو أقل منه رتبة واطاعة الأوامر في التنظيم الإسلامي، أما أن تكون إطاعة لأحكام شرعية وأما أن تكون التزاماً بمصلحة شرعية قدرتها الدعوة.

إن الصفة الشرعية الإلزامية للانضباط في الدعوة تنبع :

أولاً: من العهد الشرعي أو القسم الذي يقطعه العضو على نفسه بالانضباط وفق ما تفرضه مصلحة الدعوة إلى الإسلام، ومن المقرر فقهاً أنه عهد

ملزم باطاعة كل أوامر الدعوة إلا إذا اعتقد الداعية اعتقاداً جازماً بحرمة تنفيذ الأمر بعد تشخيصه لموضوعه .

ثانياً: من توقف تحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة في الحياة على العمل الجماعي المنظم والمخطط بحكمة، وتوقف فعالية أي عمل منظم على توفر الانضباط التنظيمي بين عناصره خاصة مع فهم طبيعة القوى الكافرة في عصرنا الحاضر التي تستخدم سلاح التنظيم في محاربتها لدين الله والداعين له .

ثالثاً: من أعمال الفقيه لولايته الشرعية في وجوب إطاعة التنظيم وقد ورد في الحديث الشريف: ﴿ثلاثة لا يغفل عنهم قلب امرئ مسلم: الاحلاص لله، والنصح للمسلمين، واللزوم لجماعتهم، قيل ومن جماعة المسلمين؟ قال: أهل الحق وإن قلوا﴾ .

إن انعدام المأمورية البشرية البحتة ضمن أجواء الدعوة في الوقت الذي يرتبط فيه أعضاء التنظيم بالله سبحانه والعمل لرسالته يشعر الدعاة تجاه اخوانهم المسؤولين الذين يُعرفونهم ما يأمر به الإسلام وما تقتضي به مصلحة الدعوة ومسيرتها من مواقف في مختلف الشؤون بجو من الأخوة والاحترام والإيثار والانضباط التنظيمي تعجز عن توفيره المبادئ الأخرى .

ملحق رقم ٦

«مصنفات الإمام (ره)»

الفتاوى الواضحة

تعليقة على منهاج الصالحين للسيد الحكيم

شرح العروة الوثقى

غاية الفكر

اقتصادنا

فلسفتنا

فدك

الأسس المنطقية للاستقراء

بحث حول الولاية

بحث حول المهدي

نظرة في العبادات

علوم القرآن

المعالم الجديدة في الأصول

دروس في علم الأصول

المدرسة الإسلامية

رسالة الشهيد إلى السيد الحائري

مقتطفات من الرسالة التي بعثها الامام الشهيد الصدر للسيد الحائري آثرنا نشر القسم المهم منها

«... وصلت أوراق ترجمة الفتاوي الواضحة التي تفضلتم بارسالها. وبالنسبة الى تدقيقها أنا أرى ان الأهم في مقام التزاحم ان تنصرفوا الى موضوع احكام الأراضي لأن ذاك له بدل وهذا ليس له بدل، وقد ذكرت لسيد علي أكبر حين حدثني عن احكام الأراضي ان من المستحسن أن يطلع ابو جواد^(١) على كتاب الدكتور محمود المظفر في احياء الموات بلحاظ منهجيته الحديثة، كما ان شيخ الدسمة^(٢) له كتاب في ملكية الأرض ينبغي ان تطلعوا عليه، وكلا الكتابين من الكتب الجديدة.

وأما بالنسبة الى كتاب الأخلاق فأنا أرى ان الحد الأدنى من التعبير السليم اذا كان متوافراً فيه، وان الجانب العلمي للأخلاق إذا كان متضمناً فيه فهو كافٍ ليكون كتاباً دراسياً أو شبه دراسي أو مرجعاً للطلبة أنفسهم فان طلاب الحوزة انفسهم بحاجة الى اخلاق علمية لا وعظية فقط تعمق

(١) أبو جواد: السيد كاظم الحائري.

(٢) شيخ الدسمة: هو الشيخ محمد مهدي الأصفي وقد عبّر الشهيد (ره) بشيخ الدسمة حذراً من سقوط الرسالة بيد السلطات وكان الشيخ الأصفي خرج من العراق بعد مطاردته إلى الكويت وأقام فيها وكان يصلي في مسجد الدسمة أحد الأحياء الكويتية.

.. سرني شروع ولدينا العزيزين التسخيرى والشيخ محمد سعيد في تفسير القرآن الكريم على النحو المقترح كما سرني اطلاعكم على ما انتجا وارتضاؤكم له فأسأل المولى تعالى لهما التوفيق والتسديد وإكمال هذا الشرف العظيم .

أرسلنا لكم ثلاثين دورة من الحلقات^(١) الثلاث في البريد وإذا أمكن ان يطلب بعض اصحاب المكتبات كمية من الكتاب من بيروت إبتداء فهو أسهل ونحن هنا استوردنا الف دورة والأقبال على الشراء قياسي وكبير جداً الأمر الذي جعلني افكر - على الخط الطويل - في كتابه مشروع مماثل لما يدرس من الفقه في السطوح ايضاً .

من جملة المواضيع التي شرعنا فيها تكليف بعض تلامذتنا الأكفاء للتوفر على تصنيف مجموع روايات أهل بيت العصمة عليهم السلام الى اقسام وفعلاً بوشر بالقسم الأول وهو ما نطلق عليه اسم صحيح أهل البيت ويشتمل على روايات يتوفر فيها أولاً صحة السند على جميع المباني الرجالية والأصولية المتعارفة ثانياً عدم شذوذ المتن وعدم كونه مخالفاً للمشهور المتبنى من علماء الإمامية ، ثالثاً عدم وجود أي تحفظات تجاه المتر نابغة من الحساسية والذوق الاسلامي أو من وجود بعض المحاذير الاعلامية .

وهذا القسم سوف يكون غذاء روحياً صافياً وعطاء تربوياً متقناً ويمكن تقديمه الى الأمة كثقافة تربية مضمونة الصحة الى حد كبير وكواجهة فكرية لمدرسة أهل البيت وطهارتها ونقاؤها وقد كمل الآن العمل في مسودات هذا القسم على يدا المكلفين به وبقي فقط دوري في الملاحظات النهائية .

(١) الحلقات هو كتاب دروس في علوم الأصول للسيد الشهيد وعبير عنه في أوساط الطلبة بالحلقات اختصاراً لأنه يقع في ثلاث حلقات أي ثلاث مراحل دراسية .

ملحق رقم ٤

الرسالة التي بعثها الإمام الشهيد للسيد الرضوي من النجف إلى
القاهرة.

بسمه تعالى :

فضيلة الأخ العزيز المجاهد السيد مرتضى الرضوي دام عزه السلام عليكم
زنة تقديري وإعجابي .

وبعد فقد وصلتني رسالتكم الكريمة ففرحت بما توصلت إليه جهودكم
المشكورة من إفتتاح جناح لكتب الإمامية في دار الكتب المصرية فإن هذا الجناح له
أهميته الكبيرة بالنسبة إلينا إذ يكون نافذة لأفكارنا وفقهنا وثقافتنا المكنوزة فجزاكم
الله عن المذهب والدين أفضل الجزاء وكتبكم في زمرة العاملين في سبيل اعلاء
كلمة الله والإسلام في الأرض وحقق بكم الآمال المعقودة على همتكم وإخلاصكم
والسلام عليكم أولاً وآخرأ .

النجف الأشرف - العراق محمد باقر الصدر

قرار إعدام الدعاة

قرار الاعدام هو: (قرار - ٤٦١ - الصادر بتاريخ ١٩٨٠/٣/٣١ م. إستناداً إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والأربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٨٠/٣/٣١ ما يلي: لما كانت وقائع التحقيق والمحاكمات قد أثبتت بأدلة قاطعة أن حزب الدعوة هو حزب عميل مرتبط بالأجنبي وخائن لتربة الوطن ولأهداف ومصالح الأمة العربية ويسعى بكل الوسائل إلى تقويض نظام حكم الشعب ومجابهة ثورة (١٧) تموز مجابهة مسلحة. لذلك قرر مجلس قيادة الثورة تطبيق أحكام المادة (١٥٦) من قانون العقوبات بحق المنتسبين إلى الحزب المذكور مباشرة أو العاملين لتحقيق أهدافه العملية تحت واجهات أو سميات أخرى.

ينفذ هذا القرار على الجرائم المرتكبة قبل صدوره التي لم يصدر قرار بحالتها على المحكمة المختصة.

والمادة (١٥٦) من قانون العقوبات تنص على: «يعاقب بالاعدام من ارتكب عمداً فعلاً بقصد المساس باستقلال البلاد أو وحدتها أو سلامة أراضيها وكان الفعل من شأنه أن يؤدي إلى ذلك». انتهى القرار.

مع العلم بان حكم الاعدام هذا شمل من ينتمي إلى حزب الدعوة أو روج لأفكاره أو سهّل مهمته بناءً على التعليمات الصادرة من السلطات الحاكمة

بخصوص تطبيق هذا القرار الجائر الذي خالف بدهيات القانون وحقوق الإنسان فنص على رجعية القوانين وشمولها وقائع لم تكن مشمولة بهذا القانون مع ان القانون الجزائي لا يسمح برجعية القوانين الجزائية إلا إذا كانت لصالح المتهم. أو إذا كانت العقوبة أخف من العقوبة السابقة. كما ان نظام صدام لا يميز بين الفاعل الأصلي والمتدخل والشريك بحيث جعلهم مشمولين لحكم واحد وهو الإعدام. انتهى الملحق.

والحق رقم ٦٧

نصوص التأييد الذي كتبه بعض المراجع لدعم جماعة العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

ان جميع ما أصدره فريق من أعلام أهل العلم أيدهم الله تعالى باسم جماعة العلماء في النجف الأشرف وما سيصدر منهم من نشرات وغيرها مما يتضمن الدعوة إلى الدين والإسلام هو من أهم الوظائف الشرعية التي يجب القيام بها في سبيل أعلاء كلمة الدين وترويج مبادئه الشريفة وتعاليمه القيّمة المقدسة فعلى عامة المسلمين العمل على موازرتهم والوقوف إلى صفهم ومشاركتهم في أعباء هذه الدعوة الدينية المباركة وفق الله سبحانه والجميع لما يحب ويرضى إنه حسبنا ونعم الوكيل .

محسن الطباطبائي الحكيم
٢٧/٢/١٣٧٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ان نشرات الدينية التي يتولى إصدارها (جماعة العلماء) والتي أقبل عليها المسلمون في كل مكان وعرفوها انها الدعوة إسلامية خالصة لوجه الله هي - بلا

ريب - تستمد دعوتها من القرآن وتأخذ أهدافها من تعاليم الدين فعلى أبناء المسلمين أن يسترشدوا بها أبدأ ويتديروا حقايقها ويعملوا بما جاء فيها من نواميس إسلامية تسعد حياة المسلمين وعليهم أن يدفعوا عنها كل غائلة ويجتهدوا في نصرتها ﴿أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ وأسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لذلك ليعيشوا في ظل عدالة الإسلام ونواميسه الخالدة وهو سبحانه ولي التوفيق .

أبو القاسم الموسوي الخوئي

٦/ رجب المرجب/ ١٣٧٨ هـ

بسمه تعالى شأنه

ان جماعة العلماء في النجف الأشرف ثلة من أعلام الدين والعلم قد دفعهم الواجب الشرعي إلى القيام بأعباء هذه الدعوة الدينية باصدار النشرات وغير ذلك من أساليب الخدمة في سبيل الإسلام فالى المولى سبحانه نبتهل أن يُسدّد خطاهم وعلى المسلمين كافة مساندتهم والتقرب إلى الله بتأييدهم في هذا العمل العظيم إنه ولي التوفيق .

٥/ رجب/ المرجب/ ١٣٧٨ هـ

الأقل عبد الهادي الحسيني الشيرازي

هذا ما تهيأ لنا ذكره من نصوص بخصوص تأييد المراجع وأكابر الفقهاء لجماعة العلماء .

ملحق رقم ٧

الرسالة التي بعثها الشهيد الصدر للامام الخميني ووزعت في فرنسا وايران

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد خير خلقه وعلى الهداة الميامين من آله
الطاهرين .

وبعد، فإننا في النجف الأشرف إذ نعيش مع الشعب الإيراني بكل قلوبنا
ونشاركه آلامه وآماله ما نؤمن أن تاريخ هذا الشعب العظيم أثبت أنه كان ولا
يزال شعباً أياً شجاعاً، وقادراً على التضحية والصمود من أجل القضية التي يؤمن
بها ويجد فيها هدفه وكرامته ونحن إذا لاحظنا مسيرة هذا الشعب النضالية
خلال الفترة المنظورة من هذا القرن وجدنا فيها بكل بطولة وإيمان عدداً من
المعارك الباسلة في سبيل الحفاظ على كرامته وتحقيق ما آمن به من طموحات
خيرة وأهداف عالية، فمن قضية التبغ التي استطاع فيها هذا الشعب العظيم أن
يكسر الطوق الذي أراد حكامه ومخدوموهم المستعمرون أن يطوقوا به وجوده
إلى القضايا المشروطة التي قاوم فيها الشرفاء والأحرار من أبناء هذا البلد الكريم
ألوان التحكم والاستبداد في كل وقت كان العالم الإسلامي فيه غارقاً في
أشكال مؤلمة من هذا الاستبداد إلى الممارسات الفعلية لهذا الشعب المكافح
التي قدم من خلالها حجماً عظيماً من التضحيات ولا يزال يقدم وهو يزداد يوماً
بعد يوم إيماناً وصموداً وتأكيذاً على روحه النضالية .

يبين هذه الملاحم النضالية يبدو عمق الشخصية المذهبية للفرد الإيراني المسلم والدور العظيم الذي يؤديه مفهومه الديني وتمسكه العميق بعقيدته ورسالته ومرجعياته في مجالات هذا النضال الشريف وفي كل هذه الملاحم نلاحظ أن الروح الدينية كانت هي المعين الذي لا ينضب للحركة وأن الشعارات الإسلامية العظيمة كانت هي الشعارات المطروحة على الساحة وأن المرجعية الرشيدة كانت هي الزعامة التي تلتف حولها جماهير الشعب المؤمنة وتستلهمها في صمودها وجهادها، ولا توجد هوية لشعب أصدق انطباقاً عليه وتجسداً لمضمونه في الهوية التي يتجلى بها في ساحة الجهاد والبذل والعطاء ولم يعبر شعب عن مرتبة النضالية تعبيراً أوضح وأجلى مما عبر به الشعب الإيراني المسلم عن هويته الإسلامية في كل ما خاضه من معارك شريفة، كانت التعبئة لكل واحد منها تتم باسم الإسلام، وكانت المشاعر والقلوب تتجمع على أساسه وكانت القوى الروحانية والمرجعية الصالحة هي التي تتقدم المسيرة في نضاله الشريف.

ولأن كان الشعب الإيراني قد عبر عن هويته النضالية الاصيلية باستمرار فإن نهضته الحية المعاصرة هي التعبير الأروع عن تلك الهوية النضالية المؤمنة التي عبر بها الشعب الإيراني عن نفسه ولا يزال وهي من أعظم ذخائر الإسلام وطاقاته التي يملكها في التأريخ الإسلامي الحديث.

وتشير هذه الهوية النضالية من خلال التجارب الجهادية التي يمارسها ولا يزال يمارسها شعب إيران المسلم إلى عدد من الحقائق تبدو واضحة كل الوضوح ومن الضروري أن تشكل اطاراً أساسياً ثابتاً لرؤية هذا الشعب لطريقه، ومن تلك الحقائق الثابتة أن الشعب الإيراني كان يحقق نجاحه في نضاله بقدر التحامه مع قيادته الروحية ومرجعياته الدينية الرشيدة إلتحاماً كاملاً واستنطاع هكذا أن يحول الشعارات التي نادى بها إلى حقيقة وما من مرة غفل فيها هذا الشعب المجاهد عن هذه الحقيقة أو استغفل بشأنها إلا وواجه الضياع والتآمر فالمرجعية الدينية الرشيدة والقيادة الروحية هي الحصن الواقي من كثير من ألوان الضياع والانحراف، ومن تلك الحقائق أن القيادات الروحية كانت تقوم بدورها هذا وتنجزه إنجازاً جيداً بقدر ما يسودها من التلاحم والتعاضد والوقوف جنباً إلى

جنب وما من مرة استطاع فيها الشعب الإيراني المسلم أن يحقق نصراً إلا وكان للتلاحم والتعاقد المذكور دور كبير في إمكانية تحقيق هذا النصر ومن تلك الحقائق أيضاً أن المباراة الشريفة لكي تضمن وصولها إلى هدفها الإسلامي لا بد أن تتوفر في ظلها نظرة تفصيلية واعية وشاملة لرسالة الإسلام ومفاهيمها وتشريعاتها في مختلف الحياة الاجتماعية وبقدر ما تتوافر من أساس فكري ورصيد عقائدي للمبارزة. هذه النظرة التفصيلية التي تميز المعالم الفكرية للهوية النضالية تكسب المباراة القدرة أكثر فأكثر على ممارسة التغيير وتحقيق أهدافها الإسلامية وحماية شخصيتها العقائدية من تسلل الآخرين.

وهكذا نرى أن المباراة الشريفة التي تقود الشعب الإيراني المسلم في كفاحه تدعو اليوم أكثر من أي يوم مضى بعد أن وصلت إلى هذه المرحلة الدقيقة من مسيرتها واكتسبت ولاء الأمة كل الأمة على الساحة، أقول: إنها مدعوة اليوم أكثر من أي يوم مضى إلى أن تنظر بعين الحاجات الفعلية لمسيرتها وتنظر بعين أخرى إلى حاجاتها المستقبلية وذلك بأن تحدد معالم النظرة التفصيلية من الآن فيما يتصل بايد-يولوجيتها ورسالتها الإسلامية الشريفة وكما أنها مرتبطة في النظرة الأولى إلى الحاجات الفعلية للمسيرة وتقييمها وتحديد خطواتها بالمرجعية الدينية المجاهدة كذلك لا بد أن ترتبط بالنظرة الثانية وفي تحديد معالم أيديولوجية إسلامية كاملة بالمرجعية الدينية الرشيدة التي قادت كفاح هذا الشعب منذ سنين لأن المرجعية هي المصدر الشرعي والطبيعي للتعرف على الإسلام ومفاهيمه كما نرى أيضاً أن المباراة الشريفة قد حققت مكسباً كبيراً حينما أفهمت العالم كله بخطأ ما كان يتصوره البعض من أن الإسلام لا يبرز على الساحة إلا كمبارز للماركسية وليس من همّه بعد ذلك أن يبارز الطبقة الآخر فإن هذا التصور كان يستغله البعض في سبيل إصباغ طابع التخلف والتبعية على المباراة الإسلامية وقد تمزق هذا التصور من خلال المباراة الشريفة التي برزت على الساحة الإيرانية باسم الإسلام وبقوة الإسلام وبقيادة المرجعية الدينية الرشيدة لتقاوم كيئاً أبعد ما يكون عن الماركسية والماركسيين وقد أثبت ذلك أن الإسلام له رسالته وأصالته في المباراة وإن الإسلام الذي يقاوم الماركسية هو نفسه الإسلام الذي يقاوم كل ألوان الظلم والطغيان وأن على المباراة الشريفة وقد آمن الشعب الإيراني العظيم بقيادته الإسلامية أن تكون

على مستوى هذه المرحلة وان تدرك بعمق ما يواجهها من عداء عظيم لتحقيق أهدافه الكبيرة في عملية التغيير لأن بناء إيران إسلامياً ليس بمجرد تغيير في الشكل والأساء بل هو إضافة إلى ذلك تطهير للمحتوى من كل الجذور الفاسدة وملء المضمون ملءً جديداً حياً تتدفق فيه القيم القرآنية والإسلامية في مختلف مجالات الحياة. ولا شك في أن البطولة الفريدة التي تحققت بها المبارزة في عملية مكافحة الواقع الفاسد وعمقها الروحي والاجتماعي والتأريخي ونسأل المولى سبحانه وتعالى أن يرعى التضحيات العظيمة التي يقدمها الشعب الإيراني المجاهد بقيادة علمائه ويجعل من الدماء الطاهرة التي أراقها السفاكون على الساحة شموعاً تضيء بالنور لتخرج إيران من ظلمات الاستبداد والانحراف إلى تطبيق الإسلام الشامل في كل مجالات الحياة وليست القافلة الأخيرة من الضحايا في مدينة مشهد المقدسة إلا حلقة جديدة من مجازر الطغاة تغمد الله الشهداء بعظيم رحمته وألحقهم بشهداء السابقين والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً والعاقبة للمتقين وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

محمد باقر الصدر

ملحق رقم ٨

نص البيان الذي وجهه الامام الصدر للشعب الافغاني والمسلمين عامة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد خلقه محمد وعلى الهداة
الميامين من آله الطاهرين .

وبعد فإن المحنة الهائلة التي يتعرض لها الشعب الأفغاني المسلم بكل قطاعاته
عموماً وعلماء الإسلام خصوصاً تمثل اعتداءً صارخاً على إسلام هذا الشعب
العريق وكرامته وحرية واستهتاراً بكل القيم الإنسانية إذ يراد بقوة الحديد والنار
أن تفرض أفكار الكفر على شعب نشأ على الإسلام دماً وروحاً واحتضنه عقيدة
ومنهجاً ولئن كان العشرات من العلماء الاعلام اليوم يقعون في زنايات السجون
ومئات الأبرار من أبناء الشعب الأفغاني المسلم يصفون باستمرار والملايين من
المسلمين تهدر كرامتهم وتتحدى عقيدتهم فإن هذه المحنة لا تزيد الشعب الأفغاني
إلا تمسكاً بدينه وعقيدته ودفاعاً عن بيضة الدين .

ونحن نهب بكل أفراد الشعب الأفغاني الكريم أن يحولوا بكل ما لديهم من
طاقة دون وقوع بلدهم المسلم في قبضة الاتحاد والملحدون .

كما نهيب بالمسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها أن يدركوا عمق المحنة التي يواجهها أخوانهم مسلمون في أفغان وإن يطالبوا كل الأحرار في العالم بالعمل من أجل إنقاذ حرية هذا الشعب وعلمائه الاعلام وابنائهم الأخيار ونبتهل إلى المولى القدير سبحانه أن ينزل سكينته على هذا الشعب الأبى ويؤيده بنصر من عنده ويخرجه من هذه المحنة رافع الرأس صلب الإرادة وفيأ لدينه أميناً على رسالته والسلام عليهم جميعاً ورحمة الله وبركاته .

٢٢ / ربيع الثاني / ١٣٩٩ هـ

محمد باقر الصدر

ملحق رقم ٩

نص البيان الذي وجهه الامام الشهيد لابناء الاسلام من العرب في ايران

بسم الله الرحمن الرحيم

شعبنا العربي المسلم العزيز في إيران المجاهد .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد، فإني أخاطبكم باسم الإسلام وأدعوكم وسائر شعوب إيران العظيمة لتجسيد روح الأخوة الإسلامية التي ضربت في التاريخ مثلاً أعلى في التعاضد والتلاحم، في مجتمع المتقين الذي لا فضل فيه لمسلم على مسلم إلا بالتقوى، مجتمع عمار بن ياسر وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، مجتمع القلوب العامرة بالفكر والإيمان المتجاوزة كل حدود الأرض المتوحدة باسم السماء ورسالة السماء فلتتوحد القلوب ولتنصهر كل الطاقات في إطار القيادة الحكيمة للإمام الخميني في طريق بناء المجتمع الإسلامي العظيم الذي يحمل مشعل القرآن الكريم إلى العالم كله والسلام عليكم ورحمته وبركاته .

محمد باقر الصدر

والحق وقسم ١٠

اطروحة المرجعية الموضوعية

بقلم الشهيد الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أهم ما يميز المرجعية الصالحة تبنيتها للأهداف الحقيقية التي يجب أن تسير المرجعية في سبيل تحقيقها لخدمة الإسلام وإملاكها صورة واضحة محددة لهذه الأهداف، فهي: مرجعية هادفة بوضوح ووعي وتتصرف دائماً على أساس تلك الأهداف بدلاً من أن تمارس تصرفات عشوائية وبروح تجزئية وبدافع من ضغط الحاجات الجزئية المتجددة.

وعلى هذا الأساس كان المرجع الصالح قادراً على عطاء جديد في خدمة الإسلام وإيجاد تغيير أفضل لصالح الإسلام في كل الأوضاع التي يمتد إليها تأثيره ونفوذه.

هدف المرجعية الصالحة

ويمكن تلخيص أهداف المرجعية الصالحة رغم ترابطها وتوحد روحها العامة في خمس نقاط:

١ - نشر أحكام الإسلام على أوسع مدى ممكن بين المسلمين، والعمل لتربية كل فرد منهم تربية دينية تضمن التزامه بتلك الأحكام في سلوكه الشخصي.

(١) مقدمة مباحث الأصول: ص ٩١.

٢ - إيجاد تيار فكري واسع في الأمة يشتمل على المفاهيم الإسلامية الراجعة من قبيل المفهوم السياسي الذي يؤكد أن الإسلام نظام كامل شامل لشتى جوانب الحياة وإتخاذ ما يمكن من أساليب لتركيز تلك المفاهيم .

٣ - إشباع الحاجات الفكرية الإسلامية للعمل الإسلامي وذلك عن طريق إيجاد تلك البحوث الإسلامية الكافية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والمقارنات الفكرية بين الإسلام وبقية المذاهب الاجتماعية . وتوسيع نطاق الفقه الإسلامي على نحو يجعله قادراً على مدّ كل جوانب الحياة بالتشريع وتصعيد الحوزة ككل إلى مستوى هذه المهام الكبيرة .

٤ - القيمة على العمل الإسلامي والإشراف على ما يعطيه العاملون في سبيل الإسلام في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من مفاهيم وتأييد ما هو منها وإسناده وتصحيح ما هو خطأ .

٥ - اعطاء مراكز عالمية من المراجع الى أدنى مراتب العلماء الصفة القيادية للأمة بتبني مصالحها والاهتمام بقضايا الناس ورعايتها واحتضان العاملين في سبيل الاسلام .

ووضوح هذه الأهداف المرجعية وتبنيها وإن كان هو الذي يحدّد صلاح المرجعية ويحدث تغييراً كبيراً على سياستها ونظراتها إلى الأمور وطبيعة تعاملها مع الأمة ولكن لا يكفي مجرد وضع هذه الأهداف ووضوح إدراكها لضمان الحصول على أكبر قدر ممكن من مكاسب المرجعية الصالحة ، لأن الحصول على ذلك يتوقف إضافة إلى صلاح المرجع ووعيه واستهدافه على عمل مسبق على قيام المرجعية الصالحة من ناحية وعلى إدخال تطورات على أسلوب المرجعية ووضعها العملي من ناحية أخرى .

أما فكرة العمل المسبق على قيام المرجعية الصالحة فهي تعني أن بداية نشوء مرجعية صالحة تحمل الأهداف الالفة الذكر تتطلب وجود قاعدة قد آمنت بشكل وآخر بهذه الأهداف في داخل الحوزة وفي الأمة وإعدادها فكرياً وروحياً للمساهمة في خدمة الإسلام وبناء المرجعية الصالحة وإذا لم توجد قاعدة من هذا القبيل تشارك المرجع الصالح أفكاره وتصوراته وتنظر إلى الأمور من خلال معطيات

تربية ذلك الإنسان الصالح لها يصبح وجود المرجع الصالح وحده غير كافٍ لاجتاد المرجعية الصالحة حقاً وتحقيق أهدافها في النطاق الواسع.

وبهذا كان لزاماً على من يفكر في قيادة تطوير المرجعية إلى مرجعية صالحة أن يمارس هذا العمل المسبق بدرجة ما، وعدم ممارسته هو الذي جعل جملة من العلماء الصالحين - بالرغم من صلاحهم - يشعرون عند تسلّم المرجعية بالعجز الكامل عن التغيير لأنهم لم يمارسوا هذا العمل المسبق، ولم يحددوا مسبقاً الأهداف الرشيدة للمرجعية والقاعدة التي تؤمن بتلك الأهداف.

تطوير اسلوب المرجعية

وأما فكرة أسلوب المرجعية وواقعها العملي فهي تستهدف:

أولاً: إيجاد جهاز عملي تخطيطي وتنفيذي للمرجعية يقوم على أساس الكفاءة والتخصّص وتقسيم العمل واستيعاب كل مجالات العمل المرجعي الرشيد في ضوء الأهداف المحددة. ويقوم هذا الجهاز بالعمل بدلاً عن الحاشية التي تعبر عن جهاز عفوي مرتجل يتكون من أشخاص جمعتهم الصدفة والظروف الطبيعية لتغطية الحاجات الآنية بذهنية تجزئية وبدون أهداف محدّدة واضحة.

ويشتمل هذا الجهاز - أي جهاز المرجعية الصالحة المطلوب توفيره - على لجانٍ متعددة تتكامل وتنمو بالتدرّج إلى أن تستوعب كل إمكانيات العمل المرجعي ويمكن أن نذكر اللجان التالية كصورةٍ مثلى وهدف أعلى ينبغي أن يصل إليه الجهاز العملي للمرجعية الصالحة في تطوره وتكامله.

١ - لجنة أو لجان لتسيير الوضع الدراسي في الحوزة العلمية، وهي تمارس تنظيم دراسة ما قبل الخارج^(١) والإشراف على دراسة الخارج وتحديد المواد الدراسية وتضع الكتب الدراسية وتجعل بالتدرّج الدراسة الحوزوية بالمستوى الذي يتيح للحوزة المساهمة في تحقيق أهداف المرجعية الصالحة وتستحصل

(١) مصطلح يطلق على الدراسات العليا في الحوزة والتي لا يلتزم فيها بكتاب معين وإنما يحضر العلماء لسماع بحوث الفقهاء في الفقه والأصول.

معلومات عن الإنتسابات الجغرافية للطلبة وتسعى في تكميل الفراغات وتنمية العدد.

٢ - لجنة الإنتاج العلمي ووظائفها إيجاد دوائر علمية لممارسة البحوث ومتابعة سيرها والاشراف على الانتاج الحوزوي الصالح وتشجيعه ومتابعة الفكر العالمي بما يتصل بالإسلام والتوافر على إصدار شيء كمجلة وغيرها.

والتفكير في جلب العناصر الكفوءة إلى الحوزة أو التعاون معها إذا كانت في الخارج.

٣ - لجنة أو لجان مسؤولة عن شؤون علماء المناطق المرتبطة، وضبط أسمائهم وأماكنهم ووكالاتهم وتتبع سيرتهم وسلوكهم واتصالاتهم والإطلاع على النفاص والحاجات والفراغات وكتابة تقرير إجمالي في وقت رتيب أو عند طلب المرجع.

٤ - لجنة الاتصالات وهي تسعى لإيجاد صلات مع المرجعية في المناطق التي لم تتصل مع المركز ويدخل في مسؤوليتها إحصاء المناطق ودراسة إمكانات الإئصال بها وإيجاد سفرة تفقدية، أما على مستوى تمثيل المرجع أو على مستوى آخر وترشيح المناطق التي أصبحت مستعدة لتقبل العالم وتوالي متابعة السير بعد ذلك.

ويدخل في صلاحيتها الإئصال في الحدود الصحيحة مع المفكرين والعلماء في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وتزويدهم بالكتب والاستفادة من المناسبات كفرصة الحج.

٥ - لجنة رعاية العمل الإسلامي والتعرف على مصاديقه في العالم الإسلامي وتكوين فكرة عن كل مصداق وبذل النصح والمعونة عند الحاجة.

٦ - اللجنة المالية التي تعني بتسجيل المال وضبط موارده وإيجاد وكلاء ماليين والسعي في تنمية الموارد الطبيعية لبيت المال، وتسديد المصارف اللازمة للجهاز مع التسجيل والضبط ولا شك في أن بلوغ الجهاز إلى هذا المستوى في الإتساع والتخصص يتوقف على تطور طويل الأمد ومن الطبيعي أن يبدأ الجهاز

محدوداً وبدون تخصصات حدية تبعاً لضيق نطاق المرجعية وعدم وجود التدريب الكافي.

والممارسة والتطبيق هو الذي يبلور القابليات من خلال العمل ويساعد على التوسع والتخصص.

وثانياً: إيجاد امتداد أفقي حقيقي للمرجعية يجعل منها محوراً قوياً تنصب فيه كل قوى ممثلي المرجعية والمنتسبين إليها في العالم، لأن المرجعية حينها تتبنى أهدافاً كبيرة وتمارس عملاً تغييرياً وواعياً في الأمة لا بد أن تستقطب أكبر قدر ممكن من النفوذ لتستعين به في ذلك وتفرض بالتدريج وبشكل آخر السير في طريق تلك الأهداف على كل ممثليها في العالم.

وبالرغم من إنتساب كل علماء الشيعة تقريباً إلى المرجع في الواقع المعاش يلاحظ بوضوح أنه في أكثر الأحيان انتساباً نظرياً وشكلياً لا يخلق المحور المطلوب كما هو واضح.

وعلاج ذلك يتم عن طريق تطوير شكل الممارسة للعمل المرجعي، فالمرجع تاريخياً يمارس عمله المرجعي كله ممارسة فردية. ولهذا لا تشعر كل القوى المنتسبة إليه بالمشاركة الحقيقية معه في المسؤولية والتضامن الجاد معه في الموقف. وأما إذا مارس المرجع عمله من خلال مجلس يضم علماء الشيعة والقوى الممثلة له دينياً وربط المرجع نفسه بهذا المجلس فسوف يكون العمل المرجعي موضوعياً وإن كانت المرجعية نفسها بوصفها نيابة عن الإمام قائمة بشخص المرجع وأن هذه النيابة القائمة بشخصه لم تحدد له أسلوب الممارسة وإنما يتحدد هذا الأسلوب في ضوء الأهداف والمصالح العامة.

وهذا الأسلوب الموضوعي من الممارسة يصون المرجع عمله المرجعي من التأثير بانفعالات شخصه ويعطي به بعداً وامتداداً واقعياً كبيراً إذ يشعر كل ممثلي المرجع بالتضامن والمشاركة في تحمل مسؤوليات العمل المرجعي وتنفيذ سياسية المرجعية الصالحة التي تقرر من خلال ذلك المجلس وسوف يضم هذا المجلس تلك اللجان التي يتكون منها الجهاز العملي للمرجعية وبهذا تلتقي النقطة السابقة مع هذه النقطة.

ولأن كان في أسلوب الممارسة الفردية للعمل المرجعي بعض المزايا كسرعة التحرك وضمان درجة أكبر من الضبط والحفظ، وعدم تسرب عناصر غير واعية إلى مستوى التخطيط للعمل المرجعي، فإن مزايا الأسلوب الآخر - المرجعية الموضوعية ذات الأجهزة - أكبر وأهم.

ونحن نطلق على المرجعية ذات الأسلوب الفردي في الممارسة اسم «المرجعية الذاتية» وعلى المرجعية ذات الأسلوب المشترك والموضوعي في الممارسة اسم «المرجعية الموضوعية» وهكذا يظهر أن الفرق بين المرجعية الذاتية والمرجعية الموضوعية ليس في تعيين شخص المرجع الشرعي الواقعي: فإن شخص المرجع دائماً هو نائب الإمام ونائب الإمام هو المجتهد المطلق^(١) العادل الأعلم الخبير بمطالبات النيابة وهذا يعني أن المرجعية من حيث مركز النيابة للإمام ذاتية دائماً وإنما الفرق بين المرجعين في أسلوب الممارسة.

وثالثاً: امتداداً زمنياً للمرجعية الصالحة لا تتسع له حياة الفرد الواحد فلا بد من ضمان نسبي لتسلل المرجعية في الإنسان الصالح المؤمن بأهداف المرجعية الصالحة لئلا يتكسر العمل بانتقال المرجعية إلى مَنْ لا يؤمن بأهدافها الواعية.

ولا بد أيضاً من أن يهيأ المجال للمرجع الجديد لبدء ممارسة مسؤولياته من حيث انتهى المرجع العام السابق بدلاً من أن يبدأ من الصفر، ويتحمل مشاق هذه البداية وما تتطلبه من جهود جانبية، وبهذا يتاح للمرجعية الاحتفاظ بهذه الجهود للأهداف وممارسة ألوان من التخطيط الطويل المدى ويتم ذلك عن طريق شكل المرجعية الموضوعية إذ في إطار المرجعية الموضوعية لا يوجد المرجع فقط بل يوجد المرجع كذات ويوجد الموضوع وهو المجلس بما يضم من جهاز يمارس العمل المرجعي الرشيد، وشخص المرجع هو العنصر الذي يموت وأما الموضوع فهو ثابت ويكون ضماناً نسبياً إلى درجة معقولة بترشيح المرجع

(١) المجتهد المطلق وهو القادر على الاستنباط في جميع أبواب الفقه وفي قبالة مصطلح المجتهد المتجزئ، وهو القادر على عملية الاستنباط في بعض مسائل الفقه وأبوابه.

الصالح في حالة خلو المركز، وللمجلس وللجهاز - بحكم ممارسته للعمل المرجعي ونفوذه وصلاته وثقة الأمة به - القدرة دائماً على إسناد مرشحه وكسب ثقة الأمة إلى جانبه .

وهكذا تلتقي النقطتان السابقتان مع هذه النقطة في طريق الحل .

مراحل المرجعية الصالحة

وللمرجعية الصالحة ثلاث مراحل .

١ - مرحلة ما قبل التصدي للمرجعية المتمثل بطبع رسالة عملية، وتدخل في هذه المرحلة أيضاً فترة ما قبل المرجعية إطلاقاً .

٢ - مرحلة التصدي بطبع الرسالة العملية .

٣ - مرحلة المرجعية العليا المسيطرة على الموقف الديني .

وأهداف المرجعية الصالحة ثابتة في المراحل الثلاث، وفي المرحلة الأولى يتم إنجاز العمل المسبق الذي أشرنا إليه سابقاً إلى ضرورته لقيام المرجعية الصالحة، وطبيعة هذه المرحلة تفرض أن تمارس المرجعية ممارسة أقرب إلى الفردية بحكم كونها غير رسمية ومحدودة في قدرتها، وكون الأفراد في بداية الطريق والممارسة للعمل المرجعي، فالمرجعية في هذه المرحلة ذاتية وإن كانت تضع في نفس الوقت بذور التطوير إلى شكل المرجعية الموضوعية عن طريق تكوين أجهزة استشارية محدودة، ونوع من التخصص في بعض الأعمال المرجعية .

وأما في المرحلة الثانية فيبدأ عملياً تطوير الشكل الذاتي إلى الشكل الموضوعي لكن لا عن طريق الإعلان عن أطروحة المرجعية الموضوعية بكاملها، ووضعها موضع التنفيذ في حدود المستجيبين لأن هذا وإن كان يولد زخماً تأييدياً في صفوف بعض الراشدين في التفكير .

ولكنه من ناحية يفصل المرجعية الصالحة عن عدد كبير من القوى والأشخاص غير المستعدين للتجاوب في هذه المرحلة .

ومن ناحية أخرى يضطرها إلى الاستعانة بما هو الميسور في تقديم صيغة المرجعية الموضوعية وهذا الميسور لا يكفي كماً ولا كيفاً لملء حاجة المرجعية الموضوعية، بل الطريق الطبيعي في البدء بتحقيق المرجعية الموضوعية ممارسة المرجعية الصالحة لأهدافها ورسالتها عن طريق لجان وتشكيلات متعددة بقدر ما تفرضه بالتدرج حاجات العمل الموضوعية وقدرات المرجعية البشرية والاجتماعية ويربط بالتدرج بين تلك اللجان والتشكيلات ويوسع منها حتى تتمخض في نهاية الشوط عن تنظيم كامل شامل للجهاز المرجعي. ويتأثر سير العمل في تطوير أسلوب المرجعية وجعلها موضوعية بعدة عوامل في حياة الأمة فكرية وسياسية، وبنوعية القوى المعاصرة في الحوزة للمرجعية الموضوعية ومدى وجودها في الأمة، ومدى علاقتها طرداً أو عكساً مع أفكار المرجعية الصالحة ولا بد من أخذ هذه العوامل بعين الاعتبار والتحفظ من خلال مواصلة عملية التطوير المرجعي عن تعريض المرجعية ذاتها لانتكاسة تقضي عليها. إلا إذا لوحظ وجود مكسب كبير في المحاولة ولو باعتبارها تمهيداً لمحاولة أخرى ناجحة يفوق الخسارة التي تترتب على تفتيت المرجعية الصالحة التي تمارس تلك المحاولة». انتهى.

والحق رقم ٧٧

نص البرقية التي أبرقها آية الله العظمى السيد محسن
الحكيم - أعلى الله مقامه -

إلى علماء ومراجع قم وفيهم الامام الخميني

«الحوادث المتوالية والمؤلمة، والفجائع المخزنة التي حلت بساحة العلم
والعلماء في مدينة قم كانت موجبة لجرح قلوب المؤمنين، وتأثري الشديد من ذلك
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. وعلى العلماء الاعلام وبصورة مجمعة
الهجرة إلى العتبات الشريفة حتى يستطيع أن أعطي قولي بشأن الحكومة».

جواب الامام الخميني

النجف الأشرف. حضرة آية الله الحكيم دامت بركاته وعلت كلمته
نشكركم على تعازيكم بمناسبة الفاجعة الكبرى آمين أن تحقق بوحدة الكلمة
للعلماء الاعلام والمراجع كثر الله أمثالهم قطع أيادي الأجانب والمحافظة على
استقلال البلاد والدفاع عن حرمة الإسلام والقرآن الكريم حتى لا تتناول أيادي
الخيانة على أحكام الاسلام.

وأعلم أن هجرة المراجع والعلماء الاعلام أعلى الله كلمتهم من مركز

التشيع وإعطاءه إلى الكفر والزندقة هو السقوط في منحدر الهلكة، ونحن نعلم أن هذه تخيفنا وتجعل تغيرات وتبدلات إذ أن اغراءنا من الأخوة المؤمنين يعانون التعذيب والعذاب الأليم، ونحن سوف نصبر في الوقت الحالي على النار المحرقة، وهذه المخاطر حتى ندافع عن حرمة الإسلام والمسلمين وحماية القرآن واستقلال دولتنا، وسوف نأمر بالهدوء إلى المقدار الممكن الذي يحفظ لنا مركز العلماء، إلا أن يكون هناك عملاً من الطاغوت مما لا يجعل لنا مندوحة مما يضطرنا بالمطالبة ونسأله تعالى أن يعصمنا وأنا أمد يد الاخلاص إلى جميع المسلمين خصوصاً العلماء الاعلام والمراجع العظام أطال الله بقاءهم، مع عموم طبقات الشعب من أجل صيانة أحكام الإسلام واستقلال البلاد الإسلامية وأنا واثق ان بوحدة الكلمة بين المسلمين ولا سيما العلماء الاعلام سوف نقطع أيادي الأجانب والمخالفين من أن يعتدوا على أي مكان من البلاد الإسلامية.

وسوف نؤدي واجبنا الشرعي حتى نحصل على إحدى الحسينيين إما بقطع أيادي الخائنين والمعتدين على حرمة الإسلام والقرآن الكريم أو نلتحق بجوار رحمة الله جلّ وعلا. «إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً» وإن أجهزة الجبابرة تريد اطفاء نور الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون^(١).

روح الله الموسوي الخميني

١٧/ ذو القعدة/ ١٣٨٢ هـ

(١) البرقية وجواب الإمام في «تاريخ سياسي إيران معاصر» جلال الدين مدني: ٢٨/١.

وثائق تدين نظام صدام

«الوثيقة الأولى»

استناداً إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الحادي والأربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته بتاريخ ١٩٧٨/٣/٢٨ م ما يلي:

أولاً: إحالة الأشخاص المبينة أسماؤهم ودوائرهم أدناه على التقاعد:

(١) لؤي يونس بحري – استاذ كلية القانون بجامعة بغداد.

(٢) سعدية حسين حسن – مدرسة العلوم بجامعة بغداد.

(٣) هاشمية حسن زوين – مدرسة العلوم بجامعة بغداد.

(٤) وفية محمد سليم – مدرسة الآداب بجامعة بغداد.

(٥) صالح تقي فهمي – استاذ كلية الآداب بجامعة بغداد.

(٦) عاصم حسن محمد – مدرس القانون بجامعة بغداد.

ثانياً: يتولى الوزراء المختصون تنفيذ هذا القرار.

أحمد حسن البكر

رئيس مجلس قيادة الثورة

«الوثيقة الثانية»

استناداً إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الحادي والأربعين من الدستور المؤقت: قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته بتاريخ ١٩٧٨/٣/٢٨ ما يلي:

أولاً: إحالة الأشخاص المدرجة أسماؤهم أدناه على التقاعد:

- (١) صادق داود الخفاجي — استاذ كلية العلوم ببغداد.
- (٢) جلال مصطفى القريشي — استاذ كلية القانون بجامعة بغداد.
- (٣) عبد الكريم عبد الرزاق العطار — استاذ كلية القانون بجامعة بغداد.
- (٤) محسن حسين السلطان — استاذ كلية الزراعة في جامعة بغداد.
- (٥) صلاح الدين علي — مدرس في كلية القانون بجامعة بغداد.
- (٦) عبد الملك ياس — استاذ في كلية القانون بجامعة بغداد.
- (٧) عدنان حمودي الجليل — مدرس في كلية القانون بجامعة بغداد.
- (٨) حقي شهاب التميمي — استاذ مساعد كلية الزراعة بجامعة بغداد.
- (٩) وفقي شاکر الشماع — استاذ مساعد في كلية الزراعة بجامعة بغداد.
- (١٠) صادق مهدي السعيد — استاذ كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة بغداد.
- (١١) محمد عبد اللطيف — مدرس في كلية العلوم بجامعة بغداد.
- (١٢) عبد الكريم زيدان — استاذ مساعد في كلية الآداب بجامعة بغداد.
- (١٣) مصطفى نعمان حسين — استاذ كلية الآداب بجامعة بغداد.
- (١٤) صالح مهدي شريدة — استاذ مساعد في كلية الآداب بجامعة بغداد.
- (١٥) زهرة باقر الجلسي — استاذة مساعدة في كلية العلوم بجامعة بغداد.

(١٦) حاتم عبد الصاحب الكعبي - استاذ كلية الآداب بجامعة بغداد.

(١٧) مرتضى ناصر نصر الله - استاذ مشارك في كلية القانون في جامعة

بغداد.

(١٨) حسن عبد الكريم مبارك - استاذ مساعد في كلية الزراعة بجامعة

بغداد.

(١٩) محمود شكري حسين - مدرس في كلية الهندسة بجامعة بغداد.

(٢٠) عبد الله دخيل طاهر - استاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد.

(٢١) جعفر حسين خصبك - استاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد.

(٢٢) محمد زين العابدين محمد - استاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد.

(٢٣) ضياء الدين أبو الحب - استاذ مشارك في كلية الآداب بجامعة

بغداد.

(٢٤) حسن أمين عبد المجيد - استاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد.

(٢٥) علي محسن حسين - مدرس كلية التربية الرياضية بجامعة بغداد.

(٢٦) طه أحمد الشرجي - مدرس كلية التربية الرياضية بجامعة بغداد.

(٢٧) حسن إسماعيل كنه - مدرس كلية التربية الرياضية بجامعة

بغداد.

(٢٨) بهنام باسليوس جرجيس - استاذ مساعد كلية التربية الرياضية

بجامعة بغداد.

(٢٩) علي أحمد حمود - مدرس كلية التربية الرياضية بجامعة بغداد.

(٣٠) محمد سلمان سلمي - مدرس كلية التربية الرياضية بجامعة بغداد.

(٣١) إسماعيل إبراهيم محمد - مدرس كلية التربية الرياضية بجامعة
بغداد.

ثانياً: يتولى الوزراء المختصون تنفيذ هذا القرار.

أحمد حسن البكر
رئيس مجلس قيادة الثورة

« الوثيقة الثالثة ».

« الاتحاد الوطني لطلبة العراق »

العدد: ١/٢١

التاريخ: ١٩٨٣/٨/٢٢

الى / كافة الوحدات الاتحادية

نهدىكم أطيب تحياتنا:

نطلب منكم القيام بإعداد قوائم باسماء الطلاب العراقيين المتواجدين بالمدن البريطانية مع تصنيفهم بين حزبي بعثي، ومعارض مع التركيز على الشباب الملتحي والعمل على مراقبتهم، والعمل على تصعيد «العمل الحزبي البعثي» الملتزم في المدن البريطانية.

ضرورة ملاحقة عناصر المعارضة العراقية في الخارج وضرورة الإشارة إليها بالخيانة ومحاولة تشويهها مع التركيز على عناصر ما يسمى بالدعوة الإسلامية والحزب الشيوعي والحركة الكردية، وإن هؤلاء الفئات متسكعون ومرضى، يصدقون أبواق الباطل المنطلقة من طهران ودمشق وطرابلس الغرب، علماً بأن الفئات المذكورة أعلاه يعانون من إضمحلال الشخصية.

يرجى إرسال القوائم إلى الملحق العسكري بسفاراتنا.

تفضلوا بقبول فائق الاحترام.

رئيس الهيئة الإدارية

غازي ياسين ناصر

ملحق رقم ١٣/

«أصدا ، الجريمة البشعة»

«بيان الامام الخميني»

بسم الله الرحمن الرحيم

انا لله وانا اليه راجعون

تبين بالبالغ الأسف من خلال تقرير السيد وزير الشؤون الخارجية والذي تم التوصل إليه عن طريق مصادر متعددة وجهات مختصة في الدول الإسلامية ، وحسبما ذكرته التقارير الواردة من مصادر أخرى أن المرحوم آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر وشقيقته المكرمة - المظلومة التي كانت من أساتذة العلم والأخلاق ومفاخر العلم والأدب قد نالا درجة السعادة الرفيعة على أيدي نظام بعث العراق المنحط وذلك بصورة مفاجئة .

فالشهادة ميراث ناله أمثال هذه الشخصيات العظيمة من أوليائهم ، والجريمة والظلم أيضاً من ميراث ناله أمثال هؤلاء جناة التاريخ من أسلافهم الظلمة .

فلا عجب لشهادة هؤلاء العظماء الذين أمضوا عمراً من الجهاد في سبيل الأهداف الإسلامية على يد أشخاص جناة قضوا حياتهم بامتصاص الدماء والظلم ، وإنما العجب هو أن يموت مجاهدو طريق الحق في الفراش دون أن يُلطخ الجناة أيديهم الخبيثة بدمائهم .

ولا عجب أن ينال الشهادة المرحوم الصدر وشقيقته المظلومة وإنما العجب

أن تمر الشعوب الإسلامية وخاصة الشعب العراقي النبيل وعشائر دجلة والفرات وشباب الجامعة الغيارى وغيرهم من الشباب الأعزاء في العراق على هذه المصائب الكبرى التي تحلّ بالإسلام وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله دون أن تأبه لذلك وتفسح المجال لحزب البعث اللعين لكي يقتل مفاخرها ظلماً الواحد تلو الواحد.

والأعجب من ذلك هو أن يكون الجيش العراقي وسائر القوى النظامية آلة بيد هؤلاء المجرمين وان يساعدوهم على هدم الإسلام والقرآن الكريم. إنني يائس من كبار القادة العسكريين ولكنني لست يائساً من الضباط والمراتب والجنود وما أتوخاه منهم هو أن يثوروا أبطالاً وينقضوا على أساس الظلم كما حدث في إيران وإما إن يفروا من معسكراتهم وآلاً يتحملوا عار مظالم حزب البعث.

فأنا غير يائس من العمال وموظفي حكومة البعث المغتصبة وآمل أن يضعوا أيديهم بأيدي الشعب العراقي وأن يزيلوا هذا العار عن بلد العراق. أرجوه تعالى أن يطوي بساط ظلم هؤلاء الجناة. وها انني اعلن الحداد العام مدة ثلاثة ايام اعتباراً من يوم الأربعاء الثالث من شهر أربيهشت الثالث والعشرين من نيسان كما أعلن يوم الخميس عطلة عامة وذلك تكريماً لهذه الشخصية العلمية ولهذا المجاهد الذي كان من مفاخر الحوزات العلمية ومراجع الدين والمفكرين المسلمين وأرجو الخالق تعالى أن يعوّضنا عن هذه الخسارة الكبرى والعظمى للإسلام والمسلمين والسلام على عباد الله الصالحين.

الثاني أربيهشت ١٣٥٩ هـ ش

روح الله الموسوي الخميني .

بيان آية الله السيد محمد رضا الموسوي
الكلبايكاني

بسم الله الرحمن الرحيم

«وما نقوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد»

إن الفاجعة الأليمة والثلمة العظيمة لاستشهاد سماحة آية الله السيد محمد باقر الصدر وشقيقته الشريفة أعلى الله درجاتهما في منازل الشهداء قد أدخلت العزاء والحزن على الجميع وبمزيد من الأسف والتأثير أرفع أسمى آيات التعازي بهذه المناسبة المفجعة أمام بقية الله ولي العصر صاحب الزمان أرواحنا له الفداء ولعموم المسلمين والعلماء والأعلام والخوزات العلمية وبيت السادات من آل الصدر وبقية البيوت العلمية التابعة لهذه العائلة الشريفة.

إن آية الله السيد الصدر الذي هو حي ومخلد بآثاره الخالدة وخدماته الكبيرة في تأريخ الإسلام والعلماء والمضحين المجاهدين أصبح باستشهاده أكثر مجداً وخلوداً.

إن منزلة آية الله السيد الصدر وخدماته وشخصيته العلمية واضحة للجميع وأن مجهوده من أجل إنقاذ الجيل الصاعد من الحياة الغربية والتعلق بها والسقوط في أحضان المدارس المادية غير قابلة للنسيان إنه كان وريث العلم والجهاد للعديد من العوائل الفقهية الفاضلة وعليه وعلى شقيقته المظلومة سلام الله وهنيئاً لهما الشهادة.

«بيان إية الله السيد عبد الله الشيرازي»
«أنا لله وأنا إليه راجعون»

أيها المسلمون في أرجاء العالم .
أيها الشعب الغيور في إيران والعراق .

بمناسبة الفاجعة المحرقة : استشهاد العالم الرباني ، المجاهد سماحة آية الله السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) على يد النظام الجلّاد والسفّاك نظام البعث العراقي الذي هو ضياع لا يمكن تداركه في العالم الإسلامي نرفع إلى الإمام ولي العصر أرواحنا فداءً وللمسلمين في العالم كافة .

إن التأريخ الشيعي الذي يعدّ مفخرة منذ زمان الأئمة الأطهار عليهم السلام قد شاهدوا العشرات بل المئات من هذه الشخصيات للعلماء والمثقفين في سبيل الدفاع عن العقيدة والمذهب أمثال الشهيد الأول والثاني والثالث وقد زيد الآن فيه وسيزاد .

إن استشهاد عالم جليل كآية الله السيد الصدر وإن كان فاجعة مؤلمة ومؤسفة إلا أن دمه الطاهر سيضيء طريق المسلمين والشعب العراقي المجاهد لاستمرار النهضة الحكيمة حتى النصر الكامل وتحقيق الحكومة الإسلامية (ويعكرون ويمكروا الله والله خير الماكرين) .

وأصدر مراجع الدين والعلماء بيانات عديدة اقتصرنا على ذلك ما وفر لنا خشية الإطالة منها بيان آية الله شريعتمداري وآية الله أحمد الشيرازي وآية الله القمي وآية الله النجفي المرعشي وآية الله السيد أحمد الخونساري وآية الله البروجردي وآية الله مدني وآية الله أشرفي أصفهاني وآية الله صدوقي .

«بيان المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى في لبنان»

ينعئ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان والهيئة الشرعية العامة وجميع علماء المسلمين في لبنان إلى العالم الإسلامي وإلى الأحرار والشرفاء في كل مكان سماحة المذكر الفقيه الإسلامي الكبير العظيم آية الله العظمى الإمام المجاهد الشهيد السيد محمد باقر الصدر أحد أكبر مراجع المسلمين في العالم الذي تعتبر آثاره من أعظم وأعمق ما أنتجه الفكر الإسلامي في العصر الحديث، وشقيقته المجاهدة الكاتبة الإسلامية الكبيرة بنت الهدى.

إن الشهيد العظيم توج بالشهادة جهاده الطويل في سبيل الإبقاء على الوجه الإسلامي الناصع الأصيل للعراق. ويدعو المجلس إلى إقامة الحداد العام في المساجد والنوادي الحسينية ويخصص خطب الجمعة بهذه المناسبة ويستقبل في مقره المؤقت في مدينة الزهراء الهيئات الرسمية والفعاليات ابتداءً من الساعة التاسعة صباح غد الخميس ١٩٨٠/٤/٢٤ م ولمدة يومين وفي مقر المجلس في الحازمية يوم السبت ١٩٨٠/٤/٢٦ م ابتداءً من الساعة التاسعة.

بيان التجمع الوطني لنواب الشيعة في لبنان

أصدر التجمع الوطني لنواب الشيعة في لبنان بياناً موجهاً لمجلس قيادة الثورة العراقي وذلك بعد اجتماع النواب برئاسة الرئيس كامل الأسعد والوزير

علي الخليل وأنور الصباح والنواب الرئيس عادل عسيران وحسين النقيب ومحمود عمار وعبد اللطيف بيضون وصبحي ياغي وعلي العبد الله ومحمد يوسف بيضون ويوسف حمود وبعد بحث قضية إعدام الإمام الصدر وجهوا البرقية التالية: «في الوقت الذي يتعرض جنوب لبنان لأشرس مؤامرة تستهدفه أرضاً وشعباً يتعرض مركز الأشعاع الإمامي في النجف الأشرف لأشرس حملة تتناول رموزه الأعلام وقد بلغت هذه الحملة ذروتها في استشهاد مرجع كبير من مراجع التقليد يحمل رسالة الإسلام ويؤدي الأمانة.

إن الطائفة الإسلامية الشيعية في لبنان تستنكر الاقدام على قتل آية الله الإمام السيد محمد باقر الصدر أحد كبار مراجع المسلمين في العالم وذلك في وقت كان المسلمون والعرب أحوج ما يكونون إلى ما يمثل من قيم فكرية وروحية وإنسانية، وفي الوقت الذي تنتظر من العراق الشقيق المشاركة الفعلية في تحمل المسؤوليات القومية بتوظيف القدرات وتوفير الطاقات والجهود للتصدي للمؤامرة التي تستهدف الجنوب ومسيرة القضية العربية بكل ابعادها.

إننا إذ نعلن باسم الطائفة الإسلامية الشيعية استنكارنا لهذا الأسلوب القمعي ومضاعفاته نطلب من المسؤولين في العراق الشقيق وضع حد لمثل هذه الممارسات ونحذرهم من الوقوع في المؤامرة الكبرى التي لا تقتصر على لبنان عبر جنوبه وعلى الطائفة الإسلامية الشيعية بل تتعداها إلى سائر الأقطار العربية كيانا ومصيراً».

«بيان حركة أمل»

«إن اغتيال آية الله السيد محمد باقر الصدر وشهيدته المجاهدة بنت الهدى بصورة غامضة وسريعة على أيدي حكام العراق جريمة شنعاء تذكرنا بقتل الأنبياء الصالحين وهي واحدة من سلسلة من الجرائم والاغتيالات والمحاكمات الصورية التي غالباً ما تأتي بعد تنفيذ الأحكام.

إن التعرض الدائم للمراجع الدينية في العراق ومنذ زمن طويل والأحكام الدموية السريعة التي تنفذ يومياً بالسياسيين والعسكريين وكل حرّ صاحب رأي أو موقف.

لا يمكن ولا يجوز أن تمرّ دون حساب فيأبها المسلمون... وبها أيها الشرفاء... لتكن وقفتم الصامدة رادعاً لتلك التصرفات غير المسؤولة لأنها تصرفات تصب في مصلحة اعداء العرب والمسلمين ذلك ان الاجهاز على العقيدة والقيادة إجهاز على المصير ولأن الوعي الحرّ يحتاج إلى مساندة الأحرار في العالم حتى يبقى قادراً على التحرك والاستقطاب من أجل كرامة الإنسان وتأكيد حقه إن ما يجري في العراق حيث يضطهد الانسان وتمتهن حقوقه وتعطل حريته كلها أمور تعني الإنسان إي إنسان كان وفي أي مكان أو زمان ولا يؤخذ بالقول إنه شأن عراقي لا علاقة لنا به ولا سيما آية الله السيد محمد باقر الصدر أحد كبار مراجع ومفكري المسلمين في العالم...».

الفيلسوف العربي الدكتور زكي نجيب محمود يستنكر الجريمة

«إن اعدام مفكر ساهم في تنمية العقل العربي والاسلامي تأثير لدينا مشاعر التقزز والاشمئزاز فالدول المتقدمة تكرم افذاذها، أما العراق فيعدم مفكره»^(١).

الصحفية المصرية الدكتورة صافيناز كاظم تدين الاغتيال

«وكان قتل الإمام الصدر يعني انه لم يعد هناك حياء، ولم تعد هناك حدود، لم يعد هناك معقول ولا معقول، ولم يعد هناك ما نتوقعه وما لا نتوقعه. كلّ حرّمات الشعب العراقي مستباحة ومهتوكّة تحت سنابك حصان الغازي صدام!»^(٢).

(١) كيهان العربي العدد/١٢/٦٩١ - كانون الثاني - ١٩٨٦ - نقلاً عن جريدة الأهرام.

(٢) يوميات بغداد: ٣٢.

بيان منظمة العفو الدولية

العمل الفوري ١٥/٤/١٩٨٠م

منظمة العفو الدولية

معلومات إضافية عن:

التقرير المرقم: ٢٠١/٧

١٧/ تشرين أول/ ١٩٧٩ - الصحة - الاهتمام القانوني - في

١١/ نيسان/ ١٩٨٠ العراق/ آية الله محمد باقر الصدر.

استلمت منظمة العفو الدولية عدد من التقارير غير الرسمية تبين إن آية الله السيد محمد باقر الصدر وأخته المؤلفة البارزة قد تم إعدامهما في (٨ أو ٩ نيسان - ١٩٨٠) ولا يوجد تأكيد رسمي لذلك ولا توجد معلومات فيما إذا تمّ إنها مهم ومحاكمتهم سابقاً ولا تتوفر معلومات إضافية حول افراد العائلة الآخرين الذين يعتقد بأنهم اعتقلوا في (٥ نيسان) .

وتوجد معلومات حول العدد المتزايد من الاعدامات في العراق وتذكر مصادر غير رسمية انه تم إعدام ٩٧ شخصاً خلال شهر أذار وحده كان ٤٥ منهم ضباط جيش و ٥٢ مواطناً معظمهم من الشيعة وقد حدث ذلك في وقت تصاعد المعارضة من عناصر معينة من الطائفة الشيعية التي اتخذت مؤخراً طابع العنف أكثر من السابق والعلاقات المفسدة مع إيران التي تدعي الحكومة العراقية بأنها تساعد عناصر المعارضة داخل العراق .

وفي ٩ نيسان أعلن مجلس قيادة الثورة الحاكم فرض عقوبة الموت على أعضاء حزب الدعوة أو المرتبطين به المنظمة المعارضة المؤلفة بصورة رئيسية من الشيعة المسلمين والتي تأسست منذ عام ١٩٦٥ .

الاجراء المطلوب الاضافي : برقيات/ رسائل جوية «لم يصدر للعراق أي تعقيب» تبين القلق الخطير حول تقرير إعدام آية الصدر وأخته الفاضلة بنت الهدى

وتطلب الايضاحات بضمناها المعلومات حول الاجراءات القانونية «التهم» القوانين التي يتم بموجبها إتهامهم ومحاكمتهم، مكان وتاريخ المحاكمة، ومعلومات بخصوص حقوق الدفاع واستئناف المحاكم «يرجى» كذلك طلب معلومات اضافية حول أفراد العائلة الآخرين الذين ذكرت التقارير بأنهم اعتقلوا في ٥ نيسان نداءات إلى: الفريق صدام حسين، رئيس الجمهورية العراقية - بغداد - الجمهورية العراقية الدكتور منذر الشاوي وزير العدل / بغداد - الجمهورية العراقية.

يرجى إرسال نسخ إلى الممثلين الدبلوماسيين في بلدك.

ملاحظة: إن العراق طرف في إعلان الأمم المتحدة الدولي للحقوق المدنية والسياسية والتي تنص الفقرة السادسة على ما يلي:

(١) لكل إنسان الحق الطبيعي للعيش ويجب صيانة هذا الحق بالقانون ولا يجوز حرمان أحد من العيش عرفاً وقانونياً.

(٢) في الأقطار التي لم تلغى عقوبة الموت يجب فرض حكم الموت فقط على أخطر الجرائم بموجب القانون الساري في وقت ارتكاب الجريمة وليس مناقضاً لشروط الإعلان الدولي الحالي ومعاهدة منع ومعاقبة جريمة القتل وإن هذه العقوبة يمكن تنفيذها فقط عقب إصدار الحكم النهائي من قبل محكمة مختصة.

(٣) إن أي شخص يحكم بالإعدام له حق طلب العفو أو تخفيف الحكم وتبين منظمة العفو انه يمكن منح العفو أو تخفيف عقوبة الإعدام في كافة الحالات^(١). انتهى التقرير

هذا كله على المستوى الدولي والرسمي أما على المستوى الجماهيري فإن الأمة الإسلامية في كل مكان قد اعلنت عن إدانتها واستنكارها لهذه الجريمة وقد اجتاحت الاحتجاجات في كثير من البلاد الإسلامية والبلاد الأوربية.

أما العراق فإن الحديث عن اصداء استشهاد الإمام الصدر يحتاج إلى بحث

(١) جرائم صدام: ص ٨٦.

مستقل يستوعب كل الظروف والأجواء الخائفة وطبيعة التصدي والانتفاضة
الشعبية وطريقة العمل ووسائله فإن العراق شهد تحولاً جذرياً فيما بعد اسشهاد
الإمام الصدر إلى يومنا الحاضر.

مراجع البحث

|| ا ||

الحر العاملي	أمل الآمل
محسن الأمين	أعيان الشيعة
الشهيد الصدر	اقتصادنا
الشهيد الصدر	① الاسلام وإيران
② الشهيد مرتضى المطهري	الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة
③ محمد المبارك	أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف
حزب الدعوة - لبنان	استشهاد الامام الصدر من منظور حضاري
مرتضى المطهري	الاجتهاد
فؤاد كاظم	أرقام وآراء حول نظام البعث في العراق

|| ب ||

السيد محمود الهاشمي	بحوث في علم الأصول ج ١
أم فرقان	بطلة النجف

|| ت ||

حسن الصدر	تكملة أمل الآمل
عبد الحليم الرهيمي	تاريخ الحركة الاسلامية في العراق
	[١٩٢٠ - ١٩١٤]
عامر الحلو	تاريخ الحركة الاسلامية في العراق
	التقرير المركزي للمؤتمر التاسع لحزب البعث
	العربي اشتراكي - العراق

ث

ثورة الخامس عشر من شعبان
الثورة والقائد
ثقافة الدعوة الإسلامية

عباس محمد كاظم
مهدي الحسيني
حزب الدعوة الاسلاميه

ج

الجهاد السياسي عند الشهيد الصدر
جمال الدين الأفغاني
جرائم صدام

صدر الدين المباحي
محمد عمارة
المركز الاسلامي للابحاث قم

ح

الحركات الاسلامية في القرن الرابع
عشر الهجري

مرتضى مطهري

ع

علوم القرآن
العلاقة التاريخية للسيد الشهيد

الشهيد الصدر
حسين الصدر

ذ

الذريعة إلى تصانيف الشيعة

آغا بزرك الطهراني

ر

روضات الجنات

محمد باقر الخونساري

ش

شعراء الغري
الشاهد الشهيد
الشهيد الصدر رائد الثورة
الاسلامية في العراق
الشهيد الصدر الفيلسوف الفقيه
الشهيدة بنت الهدى عذراء العقيدة والمبدأ

علي الخاقاني
ع. نجف
غالب حسن

عبد الحسين البقال
جعفر نزار

ط

طبقات اعلام الشيعة

آغا بزرك الطهراني

طريقة حزب الله في العمل الاسلامي

ف

الفتاوي الواضحة

فلسفتنا

فدك في التاريخ

علي الكوراني

الشهيد الصدر

الشهيد الصدر

الشهيد الصدر

م

معارف الرجال

موسوعة العتبات المقدسة

ماضي النجف وحاضرها

من نظرات جماعة العلماء

المرجعية الشهيـدة

محاضرات «المحنة»

مباحث الأصول

مع رجال الفكر في القاهرة

مع علماء النجف الأشرف

المكاسب ج ١

المدرسة القرآنية

من الفقه السياسي في الاسلام

معاهد الفقه العاملية

حرز الدين

جعفر الخليلي

جعفر محبوبه

محمد باقر الحكيم

حسين الصدر

الشهيد الصدر

كاظم الحائري

مرتضى الرضوي

محمد جواد مغنية

محمد كلانتر

الشهيد الصدر

محمد صالح جعفر الظالمـي

للمؤلف

ن

نظرات في الكتب الخالدة

نهضت إمام خميني - فارسي

حامد حفني

حميد زيارتي روحاني

المجلات

مجلة الجهاد

مجلة الحكمة اللبنانية

مجلة الأصواء

مجلة المنطلق اللبنانية

الحوراء الفكري - السياسي

مجلة العالم
مجلة الفجر
مجلة النجف
مجلة صوت المجاهدين

الجراند

التيار الجديد
الشهادة
لواء الصدر
الجهاد
المسار
صوت العراق
كيهان العربي .

الفهرس

٣ التقديم
١١ الاهداء
* الفصل الأول *	
حياته الشخصية	
١٣ المقدمة
١٩ نسبه الشريف
٢٠ آل الصدر
٣٧ المقام العلمي الشامخ لأسرة آل الصدر
٣٨ في مكة المعظمة
٣٩ في أصفهان
٤١ في خراسان
٤١ في كربلاء
٤٢ في الكاظمية
٤٤ شجرة النسب
٤٥ آل ياسين
٤٨ ولادته
٥٠ نشأته
٦٢ دراساته

٦٧	ترجمة السيد الخوئي
٧١	أخلاق الشهيد الصدر
٨٧	مظلومية السيد الصدر

* الفصل الثاني *

حياته العلمية

٩٧	معالم مدرسته
١٠٥	مع الشهيد الصدر
١٠٧	فقيهاً
١١٧	أصولياً
١٣٩	فيلسوفاً
١٤٥	مفسراً
١٥٥	اقتصادياً
١٧١	مؤرخاً
١٨٣	إمام المناطق
١٨٨	دور الشهيد الصدر في دعم المكتبة الاسلامية
١٩٩	دوره في جامعة النجف الكبرى

* الفصل الثالث *

حياته الجهادية والسياسية

٢٢١	التنظيم في حياة الشهيد الصدر
٢٢٩	حزب الدعوة الاسلامية
٢٤٣	الشهيد الصدر في جماعة العلماء
٢٥٥	هموم الشهيد وآلامه الاسلامية
٢٦٩	المرحمة في حياة الشهيد الصدر
٢٩٠	مع الشهيد الصدر قائداً
٢٩١	طبيعة الحكم في العراق
٣٠٤	الشهيد الصدر مفجر الثورة الاسلامية في العراق

* الفصل الرابع *

رحلة الشهيد الصدر الى عالم الشهادة

٣٢٥ قصة الحصار
٣٢٧ رفيقة الدرب والشهادة الشهيدة بنت الهدى
٣٣٣ الملاحق
٤٠٩ مراجع البحث
٤١٣ الفهرست